

٢١٨، ٧
ع
٢٢

منهج السبل الكرام

والدعوة إلى الله

في القرآن الكريم

الجامعة الإسلامية بالدرية والنورة
عادة شؤون المكتبات - قسم المخطوطات
تم التسجيل العام
الخاص
التاريخ / / ١٤

المملكة العربية السعودية
بالمدينة المنورة
لجامعة الاسلامية
الدراسات العليا
شعبة الدعوة

٧ / ٢١٨
٢٤

عنوان البحث : منج

الرسل الكرام والدعوة إلى الله



في القرآن الكريم

بحث مقدم لنيل الشهادة العالمية العالية (الدكتوراه)

إعداد

أحمد محمد عبيد

إشراف

فضيلة الدكتور عبد المنعم حنين

١٤٠٣ هـ

وَبِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

شکر و تقدیر

شكر وتقدير

=====

يسرني أن أشكر بعد شكر الله عز وجل كل من كان له يدٌ بيضاء علي حتى وصلت الي هذه المرحلة من طلب العلم .

وأخص بالشكر القائمين على الجامعة الاسلامة أهزمها الله من يوم أن أسست الي يومنا هذا ، مع دعائي وتمنياتي لهم بالتوفيق والسداد .

كما أشكر فضيلة شيخي المشرف على الرسالة الدكتور عبد المنعم حسنين الذي اعطاني الكثير من وقته وجهده حتى خرجت الرسالة بهذه الصورة ، فجزاه الله عني خير الجزاء .

وأخص بالشكر أيضا فضيلة الشيخ الاستاذ محمد نمر الخطيب الذي أسدى الي بنصائحه القيمة وتوجيهاته السديدة وكان حريصا على أن يوه تي هذا الفرس طاره الشبيهه فجزاه الله عني خير الجزاء .

وانا ان أقدم هذا الجهد المتواضع بين يدي هذه الدعوة الربانية ادعو الله عز وجل أن يجعله خالصا لوجهه الكريم وعونا لي يوم العرض الأكبر يوم لا ينفع مال ولا بنون الا من اتى الله بقلب سليم .

كما ندعوه تعالى ان يجعلنا من الذين يقولون الحق وبه يعملون ، وأن يخفر لنا ذلاتنا انه نعم المولى ونعم المجيب ، وهو حسبنا ونعم الوكيل .

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات .

المقدمة

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين وامام
العتقين وقائد الغر المحجلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن تبع هداة الى
يوم الدين . أما بعد :

فان الدعوة الى الله عز وجل هي مهمة الانبياء والمرسلين الذين اختارهم
الله من عباده واكرمهم بحمل دعوته وابلائها الى خلقه .

والدعوة هي أفضل الاعمال بعد الايمان بالله لان ثمرتها هداية
الناس الى الحق وتحبيبهم في الخير وتنفيرهم من الباطل ، واخراجهم من —
الظلمات الى النور

قال تعالى : (ومن أحسن قولا ممن دعا الى الله وعمل صالحا وقال

اننى من المسلمين) . سورة فصلت : (٣٣) .

والدعوة الى الله هي الدعوة الى دينه واتباع هداة وتحكيم منهجه في
الأرض وافراده تعالى بالعبادة والاستعانة والطاعة والبرأة من كل الطواغيت التي
تطاع من دون الله ، واحقاق ما احق الله وابطال ما ابطل والامر بالمعروف والنهي
عن المنكر والجهاد في سبيل الله .

وبعبارة موجزة : الدعوة الى الاسلام خالصا متكافرا مشوبا ولا مجزأ .

ودستور هذه الدعوة هو القرآن الكريم الذي انزله الله ليكون الكتاب الخاتم للرسالة
الخاتمة للنبي الخاتم .

ولقد أراد الله سبحانه أن يكون هذا القرآن هو الرائد الحى الباقي بعد

وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم لقيادة أجيال هذه الامة .

وتربيتها واعدادها لدور القيادة الراشدة الذى وهدها به رب العالمين
 كلما اهدت بهديه واستسكت بعهدته واستعدت منهج
 حياتها كله من تعاليمه ، واستعلت به على جميع المناهج الارضية الجاهلية .
 ان هذا القرآن ليس مجرد كلام يتلى ولكنه دستور شامل دستور للتربية
 كما انه دستور للحياة العملية ، وقد تضمن بصفة خاصة تجارب الدعوة من لدن
 آدم عليه السلام الى خاتم الانبياء والمرسلين محمد صلى الله عليه وسلم وقد منها
 زادا للامة المسلمة فى جميع اجيالها كى تكون على بينه من طريقها ووضوح من
 منهجها وسيظل القرآن الكريم كتاب هذه الامة العامل فى حياتها والمؤثر فى
 طريقها الواقعى ودستورها الشامل الكامل الذى تستمد منه منهج الحياة ،
 ونظام المجتمع وقواعد التعامل فى كل شىء .

ان هذا القرآن الذى خرج بمنهجه الجماعة المسلمة الاولى لتكون خير
 امة اخرجت للناس ، مازال فضا طربها كما انزل ومازالت توجيهاته وتعاليمه عمى هي
 صالحة لكل زمان ومكان ، وان المعركة التى خاضها القرآن مع الجاهلية الاولى
 وانتصر عليها مازالت تتكرر وان اختلفت اساليبها وتعددت وسائلها .

وما يزال هذا المنهج بحمد الله الذى خرج ذلك الجيل من الصحابة
 وتلك القيادة الفذة التى لم يشهد لها التاريخ مثيلا على استعداد لتخريب
 اجيال وقيادات على مدار الزمان اذا ما رجعت الامة المسلمة الى هذا المعين
 الصافى والمنهج الشامل الوافى .

ولو بقيت هذه الامة متمسكة بقرآنها تسمع توجيهاته وتقيم قواعده وتشريعاته
 فى حياتها لما استطاع اعداؤها ان ينالوا منها مانالوه ولكنها حين نقضت
 ميثاقها مع ربها وحين اتخذت القرآن مهجورا اصابها ما اصابها وتكاثرت عليها
 اعداؤها فغلبوها على امرها بعد ان فقلت من هذا القرآن الذى فيه عزها

وسوددها فسارت في طريق غير طريقه ، فنزعت منها قيادة البشرية واصبحت ذيلا لها بعد أن كانت الرائد والموجه .

فلنعد الى هذا القرآن الذي يصغه لنا رب العزة والجلال بقوله :
(قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين يهدي به الله من اتبع رضوانه
سبل السلام ويخرجهم من الظلمات الى النور باذنه ويهديهم الى
صراط مستقيم) .

هذا القرآن الذي هو كتاب الدهر كله فيه عزنا وشرفنا فيه تاريخنا ومنهجنا
فيه حياتنا وسوددنا ، امزنا الله طالما تمسكنا به وسدنا الدنيا يوم ان حكمنا
شره واتبعنا سبيله .

هذا الكتاب لا بد لنا من العودة اليه بقلب مقبل عليه اقبال الظمآن على
الماء الفرات ازما اردنا اعادة امجاد هذه الامة المشرفة التي لم يزد لها الادبار
من كتاب الله الا تقهقرا وضعفا .

أما من سبب اختياري لهذا البحث فقد اخترته بعد ما عشت في رحاب
الجامعة الاسلامية مدة من الزمن ليست بالقصيرة ، ومايشت فيها معظم
المشتغلين في حقل الدعوة على اختلاف مناهجهم واساليبهم ، ورأيت الاختلاف
في الاسلوب ، كما رأيت الاختلاف في المنهج والطريقة ، وكذلك في عرض
الاولويات . اذ وجدت من يقدم الالهة على المهم والكل على الجزء ، ورأيت من
يقدم الفرع على الاصل والجزء على الكل ويجعل من المسائل الفرعية اصولا يدافع
عنها ويخاصم فيها ورأيت من يركز على ناحية دون اخرى كأن يهتم بالروح دون
التفات الى الجسد ، كما رأيت من يدعو الى ترك الدنيا بكل ما فيها والانكباب
على الآخرة ، ورأيت من يهتم بالعبادات ويهمل المعاملات ، فاذا سمع الاذان
هرع دون شعور الى المسجد ليصلي واذا ما خرج الى متجره أو سوقه نسي ما تأمره

به صلاته فغشى وحلف لا نفاق سلعته وربما كذب ايضاً فانسته الدنيا تعاليم الاسلام وآدابه . . ورأيت من يقول اذا اردت الاسلام فالمساجد مفتوحة وكان الاسلام فى نظرهم هو فى المسجد فقط واذا ماخرجت خارج المسجد فلا علاقة للاسلام بك فافعل ما بهدالك .

ورأيت من يقول بانه لا دين فى السياسة ولا سياسة فى الدين ومعلقة الدين بالدولة وما علاقة الدين بالمجتمع الى غير ذلك من المفاهيم المتبوره والمشوهه للاسلام .

فالاسلام كل لا يتجزأ ومنهج حياة متكامل متداخل الحلقات فهو عقيدة وعمل ودين ودوله وجهاد ونيه أمر بالمعروف ونهى عن المنكر .

والاسلام دين الله الخاتم ودين البشرية جمعاء الى أن يرث الله الأرض ومن عليها ، فهو شامل متكامل لا يجوز للداعية أن يقتصر فى دعوته على ناحية منه ويهمل النواحي الاخرى حتى لا يشوه صورته المتكاملة التى ارادها الله تعالى له .

من هنا كان اختيارى لهذا البحث " منهج الرسل الكرام والدعوة الى الله فى القرآن الكريم " ليكون الحكم والشاهد على الجميع لان القرآن هو كتاب هذه الدعوة ودستورها ومصدرها الاول وعلى الدعاة أن يعتمدوا عليه ويتوجهوا اليه قبل الاتجاه الى اى مصدر آخر ، ويتعلموا منه كيف يدعون الناس وكيف يوقظون القلوب الغافلة ويحيون الارواح الخاملة .

وخلال كتابتى لهذا البحث طالعت كتباً كثيرة لمؤلفين كثيرين الا أن الذين لفتوا انتباهى وكان لمؤلفاتهم تأثير فى منحنى هذا البحث عدد طيب اذكر منهم : الشهيد " سيد قطب " الذى كان لكتابه " فى ظلال القرآن " ظلالة مباركة فى حنايا هذا البحث لما لست فيه من عرض شامل لقضايا العالم الاسلامى المعاصر

بأسلوب اخاذ وصارات جذله وجمل متأخيه وتحليل عميق مع تشخيص الداء ثم وصف الدواء الناجع ، الى جانب تعامله مع الآيات وتفسيره لها بأسلوب مشوق بحيث لا يترك للملل مجالاً بالدخول الى نفس القارى بل يستمر معه الى نهاية المطاف لما يعرضه من قضايا معاصرة نحن بأص الحاجة الى طرحها ومناقشتها ثم عرض الادوية الناجعة لها .

وسبب رحمه الله لا يؤمن بعلاج الداء العضال بالبلاسم والمهدئات بل يطالب باجتثاث الداء . من جذوره ، وان احتاج ذلك الى مضع الجراح لاجراء عملية جراحية ليصح الجسد كله ، والا مالفايدة في جسد ظاهره السلامة في حين أن داخله منخور ممزق .

ومن الذين استفدت من مؤلفاتهم الدكتور " يوسف القرضاوى " وخاصة في مجال ثقافة الداعية وما ينبغى عليه ان يتسلح به من العلوم والمعارف المعاصرة أما في المجال الحركى للدعوة فقد استفدت من مؤلفات الاستاذ " فتحى يكن " أمين هام الجماعة الاسلامية فى لبنان ، اذ عالج معظم القضايا التى يتعرض لها الداعية من خلال قيامه بواجب الدعوة الى الله كما اوضح الصفات التى يجب أن يتمتع بها الداعية ليكون ناجحاً ومؤثراً فى مجتمعه .

أما من خطة البحث فكانت كما يلى : -

قسمت بحثى الى ستة أبواب وخاتمة . .

ففى الباب الأول تحدثت عن خصائص المنهج القرآنى ويشتمل هذا الباب على ثمانية فصول :

الفصل الأول : انه من عند الله :

وذكرت فيه أن المنهج القرآنى منهج الهى وليس مخاض عقل بشرى شأن المذاهب الوضعيه. وهذه العزيمه تؤكد قابليته للحياة وقدرته على استيعاب

مشاكلها المتجددة ، انسجاما مع القدرة التي صدر عنها والتي لا يعزب عنها
مثقال ذرة في الارض ولا في السماء ، وقد احاطت بكل شئ علما .

ويترتب على كونه من عند الله كماله وخلوه من معاني النقص التي لا تكساد
تنفك عن الانسان :

(أمن يخلق كمن لا يخلق افلا تذكرون) . سورة النحل : (١٧) .

وفي الفصل الثاني : تحدثت عن شمولية المنهج القرآني وذكرت أن ما يمتاز
به المنهج القرآني هو الشمول واستيعاب نظراته وتصوره لكافة شؤون الحياة
ففيه تنظيم ملاقة الفرد بنفسه وملاقاته بخالقه ، وعلاقته بأسرته وعلاقته بمجتمعه ،
فهو شمول تام بكل ما في الكلمة من معنى .

وفي الفصل الثالث : تحدثت عن عالمية المنهج القرآني وأنه جاء لكل البشر
ولم يأت لطائفة منهم أو لجنس خاص من أجناسهم ، بل انزل منهجا عالميا —
استوصت تشريعاته القدرة على حل مشاكل الحياة ومستجداتها في كل مكان وفي
كل زمان .

وفي الفصل الرابع : تحدثت عن ثباته وذكرت أن المنهج القرآني ثابت
الاركان لا كالمذاهب الوضعية التي تنجح لفترة من الزمن ثم ماتت أن تخفق
وتفلس وتظهر عيوبها ومثالبها .

وفي الفصل الخامس : تحدثت عن مرونته وذكرت أن وجود الثبات والمرونة
في آن واحد ليس تناقضا بل هو عين التوازن لان الاسلام دين الانسانية جاء
موافقا لفطرة البشر وفطرة الوجود لان طبيعة الحياة نفسها تحوى عناصر ثابتة
باقية ما بقى الانسان وعناصر مرنة قابلة للتغيير والتطور . .

وفي الفصل السادس : تحدثت عن واقعيته ، وذكرت أن الاسلام يتعامل
مع حقائق الانسان والكون لا مع تصورات تخياليه لا وجود لها في الواقع ، لذلك

نراه يخاطب الانسان بكيانه كله المركب من لحم ودم وعقل وروح .

وفى الفصل السابع : تحدث عن وضوح المنهج القرآنى وذكرت أن هذا الوضوح يشمل الاصول والقواعد والاهداف والغايات وكذلك الوسائل والاساليب:

وفى الفصل الثامن : تحدثت عن توازنه وذكرت أن المنهج القرآن متوازن اذ صانه ربه مع الفلوهنا وهناك ، فلم يعط شيئاً على حساب شىء آخر بل اعطى كل ذى حق حقه .

الباب الثانى : المنهج القرآنى فى خطاب المدهوين

ويشتمل هذا الباب على تمهيد وثلاثة فصول :

الفصل الأول : خطاب العوامنين .

الفصل الثانى : خطاب أهل الكتاب .

الفصل الثالث : خطاب المشركين .

وذكرت فى التمهيد أن للقرآن الكريم النفوس البشرية بانواعها فهو مع العوامنين يعزوهم فالله عز وجل خالق الناس وهو أعلم بمن خلق يخاطب الكيان البشرى ويؤثر فيه فيثير مشاعره ويحرك عواطفه ثم يستجيب راضياً مطمئناً لما دعى اليه .

ولقد خاطب القرآن الكريم النفوس البشرية بانواعها فهو مع العوامنين يعزوهم الى الايمان ويدهوهم الى زيادته ويرغبهم فى الطاعات وينفرهم من المعاصى ويخوفهم من عذاب الله ، ومع أهل الكتاب يردهم فى رفق الى اصول دينهم ويذكرهم بما جاء به رسلهم ويفسد العقائد الزائفة بأسلوب واضح مقنع .

ومع المشركين يخاطب فيهم العقل ويدهوهم للمشاهده والنظر فى خلق الله وعظيم صنعه ، ويفتح لهم باب الحوار ليتضح لهم الحق ثم يدهوهم الى التوحيد الخالص .

الباب الثالث : منهج الرسل الكرام في الدعوة كما رسمه القرآن

ويشتمل هذا الباب على تمهيد وستة عشر فصلا ذكرت في التمهيد ان من نعم الله عز وجل على البشر ان ارسل لهم رسلا منهم مبشرين ومنذرين يعلمونهم الخير وبأمرونهم به ويبينون لهم الشر وينهونهم عنه .

ولكى يتم الله النعمة على الناس انزل على رسله الكتب السماوية لتكسبون المرشد والمرجع الذي يرجعون اليه بعد انبيائهم عليهم السلام .

ولقد بين الله تعالى لانبيائه طريق الدعوة واقام بهم الحجة على العالمين قال تعالى : (رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل وكان الله عزيزا حكيمًا) . سورة النساء : (١٦٥) .

ولقد حكى القرآن الكريم قصص المرسلين الكرام واخبرنا بما دار بينهم وبين اقوامهم ، وصور لنا هذه الوقائع تصويرا جليا حتى كأننا ونحن نقروها نعيش تلك الفترة مع كل رسول منهم ونشاهد ما حدث آنذاك .

وفي هذا الباب استعرضت دعوة فالبية الرسل ومواقفهم مع اقوامهم كما صورها القرآن الكريم وهم يتلقون الامراض والتكذيب والسخرية والتهديد والايذاء لانهم دعوا اقوامهم الى عبادة الله وحده وترك ما يعبد من دونه ، وكيف تحملوا ذلك بالصبر والثقة واليقين بما معهم من الحق ، وفي نصر الله الذي لا شك آت وفي وعده الذي لا يتخلف ، وذكرت الآيات التي كان يؤيد الله بها انبياءه — لتكون سببا في ايمان قومه ثم نهاية المكذبين من هذه الاقوام وما نزل بهم من عذاب الله نتيجة جحودهم وكفرهم ، ثم ثناء الله عز وجل على رسوله الذي صبر وشكر وتحمل كل ايذاء في سبيل ابلغ دعوة ربه الى الناس .

وفى الفصل الأول : تحدثت عن دعوة نوح عليه السلام وذكرت ان الاصل
 _____ الذى جاء به هو عبادة الله الواحد الاحد وهذا
 المعنى هو ما ارسل به جمع الانبياء دليلا على وحدة الرساله ووحدة
 التلقى من الله عز وجل .

قال تعالى : " ولقد ارسلنا نوحا الى قومه انى لكم نذير مبين الا تعبدوا
 الا الله انى اخاف عليكم عذاب يوم اليم " هود : (٢٥-٢٦)

وذكرت ما وجدته من قوله من اهداء ومعاناة تمثلت بالتكذيب المستمر والصد
 من دعوته وهو صابر محتسب لا يريد جزاء ولا شكورا .

وتمضى السنين والايام وتذهب اجيال وتأتى اجيال اخرى والمكذبيون
 يورثون اباؤهم الكفر والجحود حتى بلغ الصد من سبيل الله اقصاه اذ توقع
 عليه السلام ان يأتى من اصلاب قومه من يعبد الله بحق ولكن فآله لم يتحقق
 اذ تبين أن الخلف ورثوا عقائد السلف وانهم اعداء لدعوة الله واعداء لنبي الله
 امام هذا لواقع ، لم يعد هناك مجال للانتظار بعد هذا الانتظار الطويل
 الضنى فقال عليه السلام داعيا الله تعالى :

" رب لا تذر على الأرض من الكافرين ديارا انك ان تذرهم يضلوا عبادك
 ولا يلدوا الا فاجرا كفارا " نوح : (٢٦ - ٢٧) .

وبعد أن امضى عليه السلام الف سنة لا محسنين عاما فى دعوة قومه الى دين
 الله ولم يستجب له الا القليل ، مع ذلك كله لم ينقص هذا الاعراض من قدره عليه
 السلام عند الله عز وجل بل اثنى عليه بقوله : (سلام على نوح فى العالمين انا
 كذلك نجزي المحسنين انه كان من صابرين المؤمنين) . نوح : (٢٧) .

وفى الفصل الثانى : استعرضت دعوة هود عليه السلام .

وفي الفصل الثالث : تحدثت من دعوة صالح عليه السلام .

وفي الفصل الرابع : تحدثت عن دعوة ابراهيم عليه السلام .

ودعوة الخليل سجل ذاخر بالعبر والعظات ، وطريق طويل ملي بالصعاب والعقبات ، ومع ذلك كله لم تثني المحن من هزيمته بل تابع طريقه بخطى ثابتة مطمئنة الى عون الله وتوفيقه واظهار دينه مهما كثر الاعداء واستبدت الطغساء

وفي دعوة ابراهيم عليه السلام عدة اساليب استعملها في ابلاغ دعوته الى الناس . . . كان اولها ازالة المنكر باليد فكسرا الاصنام التي كان يعبدها قومه وكان عقابه ان القى في النار التي قال لها رب العزة والجلال :

" يا نار كونى بردا وسلاما على ابراهيم "

وخرج ابراهيم من النار اشد صلابة وأكثر مضاً في الحق ، ثم استعمل اسلوب الجدل والحجة فجادل عبدة الكواكب وتبرأ منهم كما حاج الذي ادعى الالوهية وابطل دعواه والزمه الحجج ، وقد تعرض عليه السلام نتيجة ذلك لمحن كثيرة من اعداء الله فمير ان هذه المحن لم تزد الا صلابه في الحق وقوة بصدق وعد الله الذين لا يتخلف .

وكان ينتقل عليه السلام من محنة الى محنة اشد منها الى ان كانت محنة ذبح ولده وقلدة كبده اسماعيل عليه السلام الذي جاء بعد طول انتظار ، ونفذ عليه السلام امر ربه راضيا مرضيا فكان مثالا في الفداء ومثال في التضحية ومثال في الامتثال لامر الله عز وجل . لذلك مدحه تعالى واكرمه بان اتخذه خليلا من بين سائر الانبياء الكرام قال تعالى :

" واتخذ الله ابراهيم خليلا " . النساء : (١٢٥)

كما اثى عليه تعالى بقوله : " ان ابراهيم كان امة قانتا لله حنيفا ولم يك
من المشركين شاكرا لانعمه اجتباه وهداه الى صراط مستقيم وآتيناه فى الدنيا
حسنة وانه فى الآخرة لمن الصالحين " . النحل : (١٢٠ ، ١٢١ ، ١٢٢) .

وفى الفصل الخامس : تحدثت عن دعوة لوط عليه السلام .

وفى الفصل السادس : تحدثت عن دعوة اسماعيل عليه السلام .

وفى الفصل السابع : تحدثت عن دعوة يوسف عليه السلام .

وفى الفصل الثامن : تحدثت عن دعوة شعيب عليه السلام .

وفى الفصل التاسع : تحدثت عن دعوة الياس عليه السلام .

وفى الفصل العاشر : تحدثت عن نبي الله أيوب عليه السلام .

وفى الفصل الحادى عشر : تحدثت عن نبي الله يونس عليه السلام .

وفى الفصل الثانى عشر : تحدثت عن دعوة موسى عليه السلام .

هذا النبى الكريم الذى صاحبه المحنة منذ ولادته ، فقد ولد فى زمن
وصل فيه الجبروت الفرعونى الى غايته اذ امر فرعون بقتل كل مولود ذكر يولد فى
ذلك العام ملاما بنصيحة أحد الكهان الذين اخبروه بأن مولودا من بني اسرائيل
سيولد فى ذلك العام ويكون زوال ملك فرعون على يديه ، لهذا السبب أمسس
الطاغية بقتل كل مولود ذكر يولد فى ذلك العام .

وفى هذه الظروف الصعبة ولد موسى عليه السلام ، وفيما امه قلقة على
 مصيره كيف تخفيه من الجزارين اذ يوحى اليها ربها أن القيه فى اليم ان غفت
 عليه وهو فى حرك وتلقيه فى اليم وبشاه الله أن يقع موسى بين يدى فرعون نفسه
 ويحاول قتله الا ان زوجته المؤمنة تتوسل اليه ليأخذها ولدا ، ويقبل الطافية
 رجاء زوجته ويأمر مناديا ينادى على مرضعة لترضع هذا الغلام ، وتأتى المرضعات
 من كل حدب وهوب طمعا فى عطايا الطافية وكف اذاه ، ويأبى الغلام كسل
 المرضعات حتى جاءت امه فرضى بها ، وبشاه الله أن يعود موسى الى امه
 ليهدأ روعها وليتحقق وعد الله : " انا رادوه اليك " .

ويكبر موسى عليه السلام فى بيت فرعون وتتفتح عيناه على الظلم والجور الذى
 يمارسه فرعون وزبانيته ضد الناس ، فلم يستطع السكوت ، وكيف يسكت الحر الشريف
 على ظلم العباد واذلالهم .

وأخذ يعمل عليه السلام فى الكفا على محاربة فرعون وجنوده ، ولما انكشف
 امره وتآمر الباطل على قتله فر الى مدين ، وهناك يلتقى بابنتى رجل صالح
 فيسقى لهما الخمر ثم يوصله الى ابيهما فيقص عليه قصته ، ويطمئنه الرجل الصالح
 بأنه نجى من فرعون وجنوده ، وبشاه الله أن يبقى موسى فترة من الزمن عند
 هذا الرجل ويتزوج احدى ابنتيه ،

ثم يأتيه أمر الله بالعودة الى فرعون بعدما اشتد طغيانه وعاث فى الأرض
 الفساد ، ويعود موسى عليه السلام ليقاتل بمن معه من المؤمنى جنود فرعون
 وزبانيته ، وتدور المعارك بين الحق والباطل . وينتصر الحق على الباطل وينتهى
 فرعون الى غير رجعة ليصبح عبرة لكل الطغاة والظالمين الى يوم الدين .

وبانتهاء فرعون تنتهى مرحلة من مراحل العنت الشديده وتزاح عقبة من

العقبات الكؤود امام دعوة موسى عليه السلام غير أن العقبات مازالت ككثيره ، فبنى اسرائيل

الذين ذاقوا كل أنواع الويلات من فرعون وجنوده وانقذهم الله على يد موسى لم يحطوا الولاء لموسى بل انكروا نبوته وجحدوا فضله وتمردوا عليه وطلبوا منه الآية تلو الآيه ، ومع ذلك بقيت قلوبهم قاسية بماران عليها من ادران المعاصي وجحود النعمة .

ولموسى عليه السلام رحلة طويلة مع بنى اسرائيل مليئة بالجحود والعصيان ومع ذلك صبر عليه السلام صبورا جميلا وتحمل من بنى اسرائيل الكثير الكثير . . . وبذلك استحق ثناء الله عليه وكان اهلا لحمل امانته ، قال تعالى :

" يا موسى انى اصطفيتك على الناس برسالاتى وبكلامى فخذ ما آتيتسك
وكن من الشاكرين " . الاعراف : (١٤٤) .

ولقد كان عليه السلام كما امره ربه نعم الشاكر ونعم الصلح .

وفى الفصل الثالث عشر : تحدثت عن دعوة داود عليه السلام .

وفى الفصل الرابع عشر : تحدثت عن دعوة سليمان عليه السلام .

وفى الفصل الخامس عشر : تحدثت عن دعوة عيسى عليه السلام هذا النبى

الكريم الذى رافقته المحنة منذ ولادته اذ اثيرت

حول الشبهات واتهمت امه الطاهره المصطفاه التى نذرتها امها ،

وهى ماتزال فى بطنها لله مزوجل وتقبلها ربها بقبول حسن وانبتتها نباتا

حسنا وكفلها زكريا عليه السلام .

هذا الماضى الناصع والتاريخ العشرف لمريم طيها السلام كقيل بسد كل أبواب

الشر التى فتحها اعداء الله ضد هذه الطاهره وابنها ، وكقيل بازالة كل التهم

التي الصقت بها ، ولقد دافع القرآن الكريم عن مريم وبرأها مما اتهمت به كما برأ

ابنها عيسى عليه السلام من الذين اشركوا به وبين ان مثل عيسى عند الله كمثل

آدم ، وانه عبد لله ورسوله ارسله الى أهل زمانه ليخرجهم من عبادة العباد -
الى عبادة الله وحده ، ولكن الذين ادعوا حبه ونصرته حرفوا تعاليمه وشوهوا
رونق دعوته اذ حولوها من الوحدانية الى الشرك وجعلوا عبد الله ورسوله
ندا لله فتبرأ منهم عليه السلام ومن افعالهم .

وبينما كان انصار ابن مريم يخرجون عن تعاليمه بتأويلها وتحريفها كان
اعداءه من اليهود يكيدون له ويحاولون قتله ولكن الله كان لهم بالمرصاد فسردهم
الى نحورهم .

قال تعالى في وصف جحود اليهود وكفرهم بالانبياء :

(فيما نقضهم ميثاقهم وكفرهم بآيات الله وقتلهم الانبياء بغير حق وقولهم
قلوبنا فلج بل طبع الله عليها بكفرهم فلا يؤمنون الا قليلا وكفرهم
وقولهم على مريم بهتاننا عظيما وقولهم انا قتلنا المسيح عيسى بن مريم
رسول الله وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم وان الذين اختلفوا فيه
لفي شك منه ما لهم به من علم الا اتباع الظن وما قتلوه يقينا بل رفعه
الله اليه وكان الله مزيزا حكيم) . النساء : (١٥٥ ، ١٥٦ ، ١٥٧ ،

١٥٨) .

وهكذا أكرم الله عبده عيسى بأن رفعه اليه معززا مكرما بعد أن نجاه من ايدي

الغدر والخيانة . .

وفي دعوة عيسى عليه السلام آيات معجزات خصه الله بها من بين سائر
الانبياء من ذلك مولده من أم دون أب ، وتكليمه للناس وهو في المهد ، وابراه
الاكحل والابصر ، واحيائه الموتى باذن الله . . الى غير ذلك من الآيات التي
اختص الله بها عبده ورسوله عيسى عليه السلام اكراما له وجزاء صبره وتحمله في
سبيل دعوته .

وفي الفصل السادس عشر : تحدثت بشكل موجز عن دعوة الرسول الخاتم

صلى الله عليه وسلم ولم أتوسع فيها في هذا

الفصل نظرا لتعرضي لها بشكل موسع في الابواب التالية ، ان تحدثت عن
منهجه صلى الله عليه وسلم في مكة ثم في المدينة ، وكيف كانت طريقته في
دعوة أهل الكتاب والمشركين وغيرهم . .

وذكرت في هذا الفصل ان كل نبي من الأنبياء السابقين قد اعطى آية
معجزة ليحاج بها قومه ، غير ان هذه الآيات كانت لوقت محدود تنتهي بانتهاء
سببها وتحقيق غايتها .

أما نبي الرحمة والانسانية قاطبة فقد اعطى آية معجزة لا تنتهي حتى يهت
الله الارض ومن عليها لانها دستور البشر مادام على هذه البسيطة بشر .

وشمة مزية أخرى لنبينا الخاتم هي ان الانبياء السابقين كانوا يعيشوا في
اقوامهم خاصة وبعث سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم الى الناس كافة . .

قال تعالى : (قل يا أيها الناس انى رسول الله اليكم جميعا الذى له
ملك السموات والأرض لا اله الا هو يحيى ويميت فآمنوا
بالله ورسوله النبى الأسمى الذى يؤمن بالله وكلماته واتبعوه

لعلكم تهتدون) . الاعراف : (٥٨) .

ومن خصائص الدين الخاتم الذى ارسل به النبى الخاتم انه شامل، وواضح
وعالى ، ما يجعله صالحا لكل زمان ومكان ، وهو دين الله الذى لا دين بعده
لذلك اعده تعالى لان يكون شاملا وسهيئا على ما سبقه من الكتب المنزلة .

ومن المكرمات التى اختص بها سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ان مبعثه كان
استجابة لدعوة ابراهيم الخليل عليه السلام وشرى عيسى عليه السلام . .

قال تعالى : (على لسان ابراهيم عليه السلام :

(ربنا وابحث فيهم رسولا منهم يتلوا عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة

ويزكهم انك انت العزيز الحكيم) . البقرة : (١٢٩) .

وبشر به عيسى عليه السلام قال تعالى :

(وان قال عيسى بن مريم يا بنى اسرائيل انى رسول الله اليكم مصدا لما

بين يدي من التوراة وبشرا برسول يأتى من بعدى اسمه أحمد ، فلما

جاءهم بالبينات قالوا هذا سحر مبين) . الصف : (٦) .

ولقد سلك رسول الله صلى الله عليه وسلم اسلوبا رائعا فى الدعوة الى الله

عز وجل ، فملك الناس بحبه واحيا القلوب بهديه ، واناار الابصار بشعره ، وبعد أن

أتم الله هذا الدين على يدي خاتم رسله ، فأدى الامانه ، وبلغ الرساله ، ونصح

الامة ، وجاهد فى الله حق جهاده ، قبضه الله اليه بعد جهاد طويل

مع اعداء الاسلام ، جهاد لم ينقطع طرفه عين ، فأقام حكم الله فى الأرض ورسى

جيلا فريدا من الصحابة الابرار لم يعرف التاريخ لهم مثيلا ، ساروا على دربه

واهدوا بهديه ، ثم انتقل رسول الله صلى الله عليه وسلم الى ربه وهو عنه راض

بعد أن ترك امته على المحجة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها الا هالك .

الباب الرابع : أساليب الدعوة وطرقها فى القرآن الكريم

ويشتمل هذا الباب على تمهيد وخمسة فصول :

الفصل الأول : الدعوة بالحكمة والموعظة الحسنه :

وقلت ان الحكمة وضع الشئ فى موضعه ، والموعظة الحسنه

ما كانت فى رفق ولين ، والاطناب العمل ليس من الحكمة وكذلك الايجاز

المخل .

الفصل الثاني : الحوار القرآنى :

وذكرت ان الحوار قد شتلع فى منهج الدعوة فما من نبى الا وقد حاور قومه .
والحوار من أهم الاساليب التى يظهر الداعية من خلالها حججه الدامغة
ويثبت للخصم بطلان دعواه بعد ان يفند مزاعمه .

الفصل الثالث : الترفيب والترهيب :

وقلت ان الترفيب كل ما يشوق المدعو الى الاستجابة للحق والثبات عليه ،
والترهيب كل ما يخيف المدعو من عذاب الله وسخطه فى حالة عدم الاستجابته
لامره ، ولقد نهج الرسل الكرام هذا النهج فى الدعوة من لئن نوح عليه السلام
حتى خاتم الانبياء والمرسلين محمد صلى الله عليه وسلم .

الفصل الرابع : القصص القرآنى :

وذكرت ان القصة فى القرآن الكريم قد جمعت بين الغرض الدينى لما لها
من تأثير فى النفوس ، والغرض الفنى لما تعرضه من الصور الحية والمشاهد
المؤثرة .

الفصل الخامس : الاشال فى القرآن الكريم :

وذكرت ان للاشال أهمية بالغة فى التأثير على الناس كما ان للمثل دلالة
الغنية التى تجسم الافكار وترسم الصور وتقرب الى الافهام ما هو بعيد عنها .

وفي الباب الخامس : مراحل الدعوة النبوية الشريفة

تحدثت في الفصل الاول عن المرحلة المكية أو (مرحلة التكوين) وذكرت

انه لا بد لكل دعوة من مراحل تربها وتجتازها بسلام كي يكتب لها النجاح .

ودعوة الاسلام لم تأت لتعايش المجتمع الجاهلي بل جاءت لتهدم الجاهلية

بكل ما فيها من شرك وضلال وتقيم على انقاضها مجتمع الاسلام بكل مقوماته وخصائصه

وفي البحث الثاني : ذكرت خصائص السور المكية وما امتازت به .

وفي الفصل الثاني : المرحلة المدنية وتتكون من بحثين :

ذكرت في البحث الاول (مرحلة الاعداد والتصدى) : ان رسول الله

صلى الله عليه وسلم بقى ثلاث عشرة سنة في مكة يربى الصحابة الكرام ويفقههم في

دينهم ويعلمهم الصبر على تحمل الابداء حتى اذا اشتد ساءل الدعوه واجتازت

النفوس مرحلة التهيئة والتكوين انتقل صلى الله عليه وسلم الى مرحلة اخرى هي

مرحلة اعداد العده والتصدى للعدو .

وفي البحث الثاني : خصائص السور المدنية :

ذكرت ان أهم ما اختلفت به السور المدنية هي مناهج الحياة الاجتماعية ونظام

الحكم والاقتصاد والعلاقات الانسانية عامة .

كما امتازت بالتشريع الدقيق والاستطراد الموضح ، والتعبير المباشر مع

الجدل المنطقي الهادف ، وفي المدينة شرع الجهاد في سبيل الله لحماية الدولة

الاسلامية ومعتقداتها من الاعداء الذين يتربصون بها الدوائر .

وفى الباب السادس : المنهج القرآنى بدعوى دراسة الواقع

_____ وسيروغوره . . .

ذكرت فى التصحيح ان الاسلام لم ينزل ليعطى الناس قواعد نظريه مجردة بل انزل ليطبق واقعا عمليا على الارض حكما ونظاما شريعة ومنهاجا ، دينا ودولة آدابا ومعاملات ، اخلاقا وسلوكا ، وكان القرآن يعايش الواقع لحظة بلحظة فما تقع قضية الا وينزل فيها حكم الله موضعا ومعلما .

وفى الفصل الأول : كيف ندعوا الى الاسلام اليوم :

_____ ذكرت ان الدعوة الاسلامية قد مرت بمراحل عديدة تنوعت اساليبها وطرقها بحسب الظروف التى كانت تستجد .

وكيف ان المرحلة المدنية كانت فيرالمكة ، وان الدعوة بعد الفتح تطورت فى الاساليب واتسعت فى الآفاق .

وكلما انتشرت دعوة الاسلام واتسع مداها استحدثت وسائل جديدة واساليب مناسبة تتماشى مع الواقع الذى استجد .

وفى الفصل الثانى : ضرورة اعداد الدعاء على كافة المستويات :

_____ تحدثت فيه عن مهمة الداعية ، وانها شاقه وخطيره ، وذكر ان الله عز وجل قد ارسل رسلا وايدهم بالوحي ومع ذلك وجدوا العنت والمشقة فى اقوامهم ، فكذبوهم وهم الدعاة الى الخير واتهموهم بشق التهم وهم الاصفياء الاطهار .

فمهمة الداعية اذن ليست بالامر الهين الذى يمكن التساهل فيه لانه سيواجه أعداء الداء وخصوصا اشداء ، لذا كان عليه ان يتسلح بهتقى الاسلحة التى يحتاجها فى الدفاع عن حياض هذا الدين والزود عن حماه .

وهذا الاعداد يجب ان يكون شاملا لكافة المستويات الثقافية منها والفقهية والتنظيمية ، وتحدثت بمبحث عن كل مستوى من هذه المستويات .

وفي الفصل الثالث : نقد الواقع القائم والاتجاهات المنحرفة المؤثرة فيه

تحدثت فيه عن الظروف العصيبة التي يمر بها العالم الاسلامي اليوم ، حيث اجتمعت عليه دول الكفر من كل حدب وصوب مستعطفة في حرية كافة الاساليب والوسائل الحديثه .

والذي زاد الطين بلة ان اعداء الاسلام لم يكتفوا بحرب الاسلام عن طريقهم بل سلطوا عليه اناسا من المسلمين انفسهم اذ اقوا اهله التشريد والمذلة وفعلوا بهم ما لم يفعله العدو والفاصل .

واصبحت ديار الاسلام في معظم اقطارها تنوء بأوزار هؤلاء المارقين الذين ابعدوا شرع الله وحكموا بالطغافوت فازلوا العباد ودمروا البلاد بعد ان نشروا الفساد حتى شمل كافة المستويات السياسية منها والاقتصادية والاجتماعية والعسكرية

وفي الفصل الرابع : اثبات الحاجة للاسلام وانه منهج حياة متكامل :

ذكرت فيه ان معظم الدول الاسلامية قد جريت القوانين الوضعيه والاتجاهات المادية وكانت النتيجة عودة الى الوراء ، فتأخرت حضاريا وانهزمت امام اعدائها عسكريا وفشلت في اثبات ذاتيتها دوليا .

فاما هذا الواقع المؤلم لم يبقى لها منقذ ما هي فيه الا الاسلام الذي وحده الامة بعد شتات وجمع القلوب بعد التنافر ، ووجد الصغوف بعد التفرقة والتمزق . انه دين الله الذي انزله ليكون منهج حياة متكامل ، وقد طبقه الرعيل الاول من سلف هذه الامة واشتهوا للعالم اجمع جدارته بالحكم واهليته لكل زمان ومكان ، والى ان يرث الله الارض ومن عليها .

وفى الخاتمة :

_____ ذكرت بعض الاستنتاجات الهامة التي استخلصتها من خلال دراستي لمنهج القرآن الكريم ودعوة الرسل صلوات الله وسلامه عليهم هذا واننى اذ اقدم منهج الدعوة فى القرآن الكريم على انه المنهج الذى ارتضاه الله للعالمين وخص به الدعاء العالمين . .

اطلب من كل منصف امين ان يتأمل هذه الدعوة فى كتاب الله الخالد الذى لا يأتبه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد .

ولست ادعى حين اقدم هذا البحث بين يدي هذه الدعوة الربانية اننى احطت تعريفها أو تحديدا لخصائصها ومنهجها ، وانما اردت أن انبه السى حسن الاتجاه اليها والاخذ بتعاليمها موقنا ان فيها عز المسلمين فى الدنيا والآخرة ، كما ان فيها سعادة الانسانية جمعاء .

أما الحديث عن الدعوة فى كل جانب من جوانبها والاحاطة بذلك فهو امر تظل جهود الانسانية متضافره عليه الى يوم القيامه وتجد نفسها امام هدى زاهر لا ينقض عجب المتأمل فيه كما لا تنقض عجائبه .

ان كتاب الدعوة هو كتاب الدهر كله ، الكتاب الذى ارتضاه الله ليكون الكتاب الخاتم والمهيم على ما سبقه من الكتب .

فليس فى وسع بشر ان يحيط بشأنه وما احتواه من اسرار وكيف الاحاطه وعقول البشر جميعا تقف عاجزه امام اعجاز القرآن الكريم — فيه نبأ من قبلكم وخبر ما بعدكم وحكم ما بينكم . فان كنت وفقت فى حسن الاشارة الى منهج هذه الدعوة فى كتاب الدعوة ، فالفضل لله وحده وما توفيقى الا بالله عليه توكلت واليه انيب ، ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا او اخطأنا ربنا ولا تحمل علينا اصرنا كما حملته على الذين من قبلنا ربنا — ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به واعف عنا واغفر لنا وارحمنا انت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين . . .

تعريف الدعوة

الدعوة لغسة : مأخوذة من الدعاء ، والدعاء : هو الرغبة الى الله تعالى (١) . .

قال تعالى : (والله يدعو الى دار السلام) (٢)

وفى الاصطلاح : جمع الناس على الخير ودلائتهم على الرشد بأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر . (٣)

قال تعالى : (ولتكن منكم امة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف - وينهون عن المنكر اولئك هم المفلحون) (٤) .

وهناك من عرف الدعوة بقوله : (هي نداء الحق للخلق ليوحدا والمعبود ويعبدوا الواحد الاحد حنفاً لله غير مشركين ، متبعين غير مبتدعين وهي تعريف وتهجير ، وتنبيه وتذكير ، وانذار وتبشير وهي نصيحة بغير فضيحة ، وتصحيح بدون تجريح) (٥)

قال تعالى : (ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي احسن) (٦)

(١) الفيروز آبادى ، القاموس المحيط ج ٤ ص ٣٢٩ .

(٢) يونس : (٢٥) .

(٣) محمد السيد الوكيل : اسس الدعوة ص ٩ .

(٤) سورة آل عمران : (١٠٤) .

(٥) محمد ابوطالب شاهين ، فى موضوع الدعوة والدعاة ، المجلد الاول من بحوث

المؤتمر العالمى لتوجيه الدعوة واعداد الدعاة الذى عقد بالجامعة الاسلامية

بتاريخ ١٣٩٧/٢/٢٤ هـ .

(٦) سورة النحل : (١٢٥) .

وعرفها آخرون بقولهم :

(هي دين الله الذي بعث به الانبياء جميعا تجدد على يد
محمد صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين كاملا وافيا لصلاح الدنيا والآخرة) (١)

وعرفها صاحب كتاب " مرشد الدعاة " بقوله :

(هي الطلب الى خير مخصوص والحث على فكرة معينة) (٢) .

(١) محمد الراوى : الدعوة الاسلامية دعوه عالمية ص ١١ .

(٢) محمد نمر الخطيب ، ص ٢٣ وشرح التمرهيف بقوله : هو الدعوة الى الدين
الحق وهو دين الاسلام بالانتساب اليه والحث عليه والنداء به والجهـر
بمبادئه والسؤال الدؤوب عنه وجمع الناس كافة للالتفاف حوله والسير
على طريقه القويم وهديه المستقيم .

الباب الاول

خصائص المنهج القرآني

(الباب الأول)

خصائص المنهج القرآنى

ويتكون هذا الباب من ثمانية فصول :

الفصل الأول : انه من عند الله :

المنهج القرآنى منهج الهى ، وليس من مخاض عقل بشرى شأن المذاهب
الوضعيه ، وهذه الخاصة تؤكد قابليته للحياة ، وقدرته على استيعاب مشاكلها
المتجدد هو المتطوره دائما ، انسجاما مع القدرة التى صدر عنها ، والتى لا يعزب
عنها شئ ذرة فى الايضى ولا فى السماء ، وقد احاطت بكل شئ علما .

” افمن يخلق كمن لا يخلق افلا تذكرون ” (١)

ويترتب على كون الاسلام من عند الله كما له وخلوه من معانى النقص والجهل
والهوى والظلم لسبب واضح هو ان صفات الصانع تظهر فى صنعته ، ولما كان
الله تعالى له الكمال المطلق فى ذاته وصفاته وافعاله ويستحيل فى حقه خلاف
ذلك فان اثر هذا الكمال يظهر فى ما يشرعه من احكام ومناهج وقواعد فى غاية
الكمال والدقه ، وهذا بخلاف ما يضعه الانسان ويشرعه فانه لا ينفك عن معانى
النقص والهوى والجهل ، لان هذه المعانى لاصقة بالبشر ويستحيل تجرد هم
عنها كل التجرد ومن ثم تظهر هذه النقائص فى القوانين والشرائع التى يسنونها (٢)

(١) سورة النحل : (١٧) .

(٢) يذكر الشهيد عبد القادر عوده فى كتابه التشريع الجنائى ، الاختلافات بين

الشرعية والقانون الوضعى فيقول :

تختلف الشرعية الاسلامية عن القوانين الوطعية اختلافا اساسيا من ثلاثة وجوه

.....

=====

الوجه الأول : ان القانون من صنع البشر ، أما الشريعة فمن عند الله وكلا الشريعة والقانون يمثل فيه بجلاء صفات صانعه ، فالقانون من صنع البشر ويمثل فيه نقص البشر وعجزهم وهعفهم وقلة حيلتهم ، ومن ثم كان القانون عرضة للتغيير والتبدل كلما تطورت الجماعة الى درجة لم تكن متوقعة ، او وجدت حالات لم تكن منتظرة .

فالقانون ناقص دائما ولا يمكن ان يبلغ حد الكمال مادام صانعه لا يمكن ان يوصف بالكمال ولا يستطيع ان يحيط بما سيكون وان استطاع الالمام — بما كان .

أما الشريعة فصانعها هو الله عز وجل وتمثل فيها قدرة الخالق وكماله وعظمته واحاطته بما كان وما هو كائن ، ومن ثم صاغها العليم الخبير بحيث تحيط بكل شئ في الحال والاستقبال حيث احاط علمه بكل شئ وأسر جل شأنه ان لا تغير ولا تبدل حيث قال (لا تبدل لكلمات الله) . .
يونس : ٦٤ . لانها ليست في حاجة للتغيير والتبدل مهما تغيرت الاوطان والازمان وتطور الانسان .

الوجه الثاني : ان القانون عبارة عن قواعد موقته تضعها الجماعة لتنظيم شؤونها وسد حاجاتها ، فهي قواعد متأخرة عن الجماعة ، أو هي في مستوى الجماعة اليوم وتتخلفه عن الجماعة غدا ، لان القوانين لا تتغير بسرعة تطور الجماعة وهي قواعد موقته تتفق مع حال الجماعة الموقته ، وتستوجب التغيير كلما تغيرت حال الجماعة .

أما الشريعة فقواعد وضعها الله تعالى على سهيل الدوام لتنظيم شؤون الجماعة ، فالشريعة تتفق مع القانون في ان كليهما وضع لتنظيم الجماعة

=====

ولكن الشريعة تختلف عن القانون في ان قواعدها دائمة ولا تقبل التغيير
أو التبديل .

الوجه الثالث : ان الجماعة هي التي تضع القانون وتلونه بماداتها
وتقاليدها وتاريخها ، والاصل في القانون ان يوضع لتنظيم شئون الجماعة
ولا يوضع لتوجيه الجماعة ، ومن ثم كان القانون متأخرا عن الجماعة وتابعا
لتطورها ، وكان القانون من صنع الجماعة ولم تكن الجماعة من صنع القانون
أما الشريعة الاسلامية فانها ليست من صنع الجماعة وانها لم تكن نتيجة
لتطور الجماعة وتفاعلها كما هو الحال في القانون الوضعي ، وانما هي من
صنع الله الذي اتقن كل شيء خلقه .

وقد حققت الشريعة ما أراد لها العليم الخبير فأدت رسالتها احسن
الاداء وجعلت من رعاة الابل سادة للعالم ومن جهال البادية معلمين
وهداه للانسانية .

(عبد القادر عودة ، التشريع الجنائي ص ١٧ وما بعدها) بتصريف .

ولقد حاولت قريش ومن معها من المعاندين لدين الله انكار نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ونفى الوحي عنه فتحداهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالاعجاز القرآني ، بقوله تعالى :

" قل لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً " (١)

فسكت المخالفون عن هذا التحدي وعجزوا عن الاجابة عليه ، ثم تحداهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله تعالى :

" ام يقولون افتراه قل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات وادعوا من استطعتم من دون الله ان كنتم صادقين ، فان لم يستجيبوا لكم فاعلموا انما انزل بعلم الله وان لا اله الا هو فهل انتم مسلمون " (٢)

فسكتوا وعجزوا ثم تحداهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بانه قال لهم ما اوحى الله به اليه :

" وما كان هذا القرآن ان يفترى من دون الله ولكن تصديق الذي بين يديه وتفصيل الكتاب لا ريب فيه من رب العالمين ، ام يقولون افتراه قل فأتوا بسورة مثله وادعوا من استطعتم من دون الله ان كنتم صادقين " (٣)

وقال تعالى : " وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله ان كنتم صادقين ، فان لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة اعدت للكافرين " (٤)

(١) سورة الاسراء : (٨٨) .

(٢) سورة هود : (١٣ - ١٤) .

(٣) سورة يونس : (٣٧ - ٣٨) .

(٤) سورة البقرة : (٢٣ - ٢٤) .

وكانت نتيجة هذا التحدى المتكرر من قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم الى قريش وسائر المخالفين ان عجز المخالفون عن مجابهة هذا التحدى بالمثل فراحوا يسلكون سبلا اخرى تقوم على الكذب والافتراء واستعمال القوة والارهاب بغية الصد عن سبيل الله ، ولما لم يفلحوا بذلك ايضا اوصوا من معهم بان لا يسمعوا لهذا القرآن لئلا يتأثروا به . .

قال تعالى مخبرا عن اسلوبهم هذا : " وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون " (١)

وهكذا انهزم اعداء الاسلام امام اعجاز القرآن وتحديه لهم ببلاغته مع انهم عرب اقحاح وكانت اللغة العربية فى طور شبابهها قوية فتية تسحرك بألفاظها وتدهشك بمعانيها ، وتأخذ بمجامع قلبك حينما تصفى اليها فى مجالات - التعبير المختلفة شعرا وخطابة ومحاورة وامثالا ، هذه اللغة التى بلغت القمة فى التعبير عن المعانى المختلفة المحسوسة أو المعقولة فى الفاظ جزله وصارات متأخيه وكلمات عذبه ، هذه اللغة نزل بها القرآن الكريم ليتحدى من يملكون ناصية اللغة فى مجال فصاحة الكلمة وهلاغة المعنى وجمال الاسلوب . (٢)

(١) سورة فصلت : (٢٦) .

(٢) وقد لفتت هذه المكانة التى وصلت اليها العربية انظار كثير من المستشرقين المتعصبين منهم وغير المتعصبين ، فهذا " ارنست رينان " يقول فى كتابه (تاريخ اللغات السامية) ما نصه : " من اغرب المدهشات ان تنبت تلك اللغة القسوية وتصل الى درجة الكمال وسط الصحراء عند امة من الرحل تلك اللغة التى فاقت اخواتها بكثرة مفرداتها ودقة معانيها وحسن نظام مبانيها ، ومن يوم علمت ظهر لنا فى حلال من الكمال الى درجة انها لم تتغير اى تغير يذكر حتى انها لم يعرف لها فى كل اطوار حياتها لا طفولة ولا - شيخوخة " (الشيخ محمد خضر حسين ، دراسات فى العربية وتاريخها ص ١١)

.....

=====

ومن هؤلاء المستشرقين الذين اعتنوا بترجمة القرآن الكريم والدراسات —

الاسلامية وترجمتها الى اللغات الاوروبية : —

- ١ — المستشرق " روبرت اوتشتر " وهو أول من ترجم القرآن الى اللغة اللاتينية عام ١١٤٣م وكان اسقفا في اسبانيا .
 - ٢ — الاب " ماراتش " ايطالى ترجم القرآن عام ١٦٩١م .
 - ٣ — " نولدكه " المانى ترجم القرآن عام ١٨٥٦م .
 - ٤ — الدكتور " ج . رود ويل " انكليزي ترجم القرآن عام ١٨٢٦م .
 - ٥ — " ادوارد هنرى بالمر " انكليزي ترجم القرآن عام ١٨٨٠م .
 - ٦ — " تريديرخ شوايلى " المانى ترجم القرآن عام ١٩٠٩م .
 - ٧ — " يدرسين " دانمركي ترجم القرآن عام ١٩١٧م .
 - ٨ — " ماردروس " فرنسى ترجم القرآن عام ١٩٢٦م .
 - ٩ — " مونتيه " فرنسى ترجم القرآن عام ١٩٢٩م .
 - ١٠ — " مار مادوك وليم بكتول " انكليزي ترجم القرآن عام ١٩٣٠م .
 - ١١ — " ريتشارد بل " انكليزي ترجم القرآن عام ١٩٤١م .
 - ١٢ — " بلاشر " فرنسى ترجم القرآن عام ١٩٥٢م .
 - ١٣ — " كرامرز " هولندي ترجم القرآن عام ١٩٥٦م .
 - ١٤ — " اوكتاف بل " فرنسى ترجم القرآن بالاشتراك مع محمد التيجانى الجزائرى .
 - ١٥ — " جورج سيل " انكليزي ترجم القرآن عام ١٨٩٢م .
 - ١٦ — " ريجلين " المانى كتب عن الشرع فى القرآن .
 - ١٧ — " مالير " المانى كتب عن دليل القرآن .
 - ١٨ — " كومبرت " المانى كتب عن التفسير فى القرآن .
 - ١٩ — " جوتيه " المانى كتب عن الصلاة فى القرآن .
- (عبدالعال سالم مكرم ، من الدراسات القرآنية ص ٧٣ - ٧٤) .

وأخبرهم ان دلالة على صدق مقالته وحجته على حقيقة نبوته ما آتاهم من البيان والحكمة والفرقان ، بلسان مثل سنتهم ومنطق موافقة معانيه معاني منطقهم ثم انبأهم جميعا انهم عن ان يأتوا بمثل بعضه عجزه ومن القدرة عليه نقصه ، فأقر جميعهم بالمعجز وادعوا له بالتصديق وشهدوا على انفسهم بالنقص الا من تجاهل منهم وتعامى واستكبر ^{وتعاشى} فحاول تكلف ما قد علم انه عاجز . ورام ما قد تيقن انه عليه غير قادر فابدى من ضعف عقله ما كان مستورا ومن عسى لسانه ما كان عصونا فأتى بما لا يعجز عنه الضعيف الا خرق . والجاهل الأحق فقال :

١ : " والطاحنات طحننا والماجنات عجننا فالخابزات

خبزا والثارادات ثردا واللاقات لقا " (١) الى غير ذلك من الحماقات

المشبهه دعواه الكاذبه " (٢) .

وهكذا ترى ان القرآن الكريم رغم انه انزل باللغة العربية غير انه معجز بلفظه ومعناه وبأسلوبه وبأحكامه وبغيبياته السابقة واللاحقه ، وهو معجز بمقيدته التي رفعت جباه بنى آدم من حضيض السجود للاحجار والاشجار والابقار وما شابهها الى السجود لله الواحد القهار .

٢ والقرآن معجز بشريته التي حفظت الاعراض والانساب والمال والعقول والنفوس بأقوم تشريع وامثل نظام ، والقرآن معجز بأمية رسوله صلى الله عليه وسلم الذى — استطاع ان يصنع من امة العرب معجزه فى تاريخ الامم والشعوب ، والقرآن معجزة بأنه خاتم الكتب التي انزلها الله على رسله وختم بها وحيه بخاتم النبيين ورسول العالمين سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم .

(١) هذا الكلام من هذيان مسيلمة الكذاب الذى ادعى النبوة وحاول مجارة القرآن

فى التعبير ، مدعى انه يتلقى ذلك من الوحي ، انظر تاريخ الطبرى ٣ / ٢٤٥ .

(٢) راجع مقدمة تفسير الطبرى ج ١ ، ص ١٠ .

وفى معرض تدليل الله تعالى على أن هذا القرآن من عنده قال عز وجل :
(ألم تنزيل الكتاب لا ريب فيه من رب العالمين ام يقولون افتراه بل هو الحق
من ربك لتنذر قوما مآثمهم من نذير من قبلك لعلهم يهتدون) . (١)

وقال تعالى :

" وكذلك أوحينا إليك روحا من أمرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان
ولكن جعلناه نورا نهدي به من نشاء من عبادنا وانك لتهدى الى صراط
مستقيم ، صراط الله الذى له ما فى السموات وما فى الأرض الا الى الله
تصير الامور " . (٢)

وقال عز وجل مؤكدا مصدر التلقى :

" وانك لتلقى القرآن من لدن حكيم عليم " (٣)

وقال سبحانه وتعالى :

" ولقد آتيناك سبعا من المثانى والقرآن العظيم " . (٤)

وهكذا تؤكد لنا الآيات ان مصدرها ربانى من لدن حكيم خبير عليم بأسرور
ما خلق ، ويمكننا ان نقول اليوم ونحن مطمئنون ان التصور الاسلامى هو التصور
الاعتقادى الوحيد الباقى بأصله الربانى وحقيقته الربانية :

(١) السجده : (١ ، ٢ ، ٣) .

(٢) سورة الشورى : (٥٢ - ٥٣) .

(٣) سورة النحل : (٦) .

(٤) سورة الحجر : (٨٧) ، سبعا من المثانى : أى سبع آيات

وهى الفاتحة أو سبع سور وهى الطوال : البقرة ، وآل عمران ، النساء
والمائدة ، الانعام ، الاحرف ، الانفال ، واختلف فى السابعة فقبيل

فالتصورات الاعتقادية الساموية التي جاءت بها الديانات قبله قد دخلها التحريف في صورة من الصور وقد اضيفت الى اصول الكتب المنزله له شروح وتصورات وتأويلات وزيادات ومعلومات بشرية ادمجت في صلبها فهدلت طبيعتها الربانية * (١)

وبقى الاسلام وحده بحمد الله محفوظ الاصول لم يشب بنصه الاصيل كسدر ولم يلبس فيه الحق بالباطل وصدق وعد الله في شأنه ان يقول :

* انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون * (٢) .

وهذه هي الحقيقة المسلمة التي تجعل لهذا التصور قيمته الفريدة ، ومفرق الطريق بين التصور الفلسفي والتصور الاعتقادي ، ان الاول ينشأ في الفكر البشري من صنع هذا الفكر لمحاولة تفسير الوجود وعلاقة الانسان به ، ولكنه يبقى في حدود المعرفة الفكرية المحدوده :

=====

الانفال ورأه لانهما في حكم سورة بدليل عدم التسميه بينهما ، وقيل سورة يونس .

المثاني : هي من التثنيه ، اى التكرار لان الفاتحه ما يتكرر في الصلاة أو من الثناء لاشتغالها على ما هو ثنا على الله .

أما السور او الاسباع فلما وقع فيها من تكرار القصص والمواعظ والوعد والوعيد ولما فيها من الثناء كأنهسا تثني على الله واذا جعلت لسبع مثاني ، فمن للتبيين ، واذا جعلت القرآن مثاني فمن للتمحيض .

(تفسير النسفي : ٢٧/١٤)

(١) سيد قطب : خصائص التصور الاسلامي ص ٧٢ .

(٢) سورة الحجر : (٩) .

• فأما التصور الاعتقادي في عومه فهو تصور ينبثق من الضمير ويتفاعل مع المشاعر ، فهو وشيجه حيه بين الانسان والوجود ، وبين الانسان وخالق الوجود ثم يتميز التصور الاسلامي بعد ذلك بأنه رباني وليس من صنع الانسان وعمل — الانسان فيه هو تلقيه وادراؤه والتكيف به وتطبيق مقتضياته في واقع الحياة البشرية . (١)

وانذا كان الفكر البشري لم ينشأ هذا التصور بل منشؤه الله عز وجل ، فان الفكر البشري عليه أن يتلقى ويدرك ، ويطبق ما انزل الله اليه وامره به عن طريق كتبه السماوية التي جاء بها الانبياء والمسلون .

والتصور الاسلامي للحياة لم يكن عبارة فكر بشري ولا نتاج بيئة معينه او فترة من الزمن خاصة ، انما هو ذلك الهدى الرباني وهبة الخالق لمن خلفه واستخلفه في الارض رحمه منه ورأفة لتعمر الدنيا وتصلح شئونها .

(١) سيد قطب : المرجع السابق ص ٧٢ .

الفصل الثانى : انه شامل

يمتاز المنهج الاسلامى بشموله واستيعاب نظرتة وتصوره لكافة شئون الحياة ،
ففيه تنظيم علاقة الفرد بنفسه ، وعلاقته بخالقه ، وعلاقته باسرتة ، وعلاقته
بمجتمعه (١) ، وشمول الاسلام هذا لشئون الحياة وسلوك الانسان لا يقبل
الاستثناء ولا التخصيص فهو شمول تام بكل ما فى الكلمة من معنى ، وهذا بخلاف
المبادئ والنظم والبشرية القاصرة على دائرة خاصة أو نواح معينة من حياة
الانسان ولا شأن لها فيما عدا ذلك ، فى حين ان للاسلام حكما خاصا فى كل
ما يصدر عن الانسان ، كماله ، حكمه فيما يضع فى قلبه من ميول واتجاهات . .

(١) وأحكام الاسلام بالنسبة لما تتعلق به يمكن ان نقسمها الى الاقسام التالية :

أولا : احكام العقيدة ، وهى تتعلق بأمر العقيدة كالايمان بالله واليوم الآخر
وبالحساب . . . الخ .

ثانيا : احكام الاخلاق ، وهى المتعلقة بما يجب أن يتحلّى به المسلم ، وما يجب
أن يتخلّى عنه كوجوب الصدق وحرمة الكذب . . . الخ .

ثالثا : احكام تتعلق بتنظيم علاقات الافراد فيما بينهم وهذه على أنواع :

أ - احكام الاسرة من نكاح وطلاق وارث ونفقة . . . الخ ، وتسمى فى

الاصطلاح الحديث بأحكام الاسرة أو قانون الاحوال الشخصية .

ب - احكام تتعلق بعلاقات الافراد ومعاملاتهم كالبيع والاجارة والرهن

والكفالة وهى التى تسمى فى الاصطلاح الحديث بأحكام المعاملات -

المالية أو بالقانون المدنى .

ج - احكام تتعلق بالقضاء والدعوى واصول الحكم والشهادة واليمين والبيئات

وهى تدخل فيما يسمى اليوم بقانون المرافعات .

.....

=====

- د - أحكام تتعلق بمعاملات الاجانب غير المسلمين عند دخولهم الى اقليم الدولة لاسلانية ، والحقوق التي يتمتعون بها والتكاليف التي يلتزمون بها وهذه الاحكام تدخل فيما يسمى اليوم بالقانون الدولي الخاص .
- هـ - أحكام تتعلق بتنظيم علاقات الدولة الاسلامية بالدول الاخرى فسي السلم والحرب ، وتدخل فيما يسمى اليوم بالقانون الدولي العام .
- و - أحكام تتعلق بنظام الحكم وقواعده وكيفية اختيار رئيس الدولة وشكل الحكومة ، وعلاقات الافراد بها ، وحقوقهم ازاها ، وهي تدخل فيما يسمى اليوم بالقانون الدستوري .
- ز - أحكام تتعلق بموارد الدولة الاسلامية ومصارفها وتنظيم العلاقات المالية بين الافراد والدولة وبين الاغنياء والفقراء ، وهي تدخل في القانون المالي بمختلف فروعها .
- ح - أحكام تتعلق بتحديد علاقة الفرد بالدولة من جهة الافعال المنهى عنها (الجرائم ومقدار عقوبة كل جريمة) وهي تدخل فيما يسمى اليوم بالقانون الجنائي ، ويلحق بهذه الاحكام الاجراءات التي تتبع في تحقيق الجرائم وانزال العقوبات بالمجرمين وكيفية تنفيذها ، وهي تدخل فيما يسمى اليوم بقانون تحقيق الجنايات أو بقانون المرافعات الجنائية .
- (عبد الكريم زيدان ، أصول الدعوة ص . ٥ وما بعدها) .

وطى هذا فلا يجوز للمسلم ابدا ان يسمح لغير نظام الاسلام ان ينظم اى جانب من جوانب حياته لانه ان فعل ذلك دخل فى نطاق قوله تعالى :

" افتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض فما جزاء من يفعل ذلك منكم الا خزي فى الحياة الدنيا ويوم القيامة يردون الى اشد العذاب وما الله بغافل عما تعملون " . (١)

لان احكام الاسلام وتعاليمه شاملة تنظم شؤون الناس فى الدنيا وترشد هم للفوز فى الآخرة وان الذين يظنون ان هذه التعاليم انما تتناول الناحية العبادية أو الروحية دون غيرها من النواحي مخطئون " فالاسلام عقيدة وعبادة ، وطن وجنسية ، دين ودولة ، روحانية وعمل ، مصحف وسيف ، والقرآن ينطق بذلك كله ويعتبره من لب الاسلام ومن صميمه " (٢) .

ويوصى الله بالاحسان فيه جميعه بقوله تعالى :

" وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنسى نصيبك من الدنيا واحسن كما أحسن الله اليك " (٣) .

فشمول المنهج القرآنى يرجع الى انه ربانى من صنع الله لا من صنع الانسان وتمثل خاصية الشمول التى يتسم بها هذا التصور فى صور شتى ، احدى هذه الصور واكبرها ، رد الوجود كله بنشأته ابتداءً وحركته بعد نشأته وكل تطور فيه الى ارادة الله عز وجل القادره المطلقة المشيئة المبدعه لهذا الكون .

وهذه هى حقيقة " التوحيد " الكبيره التى هى المقوم الاول للتصور الاسلامى وتقرير هذه الحقيقة يشغل مساحة واسعة من القرآن الكريم . . .

(١) سورة البقرة : (٨٥) .

(٢) حسن البنا ، مجموعة الرسائل ص ٢٤٤ .

(٣) سورة القصص : (٧٧) .

وخاصية الشمول تتجلى فعرد كل شيء في هذا الكون الى الله تعالى ، وفي هذا يجد العقل البشرى جوابا مريحا في رد الامر كلها لله تعالى بدلا من الهروب الى المعالجة والمحاكة والاحالة الى جهات غير محدودة المفهوم كاحالة الى الطبيعة أو المصادفة (١) ، وما الى ذلك من ترهات الملحدين .

فاللمصادفة قانون يستحيل معه ان تتجمع فيه هذه الموافقات كلها في توازن عجيب لا يصدر الا عن خالق عالم مدير ، وهذه بعض الآيات المباركة التي ترسم بوضوح لا غبار عليه هذه الخاصية . .

قال تعالى : (انا كل شيء خلقناه بقدر) (٢) .

وقال عز وجل : (وخلق كل شيء فقدره تقديرا) (٣) .

وقال عز وجل : (انما قولنا لشيء اذا اردناه ان نقول له كن فيكون) (٤) .

وقال تعالى : (ان ربكم الله الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام ثم

استوى على العرش يخشى الليل النهار يطلبه حثيثا

والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره ألا له الخلق

والأمر تبارك الله رب العالمين) (٥) .

وحتى الاحداث التي يبدو فيها سبب قريب ظاهر يعنى التصور الاسلامى

بردها الى ارادة الله من وراء الاسباب القريبه . . .

(١) راجع حول بطلان قانون المصادفة كتاب " العلم يدعو الى الايمان "

لكريس موريسون ، ترجمة محمود صالح الفلكى ، ص ١٩٥ وما بعدها

وكتاب " الله " لسعيد حوى .

(٢) سورة القمر : (٤٩) .

(٣) سورة الفرقان : (١) .

(٤) سورة النحل : (٤٠) .

(٥) سورة الأعراف : (٥٤) .

يقول الله تعالى : " نحن خلقناكم فلولا تصدقون ، افرايتم ما تمنون
 انتم تخلقونه ام نحن الخالقون نحن قدرنا بينكم الموت وما نحن بمسبوقين
 على ان نبدل امثالكم وننشئكم فيما لا تعلمون ، ولقد علمتم النشأة الاولى
 فلولا تذكرون ، افرايتم ما تحرثون انتم تزرعونه ام نحن الزارعون لو نشاء
 لجعلناه حطاما فظلمت تفكهيون انا لمفرمون بل نحن محرومون افرايتم
 الماء الذي تشربون انتم انزلتموه من المزن ام نحن المنزلون لو نشاء
 جعلناه اجاجا فلولا تشكرون ، افرايتم النار التي تورون انتم انشأتم
 شجرتها ام نحن المنشؤون نحن جعلناها تذكرة ومتاعا للمقوين فسبح
 بحمد ربك العظيم " . (١)

" وكما تحدث القرآن عن حقيقة الالهية وخصائصها وآثارها كذلك تحدث
 عن حقيقة العبودية وخصائصها وصفاتها مثلة في الكون والحياة والانسان
 فيتحدث عن حقيقة كل منهما ويتناول طبيعتها ونشأتها وصفاتها واحوالها
 وعلاقاتها فيما بينها ثم علاقتها بخالقها ويربط بين مجموع تلك الحقائق في تصور
 واحد فطري يتعامل مع بديهة الانسان وفكره ووجدانه في يسر وسهولة وهكذا
 تتكون من مجموعة الحقائق التي يتناولها هذا التصور في شمول ودقه صورة كاملة
 وتفسير جامع مفصل لا يحتاج الواضحة من مصدر آخر بل لا يقبل اضافة من مصدر
 آخر لانه اوسع واشمل وادق من كل مصدر آخر " . (٢)

ثم يستمر في القرآن نشأة الحياة والاحياء فيصرفنا مصدر الحياة ومصدر
 الاحياء وشيئا من مميزات القدر الذي تسمح به عقول البشر .

(١) الواقعة : (٥٧ ، ٥٨ ، ٥٩ ، ٦٠ ، ٦١ ، ٦٢ ، ٦٣ ، ٦٤ ،

٦٥ ، ٦٦ ، ٦٧ ، ٦٨ ، ٦٩ ، ٧٠ ، ٧١ ، ٧٢ ،

٧٣ ، ٧٤) .

(٢) سيد قطب : خصائص التصور الاسلامي ص ١٦٤ .

يقول الله تعالى : (وجعلنا من الماء كل شيء حي) (١) .

ويقول سبحانه : (والله خلق كل دابة من ماء فمنهم من يمشى على بطنه و

ومنهم من يمشى على رجلين ومنهم من يمشى على أربع

يخلق الله ما يشاء ان الله على كل شيء قدير) (٢) .

ويقول جلت قدرته : (وما من دابة في الارض ولا طائر يطير بجناحيه الا

ام امثالكم ما فرطنا في الكتاب من شيء) (٣) .

ويقول عز وجل : (وترى الارض هامدة فاذا انزلنا عليها الماء اهتزت

وربت وانبتت من كل زوج بهيج) (٤)

ويقول الله تعالى : (فلينظر الانسان الى طعامه انا صببنا الماء صبا

ثم شققنا الارض شقا فانبتنا فيها حبا وعنبا وقصبها

وزيتونا ونخلا وحدائق غلبا ، وفاكهة واها متاعا لكم

ولانعامكم) (٥)

ثم يحددنا القرآن عن الانسان حديثا مستفيضا يتناول منشأه وطبيعته ومركزه

في هذا الوجود وغاية وجوده ، فيقول الله تعالى : (ولقد خلقنا الانسان

من صلصال من حمأ مسنون والجان خلقناه من قبل من نار السموم) (٦) .

(١) سورة الانبياء : (٣٠) .

(٢) سورة النور : (٤٥) .

(٣) سورة الأنعام : (٣٨) .

(٤) سورة الحج : (٥) .

(٥) سورة عبس : (٢٤ ، ٢٥ ، ٢٦ ، ٢٧ ، ٢٨ ، ٢٩ ، ٣٠ ، ٣١ ، ٣٢) .

(٦) سورة الحجر : (٢٦) صلصال من حمأ مسنون : طين يابس اسود

(النسفي : ١٤ / ١٧) .

ويقول الله تعالى : (وان قال ربك للملائكة انى جاعل فى الأرض خليفة قالوا اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال انى اطمع ما لا تعلمون) (١) .

ويقول عز وجل : (ولقد خلقنا الانسان من سلاله من طين ثم جعلناه نطفة فى قرار مكين ثم خلقنا النطفة علقه فخلقنا العلقه مضغه فخلقنا المضغه عظاما فكسونا العظام لحما ثم أنشأناه خلقا آخر فتبارك الله احسن الخالقين ثم انكم بعد ذلك لميتون ثم انكم يوم القيامة تمشون) (٢) .

وقال الله تعالى : (وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون ما اريد منهم من رزق وما اريد ان يطعمون ان الله هو الرزاق ذو القوة المتين) (٣) .

وقال الله تعالى فى مقام تكريم بنى آدم على سائر المخلوقات :
(ولقد كرمتنا بنى آدم وحملناهم فى البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا) (٤) .

وقال تعالى فى مقام التصريف بنفسية بنى آدم :
(ولقد خلقنا الانسان ونعلم ما توسوس به نفسه ونحن اقرب اليه من حبل الوريد) (٥) .

وقال تعالى : (أولم ير الانسان انا خلقناه من نطفة فاذا هو خصيم مبين) (٦) .

(١) سورة البقرة : (٣٠) .

(٢) سورة المؤمنون : (١٢ ، ١٣ ، ١٤ ، ١٥ ، ١٦) .

(٣) سورة الذاريات : (٥٦ ، ٥٧ ، ٥٨) .

(٤) سورة الاسراء : (٧٠) .

(٥) سورة ق : (١٦) .

(٦) سورة يس : (٧٧) .

وقال تعالى : (وكان الانسان اكثر شىء جدلا) (١)

وهكذا نجد ان القرآن الكريم قد شمل بتعاليمه وتوجيهاته مختلف النواحي الاساسية فى حياة البشر ومعاملاتهم ونراه كيف تطرق اليها بوضوح لا شائبة فيه فى حين انه اشار الى الامور الاخرى اشارة تبنى اصحاب الافئدة فى الوصول اليها وتنقب طريقها وفهم مراده منها .

ففى مجال العقيدة والعبادة يقول الله تعالى :

(وما امروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاً ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيمة) (٢)

وفى مجال الحكم والقضاء والسياسة يقول الله تعالى :

(فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا فى انفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليماً) (٣)

وفى مجال الدين والتجارة يقول الله تعالى :

(يا ايها الذين آمنوا اذا تداينتم بدين الى اجل مسمى فاكتبوه وليكتب بينكم كاتب بالعدل ولا يأب كاتب ان يكتب كما علم الله فليكتب وليملل الذى طيه الحق وليتق الله ربه ولا يبغض منه شيئاً فان كان الذى عليه الحق سفيهاً او ضعيفاً او لا يستطيع ان يمل هو فليملل وليه بالعدل واستشهدوا شهيدين من رجالكم فان لم يكونا رجلين فرجل وامرأتان ممن ترضون من الشهداء أن تضل احدهما فتذكر احدهما الاخرى ولا يأب

(١) سورة الكهف : (٥٤) .

(٢) سورة البينة : (٥) .

(٣) سورة النساء : (٦٥) .

الشهادة إذا ما دعوا ولا تسأموا ان تكتبوه صغيرا أو كبيرا الى اجله ذلكم اقسط عند الله واقوم للشهادة وادنى الا ترتابوا الا ان تكون تجارة حاضرة تدبرونها بينكم فليس عليكم جناح الا تكتبوها واشهدوا اذا تبايستم ولا يضار كاتب ولا شهيد وان فعلوا فانه فسوق بكم واتقوا الله ويعلمكم الله والله بكل شىء عليم (١) .

وفى مجال الحيطه والحذر فى القتال يقول عز وجل :

(و اذا كنت فيهم فأقمت لهم الصلاة فلتقم طائفة منهم معك وليأخذوا اسلحتهم فاذا سجدوا فليكونوا من ورائكم ولتأت طائفة اخرى لم يصلوا فليصلوا معك وليأخذوا حذرهم واسلحتهم ود الذين كفروا لو تغفلون عن اسلحتكم وامتعتكم فيميلون عليكم ميلة واحدة ولا جناح عليكم ان كان بكم اذى من مطر او كنتم مرضى ان تضعوا اسلحتكم وخذوا حذرکم) (٢) .

وفى مجال التفكير والنظر فى الآفاق والآيات الكونية يقول عز وجل :

(ان فى خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار والفلک التى تجرى فى البحر بما ينفع الناس وما انزل الله من السماء من ماء فأحيا به الارض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والارض لآيات لقوم يعقلون) (٣) .

وقال تعالى : (وفى الارض قطع متجاورات وجنات من اعناب وزرع ونخيل

صنوان وغير صنوان يسقى بما واحد ونفضل بعضها على بعض فى الاكل ان فى ذلك لآيات لقوم يعقلون) (٤) .

(١) البقرة : (٢٨٢) .

(٢) النساء : (١٠٢) .

(٣) البقرة : (١٩٤) .

(٤) الرعد : (٤) .

والقرآن فتح الباب واسما امام العلوم التجريبيه حينما دعا الى النظر فى الآيات الآفاقية وفى النفس البشرية وما فيها من عجائب واسرار . .

فقال عز وجل : (سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى انفسهم حتى يتبين لهم انه الحق اولم يكف بربك انه على كل شىء شهيد) (١) .

ويقول عز وجل : (وآية لهم الليل نسلخ منه النهار فاذا هم مظلمون والشمس تجري لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم لا الشمس ينهى لها ان تدرك القمر ولا الليل سابق النهار ، وكل فى فلك يسبحون) (٢) .

كما دعا القرآن الى مكارم الاخلاق وحارب المنصرية والجاهلية وجعل التفاضل بين الناس بالتقوى والعمل الصالح لا باللون او الجاه او المال . .

قال عز وجل : (يا أيها الناس اننا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان اكرمكم عند الله اتقاكم ان الله عليم خبير) (٣) .

الى غير ذلك من الآيات الكريمة التى لا يتسع المقام لذكرها والتى بحثت فى كافة النواحي الانسانية من روحية واخلاقية ومادية .

ومهما تعاقت على هذا الكتاب العزيز الاجيال والسنون فلا يزداد الا جدة وطرارة ، ولا يزال قضا طربا كما انزل ، وكلما تقدمت العلوم والمعارف الانسانية تكشف للناس منه العجب العجاب .

(١) سورة فصلت : (٥٣) .

(٢) سورة يس : (٣٧ ، ٣٨ ، ٣٩ ، ٤٠) .

(٣) سورة الحجرات : (١٣) .

وقصارى القول انك لن تجد فى الكشف عن حقيقة هذا الكتاب المبارك وخفاياه وفضائله ومزاياه او فى ما وصفه به الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم فى الحديث الذى رواه الترمذى بسنده عن الحارث الاعور قال :

" مررت فى المسجدا فاذا النا سريخوضون فى الاحاديث فدخلت على على فقلت له يا امير المؤمنين الا ترى النار قد خاطوا فى الاحاديث قال اوقــــد فعلوها ؟ فقلت نعم قال اما انى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :

" الا انها ستكون فتنة قلتوما المخرج منها يا رسول الله ؟ قال : كتاب الله فيه نبأ من قبلكم وخبر من بعدكم وحكم ما بينكم ، وهو الفصل ليس بالهزل من تركه من جبار فسمصه الله ومن ابتهقى الهدى من غيره اضله الله وهو حبل الله المتين ، وهو الذكر الحكيم ، وهو الصراط المستقيم ، هو الذى لا تزيغ به الالهواء ولا تلتبس به الالسنه ولا يشبع منه العلماء ولا يخلق على كثرة الرد ، ولا تنقض عجائبه ، هو الذى لم ينته الجن ان سمعوه حتى قالوا نا سمعنا قرآنا عجيبا يهدى الى الرشده فأمننا من قال به صدق ومن عمل به اجر ومن حكم به عدل ومن دعا اليه هدى الى صراط مستقيم " (١) .

(١) قال الترمذى فيه حديث غريب ، واسناده مجهول ، وذكره الحافظ السيوطى فى الاتقان ، وقال اخرجه الترمذى والدارمى وسكت عنه وذكره الحافظ ابن كثير فى فضائل القرآن .

ويقول الدكتور محمد ابو شهبه : ان التامل بهذا الحديث يجد قيسا من نور النبوه وحكما من ينابيع الوحي مما يجعل القلب يلمش اليه .

(محمد ابو شهبه المدخل لدراسة القرآن الكريم ص ١٣) .

وبعد فان شمول الشريعة الاسلامية الى جانب جعله النفس البشرية فى غاية الراحة والطمأنينة ان لا يكلفها عناء ولا يفرقها فرقا فى اتجاهاتها بل يلزمها باتجاه واحد وطريق سوى هى طريق الله عز وجل ، هو فى الوقت ذاته يعصمها من الاتجاه لغير سلطان الله فى اى شأن من شئونها او جانب من جوانب حياتها فليس الامر والهيمنة لله وحده فى العبادات والمعاملات والحكم والقضاء وفى كل حركة ، وكل خطوة وكل اتجاه .

وصدق الله ان يقول :

(وهو الذى فى السماء اله وفى الأرض اله وهو الحكيم العليم) (١) .

(١) سورة الزخرف : (٨٤) .

(الفصل الثالث)

انه عالمسى

من خصائص المنهج الاسلامى انه جاء لعموم البشر ولم يأت لطائفة معينة منهم او لجنس خاص من اجناسهم بل انزل منها عالميا استوعبت تشريعاته القدرة على حل مشاكل الحياتومستجداتها فى كل مكان وفى كل زمان . .

قال الله تعالى مخاطبا رسوله محمد صلى الله عليه وسلم :

(وما ارسلناك الا كافة للناس بشيرا ونذيرا) (١) .

وقال عز وجل : (قل يا ايها الناس انى رسول الله اليكم جميعا) (٢) .

وقال تعالى : (وما ارسلناك الا رحمة للعالمين) (٣) .

وقال عز وجل : (قل يا ايها الناس انما انا لكم نذير مبين) (٤)

وعموم الاسلام هذا غير مقصور على فترة معينة من الزمن او جيل خاص من البشر ، وانما هو عموم فى المكان كما هو عموم فى الزمان ، ولهذا فهو باق لا يزول ولا يتغير ولا يمتدح لان المنهج الاسلامى ليس وليد بيئة معينة اوردته فعل لحادث طارىء شأن المناهج البشرية الوضعية القاصرة ، وانما هو المنهج الذى اريد له ان يكون منهج البشرية جمعاء فى مختلف ديارها واقطارها ومصدره الربانى جعله ارسى فى قواعده واصوليه من الجبال الرواسى ما جعله عالميا قادرا على الحياة والخصب والابداع فى كل حين وآن .

(١) سورة سبأ : (٢٨) .

(٢) سورة الاعراف : (١٥٨) .

(٣) سورة الانبياء : (١٠٧) .

(٤) سورة الحج : (٤٩) .

الفصل الرابع : انه ثابت

ومن خصائص المنهج الاسلامي انه ثابت الاركان لا كالمذاهب الوضعية التي تنجح لفترة من الزمن ثم لا تلبث ان تخفق وتفسد وتظهر عيوبها ومثالبها وهذه المزية من الثبات في المنهج الاسلامي تقى الكون شر الفساد الذي يصيبه من جراء اتباع اهواء البشر بلا ضابط من قاعدة ثابتة رباتيه ، ان الثبات في المنهج الاسلامي يبعث الطمانينة في الضمير المسلم وفي المجتمع المسلم فيشعر ان حركته الى الامام ثابتة الخطو محفوظة بالعناية الربانية التي حددت حالتين اثنتين للحياة البشرية حالة الهدى وحالة الضلال ، وأمرت المسلم باتباع حالة الهدى ونهته عن طريق الضلال وبينت له ان عليه ان يلتزم منهج الاسلام في حياته واموره كلها ، والا فزيغسه عن هذا المنهج يعني الانحراف بفطرته عن الحق الى الباطل ومن الايمان الى الكفر ومن الهدى الى الضلال .

قال تعالى : (ان الدين عند الله الاسلام) (١)

وقال تعالى : (ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه وهو في الآخرة

من الخاسرين) (٢)

وقال عز وجل : (فاما بعد الحق الا الضلال) (٣)

وقال تعالى مخاطبا رسوله محمد صلى الله عليه وسلم : (ثم جعلناك على

شريعة من الامر فاتبعها ولا تتبع اهواء الذين لا يعلمون) (٤)

وقال تعالى : (وان هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق

بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون) (٥)

(١) سورة آل عمران : (١٩) .

(٢) " " " : (٨٥) .

(٣) سورة يونس : (٣٢) .

(٤) سورة الجاثية : (١٨) .

(٥) سورة الأنعام : (١٥٣) .

وقال تعالى : (الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات الى النور
والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور الى الظلمات) (١)
وقال تعالى محذرا أولئك الذين يستبدلون احكامه بحكم آخر :
(ومن لم يحكم بما انزل الله فأولئك هم الكافرون) (٢) .

(١) سورة البقرة : (٢٥٢) .

(٢) سورة المائدة : (٤٤) ، نرى من الناس من فسر هذه الآية تفسيراً مجانياً
للصواب إذ قال انها خاصة بأهل الكتاب ، وذلك فتح باباً واسعاً فسي
ابواب الحكم بغير ما انزل الله ويرر جنوح من استبدل حكم الله بالقوانين
الوضعية محتجا بهذا القول . .

ومعد تتبع الأقوال من تفسير الطبرى ، وجدت ان الأقوال المعتمده هى
بخلاف الرأى الاول القائل بأنها خاصة لأهل الكتاب ، واليك الأقوال :
حدثنا بن وكيع قال حدثنا ابى عن زكريا عن عامر قال : نزلت الكافرون
فى المسلمين والظالمون من اليهود والفاسقون فى النصارى . (الطبرى
١٠ / ٣٥٣) . وقال آخرون هى كفر دون كفر ، وظلم دون ظلم ، وفسق
دون فسق :

حدثنا محمد بن بشار حدثنا عبد الرحمن قال حدثنا سفيان عن ابن جريج
عن عطاء قوله : (ومن لم يحكم بما انزل الله فأولئك هم الفاسقون) قال
كفر دون كفر وفسق دون فسق وظلم دون ظلم . (الطبرى ١٠ / ٣٥٥)
حدثنا هناد قال حدثنا وكيع وحدثنا بن وكيع قال حدثنا ابى عن سفيان
عن مصر بن راشد عن ابن طاووس عن ابىه عن ابن عباس : (ومن لم يحكم
بما انزل الله فأولئك هم الكافرون) قال هى به كفر وليس كفرا بالله وملائكته
وكتبه ورسله .

.....

=====

وخبر طاووس من ابن عباس رواه الحاكم في المستدرک (٣١٣/٢) من طريق سفیان بن عینیة عن هشام بن جبیر عن طاوس عن ابن عباس انه ليس بالكفر الذى يذهبون اليه انه ليس كفرا ينقل عن الملة (ومن لم يحكم بما انزل الله فأولئك هم الكافرون) كفر دون كفر - هذا لفظه - ثم قال هذا حديث صحيح الاسناد ولم يخرجاه ، وقال الذهبى (صحيح) (المعلق على تفسير الطبرى ٣٥٦/١٠)

وقال آخرون نزلت هذه الآيات فى أهل الكتاب وهى مراد بها جميع الناس مسلموهم وكفارهم . .

حدثنا الحسن بن يحيى قال اخبرنا عبد الرزاق قال اخبرنا الثورى عن منصور عن ابراهيم قال : نزلت هذه الآيات فى بنى اسرائيل ورضى لهذه الامة بها .

(الطبرى ٣٥٦/١٠)

ومن خلال النصوص نستنتج ان حكم الكفر يشمل كل من حكم بغير ما انزل الله فان كان يعتقد بصلاحيه حكم الشريعة الا انه لم يحكمها لضعف فيه فهذا كفر عملى ، وان كان يعتقد بعدم صلاحيتها فهو كفر عملى ، واعتقادى ، فالاول لم يخرج من الملة مع انه ارتكب كفرا عمليا وهذا - المقصود به كفر دون كفر . .

أما الثانى فهو كافر خارج من الملة باتفاق .

وقال معنا لهم : (افحك الجاهلية يبفون ومن أحسن من الله حكما
لقوم يوقنون) (١) .

ثم ارشد امته بقوله تعالى : (فان تنازعتم فى شىء فردوه الى الله
والرسول ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر) (٢) .

فالقيمة الكبرى لخاصية الثبات فى المجتمع الاسلامى تفتح المجال فى
اطلاق الحرية فى الافكار والمشار ضمن الاطار الربانى من غير ان تتجمد هذه
الافكار والمشار فى قالب حديدى كالذى ارادته الكنيسة فى العصور الوسطى
وفرضته على الناس ولا تتقلت كذلك من كل ضابط كما صنعت أوروبا حينما تبنت
الفكر المادى سواء الشيوى الملحد أو الرأسمالى الربوى الجائر ولعل خاصية
الثبات فى المنهج الاسلامى هى التى ضمننت للمجتمع الاسلامى تماسكه وقوته
رغم جميع الهزات التى تعرض لها من اعدائه المحيطين به ، والمقربصين به
الدوائر من الداخل والخارج .

(١) سورة المائدة : (٥٠) .

(٢) سورة النساء : (٥٩) .

(الفصل الخامس)

انه من

~~~~~

كنت تحدثت في الفصل السابق عن الثبات في المنهج القرآني ، وفي هذا الفصل سأستعرض المرونة في هذا المنهج .

وجود الثبات والمرونة في آن واحد ليس تناقضا بل هو عين التوازن والاسلام دين الانسانية جاء مسائرا لفطرة الانسان ، وفطرة الوجود لأن — طبيعة الحياة الانسانية نفسها تحوى عناصر ثابتة باقية مابقي الانسان وعناصر مرنة قابلة للتغير والتطور .

فالانسان من حيث هو كائن لم يتغير ولم يتبدل مهما اتسعت مداركه ومعارفه وازدادت قدرته على تسخير القوى الكونية التي سخرها الله له .

فهو يأكل ويشرب ، وينفس ويحب ويكره ، ويضعف أحيانا ويستأسد أحيانا اخرى ، يحب الحياة ويكره الموت ، يمرض ويشقى<sup>يشب</sup> ، ويهرم<sup>يهرم</sup> ، يعصى ويغوى ثم يصحو ضميره ويشعر بالذنب فيرجع ويتوب ، يحب الجاه والمال والاولاد لذلك يتناسل ويشقى في حياته من أجل تأمين حياة كريمة له ولعقبه ، فيه نوازع الخير ونوازع الشر فيحيد عن الطريق المستقيم ثم يرجع اليه يرتكب الاثم ثم يندم عليه يصحو ويفعل ينام ويستيقظ ، يحزن ويفرح ، يبكي ويضحك ، يحيى ويموت ، وقد يقصر عمره وقد يمتد ، ولكن نهايته محتومه مما امتد به العمر ، وهكذا تسير عجلة الحياة البشرية .

فالانسان مهما تطاول ووصل الى النجوم والكواكب فلن يستطيع ان يغير من طبيعته شيئا ( فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ) (د)

فهذا الثبات في الانسان يقابله تطور آخر من ناحية طرق الحياة ونظامها الاجتماعي

وأساليب المعيشة واستعمال الوسائل الحديثه التي توفى من له الراحة والدعة بدل المشقة والتعب التي كان يعانى منها .

وهنصرى الثبات والعرونة موجودان فى سنة الكون التي سنها الله ، فاذا نظرنا الى الكون من حولنا وجدناه يحوى اشياء ثابتة لا تتغير مادامت الحياة واشياء متغيره .

فالثابتة مثل : الليل والنهار والشمس والقمر ، والنجوم المسخرات بأمر الله ، الارض والجبال ، البحار والمحيطات ، الى غير ذلك من الامور الثابتة . أما العناصر المتغيره ، فانهار تجف وبحيرات تخف ، وقنوات تحفر وماء يطفى على اليابسه ، ويبس يزحف على الخصب ، وارض ميتة تحيا ، وصحار مقفرة تخضر ، وبلاد محربة تعمر واخرى عامره تخرب وزروع تنبت وتنمو واخرى تذرى ، وتيبس لتصبح هشما تذروه الرياح الى آخر ما هنالك من متغيرات .

" هذا هو شأن الانسان وشأن الكون ثبات وتغير فى آن واحد ولكيه ثبات فى الكليات والجوهر وتغير فى الجزئيات والمظهر " (١) .

ولقد جاءت شريعة الاسلام ملائمة لفطرة الانسان جامعة بين عنصر الثبات وعنصر العرونة .

وبهذه العزبة الفريده يستطيع المجتمع المسلم ان يستمر بالنمو والازدهار ، ثابتا على اصوله وقيمه واهدافه متطورا فى معارفه واساليبه وادواته .

وبالثبات يستعصى المجتمع الاسلامى على عوامل الذوبان فى المجتمعات الاخرى التي تحيط به وتحاول ان تغزوه من الداخل وبالعرونة يستطيع هذا المجتمع ان يكيف نفسه وملاقاته حسب تغير الزمن وتطور اساليب الحياة دون أن يفقد خصائصه ومقوماته الذاتيه التي تحفظ جوهر معدنه الاصيل .

(١) يوسف القرضاوى ، الخصائص العامة للاسلام ص ٢٠٦ .

وإذا لاحظنا النصوص القرآنية نجد الى جانب الثبات والمرنه فى هدى

القرآن الكريم فـقوله تعالى :

" حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما اهل لغير الله به والمنخنقه  
والموقوذة والمتردية والنطيحة وما اكل السبع الا ما ذكيتم وما ذبح على النصب  
وان تستقسيموا بالازلم ذلكم فسق اليوم بئس الذين كفروا من دينكم فلاتعشوهم  
واخشون اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام ديناً " (١)

فالمرونة تتمثل فى قوله تعالى : " فمن اضطر فى مخصة غير متجانف لاثم

فان الله ففور رحيم " (٢) .

فقرر الشرع بذلك مبدأ ( الضرورات تبيح المحظورات ) ولكنه لم يطلق فيه

العنان لمن اراد بل قيده بقوله ( غير متجانف لاثم ) اى غير مائل للحرام .

وكذلك قول الله تعالى : " فمن اضطر غير باغ ولا عاد فلا اثم عليه " (٣)

اى غير متعمد قدير الضرورة التى يحتاجها ، ولقد فصل الفقهاء فى ذلك فأباحوا

اكل الميتة ولحم الخنزير لمن لا يجد غيرهما اذا خاف على نفسه الهلاك وكذلك

شرب السكر . .

وفى قوله تعالى : " لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين

ومن يفعل ذلك فليس من الله فى شىء " (٤) .

ف نجد الاستثناء من هذا الحكم عند الضروره فى قوله تعالى :

( الا ان تتقوا منهم تقاة ) (٥)

( ١ ) سورة المائدة : ( ٣ ) .

( ٢ ) سورة المائدة : ( ٣ ) .

( ٣ ) سورة البقرة : ( ١٧٣ ) .

( ٤ ) سورة آل عمران : ( ٢٨ ) .

( ٥ ) سورة آل عمران : ( ٢٨ ) .

وفى قوله تعالى : " لا يحب الله الجهر بالسوء من القول " (١)

نجد الاستثناء عند الضرورة فى قوله تعالى : " الا من ظلم " .

وفى قوله تعالى " انما يفترى الكذب الذين لا يؤمنون بآيات الله وأولئك هم الكاذبون " (٢) ، " من كفر بالله بعد إيمانه " (٣) .

نجد الاستثناء فى قوله تعالى : " الا من اكره وقلبه مطمئن بالايمان " (٤) فهذه الاستثناءات وامثالها فى كتاب الله اعطت فسحة لمن تقهره الظروف وتحول بينه وبين تحمل ما ينزل به من العذاب على ايدى الاعداء لارقامه على كلمة الكفر ونحو ذلك .

وكذلك نجد الاستثناء فى العبادات ، وفى قوله تعالى : " يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون " (٥)

ونجد الاستثناء فى قوله تعالى : " فمن كان منكم مريضا او على سفر فعدة من أيام اخر " (٦)

وكذلك فى قوله تعالى : " شهر رمضان الذى انزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان فمن شهد منكم الشهر فليصمه " (٧) .

نجد الاستثناء فى قوله تعالى : ( ومن كان مريضا او على سفر فعدة من أيام اخر ) (٨) .

( ١ ) سورة النساء : ( ١٤٨ ) .

( ٢ ) سورة النحل : ( ١٠٥ ) .

( ٣ ) سورة النحل : ( ١٠٦ ) .

( ٤ ) سورة النحل : ( ١٠٦ ) .

( ٥ ) سورة البقرة : ( ١٨٣ ) .

( ٦ ) سورة البقرة : ( ١٨٤ ) .

( ٧ ) سورة البقرة : ( ١٨٥ ) .

( ٨ ) سورة البقرة : ( ١٨٥ ) .

ونجد الحكمة من ذلك فى قوله تعالى : ( يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر ) (١) .

فالعسر والتضييق وتكليف النفس بما لا تطيق ليس من صفات الشارع — الحكيم بل فى صفاته اليسر والرحمة والرافة بالمؤمنين .

وفى قوله تعالى : ( ولله على الناس حج البيت ) (٢)

نجد الاستثناء فى قوله تعالى : ( من استطاع اليه سبيلا )  
 فالذى لا يستطيع فقد سقطت عنه هذه الفريضة .

وهكذا نجد ان اليسر ملازم لاحكام الشريعة الغراء ، ولو اردنا استقصاء الآيات التى ورد فيها الاستثناء لطلال بنا المقام .

وفى السنة المطهرة امثلة كثيرة على العرونة والاستثناء من القواعد الاصلية الثابتة ، رحمة ورافة بالمسلمين وتقديرا لحاجات وظروف النفس البشرية التى تمر بمراحل مختلفة ومتغيره .

ومن حكمة الشارع الكريم ان قدر الظروف البشرية القاهرة ووضع لها حلولا ملائمة لئلا يقع الناس فى الحرج نتيجة التكليف بما لا يطاق ، وهذا دليل على كمال الشريعة وشمولها وانها من لدن حكيم خبير لا يعزب عنه مثقال ذرة فى الارض ولا فى السماء تنزل من عزيز حميد .

---

( ١ ) سورة البقرة : ( ١٨٥ ) .

( ٢ ) سورة آل عمران : ( ٩٧ ) .

## ( الفصل السادس )

انه واقعى

والخاصية السادسة من خواص التصور الاسلامى . الواقعية لان الاسلام يتعامل مع حقائق الانسان والكون لا مع تصورات خياله لا وجود لها فى الواقع ، لذلك نراه يخاطب الانسان بكيانه المركب من لحم ودم واصاب وعقل وروح ، هذا الانسان الذى يأكل الطعام ويمشى فى الاسواق ، يحيا ويموت ، يتأثر ويؤثر بحب وبكره ، يرجو ويخاف ، يؤمن ويكفر ، يعمر الارض أو يهلك الحرث والنسل الى آخر ما هنالك من سمات الانسان الواقعى وصفاته المميزة .

والله عز وجل يخاطب بنى البشر بذكر واقعيهم وصفات كيانه . .

يقول تعالى : ( يا أيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء ، واتقوا الله الذى تسألون به والارحام ، ان الله كان عليكم رقيبا ) (١)

ويقول تبارك وتعالى : ( ولقد خلقنا الانسان من سلاله من طين ، ثم جعلناه نطفة فى قرار مكين ، ثم خلقنا النطفة ملقة ، فخلقنا الملقه مضغية فخلقنا المضغ عظاما فكسونا العظام لحما ، ثم انشأناه خلقا آخر ، فتبارك الله أحسن الخالقين ) (٢)

ويقول تعالى : ( يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان اكرمكم عند الله اتقاكم ان الله طليم خبير ) (٣)

( ١ ) سورة النساء : ( ١ ) .

( ٢ ) سورة المؤمنون : ( ١٢ ، ١٣ ، ١٤ ) .

( ٣ ) سورة الحجرات : ( ١٣ ) .

ويقول تعالى : ( هل أتى على الانسان حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا انا خلقنا الانسان من نطفة أمشاج نبتليه فجعلناه سميعا بصيرا انا هديناه السبيل اما شاكرا واما كفورا . . ) (١) .

ويقول تعالى مصورا نفسية الانسان : ( ولئن اذقنا الانسان منا رحمة ثم نزعناها منه انه ليؤس كفور ، ولئن اذقناه نعماء بعد ضراء مسته ليقولنن ذهاب السيئات عنى انه لفرح فخور ، الا الذين صبروا وعملوا الصالحات اولئك لهم مغفرة وأجر كبير ) (٢) .

ويقول الله تعالى : ( ومن الناس من يعجبك قوله فى الحياة الدنيا ويشهد الله على ما فى قلبه وهو الء الخصام ، واذا تولى سعى فى الارض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل والله لا يحب الفساد واذا قيل له اتق الله اخذته العزة بالاثم فحسبه جهنم ولبئس المهءاد ، ومن الناس من يشرى نفسه ابتغاء مرضاة الله والله رءوف بالعبءاد ) (٣) .

وهكذا يتعامل المنهج القرآنى مع الانسان الذى هو كائن واقعى له خصائصه واثره فى هذه الدنيا كما انه لا يغفل نوازع الانسان واشواقه ضمن طاقاته الواقعية ورفاقبه الخاصة وما يعتره فى حياته فلا يغفل ذلك القرآن الكريم بل يوجه الانسان الى ما يصلحه ويعود عليه لفائدة والخير . .

يقول تبارك وتعالى : ( وبسألونك من المحيض قل هو اذى فاعتزلوا النساء فى المحيض ولا تقربوهن حتى يطهرن ، فاذا تطهرن فأتوهن من حيث امركم ءاله ان الله يحب التوابين ويحب المتطهرين ، نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم انى شئتم وقد موا لانفسكم واتقوا الله واعلموا انكم ملاقوه وبشر المؤمنن ) (٤) .

( ١ ) سورة الدهر : ( ١ ، ٢ ، ٣ ) .

( ٢ ) سورة هود : ( ٩ ، ١٠ ، ١١ ) .

( ٣ ) سورة البقرة : ( ٢٠٤ ، ٢٠٥ ، ٢٠٦ ، ٢٠٧ ) .

( ٤ ) سورة البقرة : ( ٢٢٢ ، ٢٢٣ ) .



ويقول تعالى : ( كتب عليكم القتال وهو كره لكم وصي ان  
تكرهوا شيئا وهو خير لكم وصي ان تحبوا شيئا وهو شر لكم والله يعلم وانتم  
لا تعلمون ) (١)

ويقول الله تعالى : ( زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين -  
والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والانعام والحمرث  
ذلك متاع الحياة الدنيا والله عنده حسن العآب ، قل أوهنكم بخير من ذلكم  
للذين اتقوا عند ربهم جنات تجري من تحتها الانهار محالدين فيها وازواج -  
مطهرة ورضوان من الله والله بصير بالعباد ) (٢)

ويقول الله تعالى : ( الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم  
على بعض وبما انفقوا من أموالهم ، فالصالحات قانتات حافظات للغيب بما  
حفظ الله واللاتى تغافون نشوزهن فعظوهن واهجروهن فى المضاجع  
واضربوهن فان اطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا ان الله كان علما كبيرا ) (٣)

ويقول الله تعالى : ( يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين لله شهداء -  
بالقسط ولا يجرمنكم شنآن قوم على الا تعدلوا ، اعدلوا هو اقرب للتقوى  
واتقوا الله ان الله عليم بما تعملون ) (٤)

ويقول عز وجل : ( يا بنى آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد وكلوا واشربوا  
ولا تسرفوا انه لا يحب الصرفين ، قل من حرم زينة الله التى اخرج لعباده  
والطهيات فى الرزق قل هى للذين آمنوا فى الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة

( ١ ) سورة البقرة : ( ٢١٦ ) .

( ٢ ) سورة آل عمران : ( ١٤ ، ١٥ ) .

( ٣ ) سورة النساء : ( ٣٤ ) .

( ٤ ) سورة المائدة : ( ٨ ) .

كذلك تفصل الآيات لقوم يعلمون ، قل انما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن والاثم والبغى بغير الحق وان تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون ( ١ ) .

وهكذا كلما مضينا مع النصوص القرآنية التي تقرر تكاليف الحياة الاسلامية وتضع حدود الضيق الاسلامي للحياة لاحظنا الواقعية في هذا الضيق وانطباقها على واقعية الفطرة الانسانية وحدود طاقتها الموهوبة لها بحيث لا تكلف اكثر مما تحتل ولا تكلف ما ليس . من طبيعتها وفطرتها .

في حين اننا نجد المذاهب الاخرى كيف انها تكلف اتباعها ما هو خارج عن الفطرة البشرية وحدود طاقتها كأن تطلب اليهم الكف من كل ما ينمى - أو يصون تكوينهم الجسدي وذلك لكي تسارع ارواحهم في زعمهم في الانطلاق من قيد الجسد والخلاص من هذه الدنيا المظلمة الشريرة . ( ٢ )

كذلك حين ننظر الى التصورات الكنسية التي اضطهقت بها النصرانية نراها كيف تعامل التكوين الانساني المؤلف من المادة والروح ، كما لو كان غلطة منكرة يجب التخلص منها ، والتطلع الى هذا الخلاص في انفصال عالم الروح عن عالم الجسد وفي استقرار كل ما هو جسدي على الاطلاق ( ٣ )

ان الاسلام دين للواقع وللحياة دين للحركة وللمعمل والنماء ، دين تطابق تكاليفه فطرة الانسان وتكوينه الجسدي مع احترام حاجاته ودوافعه دون استقرارها أو الحظ من قيمتها أو اهدار طاقتها . .

( ١ ) سورة الاعراف : ( ٣١ ، ٣٢ ، ٣٣ ) .

( ٢ ) كما تقول العقيدة البراهمية ، راجع سيد قطب خصائص التصور الاسلامي ص ٣٠٢ وما بعدها .

( ٣ ) المرجع نفسه .

ومن ثم تتحقق صفة الواقعية للمنهج الاسلامي وينطلق الانسان بكل —  
طاقاته يعمر هذه الارض ويطور موجوداتها على هدى من الله عز وجل وفسق  
منهجه القويم الذي يوافق فطرة البشر ويعمر الكون :  
( فطرة الله السعي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين  
القيم ولكن اكثر الناس لا يعلمون ) (١) .

## ( الفصل السابع )

انه واضح

~~~~~

الوضوح هو احدى خصائص المنهج الاسلامي ويشمل هذا الوضوح الاصول والقواعد والصادر والمنابع ، والاهداف والغايات ، وكذلك الوسائل والاساليب ان مما يمتاز به المنهج الاسلامي عن غيره من المناهج هو ان اصوله ودعائمه الاساسية واضحة بيّنة ، وهذا الوضوح لا يختص به الزعماء والقادة أو العلماء والمثقفين ، بل جمهرة المؤمنين به ايا كانت مراتبهم العلمية والاجتماعية .

فتوحيد الله عز وجل هو اصل الاصول لا يجهله مسلم ايا كان جنسه أولونه او طبقتة وصهادة الله وحده من دون شريك او ند اسندها المنهج القرآني الى ادلة واضحة تستند الى العقل وتعتمد على البرهان . .

قال تعالى في معرض تسفيه آراء المشركين وتحديدهم بالاثان بيينة واحدة على شركهم : (امن يهدوا الخلق ثم يعيده ومن يرزقكم من السماء والأرض آلة مع الله قل هااتوا برهانكم ان كنتم صادقين) (١) ويقدم الادلة على الوحدانية فيقول تعالى : (لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا فسبحان الله رب العرش عما يصفون) (٢)

وقال تعالى : (ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من اله اذن لذهب كل اله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض سبحان الله عما يصفون) (٣) .

(١) سورة النمل : (٦٤) .

(٢) سورة الانبياء : (٢٢) .

(٣) سورة المؤمنون : (٩١) .

فأفراد الله تعالى بالعبودية والرهوبية امر واضح فى قلب كل مسلم واثره
ظاهر فى حياته ، وكذلك الايمان بالجزء فى اليوم الآخر والاعتقاد بان الدنيا
دار معروان الآخرة دار المقر ، فيها توفى كل نفس بما كسبت وتجزى بما عملت
(فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره) (١)

فمن استقام على الطريق السوى الذى رسمه رسول الله صلى الله عليه
وسلم فمأواه الجنة ، فيها ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر
(فلا تعلم نفس ما اخفى لهم من قرة اعين جزاء بما كانوا يعملون) (٢)

أما من شذ عن الصراط المستقيم وانحرف عن الفطرة التى فطر الله الناس
عليها وسار وراء شهواته وملاذاته غير مهال بالمهدى النبوى ، فان عقابه نار
لا يقدر مخلوق على تحمل عذابها .

قال تعالى : (يا أيها الذين آمنوا قوا انفسكم واهليكم نارا وقودها
الناس والحجارة عليها ملائكة فلاظ شداد لا يعصون الله ما امرهم ويفعلون
ما يؤمرون) (٣) .

ومعنى هذا ان مصير البشر ليس بيد الكهان او القديسين بل هو بيد
الله تبارك وتعالى يجازى كل انسان على ما قدم من خير او شره من وجد خيرا
فليحمد الله ومن وجد غير ذلك فلا يلومن الا نفسه . .

قال تعالى : (فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون ومن خفت موازينه
فأولئك الذين خسروا انفسهم فى جهنم خالدون) (٤)

-
- (١) سورة الزلزلة : (٧ - ٨)
 - (٢) سورة السجده : (١٧)
 - (٣) سورة التحريم : (٦)
 - (٤) سورة المؤمنون : (١٠٣)

وايمان المسلم لا يتم حتى يوه من برسالات الله كلها وما انزل من الكتب
وما بعث من رسل مبشرين ومنذرين (رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس
على الله حجة بعد الرسل) (١)

وقضية النبوة والرسالة في ذهن المسلم واضحة متميزة تماما عن قضية
الربوبية والالوهية ، فالرسل ليسوا الا بشرا يأكلون الطعام ويمشون في الاسواق
ولكن الله عز وجل اختارهم لحمل رسالته ويميزهم عن غيرهم بالوحي المنزل عليهم
وامر تعالى بنى البشر باتباع انبيائهم فيما اوحى الله اليهم من تعاليم فيها
خيرهم وفلاحهم في الدنيا والآخرة .

وأما ما ادعته النصرانية المنحرفة من الوهية المسيح او انه ابن الله فهو
افتراء على الله ثم على المسيح وعلى الناس كافة .

قال تعالى : (ما المسيح بن مريم الا رسول قد خلت من قبله الرسل
وامه صديقه كانا يأكلان الطعام انظر كيف نبين لهم الآيات ثم انظر انى يوهفكون) (٢)

فقد اوضح الضهيج القرآنى حقيقة المسيح عليه السلام ورد ادما^{زيف}ات —
الشركين ، كما بين تعالى حقيقة خاتم الانبياء والمرسلين . .

قال عز وجل : (وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل أفان مات
أو قتل انقلبتم على اعقابكم ومن ينقلب على عقبه فلن يضر الله شيئا وسيجزي الله
الشاكرين) (٣) .

(١) سورة النساء : (١٩٥) .

(٢) سورة الطائفة : (٧٥) .

(٣) سورة آل عمران : (١٤٤) .

ولكى يقطع الله تعالى الطريق على اولئك الذين يصيدون فى الماء العكر
اوضح بما لا يدع مجالا للشك حقيقة جميع الانبياء والمرسلين . .

قال تعالى : (قالت لهم رسلهم ان نحن الا بشر مثلكم ولكن الله يمشى
على من يشاء من عباده وما كان لنا ان نأتىكم بسُلطان الا باذن الله وعلى الله
فليتوكل المؤمنون) (١)

" هذا الوضوح المشرق فى العقيدة الاسلاميه بالنظر الى الانبياء عامة
والى محمد صلى الله عليه وسلم خاصة يقابله فموض مطبق فى العقائد الاخرى
وابرزها النصرانية التى لم يتضح لاتباعها حقيقة المسيح ، ماهى ؟
حتى انهم مقدوا المجامع تلو المجامع للبحثفى طبيعة المسيح ، ماهى ؟
اهواله ؟ ام ابن اله ؟ ام بشر خالص ؟ ام بشر حل فيه الاله ؟ ام جزء
من اقانيم ثلاثة يتكون منها الاله هى الاب والابن والروح القدس ؟ والروح -
القدس نفسه اختلفوا فيه ما هو ؟ وما علاقته بالاقنومين الآخرين ؟ وام المسيح
الذى ولدته ماهى ايضا ؟

وما نصيبها من اللاهوت والناسوت او الالهيه والبشرية .

كل هذه الاسئلة وغيرها كانت مجالا للبحث والجدل والاختلاف والتفريق
بحيث نشأت حولها فرق وطوائف يكرر بعضها بعضا ويلعن بعضها بعضا حتى
اصبحت وكأنها اديان متباعدة لاتحل فى دين واحد " (٢) .

ومن مظاهر الوضوح فى الاسلام ان اركانه العملية وشعائره التعبدية واضحة
للخاص والعام ولا تكاد ترى مسلما جاوز السابعة من عمره الا ويحفظ اركان الاسلام

(١) سورة ابراهيم : (٤١) .

(٢) يوسف القرضاوى ، الخصائص العامة للاسلام ص ١٨٠ .

واركان الايمان ، ويعلم ان ربه الله وان نبيه محمد صلى الله عليه وسلم وان دينه الاسلام وان كتابه القرآن .

ولا تكاد ترى مسلماً قد جاوز سن البلوغ الا ويعلم اهم شروط الصلاة واركانها ومجمل هيئتها من بدء افتتاحها بالتكبير الى اختتامها بالتسليم .

وكذلك الزكاة فانها معروفة اجمالاً لكافة المسلمين وانها تؤخذ

من الاغنيا وترد على الفقراء وانها تجب من من يملك النصاب بشروطه ، وكذلك صيام رمضان فهو معلوم لكل الامة الاسلامية وانه شهر قمرى واحد فى اشهر السنة كلها ويبدأ يومه من اذان الفجر وينتهى بغياب شمس ذلك اليوم ، كما ان محظورات معلومه ايضاً وكذلك حج بيت الله الحرام معلومانه فرض على المسلم مرة واحدة فى العمر ان استطاع اليه سبيلاً .

وهكذا نجد ان الفرائض الدينية والشعائر التعبدية واضحة تمام الوضوح فى ذهن المسلم واذا ما نسى شيئاً منها فما عليها لا ان يقرأ شيئاً من كتب التراث - بجميع فنونه التى امتلأت به المكتبة الاسلامية واصبحت جميع المراجع فى متناول الجميع تقريباً ومسورة لكل الناس ، كما ان اهل الذكر فى هذه الامة ما زالوا كثر والله الحمد والمنة . (فأسألوا اهل الذكر ان كتتم لا تعلمون) .

وكما رأينا الوضوح فى العبادات ، نرى الوضوح فى المعاملات وكذلك فى الآداب كأدب الاكل والشرب واداب اللباس والزينة وادب النوم والميقة وادب الجلوس وادب المشى وادب الاستئذان وادب الزيارة وادب التحية واللقاء وادب الحديث . الى غير ذلك من الآداب التى اوضحها المنهج الاسلامى القويم والتى تصحب المسلم فى حياته كلها وتحرس على ربطه بالله تبارك وتعالى فى كل احواله وكل احيانه .

الفصل الثامن انه متوازن

ان لخاصية التوازن أهمية كبرى وفريدة من نوعها في المنهج القرآني اذ صانته عن الغلو هنا وهناك ، وعن التصادم في المبادئ والمعتقدات التي لم يسلم منها أي تصور آخر سواها كان من التصورات الفلسفية الكثيرة أو في المعتقدات الدينية التي شوهتها التأويلات ، والنظريات البشرية الخاطئة ، وأضافت هذه الأخطاء الى صلب العقيدة ، مما أبعدها عن منهج الله وكان سببا في انحرافها عن رسالات الأنبياء والمرسلين . .

وتتجلى خاصية التوازن في المنهج القرآني في عدة مواضع ، أبرزها التوازن بين الجانب الذي يتلقاه الكائن البشري ليدرك ويسلم به ويعمل بمقتضاه والجانب الذي يتلقاه ويستحيل عليه الاحاطة به لانه من علم الله عز وجل وسع ذلك فهو مأثور بالايان به والعمل بمقتضاه .

والفطرة البشرية تستريح لكلا الحالتين اذ يلبسان فيها جانبا أصيلا مودعا فيها من لدن خالقها عز وجل ، وقد علم الله عز وجل أن الإدراك البشري لسن يتسع لكل اسرار هذا الوجود أو يقوى على ادراكها كلها فاودع في فطرته الارتياح للمجهول كما أودع فيها الارتياح للمعلوم .

" لأن العقيدة التي لا فيب فيها ولا مجهول ، ولا حقيقة أكبر من الإدراك البشري

المحدود ، ليست عقيدة ، ولا تجد فيها النفس ما يلبى فطرتها ، وأشواقها الخفية الى المجهول المسترورا الحجب المسد له . . كما أن العقيدة التي لا شيء فيها الا المعميات التي لا تدركها العقول ليست عقيدة ، فالكينونة البشرية تحتوى على عنصر الوحي . والفكر الانساني لا بد أن يتلقى شيئا مفهوما له ، له فيه عمل يملك أن يتدبره ويطبقه . . والعقيدة الشاملة هي التي تلبى هذا الجانب وذاك . . وتتوازن بها الفطرة ، وهي تجد في العقيدة كفاها هو مودع فيها مسن طاقات

وأشواق * (١)

فإذا كانت ماهية الذات الربانية وكيفية تعلق ارادة الله بالخلق وحقيقة الروح وغيرها من الحقائق التي لا سبيل الى الاحاطة بها فهناك خصائص الذات الالهية من وحدانية ، وخلق ، وتدبير ، وارادة ، وقدرة ، الى غير ذلك مما يعمل الفكر البشرى في ادراكه عن طريق خلق الله عز وجل وتدبيره لنظام هذا الكون وما يحوى من عجائب وآيات ، توضح الغاية من خلق هذا الكون وعلاقته بخالقه كما توضح الهدف من خلق الانسان وغاية وجوده وعلاقته بمبدعه ومنهج حياته في هذه الحياة ، كل ذلك يرد في أسلوب واضح مفهوم مريح للعقل والقلب ، مدعم بالحجج والبراهين التي تتلقاها الفطرة السليمة بالقبول والتسليم .

يقول الله عز وجل (ام خلقوا من غير شيء ام هم الخالقون ، ام خلقوا السموات والارض بل لا يوqنون) (٢)

ثم يقول تبارك وتعالى مستدلا على وحدانيته في الالوهية : (ام اتخذوا آلهة من الارض هم ينشرون ، لو كان فيهما الهة الا الله لفسدتا ، فسبحان الله رب العرش عما يصفون ، لا يسأل عما يفعل وهم يسألون ، ام اتخذوا من دونه آلهة قل هاتوا برهانكم هذا ذكر من معى وذكر من قبلى بل أكثرهم لا يعلمون الحق فهم معرضون) (٣)

ثم يقول عز وجل مستدلا على وحدانيته في الخلق والابداع لهذا الكون فسئى أسلوب واضح مقنع :

(ام من خلق السموات والارض ، وانزل لكم من السماء ماء ، فأنبئنا به حدائق ذات بهجة ، ما كان لكم أن تنبتوا شجرها ، اله مع الله ، بل هم قوم يعدلون ، ام من جعل الارض قرارا وجعل خلالها انهارا وجعل لها رواس ، وجعل بين البحرين

(١) سيد قطب ، خصائص التصور الاسلامى ومقوماته ص ١٩٤ .

(٢) الطور (٣٥ - ٣٦)

(٣) الانبياء (٢١ - ٢٢ - ٢٣ - ٢٤)

حاجزا ، أله مع الله . بل أكثرهم لا يعلمون ، أم من يجيب المضطر إذا دعاه
ويكشف السوء ويجعلكم خلفاء الأرض ، أله مع الله ، قليلا ما تذكرونا أم من يهدىكم
في ظلمات البر والبحر ، ومن يرسل الرياح بشرا بين يدي رحمته ، أله مع الله
تعالى الله عما يشركون ، أم من يبدأ الخلق ثم يعيده ومن يرزقكم من السماء والأرض
أله مع الله قل هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين (١)

ثم يقول تعالى معددا بعض آياته في أصل خلق الانسان مع ذكر بعض خصائصه
يقول عز وجل (ومن آياته ان خلقكم من تراب ثم اذا انتم بشر تنتشرون . ومن آياته
ان خلق لكم من أنفُسكم أزواجا لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة ان في ذلك
لآيات لقوم يتفكرون ، ومن آياته خلق السموات والأرض واختلاف السنتكم واللوانكم
ان في ذلك لآيات للعالمين ، ومن آياته ضامكم بالليل والنهار وابتغواكم من فضله
ان في ذلك لآيات لقوم يسمعون ، ومن آياته يرهم البرق خوفا وطمعا ، وينزل من
السماء ماء فيحيى به الأرض بعد موتها ، ان في ذلك لآيات لقوم يعقلون ، ومن
آياته ان تقوم السماء والأرض بأمره ، ثم اذا دعاكم دعوة من الأرض اذا أنتم تخرجون (٢)
وهكذا من الحجج الملزمة والآيات المعروضة في الانفس والآفاق ما يجعل الفطرة
البشرية تركز الى الاطمئنان والسكون وهي تجد ما يلبي اشواقها كلها في التصور
الاسلامي من غيب لا تحيط به الافهام ومعلوم تجول فيه العقول وتتدبره القلوب
لتستشعر من خلاله عظمة الخالق تبارك وتعالى . .

وهناك توازن بين طلاقة المشيئة الالهية وثبات السنن الكونية ان الأولى طليقة
لا قيد يحدّها في حين أن الثانية مقيدة ضمن اطار لا تستطيع الخروج عنه .
قال عز وجل : (انما قولنا لشيء اذا اردناه ان نقول له كن فيكون) (٣)

(١) النمل (٦٠ - ٦١ - ٦٢ - ٦٣ - ٦٤)

(٢) الروم (٢٠ - ٢١ - ٢٢ - ٢٣ - ٢٤ - ٢٥)

(٣) النحل (٤٠)

وقال عز وجل ردا على الذين ادعوا الوهية عيسى :

(ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم ، خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون الحق من ربك فلا تكن من المسترئين) (١)

وفي الوقت الذي يصور فيه المنهج القرآني طلاقة المشيئة الالهية وعدم تقيدها بتقيد نجد ان المنهج نفسه يصور لنا نواميس الحياة والسنن الجارية التي يرقبها الناس ويدركونها ويكيفون حياتهم وفقها على ان يبقى في اذنانهم ان مشيئة الله مع ما يرونه عاديا في نواميس الحياة طليقة تبدع ما تشاء وان الله يفعل ما يريد في الوقت الذي يشاء لا يحد مشيئته زمان ولا مكان ، ومن ثم يوجه الله الابصار والقلوب الى تدبر سننه في الحياة والتعامل معها والنظر في مآلاتها والانتفاع بها

قال تعالى على لسان ابراهيم الخليل في حاجته للنيروز :

(قال ابراهيم فان الله يأتي بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب فبهت الذي كفر) (٢) .

وقال عز وجل : (لا الشمس ينبغي لها ان تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل في فلك يسبحون) (٣) .

وقال تعالى : (سنة الله في الذين خلوا من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا) (٤) .

(١) سورة آل عمران : (٥٩ - ٦٠) .

(٢) سورة البقرة : (٢٥٨) .

(٣) سورة يس : (٤٠) .

(٤) سورة الاحزاب : (٦٢) .

وبين ثبات السنن الكونية وطلاقة المشيئة الربانية يقف المسلم على أرض ثابتة مستقره مرتاح الضمير ينتفع بالتجارب البشرية والمناهج العلمية التي يتوصل اليها الانسان في الوقت ذاته يعيش موصول الروح بالله معلق القلب بمشيئته مسرع اخذه بالاسباب وفق السنن التي امره الله بالاستفادة منها وامتن عليه بها . .

ثم هناك التوازن بين عبودية الانسان المطلقة لله ومقام الانسان الكريم في الكون وقد سلم التصور الاسلامي في هذا الصدد من كلالهجات التي اعترت بعض الدyanات والمعتقدات الاخرى اذ اوصل بعضها الانسان الى مقام التالهيته في حين وضعت المذاهب الاخرى في مقام حقير مهان ، وكان الاسلام فيصلا في هذا الموضوع اذ اعطى الانسان حقه من الاحترام والتقدير في جعله خليفة في الارض ، عزيزا كريما وعدا لله عز وجل في نفس الوقت بأمره وبسير على نهجه القويم الذي حدد له الطريق بوضوح لا غش فيه ، مع تفصيل كامل بين حقيقة الألوهية ومقامها وخصائصها ، وحقيقة العبودية ومقامها وخصائصها .

يقول تبارك وتعالى في وصفه الذات العلية : (ليس كمثل شيء (١) الا بشاركه احد في ماهية او حقيقته .

ويقول عز وجل : (هو الأول والآخر والظاهر والباطن) (٢) فلا بشاركه احد في وجود . .

ويقول تعالى : (كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاکرام) (٣) فلا بشاركه احد في بقائه .

ويقول عز وجل : (لا يسأل عما يفعل وهم يسألون) (٤) فلا بشاركه احد في سلطان .

ويقول عز وجل : (قل الله خالق كل شيء وهو الواحد القهار) (٥) فلا بشاركه احد في خلق .

-
- | | |
|------------------------------|--------------------------------|
| • (١) سورة الشورى : (١١) | • (٤) سورة الانبياء : (٢٣) |
| • (٢) سورة الحديد : (٣) | • (٥) سورة الرعد : (١٦) |
| • (٣) سورة الرحمن : (٢٦) | |

ويقول عز وجل : (الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر) (١) فلا يشاركه أحد في رزق .

ويقول تعالى : (والله يعلم وانتم لا تعلمون) (٢) فلا يشاركه أحد في علم .

ويقول تعالى : (ولم يكن له كفوا أحد) (٣) فلا يشاركه أحد في مقام .

ويقول تعالى مشنعا على المشركين : (ام لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله) . فلا يشاركه احد في التشريع للناس .

وهكذا في كل خاصية من خصائص الالهية ..

والانسان عبد لله ككل مخلوق في هذا الوجود وليس كما تقول الكنيسه عن المسيح عليه السلام ان له طبيعة لاهوته تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا والله عز وجل يصفهم برد باظلم بقوله : (ان هو الا عبد انعمنا عليه وجعلناه مثلا لبني اسرائيل) (٤)

وقوله تعالى : (لن يستنكف المسيح ان يكون عبدا لله ولا الملائكة المقربون) (٥) .

وقوله تعالى : (ان كل من في السموات والأرض الا آتى الرحمن عبدا) (٦)

(١) سورة الرعد : (٢٦) .

(٢) سورة النور : (١٩) .

(٣) سورة الاخلاص : (٤) .

(٤) سورة الزخرف : (٥٩) .

(٥) سورة النساء : (١٧٢) .

(٦) سورة مريم : (٩٣) .

والانسان بعبوديته هذه كريم على الله ، بل ويكون في ارفع مقاماته وفي
خير حالاته حين يحقق مقام العبودية لله عز وجل فيرفع جبهته من الانحناء
لغير الله ليعبد الله وحده لا شريك له ، وذلك يحفظ كرامته وشرفه من عبادة
العباد الى عبادة رب العباد خالقهم والمهيمن عليهم . .

ثم يأتي اخيرا التوازن في المنهج القرآني في علاقة العبد بربه ، بين
موجبات الخوف والرهبة وموجبات الأمن والطمأنينة في توازن تام .

فيقرأ المسلم في كتاب الله الكريم من صفات الله عز وجل ما يخلع القلوب
ويزلزل الفرائض من مثل قوله تعالى :

(واعلموا ان الله يحول بين المرء وقلبه ، وانه اليه تحشرون) (١)

وقوله تعالى : (يعلم خائنة الاعين وما تخفي الصدور) (٢)

وقوله تعالى : (ولقد خلقنا الانسان ونعلم ما توسوس به نفسه ونحن
أقرب اليه من حبل الوريد اذ يتلقى المتلقيان عن اليمين وعن الشمال قعيد
ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد) (٣)

وقوله تعالى : (واعلموا ان الله يعلم ما في انفسكم فاخذوا به) (٤)

وقوله تعالى : (سنستدرجهم من حيث لا يعلمون وامسلي لهم ان
كيدى متين) (٥) .

(١) سورة الانفال : (٢٤) .

(٢) سورة فاطر : (١٩) .

(٣) سورة ق : (١٦) .

(٤) سورة البقرة : (٢٣٥) .

(٥) سورة القلم : (٤٤ ، ٤٥) .

وقوله تعالى : (وذرني والمكذبين اولى النعمة وسهلهم قليلا ان لدينا انكالا وجحيما وطعاما ذا غصة وعذابا اليما ، يوم ترجف الأرض والجبال وكانت الجبال كثيبا مهيلا) (١) .

وقوله تعالى : (وكذلك اخذ ربك اذا اخذ القرى وهي ظالمة ، ان اخذه اليهم شديد) (٢) .

الى آخر ما هنالك من صور العذاب المرعبه لتكون رادعا للانسان من السير فى طريق الشيطان والفوايه .

ويقابل هذه الآيات التى تصور عذاب الله للجاحدين آيات اخرى تملأ القلب طمأنينه والروح انسا والنفوس رجاء واسلا . .

يقول تبارك وتعالى : (واذا سألك عبادى عنى فانى قريب ، اجيب دعوة الداع اذا دعان) (٣)

ويقول تعالى : (ام من يجيب المضطر اذا دعاه ويكشف السوء ويجعلكم خلفاء الأرض أله مع الله قليلا ما تذكرون) (٤)

ويقول تعالى : (ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودا) (٥)

ويقول تعالى : (الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء والله يعدكم مغفرة منه وفضلا والله واسع عليم) (٦) .

(١) سورة المزمل : (١١ ، ١٢ ، ١٣ ، ١٤) .

(٢) سورة هود : (١٠٢) .

(٣) سورة البقرة : (١٨٦) .

(٤) سورة النمل : (٦٢) .

(٥) سورة مريم : (٩٦) .

(٦) سورة البقرة : (١٢٣) .

ويقول تعالى : (وما كان الله ليضيع إيمانكم إن الله بالناس لرؤوف رحيم) (١)

ويقول تعالى : (وهو الغفور الودود) (٢)

ويقول تعالى : (والله رؤوف بالعباد) (٣)

ويقول تعالى : (وبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات إن لهم أجرا حسنا ماكين فيه إهدا) (٤) .

إلى آخر ما هنالك من صور النعيم المقيم والرخاء الدائم الذي يعدد الله به أوليائه في الآخرة .

ومن هذا وذاك يقع التوازن في الكائن البشري بين الخوف والرجاء فيسير المؤمن في حياته يقطع الطريق إلى الله ثابت الخطو حتى القلب موصول الأصل شاعرا برعاية الله وعونه ورحمته وفضله عليه فيعمل في بناء المجتمع البشري ويعمر هذا الكون بالخير والبركة ناشرا العدل والحق ، راضيا بقضاء الله شاكرا له في كل أحواله فإن أصابه خير شكر وإن أصابه شر صبر .

(١) سورة البقرة : (١٢٣) .

(٢) سورة البروج : (١٤) .

(٣) سورة البقرة : (٢٠٧) .

(٤) سورة الكهف : (٢ - ٣) .

الباب الثاني

المنهج القرآني في خطاب المدعوين

(الباب الثانى)

المنهج القرآنى فى خطاب المدعوين

~~~~~

ويشتمل على ثلاثة فصول :

تصهيد :

~~~~~ للقرآن الكريم منهج رشيد وموثر فى خطاب المدعوين ، فالله عز وجل خالق الناس ، وهو اعلم بمن خلق ، يخاطب الكهنة البشرية بما يناسبها ويوثر فيها ، فيثير مشاعرها ، ويحرك عواطفها ، ثم تستجيب راضية مطمئنة لما دعيت اليه ، فتتبناه وتدافع عنه ، وتموت من أجله . .

والنفس البشرية فى استجابتها للدعوة الى الله عز وجل كالقربة من المطر فمنها من يستجيب وينتج ، ومنها ما يكون كالقيعان ، ومنها ما يكون اجادب لا ينتج ولا يستجيب . .

ولقد خاطب القرآن الكريم كل صنف من هذه الاصناف بما يتلأم معه ويوثر فى سلوكه ان كان فيه خيرا ، فهو مع المؤمنين يعزوهم الى الايمان ويرغبهم فى الطاعات ، وينفرهم من المماصى ، ويخوفهم من عذاب الله ، ومع أهل الكتاب يردهم فى رفق الى اصول دينهم ويذكرهم بما جاء به رسلهم ، ويفند العقائد الزائفة بأسلوب واضح مقنع .

ومع المشركين يخاطب فيهم العقل ويدعوهم للمشاهدة والنظر فى خلق الله وعظيم صنعه ، ويفتح لهم باب الحوار ليتضح الحق امامهم ، ويدحض حججهم ويدعوهم الى التوحيد الخالص .

(الفصل الأول)

خطاب المؤمنين



ورد في القرآن الكريم اساليب عدة في مخاطبة المؤمنين ، فهو يدعوهم
أولا الى طاعة الله عز وجل وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم وطاعة اولى الامر
منهم ، كما يردهم اذا ما اختلفوا في شىء الى حكم الله ورسوله . .

يقول الله تعالى : " يا أيها الذين آمنوا اطيعوا الله والرسول وأولى
الأمر منكم ، فان تنازعتم في شىء فردوه الى الله والرسول ان كنتم تؤمنون
بالله واليوم الآخر ذلك خير واحسن تأويلا " (١) .

ثم يخاطب القرآن المؤمنين بدعوهم الى التقوى والاعتصام بحبل الله والحمد
عن التفرقة ، كما يذكرهم بنعمة الله عليهم ان ألف بين قلوبهم بعد ان كانوا
أعداء .

يقول تعالى : " يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن الا
وأنتن مسلمون ، واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا وانكروا نعمة الله عليكم
التي كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته اخوانا وكنتم على شفا حفرة من
النار فأنقذكم منها كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون " (٢) .

ويقول تعالى : " يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لغسد
واتقوا الله ان الله خبير بما تعملون " (٣) .

(١) سورة النساء : (٥٩) .

(٢) سورة آل عمران : (١٠٣) .

(٣) سورة الحشر : (١٨) .

ويقول تعالى : (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقلوا قولا سديدا يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزا عظيما) (١)

ثم يخاطب القرآن الكريم المؤمنين ويحذرهم من موالاة أعداء الاسلام سواهم كانوا من أهل الكتاب ام من الكفار .

يقول تعالى : (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا الذين اتخذوا دينكم هزوا ولعبا من الذين آوتوا الكتاب من قبلكم والكفار أولياء واتقوا الله ان كنتم مؤمنين) (٢)

ويقول تعالى محذرا من اليهود والنصارى على وجه الخصوص : (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ومن يتولهم منكم فانه منهم ان الله لا يهدي القوم الظالمين) (٣) .

لان اليهود والنصارى وان كانوا أهل كتاب الا انهم انحرفوا عن تعاليم كتبهم المنزله واتبعوا ما كتبه ائبارهم ورهبانهم من تحريف في كتب الله السم اوية من التوراة والانجيل .

ولم يكتف القرآن الكريم بتحذير المؤمنين من موالاة أعداء الاسلام الابعاد بل حذرهم ايضا من موالاة أعداء الاسلام الاقارب ولو كانوا آباء أو ابنا أو اخوانا لان وشائج العقيدة اسمى من وشائج الابوة والبنوة والاخوة . .

(١) سورة الاحزاب : (٧٠ - ٧١) .

(٢) سورة المائدة : (٥٧) .

(٣) سورة المائدة : (٥١) .

يقول الله تعالى : (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا آباءكم وأخوانكم أولياء
 ان استحبووا الكفر على الايمان ومن يتولهم منكم فأولئك هم الظالمون قل ان كان
 آباءكم وابناؤكم وأخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون
 كسادها ومساكن ترضونها أحب اليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتمسكوا
 حتى يأتى الله بأمره والله لا يهدي القوم الفاسقين) (١) .

لان العقيدة هي العروة الوثقى التى تلتقى فيها سائر الاواصر البشرية
 والعلاقات الانسانية فاذا انبتت وشجعة العقيدة انقطعت الاواصر الاخرى من
 جذورها فلا لقاء بعد ذلك فى نسب أو مصاهرة أو عشيرة أو قوم لأن العقيدة
 تملو ولا يعلى عليها .

ثم تأتى الآية الاخيرة فى سورة المتحنه لتنهى نهيا كليا وشاملا عن
 موالاته غير المسلمين بعد ان خصت الآيات السابقه اهل الكتاب والاقرباء من آباء
 وابناء واخوة وعشيرته وازواج . .

قال تعالى : (يا أيها الذين آمنوا لا تتولوا قوما غضب الله عليهم قد
 يئسوا من الآخرة كما يئس الكفار من اصحاب القبور) (٢)

ولم يكف النهج القرآنى فى نهى المؤمنين عن اتخاذ أولياء من غير
 المسلمين بل نهاهم ايضا عن اتخاذ بطانة من غير المسلمين بعد ان ثبتت عداوتهم
 للاسلام واهله . .

(١) سورة التوبة : (٢٣ ، ٢٤) .

(٢) سورة المتحنه : (١٣) .

قال تعالى : (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونهم لا يآلؤنكم خبالا ، ودوا ما عنتم قد بدت البغضاء من أفواههم وما تخفي صدورهم أكبر ، قد بينا لكم الآيات ان كنتم تعقلون ، ها انتم اولاء تحبونهم ولا يحبونكم وتوأمنون بالكتاب كله ، واذا لقوكم قالوا آمنا ، واذا خلوا عضوا عليكم الانامل من الغيظ قل موتوا بغيظكم ان الله عليم بذات الصدور ان تمسكم حسنة تسوءهم وان تصبكم سيئة يفرحوا بها وان تصبروا وتتقوا لا يضركم كيدهم شيئا ان الله بما يعملون محيط)^(١)

وهكذا يرسم لنا القرآن صورة واضحة السمات ، ناطقة بدخائل النفوس — لاعداً يتظاهرون للمسلمين بالمودة فتكذبهم خلعجات قلوبهم وافعال جوارحهم ، ان يضررون الحق والكيد للمسلمين ومع ذلك ينخدع المسلمون بهم فيمنحونهم الود والثقة ويتخذون منهم بطانة وحفظة على اسرارهم كما يتخذون منهم الخبراء والمستشارين وهم في غفلة عن امر ربهم الذي حذرهم بأن لا يوادوا من حاد الله ورسوله والا يفرغون اسرارهم لاعداً دينهم الذين لا يرضيهم شيء كما يرضيهم العنت يحل بالمسلمين والفرقة تأكل صفوفهم والخداع يذهب بهم الى الفخاخ المنصوبة .

والمسلمون في غفلة عن دينهم ان يخطبون ود هو لا يبولفون جماعات — الصداقة والتعاون معهم ويفتحون لهم صدورهم وقلوبهم ، والله سبحانه وتعالى يقول : (ها انتم اولاء تحبونهم ولا يحبونكم وتوأمنون بالكتاب كانه واذا لقوكم قالوا آمنا واذا خلوا عضوا عليكم الانامل من الغيظ) .

(١) سورة آل عمران : (١١٨ ، ١١٩ ، ١٢٠) .

والله سبحانه يقول : (ان تمسكم حسنة تسوءهم وان تصبكم سيئة يفرحوا بها) (١)

ومرة بعد مرة تصفعنا التجارب المره من ظهور الجاسوسية والخيانة من هؤلاء الذين يترهبون بالاسلام والمسلمين الدوائر ، ولكن مع الاسف مازال كثير من المسلمين في غفلة من امرهم وقلما يفيقون الا بعد وقوع الكارثة .

وبعد ان حذر المنهج القرآني المؤمنين من موالاة اعداء الاسلام واتخاذ بطانة منهم امر تبارك وتعالى المؤمنين بالجهاد في سبيله حتى ترتفع راية لا اله الا الله محمد رسول الله عالية خفاقة ، فوق كل الرايات الجاهلية الكافرة ، فقال تعالى :

(يا أيها الذين آمنوا هل ادلكم على تجارة تنجيكم من عذاب اليم ، تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله بأموالكم وانفسكم ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون يغفر لكم ذنوبكم ويدخلكم جنات تجري من تحتها الانهار ومساكن طيبة في جنات عدن ذلك الفوز العظيم واخرى تحبونها نصر من الله وفتح قريب وبشر المؤمنين) (٢)

ونعم البشري من لدن حكيم عليم . .

وبعد هذا النداء للمؤمنين الذي دلهم فيه عز وجل على تجارة لن تبور وهي الجهاد في سبيل الله بالمال والنفوس ، خاطبهم عز وجل وامرهم بالثبات عند ملاقات العدو وبالاكثار من ذكر الله تعالى فان ذلك من اسباب النصر والفلاح قال تعالى : (يا أيها الذين آمنوا اذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون) (٣) .

(١) سورة آل عمران : (١٢٠)
 (٢) سورة الصف : (١٠ - ١٣) .
 (٣) سورة الانفال : (٤٥) .

كما حذر الله تعالى المؤمنين من الفرار اثناء قتال العدو ، لان ذلك
خيانة عظمى يستحق فاعلها غضب الله ودخول جهنم ،

قال تعالى : (يا أيها الذين آمنوا اذا لقيتم الذين كفروا زحفا فلا
تولوهم الا دبار ، ومن يولهم يومئذ دبره الا متحرفا لقتال او متحيزا الى فئة
فقد باء بفضي من الله وماواه جهنم وبئس المصير) (١) .

ثم هدد تبارك وتعالى أولئك الذين يتناقلون عن تلبية نداء الجهاد
رغبة في الدنيا والعيش الرغيد عن الاستشهاد في سبيل الله ، هددهم
بالعذاب الاليم والاستبدال بقوم آخرين . . قال تعالى :

(يا أيها الذين آمنوا مالكم اذا قيل لكم انفروا في سبيل الله اثنا قلتم
الى الارض أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة ، فما متاع الحياة الدنيا فسى
الآخرة الا قليل ، الا تنفروا يهذبكم عذابا اليما ويستبدل قوما غيركم ولا تضروه
شيئا والله على كل شىء قدير) (٢) .

كما أمر الله تعالى المؤمنين بأن يكونوا دائما على حذر من غدر اعدائهم
وعلى اتم الاستعداد للجهاد في سبيل الله اذا ما اعلن الاستنفار .

قال تعالى : (يا أيها الذين آمنوا خذوا حذرکم فانفروا ثباتا وانفروا
جميما) (٣)

ثم أمر تعالى المؤمنين بمقاتلة الكفار دون هوادة فقال : (يا أيها الذين
آمنوا قاتلوا الذين يلوونكم من الكفار وليجدوا فيكم غلظة واعلموا ان الله مع المتقين) (٤)

(١) سورة الانفال : (١٥ ، ١٦) .

(٢) سورة التوبة : (٣٨ ، ٣٩) .

(٣) سورة النساء : (٧١) .

(٤) سورة التوبة : (١٢٣) .

ثم أخبرهم تعالى مطمئنا انه ناصرهم وموئيدهم طالما نصره بطاعة أوامرهم
والابتعاد عن نواهيه ، فقال تعالى : (يا أيها الذين آمنوا ان تنصروا الله
ينصركم ويثبت اقدامكم) (١) .

ويتابع القرآن الكريم خطابه للمؤمنين موجهاً ومعلماً حاضاً المؤمنين على
التمسك بالاخلاق الاسلامية الرفيعة والوفاء بالعهود في كل المجالات والبيادين
في السلم والحرب في الرخاء والشدة ، مع الصديق ومع العدو ، يقول تعالى
(يا أيها الذين آمنوا اوفوا بالعقود) (٢) .

ويقول تعالى : (يا أيها الذين آمنوا لا تحلوا شعائر الله ولا الشهر
الحرام ولا الهدى ولا القلائد ولا آمين البيت الحرام يبتغون فضلا من ربهم
ورضوانا) (٣) .

ويقول تعالى : (ولا يجزئكم شأن قوم ان صدوكم عن المسجد الحرام ان
تعندوا وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان ، واتقوا الله
ان الله شديد العقاب) (٤) .

ويقول تعالى آمراً المسلمين بالحفاظ على الامانة محذراً من الخيانة :
(يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول وتخونوا اماناتكم وانتم تعلمون) (٥) .

(١) سورة محمد : (٧) .

(٢) سورة المائدة : (١) .

(٣) سورة المائدة : (٢) ، عن عطاء انه سئل عن شعائر الله فقال : حرمت الله

(الطبرى : ٤٦٣/٩)

ولا الشهر الحرام : أى لا تستحلوا الشهر الحرام بقتالكم فيه اعدائكم .

(الطبرى : ٤٦٥/٩)

الهدى : ما اهداه المرء من النعم الى بيت الله تقرباً به الى الله .

(الطبرى : ٤٦٦/٩)

آمين البيت : قاصدين البيت الحرام .

(الطبرى : ٤٧٣/٩)

(٥) سورة الانفال : (٢٧) .

وفى ميدان التربة وحسن الخلق يقول الله تعالى موجهها
 المؤمنون : (يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتنا فمير بيوتكم حتى تستأنسوا
 وتسلموا على أهلها ذلكم خير لكم لعلكم تذكرون ، فان لم تجدوا فيها احدا
 فلا تدخلوها حتى يؤذن لكم ، واذا قيل لكم ارجعوا فارجعوا هو اذكى لكم
 والله بما تعملون عليم) (١)

ويقول الله تعالى موجهها المؤمنون بتحرى الاخبار وتبينها قبل الاخذ
 بها : (يا أيها الذين آمنوا ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا ان تصيبوا قوما
 بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين) (٢)

كما يأمرنا تعالى باصلاح ذات البين بين الناس عامة وبين المؤمنون
 على وجه الخصوص ، فيقول تعالى :
 (وان طائفتان من المؤمنون اقتتلوا فاصلحوا بينهما فان هفت احدهما
 على الاخرى فقاتلوا التي تبغى حتى تفسى الى امر الله فان قات فاصلحوا
 بينهما بالعدل واقسطوا ان الله يحب المقسطين) (٣)

ويقول تعالى مؤكدا على اخوة المؤمنون :
 (انما المؤمنون اخوة فاصلحوا بين اخويكم واتقوا الله لعلكم ترحمون) (٤)
 ونهى التوجيه القرآنى المؤمنون من السخرية فيما بينهم ومن اللمز والتناز
 باللقاب لان ذلك من شأنه ان يثير الكراهية والحقد فى المجتمع الاسلامى
 الذى امر الله ان يكون متماسكا قويا طاهرا ونظيفا من كل الشوائب .

(١) سورة النور : (٢٧ - ٢٨) .

(٢) سورة الحجرات : (٦) .

(٣) سورة الحجرات : (٩) .

(٤) سورة الحجرات : (١٠) .

قال تعالى : (يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى ان يكونوا خيرا منهم ولا نساء من نساء عسى ان يكن خيرا منهن ولا تلعنوا انفسكم ولا تناهزوا بالالقباب بمس الاسم الفسوق بعد الايمان ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون) (١)

كما نهى التوجيه القرآنى المؤمن من الظن السىء ومن التجسس فيما بينهم ومن الغيبة التى تحطم دعائم المجتمع والتى شبهها القرآن بأكل لحم الانسان الميت . .

قال تعالى : (يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن ان بعض الظن اثم ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضا ايحب احدكم ان يأكل لحم اخيه ميتا فكرهتموه واتقوا الله ان الله تواب رحيم) (٢) .

ومن توجيهات القرآن الكريم للمؤمن ان يتفصحوا فى مجالسهم لأن - وساعة المجلس ادهى للبركة ودليل على سعة الصدر . . يقول تعالى :

(يا أيها الذين آمنوا اذا قيل لكم تفسحوا فى المجالس فأنفسحوا يفسح الله لكم) (٣) .

وفى مجال الادب مع رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى القرآن الكريم المؤمن بأن يتقدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الرأى أو المشورة أو يقولوا فى أمر ما قبل قول الرسول فيه صلى الله عليه وسلم . . قال تعالى :

(يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسوله واتقوا الله ان الله سميع عليم) (٤) .

-
- (١) سورة الحجرات : (١١)
 - (٢) سورة الحجرات : (١٢)
 - (٣) سورة المجادلة : (١١)
 - (٤) سورة الحجرات : (١)

كما نهاهم بأن يرفعوا أصواتهم فوق صوت رسول الله صلى الله عليه وسلم
أو ان يحدثوه بصوت مرتفع كما يحدث بعضهم بعضاً أو ان ينادوه من وراء -
الجد والأبواب ، لان ذلك ينافي التأدب مع مقام النبوة الكريم .

قال تعالى : (يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبي
ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض أن تحبط أعمالكم وانتم لا تشعرون
ان الذين يخفضون اصواتهم عند رسول الله اولئك الذين امتحن الله قلوبهم
للتقوى لهم مغفرة وأجر عظيم ، ان الذين ينادونك من وراء الحجرات أكثرهم
لا يعقلون ولو انهم صبروا حتى تخرج اليهم ^{لكان خيرا} لهم والله غفور رحيم) (١)

كما نهى القرآن الكريم المؤمنين بدخول بيوت النبي صلى الله عليه وسلم
قبل الاستئذان وأمرهم اذا ما دخلوها بأن لا يطيلوا الجلوس فيها لان ذلك
يوذى النبي صلى الله عليه وسلم وهو يستحي بدوره صلوات الله وسلامه عليه
من ان يقول لهم ذلك ، فيتحمل هذا العناء ولو كان على حساب راحته . .

يقول الله تعالى : (يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي الا أن
يوذى لكم الى طعام غير ناظرين اتاه ولكن اذا دعيتم فادخلوا فاذا طعمتم
فانتشروا ولا مستأنسين لحديث ان ذلكم كان يوذى النبي فيستحي منكم والله
لا يستحي من الحق) (٢) .

(١) سورة الحجرات : (٢ - ٥) .

(٢) سورة الأحزاب : (٥١) .

وهكذا يتابع القرآن الكريم توجيهاته فى التربية والتعليم وحسن الخلق
 أما المؤمنون بالآخذ بها ليسعدوا فى حياتهم الدنيوية وينعموا فى الآخرة
 بثواب الله عز وجل فأمرهم تعالى بالصدق، وبالقول السديد وبعدم كسرة
 السؤال . . قال تعالى :

(يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين) (١)

وقال تعالى : (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقلوا قولا سديدا) (٢)
 وقال تعالى : (يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم
 تسوءكم وإن تسألوا عنها حين ينزل القرآن تبد لكم عفا الله عنها والله غفور
 حلِيم) (٣) .

كما نهاهم بأن يقولوا مالا يفعلون لان ذلك يناقى مراتب الايمان . .
 يقول الله تعالى : (يا أيها الذين آمنوا لم تقولون مالا تفعلون ، كبر مقتا
 ضد الله ان تقولوا مالا تفعلون) (٤) .

وفى خضم الحياة ومعتزتها قد ينشغل المؤمن او يتلهى من ذكر الله
 بسبب كثرة امواله أو اولاده أو سعة اعماله ، فوجه القرآن الكريم النظر الى
 هذا وقال تعالى محذرا :

(يا أيها الذين آمنوا لا تلهيكم اموالكم ولا اولادكم من ذكر الله ومن يفعل
 ذلك فأولئك هم الخاسرون) (٥)

-
- (١) سورة التوبة : (١١٩)
 - (٢) سورة الاحزاب : (٧٠)
 - (٣) سورة العائده : (١٠١)
 - (٤) سورة الصف : (٣ ، ٢)
 - (٥) سورة المنافقون : (٩)

ثم نبه الى ان من بعض الاولاد والازواج من هم عدو لكم وقد يكونون الى جانب المال فتنة ربما تشغل بعض المؤمن من ادائه واجبهم الرباني لذلك حذر الله منهم فقال تعالى :

(يا أيها الذين آمنوا ان من ازواجكم واولادكم عدوا لكم فاحذروهم وان تعفوا وتصفحوا وتغفروا فان الله غفور رحيم ، انما اموالكم واولادكم فتنة والله عنده اجر عظيم) (١) .

ولما كان الاسلام حريصا على المجتمع المؤمن من بحرصة على الاسرة أولا التي هي نواة المجتمع فقد اهتم القرآن الكريم بتوجيه النداء الى كل مؤمن بأن يهتم بنفسه وبأسرته وبعشيرته ويدعوهم الى الله عز وجل ليعمر المجتمع بالطاقات الخيرة الى جانب انه يبقى هو "لا" مذاب النار يوم لا ينفع مال ولا بنون الا من أتى الله بقلب سليم .

قال تعالى : (يا أيها الذين آمنوا قوا انفسكم واهليكم نارا وقودها الناس والحجارة عليها ملائكة فلان شداد لا يعصون الله ما امرهم ويفعلون ما يؤمرون) (٢) .

والله عز وجل رحيم رؤوف بعباده علم انهم يخطئون وان الشيطان قد يستحوز عليهم احيانا وهم في غفلة من امرهم فيقعون في المعصية ففتح الله لهم باب المغفرة واسعا بعد ان يتوبوا من معصيتهم ويندوا عليها ووعدهم عز وجل بتكفير سيئاتهم وادخالهم جنات تجري من تحتها الانهار فيها ملاعين

(١) سورة التافين : (١٤ ، ١٥) .

(٢) سورة التحريم : (٦) .

رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء .

قال تعالى : (يا أيها الذين آمنوا توبوا الى الله توبة نصوحا مسسى

رهبكم ان يكفر عنكم سيئاتكم ويهد خلكم جنات تجري من تحتها الانهار يوم لا يخزي

الله النبي والذين آمنوا معه نورهم يسعى بين ايديهم وبأيمانهم يقولون

ربنا اتم لنا نورنا واغفر لنا انك على كل شىء قدير) (١) .

انه لتكريم عظيم ان يضم الله المؤمن الى النبي صلى الله عليه وسلم

فجعلهم معه صفا واحدا يتلقون الكرامة فى يوم يخزي فيه الكفار ، ثم يجعل

الله للمؤمنين زيادة فى تكريمهم نورا يعرفون به فى ذلك اليوم الرهيب ونورا

يهتدون به فى الزحام الهائل الى الجنة التى اعدت للمعتقين والتى هيأها

الله لعباده المؤمنين ومن أوفى بعهده من الله ؟

وفى مجال التعامل والقرض الحسن قال تعالى : (يا أيها الذين

آمنوا اذا تداينتم بدين الى اجل مسمى فاكتبوه وليكتب بينكم كاتب بالعدل

ولا يأب كاتب ان يكتب كما علمه الله فليكتب وليملل الذى عليه الحق وليتق

الله ربه ولا يبغض منه شيئا فان كان الذى عليه الحق سفيها أو ضعيفا

أو لا يستطيع ان يمل هو فليملل وليه بالعدل واستشهدوا شهيدين من

رجالكم فان لم يكونا رجلين فرجل وامرأتان ممن ترضون من الشهداء ان تضل

احداهما فتذكر احداهما الاخرى ، ولا يأب الشهداء اذا ما دعوا ولا تسأموا

ان تكتبوه صغيرا أو كبيرا الى اجله ذلكم اقسط عند الله واقوم للشهادة وادنى

الا ترتابوا الا ان تكون تجارة حاضرة تدبرونها بينكم فليس عليكم جناح الا تكتبوها
 واشهدوا اذا تبايعتم ولا يضار كاتب ولا شهيد وان تفعلوا فانه فسوق بكم واتقوا
 الله ويعلمكم الله والله بكل شىء عليم ، وان كنتم على سفر ولم تجدوا كاتباً فرهان
 مقبوضه فان امن بعضكم بعضاً فليؤد الذي اؤتمن امانته وليتق الله به ولا تكتموا
 الشهادة ومن يكتمها فانه آثم . قلبه والله بما تعملون عليم (١) .

وهكذا نرى الاعجاز فى التشريع الاسلامى حيث تتجلى الدقة العجيبة
 فى الصياغة بحيث لا يبدل لفظ بلفظ ولا يقدم نون او يوه عن موضع .

الى جانب ان آية الدين هذه قد تضمنت من القوانين فى التعامل ،
 وحسن الآداء ما تعجز عن الاتيان ببعضها جميع القوانين الوضعيه التى
 احلت الربا وجعلته شرطاً اساسياً من شروط الدين وعليه يقوم تعاملها .

ولما كان الربا كسباً حراماً لا يتأتى الا بالجور والظلم فقد حره الاسلام
 واعلن الحرب على من يستبيحون التعامل به ، قال تعالى :

(يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقى من الربا ان كنتم مؤمنين
 فان لم تفعلوا فاذنوا بحرب من الله ورسوله ، وان تبتم فلکم رؤوس اموالکم
 لا تظلمون ولا تظلمون) (٢) .

ثم تتجلى الرحمة بالمدين المعسر بقوله تعالى : (وان كان ذو عسرة
 فنظرة الى ميسره وان تصدقوا خير لكم ان كنتم تعلمون) (٣) .

(١) سورة البقرة : (٢٨٢) .

(٢) سورة البقرة : (٢٧٨ ، ٢٧٩) .

(٣) سورة البقرة : (٢٨٠) .

وكما حرم التشريع القرآني الربا لضرره على المجتمع ، فقد حرم ايضا في التعامل كل ما من شأنه ايقاع العداوة والبغضاء بين الناس الى جانب انه كسب حرام قال تعالى :

(يا أيها الذين آمنوا انما الخمر والميسر والانصاب والازلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون ، انما يريد الشيطان ان يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل انتم منتهون) (١) .

ثم يوجه النهج القرآني المؤمنين للدعوة الى الانفاق مما رزقهم الله فيقول تعالى : (يا أيها الذين آمنوا انفقوا مما رزقناكم من قبل ان يأتي يوم لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة والكافرون هم الظالمون) (٢) .

ويحدد لهم القرآن الكريم نوع ذلك الكسب وبأمرهم باختيار الطيب منه لانفاقه في سبيل الله لان يقصدوا الخبيث منه لان الله طيب لا يقبل الاطيبا يقول تعالى : (يا أيها الذين آمنوا انفقوا من طيبات ما كسبتم وما اخرجنا لكم من الارض ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون ولستم بأخذيه الا ان تغمضوا فيه واعلموا ان الله فني حميد) (٣)

ثم يمدح الله تعالى اولئك المؤمن الذين لا يكتفون بالانفاق بالمسر فقط بل ينفقون بالمسر ايضا كما يمدح تعالى الذين يكظمون غيظهم احتسابا

(١) سورة المائدة (٩٠ ، ٩١) .

(٢) سورة البقرة (٢٥٤) .

(٣) سورة البقرة (٢٦٧) .

لله عز وجل ويعفون من الناس ويحسنون اليهم . . .

قال تعالى : (وسارموا الى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والأرض
أعدت للمتقين الذين ينفقون في السراء والضراء والكاظمين الغيظ والعافين
من الناس والله يحب المحسنين) (١)

وهكذا تستمر التوجيهات القرآنية للمؤمنين في معظم ميادين الحياة
بأسلوب معجز أخاذ ، وتعاليم ربانية عالية تضارع في سموها الجوزاء ترشد
المسلمين الى ما فيه صلاح دينهم ودنياهم ، وتجمع بين الجسم والروح ،
وتعطي كل ذي حق حقه بطريقة فريدة وتشريع شامل تجعل من هذا الدين
حكما وفيصلا ومهيما على جميع الديانات السابقة .

ولا فرو فهي الرسالة الخاتمة للنبي الصطفى الخاتم .

(الفصل الثانى)

خطاب أهل الكتاب

لاهل الكتاب مواقف عديدة ومختلفة من دعوة الاسلام ونبيه صلى الله عليه وسلم وقد سجل القرآن هذه المواقف بأمانة ووضوح سواء الايجابية منها أو السلبية ، ورغم العداء الذى اظهره بعض اولئك فان القرآن الكريم قد سلك معهم اسلوبا صريحا فى غاية الدقة والواقعية .

فدعاهم الى توحيد الله عز وجل وذكرهم بأن اصل الديانات السماوية واحد وانها من عند الله هدى للناس ذات هدف واحد ومصدر واحد .

وقد سجل القرآن هذا فى بداية سورة (آل عمران) فى مخاطبة لخاتم

رسله صلى الله عليه وسلم بقوله تعالى (الله لا اله الا هو الحي القيوم ، نزل

عليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه وانزل التوراة والانجيل من قبل هدى

للناس وانزل الفرقان ان الذين كفروا بآيات الله لهم عذاب شديد والله عزيز

ذو انتقام) (١) .

وبعد تقرير هذه الحقيقة يدعو القرآن الكريم اهل الكتاب الى توحيد الله

عز وجل بعد ان اكد لهم وحدة الدين الذى بعث الله به رسله كل رسول يأتى

مصدقا لما بين يديه مع تلبية رسالته للمقتضيات الجديدة التى تلت رسالة من

قبله حتى جاء محمد صلى الله عليه وسلم خاتم الانبياء والمرسلين بدين الاسلام

الكامل الشامل ، مؤمنا بكل ما سبقه من كتب ربانية داعيا اهلها الى كلمة الحق وعبادة الله عز وجل دون الاشراك به شيئا وان لا يتخذ بعضهم بعضا اربابا من دون الله بل كلهم صبيد لله خلقهم لكي يوحدوه ولا يشركوا به شيئا قال تعالى مخاطبا اهل الكتاب على لسان خاتم رسله صلى الله عليه وسلم بقوله : (قل يا اهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم الا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا اربابا من دون الله فان تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون) (١)

ولكن اهل الكتاب وقفوا من هذه الدعوة مواقف متعددة وقد سجل القرآن هذه المواقف بتقريرات قرآنية لاظهار ما هم عليه ، كما انقسموا حولها قسمين على طرفى نقيض :

القسم الأول : اناس استقبلوا الدعوة الاسلامية بالفرح والقبول وشهدوا للقرآن والرسول بالحق وانه المصدق لما بين ايديهم من كتب سماوية ، وفى هو لا* وردت آيات كريمه تمدحهم وتصف احوالهم وتأثرهم بالقرآن الكريم وايمانهم به .

قال تعالى : (الذين آتيناهم الكتاب من قبله هم به يؤمنون واذا يتلى عليهم قالوا آمنا به انه الحق من ربنا انا كنا من قبله مسلمين) (٢) .

(١) سورة آل عمران : (٦٤) .

(٢) سورة القصص : (٥٢ ، ٥٣) .

وقوله تعالى : (وكذلك انزلنا اليك الكتاب فالذين آتيناهم الكتاب

يو^١ منون به ومن هو^٢ لا^٣ من يو^٤ من به وما يجحد بآياتنا الا الكافرون) (١) -

وقوله تعالى : (افغير الله ابتغى حكما والذين آتيناهم الكتاب يعلمون

انه منزل من ربك بالحق فلا تكونن من الممترين) (٢) .

وقوله تعالى : (قل آمنوا به ولا توفوا ان الذين اوتوا العلم من قبله

اذا يتلى عليهم يخرون للاذقان سجدا ويقولون سبحان ربنا ان كان ومد

ربنا لمفعولا ويخرون للاذقان يبكون ويزيدهم خشوعا) (٣) .

وقوله تعالى : (ليسوا سوا^٤ من اهل الكتاب امة قائمة يتلون آيات الله

آناه الليل وهم يسجدون يو^٥ منون بالله واليوم الآخر ويأمرون بالمعروف وينهون

عن المنكر ويسارعون في الخيرات واولئك من الصالحين وما يفعلوا من خير فلن

يكفروه والله عليم بالمتقين) (٤) .

كما مدح الله تعالى الامناء^٥ من اهل الكتاب فقال : (ومن اهل الكتاب

من ان تأمنه بقنطار يو^٦ ده اليك ومن تأمنه^٧ بدينار لا يو^٨ ده اليك الا ما دمت

عليه قائما ذلك بانهم قالوا ليس علينا في الاميين^٩ سبيل ويقولون على الله

الكذب وهم يعلمون) (٥) .

وقوله تعالى : (وان من اهل الكتاب لمن يو^{١٠} من بالله وما انزل اليكم وما انزل

اليهم خاشعين لله لا يشترون بآيات الله ثمنا قليلا اولئك لهم اجرهم عند ربهم

ان الله سريع الحساب) (٦) .

(١) سورة العنكبوت : (٤٧) .

(٢) سورة الانعام : (١١٤) .

(٣) سورة الاسراء : (١٠٧ ، ١٠٨ ، ١٠٩) .

(٤) سورة آل عمران : (١١٥) .

(٥) سورة آل عمران (٧٥) .

(٦) سورة آل عمران (١٩٩) .

القسم الثاني :

_____ وهو الغالب اناس من أهل الكتاب كفروا برسالة الاسلام ،
 ووقفوا منها موقف العداة الكامل ، وعملوا على الكيد لدين الاسلام ولاهله
 وقد سجل القرآن مواقف هؤلاء وما كانوا يخبئون لهذا الدين من حقد وفسد
 وابتدأ القرآن فسى ذكر اعداء الاسلام وهم اليهود ثم الذين اشركوا
 قال تعالى : (ولتجدن اقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا انا نصارى
 ذلك بأن منهم قسيسين ورهبانا وانهم لا يستكبرون واذا سمعوا ما انزل الى
 الرسول ترى اعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق يقولون ربنا آما فاكتبنا
 مع الشاهدين ومالنا لانوء من بالله وما جاءنا من الحق ونطمع ان يدخلنا ربنا
 مع القوم الصالحين ، فاتاهم الله بما قالوا جنات تجري من تحتها الانهار
 خالدن فيها وذلك جزاء المسحنيين) (١) .

ولكن موقف هؤلاء الافراد لم يكن يمثل موقف الغالبية من أهل الكتاب
 النصرى بل سرعان ما انقلبوا عندما احسوا بخطر الاسلام على معتقداتهم
 المنحرفة وسلكوا بذلك طريقة سلفهم اليهود الذين انكروا رسالة الاسلام ، مع
 ان الاسلام لهم افضل معاملة ونهى المسلمين فى البداية ان يجادلوا أهل
 الكتاب الا بالتى هى أحسن ، قال تعالى :

(ولا تجادلوا أهل الكتاب الا بالتى هى أحسن الا الذين ظلموا منهم

وقولوا آما بالذى انزل الينا وانزل اليكم والينا والهكم واحد ونحن له مسلمون) (٢)

(١) سورة المائدة : (٨٢ ، ٨٣ ، ٨٤ ، ٨٥) .

(٢) سورة المائدة : (٤٦) .

وقوله تعالى مخاطبا المؤمنين : (قولوا آمنا بالله وما انزل اليهنا وما
انزل الى ابراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب والاسباط وما اوتى موسى وهيسى
وما اوتى النبيون من ربهم لانفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون فان آمنوا
بمثل ما آمنتم فقد اهتدوا وان تولوا فانما هم فى شقاق فسيكفيكم الله وهو
السمع العليم) (١) .

ومع ذلك لم يمثل معظم اهل الكتاب لامر الله عز وجل بل تربصوا بالاسلام
الدوائر وعملوا على حربه بكل الوسائل المتاحة لهم وما هو القرآن المدنى
يفضح ما يكون من عداة وما يخططون قاصدين به افناء الدين الجديد او الوقوف
فى وجهه ما استطاعوا الى ذلك سبيلا .

قال تعالى مخبرا عنهم : (ما يود الذين كفروا من أهل الكتاب ولا
المشركين ان ينزل عليكم من خير من ربكم والله يختص برحمته من يشاء
والله ذو الفضل العظيم) (٢)

وقال تعالى (ود كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد ايمانكم كفارا
حسدا من عند انفسهم من بعد ما تبين لهم الحق فاعفوا واصفحوا حتى يأتى
الله بأمره ان الله على كل شىء قدير) (٣)

(١) سورة البقرة : (١٣٦ ، ١٣٧) .

(٢) سورة البقرة : (١٠٥) .

(٣) سورة البقرة : (١٠٩) .

وقوله تعالى : (ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم ،

قل ان هدى الله هو الهدى ولئن اتبعت اهواءهم بعد الذى جاءك من

العلم مالك من الله من ولى ولا نصير) (١)

وقوله تعالى : (ودت طائفة من أهل الكتاب لو يضلونكم وما يضلون الا -

انفسهم وما يشعرون يا اهل الكتاب لم تكفرون بآيات الله وانتم تشهدون) (٢)

وقوله تعالى (وقالت طائفه من أهل الكتاب آمنوا بالذى انزل على الذين

آمنوا وجه النهار و كفروا آخره لعلمهم يرجعون ولا تؤمنوا الا لمن تبع دينكم) (٣)

وقوله تعالى : (يا أيها الذين آمنوا ان تطيعوا فريقا من الذين اوتوا

الكتاب يردوكم بعد ايمانكم كافرين) (٤)

وقوله تعالى (الم تر الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب يشترون الضلالة

ويريدون ان تضلوا السبيل والله اعلم باعدائكم وكفى بالله نصيرا) (٥)

وقوله تعالى : (الم تر الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب يؤمنون بالجبت

والطاغوت ويقولون للذين كفروا هو " لا اهدى من الذين آمنوا سبيلا أولئك الذين

لعنهم الله ومن يلعن الله فلن تجد له نصيرا) (٦) .

(١) سورة البقرة (١٢٠) .

(٢) سورة آل عمران : (٦٩ ، ٧٠) .

(٣) سورة آل عمران : (٧٢ ، ٧٣) .

(٤) سورة آل عمران : (١٠٠) .

(٥) سورة النساء (٤٤ ، ٤٥) .

(٦) سورة النساء (٥١ ، ٥٢) .

وقوله تعالى : (يسئلك اهل الكتاب ان تنزل عليهم كتابا من السماء فقد
 سئلوا موسى اكبر من ذلك فقالوا ارنا الله جهرة فاخذتهم الصاعقة بظلمهم
 ثم اتخذوا العجل من بعد ما جأتهم البينات فعفونا عن ذلك وآتينا موسى
 سلطانا مبينا) (١)

الى آخر ما هنالك من آيات بينات تكشف موقف اهل الكتاب من المسلمين ،
 وتنتهى الى حقيقة اولئك الذين يودون ان يرجع المسلمون كفارا حسدا من ضد
 انفسهم من بعد ما تبين لهم الحق وهم يحددون موقفهم النهائى من المسلمين
 بالاصرار على ان يكونوا يهودا او نصارى ولا يرضون عنهم ولا يسالمونهم الا ان
 يتحقق هذا الهدف . . .

(١) سورة النساء : (١٥٣) .

(الفصل الثالث)

خطاب المشركين

للقرآن الكريم وقرآنته مع الشرك والمشركين ، ولما كانت العقيدة هي الاساس في بناء الصرح الاسلامي ، فقد عالجهما القرآن بكل مقوماتها وبكل مكوناتها والآيات القرآنية في ذلك كثيرة ، فهي تأخذ بمجامع النفس البشرية وتطوف بها في الوجود كله وراية ينابيع العقيدة الظاهرة منها والمستترة في هذا العالم الكبير ، والقرآن الكريم قد كشف عن مكامن الشرك ومظاهره في النفس الانسانية ليدفع حججه ويبطلها لتخلص النفس من اوشابه واداراه .

وبما ان الناس قد درجوا على تقرير الحقائق بالاستشهاد فقد امر الله

تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم أن يسلك مع المشركين هذا الطريق .

يقول تعالى : (قل أي شيء أكبر شهادة قل الله شهيد بيني وبينكم
الذي هذا القرآن لا نذكركم به ومن بلغ أنكم لتشهدون أن مع الله
وأوحى آية أخرى قل لا أشهد قل إنما هو اله واحد وأنتي برى ما تشركون

الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم الذين خسروا أنفسهم فهم

لا يؤمنون ، ومن اظلم من افترى على الله كذبا او كذب بآياته انه لا يفلح الظالمون

ويوم نحشرهم جميعا ثم نقول للذين اشركوا اين شركاؤكم الذين كنتم تزعمون ، ثم

لم تكن فتنتهم الا ان قالوا والله ربنا ما كنا مشركين ، انظر كيف كذبوا على أنفسهم

وضل عنهم ما كانوا يفترون (١) .

فالرسول صلى الله عليه وسلم يحاور المشركين مبتدئا بسوءالهم (أى شىء أكبر شهادة) وهى كلمه للشمول والاستقصاء ، ثم يقرر الحقيقه القائمه السئى لا يمارى فيها احد حتى هو^١ المشركين - قل الله شهيد بينى وبينكم - والمشركون لم يكونوا ينكرون وجود الله وانما كانوا يتخذون معه شركاء .

وفى (سورة المؤمنون) نرى بوضوح الجدل القائم مع المشركين وبأخذهم القرآن بمسلماتهم التى يقرون بها ليصح اضطرابهم فى العقيدة ويردهم السئى التوحيد الخالص . .

يقول الله تعالى : (قل لمن الأرض ومن فيها ان كنتم تعلمون ، سيقولون لله قل افلا تذكرون ، قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم ، سيقولون لله قل افلا تتقون ، قل من بيده ملكوت كل شىء وهو يجير ولا يجار عليه ان كنتم تعلمون سيقولون لله قل فأنى تسحرون) (١) .

وهكذا يثبت القرآن لهم ان الله وحده مالك السموات والأرض ومدبرها ، والمسيطر عليها . .

ط

وبعد هذا الاقرار من المشركين بثبت القرآن بطلان ما يدعونه من الولسد والشريك لله عز وجل بقوله تعالى : (بل اتيناهم بالحق وانهم لكانون ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من اله اذن لذهب كل اله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض سبحان الله عما يصفون عالم الغيب والشهادة فتعالى عما يشركون) (٢)

(١) سورة المؤمنون : (٨٤ ، ٨٥ ، ٨٦ ، ٨٧ ، ٨٨ ، ٨٩) .

(٢) سورة المؤمنون : (٩٠ ، ٩١ ، ٩٢) .

وهنا يصور القرآن ما في عقيدة المشركين من قصور واستغاله ويخبرهم انه لو كان مع الله آلهة أخرى لذهب كل اله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض بغلبة سيطرته وتصريفه على الكون وذلك لا ينتظم الكون بنظام واحد بل يكون مشتتا وممزقا لنواميس مختلفة ، وهذه صورة لا وجود لها في الكون الذي تشهد وحدة تكوينه وتناسق اجزائه تناسقا كاملا دون تصادم او اضطراب أو خلل بوحدة الخالق المدبر المسيطر . سبحان الله عما يصفون .

وفي مجال تدليل القرآن على عظمة الله عز وجل وتفرد به بالخلق مبتدئا بأصل النشأة الانسانية منتهيا الى البعث في الآخرة مع الربط بين الحياتين يقول تعالى : (ولقد خلقنا الانسان من سلاله من طين ثم جعلناه نطفة في قرار مكين ، ثم خلقنا النطفة علقه ، فخلقنا العلقه مضغة ، فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحما ثم انشأناه خلقا آخر فتبارك الله أحسن الخالقين ثم انكم بعد ذلك لميتون ، ثم انكم يوم القيامة تبعثون) (١)

وبعد تبين تفرد الله عز وجل بخاصية الخلق والاماته والبعث ومشاهدة الآيات في الانفس . . يدعو الانسان الى مشاهدته الآيات في الآفاق :

يقول الله تعالى : (ولقد خلقنا فوقكم سبع طرائق وما كنا عن الخلق غافلين ، وانزلنا من السماء ماء بقدر فأسكناه في الأرض وانا على ذهاب به لقادرون ، فأنشأنا لكم به جنات من نخيل واعناب لكم فيها فواكه كثيرة ومنها تأكلون وشجرة تخرج من طور سيناء تنبت بالدهن وصبغ للآكلين ، وان لكم في الانعام

لعبرة نسقيكم ما فى بطونها ولكم فيها منافع كثيرة ومنها تأكلون وعليها وعلى
الفلك تحملون (١) .

الآيات تستعرض دلائل العظمة والابداع الربانى وتربط بينها بوصفها
من دلائل القدرة والتدبير وهى متناسقة فى تكوينها وفى وظائفها وفى اتجاهها
محكومة بنظام واحد مصدره خالق عالم مسيطر على جميع المخلوقات .

وفى معرض التدليل على البعث الذى انكره الدهريون والذين قالوا

(ما هى الا حياتنا الدنيا نوت ونحيا وما يهلكنا الا الدهر) (٢) ، وقالوا

(ائتوا بآبائنا ان كنتم صادقين) (٣) ، فرد عليهم تعالى بقوله : (قل الله

يحييكم ثم يميتكم ثم يجمعكم الى يوم القيامة لا ريب فيه ولكن اكثر الناس لا يعلمون) (٤)

ثم ضرب القرآن الكريم امثلة واقعية حسية يبين فيها قدرة الله تعالى على

البعث . وشبه بعث الناس من قبورهم بانبات الزرع من الارض الجرداء القاحلة .

قال تعالى : (وترى الأرض هامدة فاذا انزلنا عليها الماء اهتزت وربت وانبتت

من كل زوج بهيج ذلك بأن الله هو الحق وانى يحيى الموتى وانه على كل شىء

قدير وان الساعة آتية لا ريب فيها وان الله يبعث من فى القبور) (٥) .

(١) سورة المؤمنون : (١٧ ، ١٨ ، ١٩ ، ٢٠ ، ٢١ ، ٢٢) .

(٢) سورة الجاثية : (٢٤) .

(٣) " " : (٢٥) .

(٤) " " : (٢٦) .

(٥) سورة الحج : (٥ - ٧) .

وقال تعالى : (ومن آياته انك ترى الأرض خاشعة فاذا انزلنا عليها الماء اهتزت وربت ، ان الذي احياها لمحي الموتى انه على كل شىء قدير) (١) .

ويتابع القرآن الكريم الجدل مع المشركين وابطال مزاعمهم ويضرب لهم امثلة من واقعهم الذى يعيشون فيه ، ويلفت نظرهم الى انفسهم التى يعلمونها والسى المشاهد التى يرونها فى واقع الحياة ، ثم يثبت قولهم واعترفهم بأنها من صنع الله عز وجل بقول تعالى : (قل من يرزقكم من السماء والأرض ، أمن يملك السمع والابصار ، ومن يخرج الحى من الميت ويخرج الميت من البهى ، ومن يدبر الأمر ، فيسىقولون الله ، فقل افلاتتقون ، فذلكم الله ربكم الحق فماذا بعد الحق الا الضلال فأنى تصرفون ، كذلك حقت كلمة ربك على الذين فسقوا انهم لا يؤمنون) (٢) .

ويتابع القرآن نقاشهم فيقول : (قل هل من شركائكم من بيدوا الخلق ثم يعبيده ، قل الله بيدوا الخلق ثم يعبيده فأنى توفكون ، قل هل من شركائكم من يهدى الى الحق قل الله يهدى للحق افمن يهدى الى الحق احق ان يتبع امن لا يهدى الا ان يهدى فما لكم كيف تحكمون ، وما يتبع اكثرهم الا ظنا وان الظن لا يغنى من الحق شيئا ان الله عليم بما يفعلون) (٣)

ويستمر الجدل بالحجة والبرهان لاقامة الدليل على تفرد الله عز وجل بالخلق

والرزق وعلى تفرد بالاحياء والاماتة وعلى نفى الشرك .

(١) سورة فصلت : (٣٩) .

(٢) سورة يونس : (٣١ ، ٣٢ ، ٣٣) .

(٣) سورة يونس : (٣٤ ، ٣٥ ، ٣٦) .

يقول الله تعالى : (الله الذى خلقكم ثم رزقكم ثم يميتكم ثم يحييكم هل من شركائكم من يفعل من ذلكم من شئ * سبحانه وتعالى عما يشركون) (١) .

فيلجم المشركون عن القول بالشريك ويقولون بأن الله هو الخالق ومع ذلك

تبقى نفوسهم معلقة بما ورثوا عن آباؤهم من الشرك بالله تعالى .

ومن جولة فى الواقع الذى يمشيه المشركون الى جولة فى الحشر الذى تسقط

فيه دعاوى والباطيل ويتجلى فيه ان المولى هو الله المهيمن الجبار . .

يقول تعالى : (ويوم نحشرهم جميعا ثم نقول للذين اشركوا مكانكم انتم

وشركاءكم هم هزبلنا بينهم وقال شركاءهم ما كنتم ايانا تعبدون فكفى بالله شهيدا بيننا

ومينكم ان كنا عن عبادتكم لغافلين هنالك تبلوا كل نفس ما اسلفت وردوا الى الله

مولاهم الحق وذل عنهم ما كانوا يفترون) (٢) . وهكذا اسقط فى ايديهم .

ثم يصور لنا القرآن الكريم مشهدا من يوم المحشر يوم يأمر تعالى المشركين

بأن ينادوا شركاءهم الذين اشركوهم مع الله عز وجل فيدعونهم فلم يستجيبوا لهم

لعجزهم عن ذلك امام المهيمن الجبار . .

يقول تعالى : (ويوم يقول نادوا شركائى الذين زعمتم فدعوهم فلم يستجيبوا

لهم وجعلنا بينهم موبقا) (٣) .

ويقول تعالى : (ويوم يناديهم اين شركائى قالوا آذناك ما منا من شهيد

وذلل عنهم ما كانوا يدعون من قبل وظنوا ما لهم من محيص) (٤) .

(١) سورة الروم : (٤٠) .

(٢) سورة يونس : (٢٨ ، ٢٩ ، ٣٠) .

(٣) سورة الكهف : (٥٢ ، ٥٣) .

(٤) سورة فصلت : (٤٧ ، ٤٨) .

وهنا يعترف المشركون بحقيقة الامر ويفاجأون بالواقع الذى حذرهم منه
 أنبياء الله ورسله ولكنهم لم يقبلوا الارشاد والتوجيه واستمروا فى غيبيهم من الشرك
 والضلال حتى اسقط فى ايديهم واعترفوا امام الله عز وجل انه لا شريك لله وان ليس
 لهم من مخرج مما هم فيه من الكرب الا أن يأذن الله .

وفى صورة أخرى يكشف لنا القرآن عن مصير هؤلاء المشركين ويصف لنا شيئا
 من عذابهم فى يوم لا ينفع فيه مال ولا بنون الا من أتى الله بقلب سليم . .
 يقول تعالى : (ألم تر الى الذين يجادلون فى آيات الله أنى يصرفسون
 الذين كذبوا بالكتاب وبما ارسلنا به رسلنا فسوف يعلمون ، ان الاغلال فى أعناقهم
 والسلاسل يسحبون ، فى الحميم ثم فى النار يسجرون ، ثم قيل لهم اين ما كنتم
 تشركون من دون الله قالوا ضلوا عنا بل لم تكن ندعو من قبل شيئا كذلك يضل الله
 الكافرين ذلكم بما كنتم تفرحون فى الارض بغير الحق وبما كنتم ترحون ،
 ادخلوا ابواب جهنم خالدين فيها فبئس مثوى المتكبرين) (١) .

وهكذا سقطت الاقنعة الكالحة التى كانت على وجوه المشركين وقلوبهم وظهر
 زيف شركهم وشركائهم وظهر الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا .

الباب الثالث

منهج الرسل الكرام في الدعوة

كما رسمه القرآن

(الباب الثالث)

ضجج الرسل الكرام في الدعوة كما رسمه القرآن الكريم

ويشتمل هذا الباب على ستة عشر فصلا

التصهيد :

ان من نعم الله عز وجل على البشر ان ارسل لهم رسلا منهم مبشرين ومنذرين ، يعلمونهم الخير ويأمرونهم به ، ويمنون لهم الشر وينهونهم عنه . .

ولكى يتم الله النعمة على الناس انزل على رسله الكتب السماوية لتكون —

المرشد والمرجع الذي يرجعون اليه بعد انبيائهم عليهم السلام . .

ولقد بين الله تعالى لانبيائه طريقة الدعوة واقام بهم الحجة على العالمين

قال تعالى : (رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل وكان الله عزيزا حكيم) (١) .

ونحن عندما نستعرض سلسلة الدعوة الطويلة التي قام بها موكب الرسل

الكرام نقف على حقيقة هامة هي ان هذه الدعوة على مدار التاريخ البشرى كانت

تستهدف امرا واحدا هو تعريف الناس بالهيم الواحد وربهم الحق وتمبيد هم

له ونبذ ربهية الخلق ، والتلقى في هذه الدنيا عن رسل الله وحدهم مع الاعتقاد

بأن الحياة الدنيا انما هي دار ابتلاء لا دار جزاء ، وان الجزاء انما يكون في

الآخرة ، وان حرية الاختيار التي اعطاها الله للانسان ليختار الهدى أو الضلال

هي مناط هذا الابتلاء . .

هذا الهدف سار عليه جميع الرسل الكرام من لدن نوح عليه السلام الى
خاتم الانبياء سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم . .

ان جميع الرسالات تدعو الى التوحيد الخالص وترفع راية لا اله الا الله
وتدعم هذه العقيدة بالادلة الواضحة والحجج الراجحة ، فمن عهد نوح
عليه السلام وجميع من اتى بعده من المرسلين بدأ دعوتهم مع اممهم بتوحيد
الله عز وجل . .

فمن نوح قال تعالى : (ولقد ارسلنا نوحا الى قومه انى لكم منه نذير مبين
الا تعبدوا الا الله انى اخاف عليكم عذاب يوم أليم) (١)

ومن هود قال تعالى : (والى عاد اخاهم هودا قال يا قوم اعبدوا الله
مالكم من اله غيره) (٢) .

ومن صالح قال تعالى : (والى ثمود اخاهم صالحا قال يا قوم اعبدوا الله
مالكم من اله غيره) (٣) .

ومن شعيب قال تعالى : (والى مدين أخاهم شعيبا قال يا قوم اعبدوا الله
مالكم من اله غيره) (٤) .

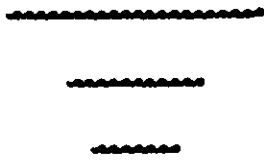
وهكذا توالى دعوة المرسلين رافعة لواء لا اله الا الله وحده لا شريك له
داعية اقوامها الى عبادة الواحد القهار منزها عن الند والشريك فمنهم من

-
- (١) سورة هود : (٢٦) .
 - (٢) سورة هود : (٥٠) .
 - (٣) سورة هود : (٦١) .
 - (٤) سورة هود : (٨٤) .

استجاب بعد ان شرح الله صدره ، ومنهم من ران على قلبه فأعرض عن ذكر الله
وحارب المرسلين حربا شعواء دافعا عن معتقده الباطل .

ولقد حكى القرآن الكريم قصص المرسلين الكرام واخبرنا بما دار بينهم وبين
اقوامهم ، وصور لنا هذه الوقائع تصويرا جليا حتى كأننا ونحن نقروها نعيش
تلك الفترة مع كل رسول منهم ونشاهد ما حدث آنذاك . .

وسأحاول في هذا الباب ان شاء الله استعراض دعوة بعض الرسل ومواقفهم
مع اقوامهم - كما صورها القرآن الكريم - وهم يتلقون الاعراض والتكذيب
والسخرية والاستهزاء والتهديد والابذاء ، وكيف انهم تحملوا ذلك بالصبر
والثقة واليقين بما معهم من الحق ، وفي نصر الله الذي لا شك آت ، وفي
وعده الذي لا يتخلف .



(الفصل الأول)

نوح عليه السلام

—————

قال تعالى : (ولقد ارسلنا نوحا الى قومه انى لكم نذير مبين ، الا تعبدوا

الا الله انى أخاف عليكم عذاب يوم اليم) (١) .

هكذا بدأ نوح عليه السلام دعوته بانذار قومه بألا يعبدوا الا الله الواحد

الاحد الفرد الصمد ، وهذه المعانى هى ذاتها التى ارسل بها الانبياء جميعا

دليلا على وحدة الرسالة ووحدة التلقى عن الله عز وجل ، فقد انذر نوح عليه

السلام قومه من عبادة غير الله لانه يخاف عليهم العذاب يوم القيامة ان هم اشركوا

مع الله اله آخر ، ولكن ماذا كان جواب قومه ردا على هذه الدعوة الخيره . .

(فقال الملائكة الذين كفروا من قومه ما نراك الا بشرا مثلنا وما نراك اتبعك

الا الذين هم ارادنا بادى الرأى وما نرى لكم علينا من فضل بل نظنكم كاذبين) (٢)

انها الشبهه التى يلقبها اعداء الرسل ضد حملة الرسالة لان الانسان فى

نظرهم اصغر من ان يحمل رسالة الله مع ان هذه شبهة جاهله بهذا الانسان الذى

استخلفه الله فى الأرض وحمله الامانة التى ابت السموات والأرض ان تحملها واشفقن

منها .

وشبهه اخرى يلقبها المكذبون وهى ان الله عز وجل لو اراد اصطفا رسول من

البشر فكان الاولى فى نظرهم ان يكون من عظماء قومه فى الغنى والجاه والسلطان

(١) سورة هود : (٢٥ ، ٢٦) .

(٢) سورة هود : (٢٧) ، الاراذل : هم الضعفاء والفقراء .

بادى الرأى : أول الرأى ، اى اتبعوك حين ابتدوا ينظرون ، ولو امعنوا النظ

والفكر لم يتبعوك . (القرطبي ج ٩ ص ٢٤) .

وهذا جهل ايضا يقيم الانسان التي استحق من اجلها الخلافة في الأرض ، هذه القيم التي لا تعطى العظمير المادى من جاء أو فنى أو سلطان ، اية قيمة فسى ميزان الله عز وجل ، وانا القيمة الحقيقية هي استعداد هذا الانسان لحمل الامانة واداء الرسالة حق الاداء وتحمله تبعاتها من صبر على الابداء والتكذيب وبذل كل غال ورخيص فى سبيلها والتضحية بالنفس من اجل اهلها ..

وشبهة ثالثة يحتج بها أولئك المكذبون من قوم نوح وهى ان الذين اتبعوا نوح هم ضعفاء القوم وفقراء وهم هو لا عادة يؤمنون بزعمهم بدون ترو ولا تفكير وهذه تهمة توجه دائما من الملائكة الذين يستكبرون عن عبادة الله ويأنفون من اتباع رسله لان فى ذلك اعترافا منهم بمقام النبوة الكريمة واقترارا لشعوبهم وقوامهم بأنهم كانوا على باطل فى استغلالهم لشعوبهم x وتسخيرهم لها من اجل مصالحهم الخاصة .. وهذا مالا يرضاه أولئك المستكبرون الذين رفضوا الايمان بالرسول بادعائهم بأن اتباعهم من الاراذل الفقراء الذين لا رأى لهم ولا مشوره .

ثم ينكرون الرساله بقولهم — ما نرى لكم علينا من فضل — ويدعون انهم هم أولى بالخير والهداية من أولئك الفقراء ، فلو كان ما جاءوا به خيرا لكانوا هم أولى به من غيرهم لما لهم من جاء وسلطان وفنى ، وهذا قياس جاهلى سببه غيب المقيدة الصحيحة والمعرفة الحقبة بمظمة الله عز وجل ان القيم لا تقاس بالمال والجاه والسلطان بل تقاس بمقدار تحمل هذا الانسان للامانة التي القيت على عاتقه ، وأدائه لها حق الاداء ..

وأخيرا يلبأ — المعادون لنوح عليه السلام ولدعوته — الى انكار الرساله بتكذيب الرسول والمؤمنين معه ان قالوا — بل نظنكم كاذبين — وهذا سلاح

المنهزمين عادة امام قوة الحق فيخفون هزيمتهم الاعتقاد به وعدم مقدرتهم على مواجهة الرسل فيعمدون الى الانكار والتكذيب والايذاء لحملة الرسالة واتباعهم ولكن نوح عليه السلام يصد في وجه هؤلاء المنكرين ويتلقى اتهامهم واستكبارهم في ساحة النبي ورفق الداعية المؤمن بربه والمطمئن بنصره ووعده الذي لا يتخلف .

فجيئهم عليه السلام قائلا : (قال يا قوم ارايتم ان كنت على بينة من ربي وآتاني رحمة من عنده فعميت عليكم انلزمكموها وانتم لها كارهون ، ويا قوم لا اسئلكم عليه مالا ان اجري الا على الله وما انا بطارد الذين آمنوا انهم ملاقوا ربهم ولكنني اراكم قوما تجهلون ، ويا قوم من ينصرنى من الله ان طردتهم افلا تذكرون ، ولا اقول لكم عندي خزائن الله ولا اعلم الغيب ولا اقول لكم انسى ملك ولا اقول للذين تزدرى اعينكم لن يؤتيهم الله خيرا الله اعلم بما فى انفسهم انى اذن لمن الظالمين) (١)

• وهكذا ينفي نوح عليه السلام عن نفسه وعن رسالته كل قيمة زائفة وكل هالة مصطنعة يطلبها الملأ من قومه فى الرسول والرسالة ، ويتقدم اليهم بها مجردة الا من حقيقتها العظيمة التى لا تحتاج الى مزيد من تلك الاعراض السطحية ، ويرد هم فى نضاعة الحق وقوته مع ساحة القول ووده الى الحقيقة المجردة ليواجهوها ويتخذوا لانفسهم خطة على هداها بلا ملق ولا زيف ولا محاولة استرضاء على حساب الرسالة وحقيقتها البسيطة ، فيعطى اصحاب الدعوة فى اجيالها جميعا

نموذجاً للداعية ودرسا في مواجهة اصحاب السلطان بالحق المجرد دون —
استرضاء لتصوراتهم ودون مبالاة لهم ، مع المودة التي لا تنحني معها الروءوس^(١)
وعندما يذس قوم نوح من مجابهة الحجة بالحجة ، وفشلوا في الوقوف بزيهم
امام الحق التجأوا الى استعمال اسلوب التحدى قاصدين تمجيز نوح عليه السلام
(قالوا يا نوح قد جادلتنا فأكثرت جدالنا فأثنا بما تعدنا ان كنت من الصادقين)^(٢)
" انه المعجز يلبس ثوب القدرة والضعف يرتدى رداء القوة والخوف من غلبة
الحق يأخذ شكل الاستهانة والتحدى " (٣) .

أما نوح عليه السلام فلا يخرج هذا التحدى السافر عن وقار النبي ولا يمنعه
عن بيان الحق لهم وتوجيههم الى الحقيقة التي جهلوا وهي انه ليس سوى رسول
وسمته البلاغ والانذار ، أما العذاب وانزاله فمن امر الله عز وجل وليس من شأنه
هو . . (قال إنما يأتيكم به الله إن شاء وما أنتم بمعجزين ، ولا ينفعكم نصحي إن
أردت أن انصح لكم إن كان الله يريد أن يغويكم هو ربكم واليه ترجعون)^(٤)
فأخبرهم عليه السلام بانه اذا كانت سنة الله تقتضى ان يهلكوا بغوايتهم فان
هذه السنة ستعضى فيهم مهما بذل لهم من نصح وارشاد ، بعد ان زان على
قلوبهم واستحوذ عليهم الشيطان ، ثم يكمل نوح عليه السلام امرهم الى الله عز وجل
خالقهم وهو اعلم بهم واليه مرجعهم .

(١) سيد قطب : في ظلال القرآن ج ١٢ ص ٦٠ .

(٢) سورة هود : (٣٢) .

(٣) المرجع السابق ج ١٢ ص ٦٠ .

(٤) سورة هود : (٣٣ ، ٣٤) .

ثم يمضى السياق فى قصة نوح يعرض مشهدا ثانيا ، مشهد نوح يتلقى الوحي من الله والامر بصناعة الفلك . .

قال تعالى : (واوحى الى نوح انه لن يؤمن من قومك الا من قد آمن فلا تبتئس بما كانوا يفعلون ، واصنع الفلك بأعيننا ووحينا ولا تخاطبني فى الذين ظلموا انهم مفروقون) (١)

وهكذا وضع الله حدا للحوار والجدل الدائر بين نوح وقومه المعاندين فأخبره تعالى ان القلوب المستعدة للايمان قد آمنت واطمأننت اما اولئك المعاندون المستكبرون فلم يعد يجديهم الحوار والجدل لان الكفر قد ملأ قلوبهم واستولى عليهم الشيطان فلا تعزن على صيرهم لانه لا خير فيهم ولا تحفل بما كان منهم من ايذاء وتكذيب فما هم بضاربك بشىء ، ودع أمرهم فقد انتهى (واصنع الفلك بأعيننا ووحينا ولا تخاطبني فى الذين ظلموا انهم مفروقون) . .

(١) سورة هود : (٣٦ ، ٣٧) قوله تعالى واصنع الفلك بأعيننا ووحينا قال ابن عباس رضى الله عنهما بحر استنا ، وقال الربيع بن انس : بحفظنا اياك حفظ من يراك .

وعبر عن الروئية بالاعين لان الروئية تكون بها ، ويكون جمع الاعين للعظمة لا للتكثير ، كما قال تعالى : فنعم القادرون ، فنعم الماهدون ، وانا لموسعون وقد يرجع معنى الاعين فى هذه الاية وفيها الى معنى عين كما قال تعالى (ولتصنع على عيني) وذلك كله عبارته عن الادراك والاحاطة وهو سبحانه منزه عن الحواس والتشبيه والتكليف (القرطبي ٩ / ٣٠) ومذهب السلف فى تفسير الصفات هو (اثبات ما اثبته الله لنفسه دون تأويل أو تعطيل أو تمثيل أو تشبيه) ، ووحينا : أى على ما اوحينا اليك من صنعنا ، المصدر السا

فقد حل فيهم القضاء العادل نتيجة كفرهم وصد هم عن سبيل الله وايدائهم

لِلرَّسُولِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ مَعَهُ ، وَبِذَلِكَ تَقَرَّرَ مَصِيرُهُمْ وَانْتَهَى أَمْرُهُمْ بِالْأَفْرَاقِ .

والشَّهيد الثالث من قصة نوح مع قومه هو اعتزاله جدالهم وبدءه بصنع

السفينة ، قال تعالى :

(وَيَصْنَعُ الْفُلَ وَكَلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأَ مِنْ قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ قَالَ إِنْ تَسْخَرُوا مِنَّا

فَأَنَا نَسْخَرُ مِنْكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ ، فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مِنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ

عَذَابٌ مُقِيمٌ) (١) .

وبصوِّر لنا القرآن الكريم رسول الله نوح عليه السلام وهو منهمك بصنع

السفينة وكيف ان الملاء من قومه يهرون عليه ويسخرون منه ، هذا بعد ان لبث

فيهم الف سنة الا خصمين عاما يدعوهم الى الله عز وجل ومع ذلك كانت معاملتهم

لنبي الله بهذا الشكل المؤلم والمحرزن ولكن نبي الله نوح كان واثق مما يفعل

ومطمئن لقضاء الله عز وجل : (قَالَ إِنْ تَسْخَرُوا مِنَّا فَمَا نَسْخَرُ مِنْكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ)

لانكم لا تدركون ماوراء صنع السفينة من تدبير الله عز وجل وما ينتظركم من

مصير مظلم : (فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مِنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُقِيمٌ) (٣)

ثم بصوِّر السياق القرآني مشهد التعبئه عندما حلت اللحظة المرتقبه :

يقول تعالى : (حَتَّى إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُورُ قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ

(١) سورة هود : (٣٨ ، ٣٩) .

(٢) سورة هود : (٣٨) .

(٣) سورة هود : (٣٩) .

اثنین واهلك الا من سبق عليه القول ومن آمن وما آمن معه الا قليل ، وقال

اركبوا فيها باسم الله مجراها ومرساها ان ربي لغفور رحيم (١)

وتختلف الاقوال حول كيفية فوران التنور (٢) والذي يهنا هو ان ذلك

كان علامة من الله عز وجل على بدء الفيضان ، لذلك أمر الله تعالى نوحا

عليه السلام بأن يحمل فيها من كل زوجين اثنین واهله الذين آمنوا معه وبقيّة

المؤمنين من قومه ، وان كانوا قلائل ، وما آمن معه الا قليل .

غير انهم استحقوا النجاة من الفرق واطعمنا من الفزع ونجوا من الموت

المحقق الذى حاق بالمكذبين فى ذلك الوقت بسبب عصيانهم ومحاربتهم

لِلرَسُولِ وَلِلرَّسَالَةِ :

(وقال اركبوا فيها بسم الله مجراها ومرساها ان ربي لغفور رحيم)

وهذا تعبير عن تسليمها لمشیئة الله عز وجل وتحت تصرفه فهى فى عناية

وحماه فى جريانها ورسوها .

(١) سورة هود : (٤٠ ، ٤١) .

(٢) قوله تعالى : وفار التنور : اختلف فى تفسير التنور على سبعة أقوال :

الأول : عن ابن عباس وعكرمة والزهرى وابن عيينه رضى الله عنهما انه

وجه الارض والعرب تسمى وجه الارض تنورا ، وذلك انه قيل له :

اذا رأيت الماء على وجه الارض فاركب انت ومن معك .

الثانى : قول الحسن : انه تنور الخبز الذى يخبز فيه .

الثالث : انه موضع اجتماع الماء فى السفينه ونقل ذلك عن الحسن ايضا .

الرابع : انه طلوع الفجر ونور الصبح . نقل ذلك عن على .

.....

=====

الخامس : انه مسجد الكوفه ، نقل ذلك من مجاهد ، وقال اتخذ

نوح السفينه فى جوف مسجد الكوفه .

السادس : انه اعلى الارض والمواقع المرتفعه منها ، نقل ذلك من

قتاده .

السابع : انه العين التى بالجزيره وتسمى (عين الورده) ، نقل

ذلك من مكرمه وقال مقاتل : كان ذلك تنور آدم وانما كان بالشام

فى موضع يقال له (عين وردة) .

وقال النحاسى : هذه الاقوال ليست بمتناقضه لان الله عز وجل

اخبرنا ان الماء جار من السماء والارض قال :

(ففتحنا ابواب السماء بما منهمر وفجرنا الارض ميونا) ، فهذه

الاقوال تجتمع من أن ذلك كان علامه .

والفوران : هو الخليان ،

والتنور : اسم اعجمى عربته العرب وهو على بناء فعل لان اصل بنائه

تنر ، وليس فى كلام العرب نون قبل را .

(القرطبي : ٣٤/٩) .

ثم يأتي مشهد الطوفان المخيف ، وامواجه الهائله التي تشبه الجبال في ضخامتها وارتفاعها ، قال تعالى واصفا هذا المشهد :

(وهي تجرى بهم في موج كالجبال ونادى نوح ابنه وكان في معزل يابى

اركب معنا ولا تكن مع الكافرين قال سآوى الى جبل يعصمى من الماء قال -

لا عاصم اليوم من امر الله الا من رحم وحال بينهما الموج فكان من المفروقين) (١)

وهنا يصور القرآن مشهد الامواج العاتية تصويرا رهيبا تفرق منه القلوب

وكأنك تراها وهي تموج متلاحقه متلاطمة كالجبال الشاهقة ، لا تأتي على شىء

الا واغرقته في هذا الجو المرعب ينادى نوح ابنه العاق الذي آثر الكفر على

الايمان يناديه برحمة الوالد وحنان العرى وشفقة المحب ، يابى اركب معنا

ولا تكن مع الكافرين ، يقولها وقلبه معلق بين الخوف والرجاء ، خشية

الا يستجيب ولده فلذة كبده ولكن الابن الذي آثر الكفر على الايمان رفض نداء

والده الاخير وقال :

سآوى الى جبل يعصمى من الماء ، وظن انه ينجو بذلك اذ لم يكن يخطر

في ذهنه ان الامواج ستغمر الجبال ومن عليها ، ولكن الاب الرسول كان

يعلم هذا علم اليقين فأجابه بقوله (لا عاصم اليوم من امر الله الا من رحم) .

(١) سورة هود : (٤٢ ، ٤٣) .

قوله تعالى : وكان في معزل : أى من دين ابيه ، وقيل من السفينة

(القرطبي ٣٨/٩) .

وتأتى موجه غامرة تحسم الموقف فى سرعة خاطفه ، وينتهى الحوار بين الأب
 العوء من والابن العاصى ، وحال بينهما الموج فكان من المفرقين .
 وتهدأ العواصف بعد ان قضى الله امره ، (وقيل يا ارض ابلعى ماءك
 وباسماء اقلعى ، وفضى الماء وقضى الامر واستوت على الجودى وقيل بعدا
 للقوم الظالمين) (١) .

ويأمر الله الارض بأن تبلع الماء ويأمر السماء بأن تقلع من انزال المطر
 وفضى الماء وقضى الامر ، وكان شيئا لم يكن ، ثم استوت السفينة على جبل
 الجودى بعد ان نجا الله من فيها من العوء منين وقيل بعدا للقوم الظالمين -
 بعدا لهم من الحياة فقد ذهبوا بشر دهاب وأوجعه ، وبعدا لهم فى الآخرة
 فقد حرموا من نعيم الله ورضوانه واستمقوا سخطه وفضبه بكفرهم وحصيانهم .
 وبعد ان نفذ قضاء الله وانتهى الطوفان وهدأت الزوابع والامطار وبلعت
 الارض الماء واستقرت السفينة ومن فيها على اليابسه . . . تستيقظ فى نفس
 نوح عليها لسلام لهفة الوالد المفجوع . .

(ونادى نوح ربه فقال رب ان ابنى من أهلى وان وعدك الحق وانست

احكم الحاكمين) (٢)

(١) سورة هود : (٤٤) .

الجودى : جبل بقرب الموصل ، وقيل ان الجودى اسم لكل جبل ، ومنه

قول زيد بن عمرو بن نفيل : سبحانه ثم سبحانا يعود له " وقبلنا سبح

الجودى والجمد . " (القرطبي ٤٢/٩) .

(٢) سورة هود : (٤٥) .

وينادى نوح ربه ملتصقا منه الرأفة والرحمة بفلذة كبدته ويقول له ان ابني
من اهلى وقد وعدتني بنجاة اهلى ووعدك الحق لا يتخلف، وجاءه الرد الربانى
بصراحة ووضوح فيما يشبه التقرع :

(قال يانوح انه ليس من اهلك انه عمل غير صالح فلا تسألنى ما ليس
لك به علم انى اهلك ان تكون من الجاهلين) (١)

انها الحقيقة الكبرى التى يغفل عنها كثير من الناس وهى ان وشائج
العقيدة هى التى تقاس فى ميزان الله لا وشائج القرابة والنسب وان اهل
الانبياء هم اتباعهم المؤمنين برسالتهم لا اولئك الذين كفروا وتربصوا بهم
الدوائر وان كانوا آباءهم وابناءهم واخوانهم او عشيرتهم او حتى نساءهم . .
قال تعالى (انه ليس من اهلك) فهو منبت منك وانت منبت منه بعد ان
قطعت رابطة الايمان بينكما .

ويخاف نوح عليه السلام من جواب الله على طلبه فى قوله تعالى :

(فلا تسألنى ما ليس لك به علم انى اهلك ان تكون من الجاهلين) يخشى ان

(١) سورة هود : (٤٦) قوله تعالى : انه ليس من اهلك ، قال بعض المفسرين

ان ابن نوح لم يكن ابنة حقيقة انما هو ابن زوجته ولد على فراشه وقد سئل
سعيد بن جبیر عن ذلك فسبح الله طويلا ثم قال لا اله الا الله يحدث
الله محمدا صلى الله عليه وسلم انه ابنة وتقول انه ليس ابنة نعم كان ابنة وكان
مخالفا له فى النية والعمل والدين ولهذا قال له تعالى : انه ليس من اهلك
ورد القرطبي قول من قال انه ابن فيره ولد على فراشه ولسر قوله تعالى :
فخانتاهما - يعنى امرأتى نوح ولوط - اى فى الدين لا فى الفراش .
(القرطبي ٩ / ٤٦) .

يكون قد اخطأ في حق الله تعالى فيستدرك ويلجأ اليه طالبا ففرانه ورحمته
وهذه هي صفات الدعاة العوامين :

(قال رب انى اهوذ بك ان أسألك ما ليس لى به علم وان لا تغفر لى وترحمنى

اكن من الخاسرين) (١)

وجأه الرد من احكم الحاكمين واعدل العادلين الذى يستجيب دعوة المضطر

اذا دعاه ويكشف السوء فطمئن قلبه وهدأ روعه (قيل يا نوح اهبط بسلام منا

وبركات عليك وعلى امم ممن معك واممم سنمتعهم ثم يمسهم منا عذاب الوم) (٢)

وكانت خاتمة الطاف النجاه والبشرى لنوح عليه السلام وللمؤمنين معه والوعيد

الشديد لمن يشذ عن الطريق الحق ويتبع شهوات نفسه ويتخذ الهة هواه فهذا

وامثاله سيكون مصيرهم العذاب الاليم فى الآخرة بما اقترفت ايديهم .

وفى ختام قصة نوح عليه السلام ، يمكن ان نلخص مراحل دعوته مع قومه بما يلى :

أولا : دعا قومه الى عبادة الله عز وجل وترك ما يعبدون من دونه .

قال تعالى : (لقد ارسلنا نوحا الى قومه فقال يا قوم اعبدوا الله مالكم

من اله غيره انى اخاف عليكم عذاب يوم عظيم) (٣) .

ثانيا : ثباته على الدعوة بالرغم من مقاومة قومه الشديدة وهنادهم له واعطائها

كل دقيقة من وقته طوال عمره المديد الذى بلغ الف سنة الا خمسين عاما

قال تعالى : (ولقد ارسلنا نوحا الى قومه فلبث فيهم الف سنة الا خمسين

عاما) (٤)

(٣) سورة الاحراف : (٧) .

(١) سورة هود : (٤٧) .

(٤) سورة العنكبوت : (١٤) .

(٢) سورة هود : (٤٨) .

ثالثا : استعمل عليه السلام جميع الوسائل والسبل الممكنة للتأثير في قومه
ولابلاغ دعوته ، وعلى الرغم من معارضة قومه العنيدة فإنه لم يمل أو يكل .
قال تعالى على لسان نوح عليه السلام :

(قال رب انى دعوت قومى ليلا ونهارا فلم يزد هم دعائى الا فرارا وانسى
كلما دعوتهم لتغفر لهم جعلوا اصابهم فى آذانهم واستغشوا ثيابهم
واصروا واستكبروا استكبارا ، ثم انى دعوتهم جهارا ، ثم انى اعلنت لهم
واسررت لهم اسرارا) (١)

رابعا : استعمل عليه السلام اسلوب الجدل والحوار مع قومه وبظهر ذلك فى
الآيات التى سبق ان ذكرناها ، وفى سورة الشعراء ايضا . .

قال تعالى : (كذبت قوم نوح المرسلين اذ قال لهم اخوهم نوح الاتقون
انى لكم رسول امين ، فاتقوا الله واطيعون ، وما اسئلكم عليه من اجران
اجرى الا على رب العالمين ، فاتقوا الله واطيعون ، قالوا انوهم لك
واتبعك الارذلون قال وما علمى بما كانوا يعملون ان حسابهم الا على
ربى لو تشعرون ، وما انا بطارد المؤمنين ، ان انا الا نذير مبين ، قالوا
لئن لم تنته يا نوح لتكونن من المرجومين قال رب ان قومى كذبون) (٢) .

وفى سورة هود يقول تعالى عن لسان قوم نوح : (يا نوح قد جادلتنا فاكثرت
جدالنا فاتنا بما تعدنا ان كنت من الصادقين) (٣) .

(١) سورة نوح : (٥٥ ، ٦ ، ٧ ، ٨ ، ٩) .

(٢) سورة الشعراء : (١٠٥ ، ١٠٦ ، ١٠٧ ، ١٠٨ ، ١٠٩ ، ١١٠ ، ١١١ ، ١١٢ ، ١١٣ ، ١١٤ ، ١١٥ ، ١١٦ ، ١١٧) .

(٣) سورة هود : (٣٢) .

خامسا : استعمل عليه السلام اسلوب ضرب الامثال الحسيه للاستدلال على قدرة الله عز وجل وعظمته ، ويسمى هذا الاسلوب اليوم فى العلم الحديث بـ " وسائل الايضاح " ..

قال تعالى مصورا موقف نوح عليه السلام فى مناظرة قومه : (فقلست استغفروا ربكم انه كان غفارا ، يرسل السماء عليكم مدرارا ، ويمددكم بأموال وبنين ويجعل لكم جنات ويجعل لكم انهارا ، ما لكم لا ترجون لله وقارا وقد خلقكم اطوارا ، الم تروا كيف خلق الله سبع سموات طباقا وجعل القمر فيهن نورا وجعل الشمس سراجا ، والله انبئكم من الارض نباتا ، ثم يعيدكم فيها ويخرجكم اخراجا ، والله جعل لكم الارض بساطا لتسلكوا منها سبلا فجاجا ، قال نوح رب انهم عصوني واتبعوا من لم يزده ماله ماله وولده الا خسارا) (١) .

سادسا : اعطى نوح عليه السلام درسا بليغا للدعاة فى الصبر والتحمل ادعاش فى قومه يدعوهم الى الله الف سنة الا خمسين عاما ، ويرشدهم الى الطريق المستقيم ، غير انهم تمردوا عليه وآذوه بالتكذيب تارة ، وبالاستهزاء تارة اخرى وكان عليه السلام صابرا محتسبا متأملا فى قومه من يستجيب الدعوة ، فان لم يكن الآباء فالابناء وان لم يكن الابناء فالاحفاد وهكذا سلك معهم عليه السلام بصبر المحتسب واناة الداعى وحلم النبى

(١) سورة نوح : (١٠ ، ١١ ، ١٢ ، ١٣ ، ١٤ ، ١٥ ، ١٦ ، ١٧ ،

وامل الرسول ، ، وكان كلما مضى جيل انتظر الجيل الذى يليه لعمى
تقبله للدعوة يكون افضل من سابقه ، ومضى الجيل تلو الجيل وهو ينتظر
الخير فيهم ، غير ان فآله هذا لم يتحقق ان كان الخلف يسرون على
خطئ السلف فى الكفر والعصيان ، وعندما لم يجد نوح عليه السلام جدوى
فى الانتظار على هؤلاء الكفار الضالين المضلين دعا ربه عز وجل قائلا :
(رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا انك ان تذرهم يضلوا عبادك
ولا يلدوا الا فاجرا كفارا) (١) .

سأبها : شهادة الله عز وجل لنوح عليه السلام وثناؤه عليه انه كان من
المحسنين ومن المؤمنين ..

قال تعالى : (ولقد ارسلنا نوحا فلنعم المجيبون ونجينااه واهله من
الكرب العظيم وجعلناه وذريته هم الباقين وتركنا عليه فى الآخريين سلام
على نوح فى العالمين انا كذلك نجزي المحسنين انه من عبادنا المؤمنين) (٢)
كما اثنى عليه عز وجل واكرمه بأن جعله من الشاكرين ..
قال تعالى : (.. ذرية من حملنا مع نوح انه كان عبدا شكورا) (٣) .

(١) سورة نوح : (٢٦ ، ٢٧) .

(٢) سورة الصافات : (٧٥ ، ٧٦ ، ٧٧ ، ٧٨ ، ٧٩ ، ٨٠ ، ٨١) .

(٣) سورة الاسراء : (٣) .

(الفصل الثاني)

هود عليه السلام

اذا اردنا ان نستعرض دعوة هود عليه السلام مع قومه فبامكاننا ان نلخصها

بما يلي : -

أولا : الدعوة الى توحيد الله عز وجل :

بدأ هود عليه السلام دعوته كما بدأها سلفه . نوح عليه السلام اذ امر

قومه بعبادة الله وحده لا شريك له وترك ما يعبدون من دونه :

قال تعالى : (والى عاد اخاهم هودا قال يا قوم اعبدوا الله مالكم

من اله غيره افلا تتقون) (١)

وقال تعالى (والى عاد اخاهم هودا قال يا قوم اعبدوا الله مالكم

من اله غيره ان انتم الا مفترون) (٢)

وقال تعالى : (واذكر اخا عاد اذا نذر قومه بالاحقاف وقد خلت النذر

من بين يديه ومن خلفه الا تعبدوا الا الله انى اخاف عليكم عذاب يوم

مظيم) (٣) .

ثانيا : صدود قومه عنه وتكذيبهم له :

قال تعالى واصفا حال قومه عقب سماعهم دعوته :

(١) سورة الاحراف : (٦٥) .

(٢) سورة هود : (٥٠) . مفترين : لانهم جعلوا مع الله آلهة اخرى

(٣) سورة الاحقاف : (٢١) .

(قال الملأ الذين كفروا من قومه انا لنراك فى سفاهة وانا لنظنك من الكاذبين) (١) .

فرد عليهم عليه السلام : (قال يا قوم ليس بى سفاهة ولكنى رسول من رب العالمين ابلغكم رسالات ربهى وانا لكم مناصح امين) (٢) .

وفى سورة الشعراء يقول تعالى : (كذبت عاد المرسلين اذ قال لهم اخوهم هود الا تتقون انى اكم رسول امين ، فاتقوا الله واطيعون وما اسألكم عليه من اجر ان اجرى الا على رب العالمين) (٣)

ثالثا : مناقشة قومه ومجادلتهم وتذكيرهم بعظمة الله وبنعمه عليهم :

لقد جادل هود عليه السلام قومه ليظهر لهم الحق ، فبعد ان كذبه الذين كفروا من قومه وقالوا انا لنراك فى سفاهة وانا لنظنك من الكاذبين رد عليهم عليه السلام دافعا تهمتهم الباطلة وفضدها .

(قال يا قوم ليس بى سفاهة ولكنى رسول من رب العالمين ابلغكم رسالات ربهى وانا لكم ناصح امين) وسألهم كما سأل نوح قومه قال : (اوعجبتم ان جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم لينذركم) (٤)

ثم يذكركم عليه السلام بنعم الله عليهم بقوله (واذكروا اذ جعلكم خلفاء

من بعد قوم نوح وزادكم فى الخلق بصطة فاذكروا آلاء الله لعلكم تفلحون) (٥)

(١) سورة الاعراف : (٦٦) .

(٢) سورة الاعراف : (٦٧ ، ٦٨) -

(٣) سورة الشعراء : (١٢٣ - ١٢٧) .

(٤ ، ٥) سورة الاعراف (٦٩) .

وفى سورة هود يقص علينا القرآن الكريم الحوار الذى دار بين هود وقومه قال (يا قوم لا اسئلكم عليه اجرا ان اجرى الا على الذى فطرني افلا تعقلون ويا قوم استغفروا ربكم ثم توبوا اليه يرسل السماء عليكم مدرارا ويزدكم قوة السى قوتكم ولا تتولوا مجرمين ، قالوا يا هود ما جئتنا ببينة وما نحن بتاركى آلهتنا من قولك وما نحن لك بمؤمنين ، ان نقول الا اعتراك بعض آلهتنا بسوء قال انى اشهد الله واشهدوا انى برى مما تشركون من دونه فكيدونى جميعا ثم لا تنظرون انى توكلت على الله ربي وربكم ما من دابة الا هو آخذ بناصيتها ان ربي على صراط مستقيم) (١) .

وهكذا نرى ان هودا عليه السلام قد تحدى قومه بعد ان جادلهم وابطل حججهم ، - وبعدهما اصروا على كفرهم اذ قالوا - وما نحن لك بمؤمنين ، ثم اتهموه اتهام العجزة من مجابهة الحق اذ قالوا : (ان نقول الا اعتراك بعض آلهتنا بسوء) ، وهنا يتبرأ هود عليه السلام من شرك قومه فيقول : (انى اشهد الله واشهدوا انى برى مما تشركون من دونه . . .) . ثم يتهداهم بأن يجمعوا كيدهم ولا ينظرون ، لانه على يقين من ان الله معه وسينصره على القوم الكافرين .

(١) سورة هود : (٥١ ، ٥٢ ، ٥٣ ، ٥٤ ، ٥٥ ، ٥٦) .

قوله تعالى : ان نقول الا اعتراك بعض آلهتنا بسوء : اى اصابك بعض اصنامنا اصنامنا بجنون لسبك اياها . وقوله تعالى : فكيدونى جميعا ثم لا تنظرون اعطوا انتم وأوثانكم مجتمعين فى عداوتى وضرى ولا تؤخرون ، وهذا القول مع كثرة الاعداء يدل على كمال الثقة بنصر الله تعالى وهو من اعلام النبوة ان يكون الرسول وحده ثم يقول لقومه فكيدونى جميعا . (القرطبي ٩ / ٥٢) .

ويقول : (فكيدونى جميعا ثم لا تنظرون انى توكلت على الله ربي وربكم

ما من دابة الا هو آخذ بناصيتها ان ربي على صراط مستقيم) .

وفى سورة الشعراء يصور لنا القرآن الكريم موقف قوم هود بعد أن دعاهم

عليه السلام الى توحيد الله واخبرهم بأنه رسول أمين يريد لهم كل خير وفلاح

فى الدنيا والاخرة دون اجر منهم بل اجره على الله ، قال تعالى : من لسان

هود عليه السلام (فاتقوا الله واطيعون وما اسألكم عليه من اجر ان اجرى الا

على رب العالمين ، اتبنون بكل ريع آية تعبثون وتتخذون مصانع لعلكم تخلدون

واذا بلشتم بلشتم جبارين فاتقوا الله واطيعون ، واتقوا الذى اهدكم

بما تعملون امدكم بانعام وبنين وجنات وهميون انى اعاف عليكم عذاب يوم هظيم) (١)

وهنا بدل ان تلين قلوب القوم وتخشع لعظمة الله وتعترف بفضله ونعمه

اذا بها تزداد رهونة وكفرا ، واشتهزا برسول الله وبتحذيره اياهم من عذاب

الله اذ (قالوا سوا علينا او عظمت ام لم تكن من الواعظين ان هذا الا خلق

الاولين وما نحن بمعذبين) (٢)

رابعا : انزال العذاب على الكافرين من قوم هود :

لقد تحقق قول الله تعالى لنوح عليه السلام عندما اخبره بهلاك قوم هود

بقوله (قيل يانوح اهبط بسلام منا وبركات عليك وعلى امم ممن وامم سمنتهم

ثم يصهم منا عذاب اليم) (٣)

(١) سورة الشعراء (١٢٦ ، ١٢٧ ، ١٢٨ ، ١٢٩ ، ١٣٠ ، ١٣١ ، ١٣٢ ، ١٣٣ ،

١٣٤ ، ١٣٥) .

(٢) سورة الشعراء (١٣٦ ، ١٣٧ ، ١٣٨) .

(٣) سورة هود : (٤٨) .

وخلف قوم نوح قوم هود فكفروا بالرسالة وكذبوا الرسول فحق عليهم قول
الله تعالى : (وامم ستمتعهم ثم بيمسهم من عذاب اليم) ، وبذلك استحقوا
عذاب الله عز وجل .

قال تعالى فى شأن قوم هود : (فكذبوه فاهلكناهم ان فى ذلك لآية
وما كان اكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم) (١)

وفى سورة الاحقاف يصف لنا القرآن الكريم صورة عذابهم المخيف ،
والطريقة التى اخذوا بها اذ جاءهم العذاب من حيث انتظروا الرحمة وهذا
من اشد انواع العذاب وابلغه وقعا فى النفس اذ جاءهم الاعصار والدمار من
حيث انتظروا الفيث والفرج . .

قال تعالى يصف الحال التى اخذوا بها : (فلما رأوه عارضا مستقبلا
أوديتهم قالوا هذا عارض ممطرنا ، بل هو ما استعجلتم به ريح فيها عذاب
اليم تدمر كل شىء بأمر ربها فأصبحوا لا يرى الا مساكنهم كذلك نجزي القوم
المجرمين) (٢) .

وما ربك بظلام للعبيد ولكنه الجزاء من جنس العمل فقد كفر قوم هود
وعتوا بكفرهم وتحذوا رسول ربهم واستمجلوا العذاب استخفافا واستهزاء

بنبيهم (قالوا اجئتنا لتأفكنا من آلهتنا فأتنا بما تعدنا ان كنت من الصادقين) (٣)

(١) سورة الشعراء : (١٣٩ ، ١٤٠) .

(٢) سورة الاحقاف : (٢٤ ، ٢٥) .

(٣) سورة الاحقاف : (٢٢) .

فكان جزاؤهم من جنس عملهم . . . ربح فيها عذاب اليم تدمر كل شئ^١
 بأمر ربها . . . وان النفس البشرية لترتعد وترتجف فرقا من هول هذا الوصف
 فكيف بالمشهد . . . تدمر كل شئ^٢ ، فلا تترك شجرا ولا حجرا ولا شيئا مما
 يستعمله الانسان او يحتوى به الا وتدمره تدميرا ، فاذا كانت هذا حال
 الاشياء فكيف بحال الانسان الضعيف امام هذه الاعصار العاتية ، انه موقف
 مربع مربعب ، ولكنه جزاء المجرمين الذين اتخذوا آيات الله ورسله هزوا فحق
 عليهم عذاب الله (فأصبحوا لا يرى الا مساكنهم كذلك نجزي القوم المجرمين) (١)

خاصا : الكفر بالله والجحود بآياته سبب من اسباب زوال النعمة :

قال تعالى : (وتلك عاد جحدوا بآيات ربهم وعضوا رسله واتبعوا امر
 جبل جبار عنيد واتبعوا في هذه الدنيا لعنة ويوم القيامة الا ان عادا كفروا ربهم
 الا بعدا لعاد قوم هود) (٢)

وقال تعالى : (ولقد مكناهم في الارض فيما ان مكناكم فيه وجعلنا لهم

سما وابصارا وافئدة فما اغنى عنهم سمعهم ولا ابصارهم ولا افئدتهم من شئ^٣

اذ كانوا يجحدون بآيات الله وحق بهم ماكانوا به يستهزئون) (٣)

وهكذا انتهت قصة قوم هود بعد ان كذبوا نبينهم وهدوا عن أمر ربهم فكانت

عاقبتهم وخيمه ، فما اغنى عنهم سمعهم ولا ابصارهم ولا افئدتهم من الله من شئ^٤

لانهم جحدوا آيات ربهم واستهزأوا بها واستكبروا على رسوله فكانت عاقبتهم من

نوع عملهم . . . وحق بهم ماكانوا به يستهزئون . . .

(١) سورة الاحقاف : (٢٥) .

(٢) سورة هود : (٦٠ ، ٥٩) .

(٣) سورة الاحقاف : (٢٦) .

(الفصل الثالث)

صالح عليه السلام

تمضى الاعوام وتذهب اجيال وتأتى اخرى ، والرسول تنزل تنزل لتبليغ
الناس وتوجيههم الى ما فيه الخير لهم فى الدنيا والاخرة . .
ويأتى قوم ثمود وتعود عجلة الشرك الى الازهان فيرسل الله تعالى
لهم نبيه صالح عليه السلام ليهديهم ويرشدهم الى الطريق المستقيم .
ولقد سلك عليه السلام مع قومه الطريق الاصل فى الدعوة الى الله عزوجل
اذا دعاهم أولا : الى عبادة الله وحده لا شريك له :
قال تعالى : (والى ثمود اخاهم صالحا قال يا قوم اعبدوا الله مالكم
من اله غيره) (١)

وهذه الركيزة الاولى فى دعوات الانبياء والمرسلين لان العقيدة وسلامتها
هى اساس كل الاعمال وعليها يبنى قبول العمل أو رده .
ثانيا : ذكرهم بأصل نشاطهم وتكوين اجسادهم لكي لا يستكبروا ويبطفوا :
قال تعالى عن لسان صالح يخاطب قومه بعد ان دعاهم الى عبادة الله
وحده : (هو انشأكم من الارض واستعمركم فيها) (٢) .
ثالثا : ذكرهم بنعم الله وفضله عليهم :

(١) سورة الأعراف : (٧٣) .

(٢) سورة هود : (٦١) استعمركم فيها : اى جعلكم عمارها وسكانها

(القرطبي ٥٦/٩) .

قال تعالى : (واذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد عاد وبواكم فى الارض
تتخذون من سهولها قصورا وتنحتون الجبال بيوتا فاذكروا آلاء الله ولا تعثوا
فى الارض مفسدين) (١) .

وقال تعالى فى سورة الشعراء من لسان صالح وهو يدعو قومه ويذكرهم
بآلاء الله عليهم بعد أن طمأنهم انه لا يسألهم اجرا على دعوته وهدايته لهم
بل اجره على الله تعالى :

(انى لكم رسول امين ، فاتقوا الله واطيعون ، وما اسئلكم عليه من اجر
ان اجرى الا على رب العالمين ، اتركون فى ماها هنا آمنين ، فى جنات
وصيون ، وزروع ونخل طلعها هضيم وتنحتون من الجبال بيوتا فارهين ، فاتقوا
الله واطيعون) (٢) .

رباعيا : دعا قومه للاستغفار والتوبة الى الله عز وجل ، واحبرهم بأن الله

قريب من الدامى مجيب للدعوة الصادقة ، قال :

(فاستغفروه ثم توبوا اليه ان ربي قريب مجيب) (٣)

خاصا : ثباته على الحق على الرغم من تكذيب قومه له :

(فقالوا ابشرا منا واحدا نتبعه انا اذا لفى ضلال وسعر ألقى عليه

(١) سورة الاعراف : (٧٤) وبواكم فى الارض ، انزلكم ، والمبوء المنزل من

الارض فاذكروا آلاء الله : ما آتاكم من النعم . (التفسير الكبير للفخر الرازى

• (١٦٤ / ١٤)

(٢) سورة الشعراء : (١٤٣ ، ١٤٤ ، ١٤٥ ، ١٤٦ ، ١٤٧ ، ١٤٨ ، ١٤٩ ، ١٥٠) .

(٣) سورة هود : (٦١) .

الذكر من بيننا بل هو كذاب أشر) (١)

وقالوا يا صالح قد كنت فينا مرجوا قبل هذا أتنهانا أن نعبد ما يعبد

آباؤنا واننا لفي شك مما تدعونا اليه مريب) (٢)

فهم قد اعترفوا من حيث لا يشعرون بمكانة صالح وبفضله وبرجحان عقله عليهم ، اذ قالوا يا صالح قد كنت فينا مرجوا قبل هذا . فكانوا اذا يعلقون عليه آمالا كبيرة لما يتصف به من نبل وكرم واخلاق حميده ، ولكنه اليوم بعد ان دعاهم الى توحيد الله وترك الشرك ومخالفة آباؤهم في الاعتقاد استعظموا الامر فتغيرت نظرتهم اليه .

سادسا : مناقشته لقومه وجدالهم له :

قال تعالى : (ولقد ارسلنا الى ثمود اخاهم صالحا ان اعبدوا الله

فاذا هم فريقا يختصمون ، قال يا قوم لم تستعجلون بالسيئة قبل الحسنة لولا تستغفرون الله لعلكم ترحمون ، قالوا اطيرنا بك وبين معك قال طائرکم عند الله بل انتم قوم تفتنون) (٣) .

(١) سورة القمر : (٢٤ ، ٢٥) .

سعر : خطأ وذهاب من الحق ، الاشر : الذي يجمع بين رذيلتين :

الكذب والتكبر . (محمد علي الصابوني : صفوة التفاسير ٢٧ / ٤٢) .

(٢) سورة هود : (٦٢)

قوله تعالى : قد كنت فينا مرجوا قبل هذا : اي كنا نرجو ان تكون فينا

سيدا قبل دعوتك النبوه . (القرطبي : ٥٩ / ٩) .

(٣) سورة النمل : (٤٥ ، ٤٦ ، ٤٧) .

وفى سورة هود قال عليه السلام لقومه بعد ان قالوا له - اتنهانا أن

نعبد ما يعبد آباؤنا واننا لفي شك مما تدعونا اليه مريب . . فأجابهم :

(قال يا قوم أرايتم ان كنت على بينة من ربي وآتاني منه رحمة فمن ينصرني

من الله ان عصيته فما تزيدونني غير تخسير ، ويا قوم هذه ناقة الله لكم آية

فذرورها تأكل في ارض الله ولا تصوها بسوء فيأخذكم عذاب قريب) (١)

سابعاً : (ارسل الله الناقة تصديقا لنبوته ولتكون آية وحجة على قومه) :

بعد ان جحد قوم صالح نبوته طلبوا منه آية مصداقا لدعوته :

قالوا (ما انت الا بشر مثلنا فأت بآية ان كنت من الصادقين) (٢)

فبعث الله لهم الناقة لتكون آية وحجة عليهم :

(قال هذه ناقة لها شرب ولكم شرب يوم معلوم ، ولا تصوها بسوء

فيأخذكم عذاب يوم عظيم) (٣)

وفى سورة القمر يقول تعالى : (انا مرسلوا الناقة فتنة لهم فارتقبهم

واصطبر ، ونبئهم ان الماء قسمة بينهم كل شرب محتضر) (٤)

ثامناً : تأمر قومه على قتله ولكن الله رد كيدهم الى نحورهم :

(١) سورة هود : (٦٣ ، ٦٤) .

(٢) سورة الشعراء : (١٥٤) .

(٣) سورة الشعراء : (١٥٥ ، ١٥٦) .

(٤) سورة القمر : (٢٧ ، ٢٨) :

كل شرب محتضر : اي كل نصيب وحصه من الماء يحضرها من كانت نوبته

فاذا كان يوم الناقة حضرت شربها واذا كان يومهم حضروا شربهم .

(صفوة التفاسير: ٢٧/٥٤)

قال تعالى : (وكان فى المدينة تسعة رهط يفسدون فى الارض ولا
 ولا يصلحون قالوا تقاسموا بالله لنبيتنه واهله ثم لنقولن لوليه ما شهدنا مهلك
 اهله وانا لصادقون ، ومكروا مكرا ومكرنا مكرا وهم لا يشعرون) (١) .

تاسعا : تمرد الكافرين من قوم صالح وجودهم بالآية اذ عقروا الناقصة
 وتحذوا صالحا بأن يأتيهم بالعذاب :

قال تعالى : (قال الملأ الذين استكبروا من قومه للذين استضعفوا
 لعن آمن منهم اتعلمون ان صالحا مرسل من ربه قالوا انا بما ارسل به مومنون
 قال الذين استكبروا انا بالذى آمنتم به كافرون ، فعقروا الناقصة وهتوا من امر
 ربهم وقالوا يا صالح اثنتا بما تعدنا ان كنت من المرسلين) (٢) .

عاشرا : وقوع العذاب على قوم صالح ونجاته مع المومنين :

قال تعالى : (ومكروا مكرا ومكرنا مكرا وهم لا يشعرون فانظر كيف كان
 عاقبة مكركم انا دمرناهم وقومهم اجمعين ، فتلك بيوتهم خاوية بما ظلموا ان
 فى ذلك لآية لقوم يعلمون ، وانجيننا الذين آمنوا وكانوا يتقون) (٣)

وفى سورة هود قال تعالى من قوم صالح (فعقروها فقال تمتعوا فى
 داركم ثلاثة أيام ذلك وعد غير مكذوب ، فلما جاء امرنا نجينا صالحا والذين

(١) سورة النحل : (٤٨ - ٥٠) :

(٢) سورة الاعراف : (٧٥ ، ٧٦ ، ٧٧) .

(٣) سورة النمل : (٥٠ ، ٥١ ، ٥٢ ، ٥٣) .

آمنوا معه برحمة منا ومن خزي يومئذ ان ربك هو القوى العزيز ، واخذ الذين ظلموا الصيحة فأصبحوا في ديارهم جاثمين ، كأن لم يخنوا فيها الا ان ثمودا كهروا ربهم ألا بعدا لثمود) (١)

وفى سورة الشعراء يقول تعالى : (فعقروها فأصبحوا نادمين فأخذهم العذاب ان فى ذلك لآية وما كان اكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم) (٢)
وفى سورة الاعراف يقول تعالى : (فعقروا الناقوتوتوا عن امر ربهم وقالوا يا صالح انتنا بما تعدنا ان كنت من المرسلين فاخذتهم الرجفة فأصبحوا فى ديارهم جاثمين فتولى عنهم وقال يا قوم لقد ابلغتكم رسالة ربى ونصحت لكم ولكن لا تحبون الناصحين) (٣) .

وهكذا ابرأ ذمته عليه السلام امام قومه بأنه ابلغهم الرسالة واداهم الامانة ونصح لهم ومع ذلك كله كانوا يصدون عنه صدودا وحا ولوا قتله كما قتلوا الناقاة التى ارسلها الله آية لهم ، وبذلك حق عليهم عذاب الله لانهم كانوا لا يحبون الناصحين .

(١) سورة هود : (٦٥ ، ٦٦ ، ٦٧) ، الصيحة : قيل انه صياح من السماء فيه

صوت كل صاعقه . (القرطبي : ٦١ / ٩) .

(٢) سورة الشعراء : (١٥٧ ، ١٥٨ ، ١٥٩) قوله تعالى : فأصبحوا فى

ديارهم جاثمين : اى ساقطين على وجوههم قد لصقوا بالتراب كالطير

اذا جثت . (القرطبي : ٦٢ / ٩) .

قال ابو عبيده : الجثوم للناس والطير بمنزلة البروك للابل فجثوم الطير ضمه وقومه لاطئا بالارض فى حال سكونه بالليل والمعنى انهم اصبحوا خامدين

لا يتحركون موتى . (الرازى : ١٤ / ١٦٦) .

(٣) سورة الاعراف : (٧٧ ، ٧٨ ، ٧٩) .

(الفصل الرابع)

ابراهيم عليه السلام

ان الذى يتتبع دعوة خليل الرحمن ابراهيم عليه السلام يجد نفسه امام سجل زاخر بالعبر والعظات ، وطريق طويل حافل بالصعاب والعقبات . ومع ذلك لم يثن هذا كله من عزم ابراهيم عليه السلام بل تابع طريقه بخطى ثابتة واعية مطمئنة الى عون الله ونصره وانه سيظهر دعوته ولو بعد حين . ولقد كان لابراهيم عليه السلام مكانة خاصة بين اقاربه من الانبياء اذ اكرمه الله عز وجل بأن اتخذه خليلا الى جانب اصطفائه نبيا ورسولا . .

قال تعالى : (واتخذ الله ابراهيم خليلا) (١)

كما اثنى عليه عز وجل بقوله : (ان ابراهيم كان امة قانتا لله حنيفا ولم

يكن من المشركين) (٢)

ومن بيان اهميته عليه السلام ذكره في القرآن الكريم فى احدى وعشرين

سورة (٣) ، مما يدل على عظيم قدره ، واثار دعوته على باقى من خلفه من انبياء

الله ورسله . .

بدأ دعوته عليه السلام يوم ان كان فتى يافعا ، اذ نظر الى هذا الكون

فعلم ان هناك خالقا وبارى* ومكونا لهذه الكائنات ، وان ما يفعله قومه من

(١) سورة النساء : (١٢٥) .

(٢) سورة النحل : (١٢٠) .

(٣) السور التى ذكر فيها عليه السلام هى : البقرة ، آل عمران ، النساء ، المائدة ،

الانعام ، التوبة ، هود ، ابراهيم ، الحجر ، النحل ، مريم ، الانبياء ، الحج ، الشعراء ، العنكبوت ، الصافات ، ص ، الزخرف ، الذاريات ، النجم ، الممتحنة .

عبادة الاصنام انما هو معالف للفظرة ومناقض للمنطق ، اذ كيف يمكن للصنم
الصنوع من الحجر أو الخشب أن ينفع صاحبه ويجلب له الخير مع انه هو الذى
صنعه بنفسه ثم يطلب منه العون والمدد ، انها لصغارة فى الفكر والضمير ،
وردة فى العقل والتفكير من هذا المبدأ انطلق عليه السلام بفكر بوسيلة ترشده
الى خالق هذا الكون ومبدعه ، واخذ يبحث ويتأمل فيما حوله ، وبعد ان
استيأس من وجوده فى الارض اتجه الى السماء ليجد ضالته ، فوقع حصره أول
ما وقع على الكوكب ، ورأى فيه صفات العلو والنور والاضاءة فظن انه هو الله
ولكن عندما افل علم ان صفة الافول تتنافى مع صفات الخالق الدائم . . فلما
رأى القمر بازفا ورأى فيه الصفاء والنقاء ظن انه هو الله ، ولكنه لما افل استدرك
وقال لئن لم يهدنى ربي لاكونن من القوم الضالين . . حتى اذا رأى الشمس
بتوهجها ونورها الساطع وكبر حجمها ظن انها هى المقصودة فبر انها لما
افلت تراجع ابراهيم عليه السلام وكانت الجولة الاخيره ف من النظر فى الكواكب
التي تأفل وتغيب ، وباقول الشمس افل الشك وحل محله اليقين من ان الله
مز وجل هو اكبر واعظم من هذا الذى رأى واطن برأته من الشرك ومما يعبد
قومه من المخلوقات وتوجه بكليته الى الله مز وجل خالق الخلق وبارئ الاكوان . .
ولقد صور لنا القرآن الكريم هذه المواقف والمراحل التي مر بها خليل
الرحمن اوضح تصوير ، قال تعالى :

(فلما جن عليه الليل رأى كوكبا قال هذا ربي ، فلما افل قال لا احب

الآفلين ، فلما رأى القمر بازفا قال هذا ربي فلما افل قال لئن لم يهدنى ربي

لاكونن من القوم الضالين ، فلما رأى الشمس بازفة قال هذا ربي هذا اكبر فلما

اقلت قال يا قوم انى برىء مما تشركون انى وجهت وجهى للذى فطر السموات
والارض حنيفا وما انا من المشركين (١)

وبغض النظر عن أقوال المفسرين المتشعبة فى هذه الحادثة وتأويلها
بتأويلات شتى وقولهم بأن ابراهيم عليه السلام انما قال قاذلك لاستدراج
قومه ، ومن باب العمل بقاعدة " ان المستدل على فساد قول يحكيه ثم يكرر
عليه بالابطال " وان ابراهيم عليه السلام اراد ان يبطل عبادة الكواكب ويظهر
زيها بهذه الطريقة التى اظهر فيها أولا انه موال لها ثم بين زيفها وتجرأ
منها بالادلة العقلية والمنطقية بغض النظر عن ذلك كله فاننا نستنتج من عمل
ابراهيم هذا ان للدعوة ان يسلك ما يراه من الطرق الملائمة والمشروعة فى سبيل
ابلاغ دعوته الى الناس وتحقيق صوابيتهم لله عز وجل وحده لا شريك له ونبذ
كل ما يعبد من دونه بعد اظهار بطلانه .

وبعد ان وصل ابراهيم عليه السلام الى هذه النتيجة من معرفة الله الحق
وانه مبدع السموات والارض وما فيهما ومن فيهما من مدرك ومحسوس اخذ يدهو
قومه الى عبادة الله وحده ، ولكن قومه لم يتركوه بل جاءوا ليجادلوه فيما اختلفوا
اليه من يقين وليرهبوه من آلهتهم التى تنكر لها وهم عليها عاكفون ، ولكنه
عليه السلام رد حجتهم بحجة دامغة اذ قال لهم اتناقشونى فى معرفة الله التى
هدانى اليها ربي الذى وسع كل شىء علما فلا تخفى عليه خافية وكيف تخوفونى
من اصنامكم الصماء ولا تخافون انتم من الله الذى اشركم معه ما لم ينزل به عليكم

(١) سورة الانعام : (٧٦ ، ٧٧ ، ٧٨ ، ٧٩) .

سلطانا ، فأينا احق بالامن واليقين بعد معرفة الله عز وجل نحن ام انتم ؟
 ولقد ذكر القرآن الكريم هذا الجدل بين ابراهيم وقومه قال تعالى :
 (وحاجه قومه قال اتحاجونى فى الله وقد هدى ان ولا اخاف ما تشركون
 به الا ان يشاء ربى وسع ربى كل شىء علما افلا تتذكرون ، وكيف اخاف ما اشركتم
 ولا تخافون انكم اشركتم بالله ما لم ينزل به عليكم سلطانا فأتى الفريقين احق
 بالامن ان كنتم تعلمون) (١) .

وهكذا جادل المشركون ابراهيم عليه السلام دفاما من معبوداتهم الباطلة
 ويوم ان ارشدهم الى معرفة الله الحق انكروا ذلك لان فطرتهم انحرفت وقضت
 حتى اصبح من العسير عليها ان تثوب الى رشدها بعد ان ران على قلبها
 بسبب عبادة الاصنام والكواكب .

وبعد ان ابطل عليه السلام عبادة الكواكب بالحجة والمنطق انتقل الى
 الذين يعبدون الاصنام واخذ يعمل على تركهم لها بشتى السبل .
 ولكن الصراع هذه المرة بأخذ شكلا اعظم حذو واكثر خطورة ، اذ ان والد
 ابراهيم عليه السلام كان على رأس اولئك الذين يعبدون الاصنام ويدافعون
 عنها ويخاصمون من اجلها .

خرج ابراهيم عليه السلام على قومه فى ناديبهم الذى وضوا فيه الاصنام
 حيث وجدهم منكبين عليها بطلبون منها العون والمدد . . فهاله ما رأى
 رؤسا منكسه واكف متضرره امام جلاميد من صخر صماء مسمرة : فجادلهم عليه السلام

ليبطل ما هم عليه من ضلاله ودار بينه وبينهم هذا الحوار الذى ذكره الله تعالى
فى كتابه . .

قال تعالى : (ولقد آتينا ابراهيم رشده من قبل وكنا به عالمين اذ قال
لابيه وقومه ما هذه التماثيل التى انتم لها عاكفون

قالوا : وجدنا ابائنا لها عابدين

قال : لقد كنتم ا نتم وآباؤكم فى ضلال مبين

قالوا : اجفتنا بالحق ام انت من اللاهين

قال : بل ربكم رب السموات والارض الذى فطرهن وانا على ذلكم من

الشاهدين (١)

وهنا يبدأ الصراع بين الحق والباطل ، الابن البار يدافع عن الحق ويدعو

قومه ووالده اليه والاب يقف مع الباطل ويدافع عنه .

ولكن ابراهيم عليه السلام كان حليما كما وصفه الله تعالى فى دعوته لابيه

ولقومه :

قال تعالى (واذكر فى الكتاب ابراهيم انه كان صديقا نبيا ، اذ قال لابيه

يا ابت لم تعبد مالا يسمع ولا يبصر ولا يفنى عنك شيئا ، يا ابت انى قد جاءنى من

العلم مالم ياتك ، فاتبعنى اهدك صراطا سويا ، يا ابت لا تعبد الشيطان ان

الشيطان كان للرحمن خصيا ، يا ابت انى اخاف ان يصك عذاب من الرحمن فتكون

للشيطان وليا (٢) .

(١) سورة الأنبياء : (٥٢ - ٥٦) .

(٢) سورة مريم : (٤٢ ، ٤٣ ، ٤٤ ، ٤٥) .

بهذا اللطف فى الخطاب يتوجه ابراهيم الى ابيه يحاول ان يهديه الى الخير الذى هداه الله اليه وطمه اياه وهو يتحجب اليه فيخطبه : (يا ايتى) ولكن هذه الدعوة اللطيفة الرقيقة لاتصل الى قلب الاب المشرك فاذا به يقابل ابنه الحريص على ايمانه بالاستنكار والتهديد والوهد :
 (قال اراغب انت من آلهتى يا ابراهيم ، لئن لم تنته لارجنك واهجرنى مليا) (١) .

بهذه القسوة قابل الاب دعوة ابنه للهدى ومع ذلك لم يغضب ابراهيم عليه السلام ولم يفقد بره ومطفه مع ابيه وهذا شأن المؤمن من اجل الله
 (قال : سلام عليك سأستغفر لك ربى انه كان بى حنيا ، واعتزلكم وما تدعون من دون الله وادعو ربى عسى ان لا اكون بدعاء ربى شقيا) (٢) .
 واعتزل عليه السلام قومه يفكر فى طريقة لانقاذهم مما هم فيه من الضلالة والعمى ، وسلك معهم طريق المحاجه والاقناع فير انهم لم يستجيبوا له بسبب تعلقهم الشديد بالاصنام ، ففكر فى تكسيرها لعل وجودها يكون هو العائق الاول لصددهم من سبيل الله وان تحطيمها قد يكون بابا للعودة الى الفطرة السليمة التى فطر الله الناس عليها ، وفعلا عقد العزم على تكسير الاصنام واقتنم فرصة ضباب القوم من آلتهم فقصدوا وبهده فأس لتحطيمها . .

(١) سورة مريم : (٤٦) .

(٢) سورة مريم : (٤٧ - ٤٨) .

قال تعالى : (فراغ الى آلهتهم فقال الا تأكلون مالكم لا تنطقون ،

فراغ عليهم ضربا باليمين) (١)

وكان عليه السلام قد اقسم ليكيدن الاصنام بعد ما وجد تشبث قومه بها

وعكوفهم عليها ، قال : (وتالله لا كيدن اصنامكم بعد ان تولوا مدبرين

فجعلهم جذاذ الا كبيرا لهم لعلهم اليه يرجعون) (٢)

فحطمهم وحولهم الى قطع صغيره من الحجارة والاشباب الا كبير الاصنام

فقد تركه ابراهيم عليه السلام (لعلهم اليه يرجعون) فيسألونه كيف وقعت

الواقعه وهو حاضر فلم يدفع من صفار الآلهه ، لعلهم حينئذ يرجعون الى

صوابهم ويدركون ما فى عبادة الاصنام من سخف وصفار .

ولما عاد القوم ورأوا ما حل بالهتهم المزموه جن جنونهم واخذ يسأل

بعضهم بعضا عن صاحب هذه الكارثه التى دمرت آلهتهم . .

(قالوا من فعل هذا بالهتنا انه لمن الظالمين ، قالوا سمعنا فتى

يذكرهم يقال له ابراهيم ، قالوا فأتوا به على امين الناس لعلهم يشهدون ،

قالوا أنت فعلت هذا بالهتنا يا ابراهيم ؟ قال : بل فعله كبيرهم هذا

فسألوهم ان كانوا ينطقون ؟ فرجعوا الى انفسهم فقالوا انكم انتم الظالمون

ثم نكسوا على رؤوسهم لقد علمت ما هو "لا" ينطقون ، قال : افتعبدون من دون

الله الا ينفعكم شيئا ولا يضركم اف لكم ولما تعبدون من دون الله افلا تعقلون) (٣)

(١) سورة الصافات : (٩١ ، ٩٢ ، ٩٣) .

(٢) سورة الانبياء : (٥٧ ، ٥٨) .

(٣) سورة الانبياء : (٥٩ ، ٦٠ ، ٦١ ، ٦٢ ، ٦٣ ، ٦٤ ، ٦٥ ، ٦٦ ، ٦٧) .

وهكذا الزمهم ابراهيم عليه السلام بالحجة واسكتهم بالبرهان وناقشهم بمنطق الفكر وكاد بعضهم يثوب الى رشده غير ان الشيطان لم يفسح لهم المجال بعد ان استولى عليهم اذ سرعان ما نكسوا على رؤسهم ورجعوا الى جاهليتهم وظلامهم بعد تلك الوضحة من النور التي جالت في خاطرهم .

وبدل ان يكافأ الداعي الى الله العطوف على قومه والشفق عليهم من عذاب الله الدال لهم على الصراط المستقيم حيث الفلاح والنجاة في الدنيا والآخرة ، بدل ان يكافئوه بكل غير على احسانه ، اذا بهم تأخذهم العزة بالاثم كما تأخذ الطغاة دائما حين يفقدون الحجة ويعوزهم الدليل فيلجأون الى القوة الفاشقة والعذاب الغليظ : (قالوا حرقوه وانصروا آلهتكم ان كنتم فاعلين) (١)

وهكذا شأن الجبابرة حينما تسقط حججهم ويتحطم كبرهاؤهم امام الحق قالوا . حرقوه ، لان بقاءه حيا سيدمر كل معتقداتهم الضاله وسيكون له النصر في النهاية عليهم لان حجته اقوى ودعوته اصلح ولا بقاء للفساد حينما يوجد الصالحون ، فكان لزاما عليهم اذا ما ارادوا للآلهة المزهومة البقاء والنمو ان يقتلوا ابراهيم عليه السلام ، وحكموا عليه بالاعدام حرقا بالنار ، وهذا اشد انواع النكال ، ولكن الله عز وجل ناصر رسله يرد كيدهم في نحوهم فبعد ان قالو حرقوه ، والقوه في النار المسعرة اذ بكلمة علويه من خالق الاكوان تبطل كل قول وتحبط كل كيد :

(قلنا يا نار كوني بردا وسلاما على ابراهيم) (٢)

(١) سورة الانبياء : (٦٨) .

(٢) سورة الانبياء : (٦٩) .

فتمطلت غاصية الاحراق فى النار وحل محلها البرد حتى ان بعض
المفسرين قالوا لو لم يقل تعالى وسلاما عقب كلمة بردا لهلك ابراهيم عليه
السلام من البرد . . انها كرامة اكرم الله بها ابراهيم عليه السلام .
(وارادوا به كيدا فجعلناهم الاخسرين) (١) فخسروا الدنيا والآخرة
وبعد ان اقام ابراهيم عليه السلام الحجة على عبدة الكواكب وعبدة الاصنام
وسفه اعمالهم وابطل معتقدهم اتجه الى اقامة الحجة على الملوك المتألهين
ومبادهم من البشر المغفلين ، ويذكر لنا القرآن الكريم وقائع الحوار الذى دار
بين ابراهيم عليه السلام من جهة وبين ملك يدمى الالوهية قيل ان اسمه "النمرود"
من جهة اخرى .

قال تعالى : (الم تر الى الذى حاج ابراهيم فى ربه أن آتاه الله
الملك اذ قال ابراهيم ربى الذى يحيى ويميت

قال انا احى واميت

قال ابراهيم فان الله يأتى بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب

فبهت الذى كفر والله لا يهدى القوم الظالمين) (٢)

كان ينبغى على هذا الذى حاج ابراهيم فى ربه منكرًا لوجوده طالبا من
ابراهيم عليه السلام الدليل عليه ، كان ينبغى عليه ان يكون شاكرًا لانعم الله
بعد ان آتاه الله الملك ، ولكن الملك يبطل من لا يتقرون نعمة الله ولا يدركون

(١) سورة الانبياء : (٧٠) .

(٢) سورة البقرة : (٢٥٨) .

صدرها فيضعون الكفر في موضع الشكر ويضلون من حيث كان ينبغي ان يكونوا مهتدين . .

كانت مبادرة ابراهيم عليه السلام بذكر المحيى والمميت دون ساير الاسماء والصفات لان الجاحد المنكر قد يسهل عليه ان ينكر العليم والعلم مثلا او السميع والبصير ولكنه اذا انكر المحيى والمميت فانه لا يستطيع ان ينكر الحياة والموت ، من هنا والله اعلم كان ذكر ابراهيم عليه السلام الاحياء والاماته في بداية حاجته للملك الجاحد ، كما ان الاحياء والاماته هما الظاهرتان المعروضتان لحس الانسان وبصره والمتكررتان دائما وهما في الوقت نفسه ابرز خصائص الالوهية القادرة على الابدان والافناء . .

ولكن الذى حاج ابراهيم في ربه فهم فهما سطحيا مغلوطا ، فهم ان قتل الحى اماته وان العفو عن المحكوم عليه بالاعدام احياء ، فقال (انا احى ، واميت) (١) ، عند ذاك لم يرد ابراهيم ان يسترسل في جدل حول معنى الاحياء والاماته مع رجل قصر النظر لا يعى تلك الحقيقة الهائلة ، حقيقة خلق الحياة وسلبها ، هذا السر الذى لم تدركه الانسانه الى يومنا هذا . وعندئذ عدل عليه السلام الى سنة كونية اخرى ظاهرة مرثية وسلك طريقه التحدى في طلب تفسير سنة الله في الكون اذ قال له :

" فان الله يأتى بالشمس من المشرق فأتى بها من المغرب " (٢)

(١) سورة البقرة : (٢٥٨) .

(٢) سورة البقرة : (٢٥٨) .

هذه سنة الله في أن جعل الشمس تشرق كل يوم من المشرق فان كنت تدعى
كما تقول وتزعم انك اله فخير هذه السنة وحول مطلع الشمس من مغربها ؟ ولكنه
سقط هنا بالطرية القاضي ولم يستطع ان يجيب : (فبهت الذي كفر والله
لا يهدي القوم الظالمين) (١)

وعلى الرغم مما بذل ابراهيم عليه السلام من جهود مضية لهداية قومه
وما تحمله من صعاب في سبيل ابلاغ دعوته سواء في محاجسته لعبدة الكواكب
او لعبدة الاصنام او للملك المتأله الجاحد واقامة الحجة على اولئك جميعا
على الرغم من ذلك كله فان دعوته لم تجد آذانا صاغية في قومه الا النزر اليسير
منهم ، فقرر عليه السلام الهجرة الى حيث امره الله لعله يجد ارضا اشد
خصوبة للدعوة من ارضه الاولى . .

قال تعالى : (فآمن له لوط وقال اني مهاجر الى ربي انه هو العزيز
الحكيم) (٢) .

وقبل ان يهاجر عليه السلام دعا والده للايمان مجددا غير ان والده
ابى واستكبر ، فتبين له انه عدو لله وانه مصر على عبادة الاصنام عندئذ تسبرأ
منه واعلن قطع كل علاقة معه ، وللمرة الثانية في قصص الأنبياء نصادف هذه
المفاجأة ، ففي قصة نوح عليه السلام كان الاب مؤمنا والابن كافرا وتعب الاب
في دعوة ابنه الى الايمان ولكنه ابى الا الكفر وفي قصة ابراهيم عليه السلام كان
الابن مؤمنا والاب كافرا وكان الابن يدعو ابيه الى الايمان ولكنه كان يصر على الكفر

(١) سورة البقرة : (٢٥٨) .

(٢) سورة العنكبوت : (٢٦) .

وفى الموقنين نرى المؤمن يستعملى بايمانه من كل الروابط والوشائج حتى لو كانت وشيجة الابوة او الهنوه ، ويعلمن ولأه لله لان رابطة الايمان هى اقوى الروابط التى تربط المؤمن بالمؤمن وتربط فيما بينهما وبين الله عز وجل لذلك تجرباً ابراهيم عليه السلام من ابيه مع انه هو الابن البار له والحريص على ايمانه ليكون صاحبه فى الجنة وكم استغفر له لعل الله يهديه ولكنه تبين انه عدو لله ، فعند ذلك تجرباً منه ابراهيم ، كما تجرباً نوح الاب الرووف من ابنه الكافر ، قال تعالى : (وما كان استغفار ابراهيم لابيه الا عن موعدة وعدها اياه فلما تبين له انه عدو لله تجرباً منه ان ابراهيم لاواه حلیم) (١)

وتأتى الحقه الثانيه من حياة ابراهيم عليه السلام الا وهى الهجرة الى

الله : (وقال انى ذاهب الى ربى سيهدين) (٢)

وذهب عليه السلام تاركاً وراءه بلده واهله وقومه وكل ما يشده الى الارض ، التى نشأ فيها والتى انحسم ما بينه وبين اهلها الذين القوه فى النار فاتجه عليه السلام الى ربه يسأله الذرية المؤمنه والخلف الصالح الذى يعبد الله

(١) سورة التوبة : (١١٤) ، وما كان استغفار ابراهيم لابيه الا عن موعدة

وعدها اياه : اى وعد ابراهيم اياه وهو قوله لاستغفرن لك فان قلت

كيف خفى على ابراهيم ان الاستغفار للكافرين فير جائز حتى وعده قلت :

يجوز ان يثان انه مادام يرجى منه الايمان جاز الاستغفار له على ان -

امتناع جواز الاستغفار للكافرين انما علم بالوحى الا ترى الى قوله عليه

السلام لعمه لاستغفرن لك ما لم انه ، فلما تبين له انه عدو لله تجرباً منه

=====

(٢) سورة الصافات : (١) .

بحق لعله يستعيبهم من اولئك المنكرين الجاحدين من قومه ، وكان عليه السلام لا عقب له مع انه اصبح كبير السن ، قال :

(رب هب لي من الصالحين) (١) ، فهو حريص على الذرية ، ولكنها

الذرية الصالحين ، لا الذرية الفاسده ، واستجاب الله دعاء عبده الصالح

الذى ترك وراءه كل شىء وجاءه ربه بقلب سليم ، قال تعالى :

(فبشرناه بغلام حليم) (٢) ، فوهب الله له اسماءيل ، ولنا ان نتصور

فرحة ابراهيم المهاجر الوحيد الذى خذله امله ، وكاد له قرابته ، واراد قومه

احراقه بالنار ، لنا ان نتصور فرحته بهذا الغلام بعد ان كاد يبأس من انجاب

الذرية لكبر سنه .

وهنا تأتى المحنة فى حياة ابراهيم ويبدأ الاختبار الشاق . .

قاله عز وجل يمتحن أوليائه المؤمنين ، قال تعالى : (احسب الناس

ان يتركوا ان يقولوا آمنا وهم لا يفتنون ، ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن

الله الذى صدقوا وليعلمن الكاذبين) (٣) .

ان ابراهيم لأواه حليم : فلما تبين له من جهة الوحي انه لن يؤمن وانه يموت كافرا ، ولما انقطع رجاءه منه قطع استغفاره .

أواه : كبير التأوه ، ومعناه : انه لفرط ترحمه ورقته وحلمه كان يتعطف ،

على ابيه الكافر ويستغفر له مع شكاسته له .

. (الكشاف : ٢ / ٢١٧) .

(١) سورة الصافات : (١٠٠) .

(٢) سورة الصافات : (١٠١) .

(٣) سورة العنكبوت : (٢ ، ٣) .

فابراهيم قد صبر على النار وصبر على كل الاذى الذى لاقاه فى سبيل
 دعوته ، فهل يصبر على اشد من ذلك ؟ على ذبح ابنه فلذة كبده ؟
 (فلما بلغ معه السعى قال يا بنى انى ارى فى المنام انى اذبحك فانظر
 ماذا ترى) (١)

يا لله يا لها من محنة ، ما اصعبها وما اشقها وما اسهل الاحراق ،
 والافراق بالنسبة لها . . شيخ كبير مقطوع من الامل والقراه فى أرض الغربية
 مهاجر من ارضه ووطنه يرزق فى شيخوخته بغلام طالما تطلع اليه ودما الله
 عز وجل ان يرزقه به ، فلما جاءه وما هو ذا ما يكاد يأنس به فى عزلة ويتفتح
 صباه كالزهرة فى أول ربيعها ، يضمه اليه تارة وتارة يرمقه من بعيد ، يرى فيه
 الامل وينسيه كلما نذر اليه الالم ، ويأمل ان يكون فى المستقبل هو خليفته فى
 الدعوة الى الله التى هى شغل ابراهيم الشاغل وكم دما الله عز وجل ان يهدى
 قومه على يد داع من اهله . . وما هو ذا اسماعيل لا يكاد يأنس به والده
 ويبلغ معه السعى فيرافقه فى بعض مجالات حياته ويتحمل عنه بعض الاعباء
 الحياتية حتى يرى فى المنام انه يذبحه . . .

انه موقف لا كالمواقف ومحنة لا كالمحن ، بل اجل واعظم . . لو كان
 لاحدنا طائر صغير ثم رباه حتى كبر ثم الجأته الضرورة الى ذبحه لسبب من
 الاسباب فانه يجد صعوبة والم يمزق نفسه ، كيف يذبح من كان بالاس بداهه
 ويأنس به ، وربما حزن الليالى والايام لفقدانه وهو طائر ، فكيف بابراهيم وقد
 امر بذبح ولده الوحيد الذى هو من لحمه ودمه ، والذى جاءه بعد طول انتظار
 فملاً جوانب البيت الحاوى بالفرح والسرور واضفى وجوده على الشيخ الفانى الغبطة
 والحبور ، فى هذا الوقت يأتى الامر الربانى لابراهيم بأن يذبح ابنه ، والامر
 شاق وتنفيذه اشق واشق ، لم يطلب اليه ان يكلف احدا بذبحه ، انما يطلب اليه

ان يتولى هو بيده ، يتولى ذبحه وهو مع هذا يتلقى الامر بايمان مصليق وتسليم خالص لله مز وجل . .

ويعرض على ابنه ما رأى ، فانظر ماذا ترى ؟ فماذا يكون من أمر الغلام

الذى يعرض عليه الذبح ، انه يرتقى الى الافق الذى ارتقى اليه والده :

(قال يا ايتها افعل ما تؤمر مستجدي ان شاء الله من الصابرين) (١)

انه يتلقى الامر لا فى طاعة واستسلام فحسب ولكن فى رضى وفى يقين

- يا ايتها افعل ما تؤمر - فى غاية المودة والادب والقربى والحب ، - يا ايتها

افعل ما تؤمر - انها صورة من اعلى صور الطاعة والتضحية والفداء والتسليم فى

عالم العقيدة فى تاريخ البشرية الطويل . .

- ستجدي ان شاء الله من الصابرين - بالروعة الايمان ، وبالنبل

الطاعة ، وبالعظمة التسليم .

ويخطو المشهد خطوة اخرى تنتهى المشاوره وتتم الموافقه بمنتهى —

التسليم والرضى ويبدأ التنفيذ :

(فلما اسلما وتلاه للجبين) (٢) ، وهرف الله من ابراهيم واسماعيل

صدقهما - وهو العالم بكل شىء - كان الابتلاء قد تم والامتحان قد وقع

وفايته قد تحققت ، وفى اللحظة التى كانا لسكين فيها يتهبأ لامضاء أمر الله

(١) سورة الصافات : (١٠٢) .

(٢) سورة الصافات : (١٠٣) .

نزل قول الحق تبارك وتعالى :

(وناديناه ان يا ابراهيم قد صدقت الرويا انا كذلك نجزي المحسنين
ان هذا لهو البلاء المبين وقديناه بذبح عظيم وتركنا عليه في الاخرين سلام
على ابراهيم كذلك نجزي المحسنين انه من عبادنا المؤمنين) (١)

وهكذا فاز خليل الرحمن بالاختبار كما فاز معه ابنه الحلیم اسماعيل ،
ان على الدعاة اليوم الذين ورثوا ملة ابراهيم عليه السلام ان يعرفوا
حقيقة الفداء وحقيقة الاستسلام لقدر الله ، في طاعة راضية ، واثقة طيبة
لا تسأل ربها لماذا ؟ ولا تتلجلج في تحقيق ارادته ، ثم ليعرف الدعاة
ان الله لا يريد ان يعذبهم بالبلاء ولا ان يؤذيهم بالبلاء ، انما يريد ان
ياتوه طائعين طيبين مستسلمين له ، لا يتألمون عليه ، فاذا عرف منهم
الصدق والاخلاص اغفاهم من كثير من التضحيات والآلام واحتسبها لهم وفاء
واداء .

وفي ختام قصة ابراهيم عليه السلام يمكن ان نلخص منهج دعوته بالمراحل

التالية :

- أولا : مرحلة البحث عن وجود الله الحق من خلال مخلوقاته .
- ثانيا : اثباته لوجود الله عز وجل عن طريق الاستدلال بالظواهر الكونية
بلمرقة واقعية حسية .
- ثالثا : دعوته الى توحيد الله عز وجل وعبادته من غير شريك ولا ند .

(١) سورة الصافات : (١٠٤ ، ١٠٥ ، ١٠٦ ، ١٠٧ ، ١٠٨ ، ١٠٩ ، ١١٠ ، ١١١) .

- رابعاً : مناقشته لعبدة الكواكب والنجوم وظهور حجته عليهم .
- خامساً : مناقشته لعبدة الاصنام بالحجة والمنطق وتسفيه اعمالهم وظهوره عليهم .
- سادساً : محاولته تغيير المنكر بالتي هي احسن في نهيه قومه عن عبادة الاصنام ولما لم يمثلوا واستمروا في ضلالهم ازال هذا المنكر بيده فحطم الاصنام .
- سابعاً : محاورته للطك الذي ادعى الالوهية ، والانتصار عليه بعد ان اسقط حججه الواهية والزعم الحجة بعد ان تحداه بتغيير احدى سنن الله الكونية ان كان صادقا بادعائه الالوهية ، فاسقط في يده وظهر كذبه وعجزه .
- ثامناً : هجرته من ارضه التي تنكر له قومه فيها الى ارض اكرت قبلا للدعوة تاركا وراءه الاهل والوطن في سبيل الله .
- تاسعاً : بذله كل غال ورخيص في سبيل الدعوة الى الله ونيل رضاه ولا ادل على ذلك من تقديمه ولده اسماعيل فداءً لامر الله عز وجل وتنفيذا لطامته .
- عاشراً : تكامل شخصيته الاسلامية ، اذ ادى الامانة التي ائتمنه الله عليها وبلغ الرسالة التي امره الله بها ، وكان عليه السلام ، قويا من حيث الحجة والمنطق واقامة الدليل الى جانب قوته الجسدية وقوته في الحق والتزامه بأمر الله عز وجل وللملب

رضاه ، لما استدهى ثناء الله عليه واكرامه له فى كثير من الامور نذكر

منها مايلى : -

١ - ان الله اتخذه خليلا ، قال تعالى : (واتخذ الله ابراهيم خليلا) (١)

٢ - انه كان امة ، قال تعالى : (ان ابراهيم كان امة قانتا لله حنيفا ولم

يك من المشركين) (٢)

٣ - ثناء الله عليه فى كثير من الآيات الكريمة ، قال تعالى : (ان ابراهيم

لحلیم أواه منيب) (٣)

(و ابراهيم الذى وفى) (٤) ، (سلام على ابراهيم) (٥) ،

(ان ابراهيم كان امة قانتا لله حنيفا ولم يك من المشركين شاكرا لانعمه

اجتباها وهداه الى صراط مستقيم وآتيناه فى الدنيا حسنة وانه فى الآخرة

لنم الصالحين) (٦) ، (قد كانت لكم اسوة حسنة فى ابراهيم

والذين معه) (٧) ، (انه من عبادنا المؤمنين) (٨)

(١) سورة النساء : (١٢٥) .

(٢) سورة النحل : (١٢٠) .

(٣) سورة هود : (٧٥) .

(٤) سورة النجم : (٣٧) .

(٥) سورة الصافات : (١٠٩) .

(٦) سورة النحل : (١٢٠ - ١٢٢) .

(٧) سورة العنكبوت : (٤) .

(٨) سورة الصافات : (١١١) .

(ان الله اصطفى آدم ونوحا وآل ابراهيم وآل عمران طيا لعالمين ذرية

بعضها من بعض والله سميع عليم) (١)

(وكذلك نرى ابراهيم ملكوت السموات والارض وليكون من المؤمنين) (٢)

(وتلك حجتنا آتيناها ابراهيم على قومه نرفع درجات من نشاء ان ربك

حكيم عليم) (٣)

(واذكر في الكتاب ابراهيم انه كان صديقا نبيا) (٤)

(واذ ابتلى ابراهيم ربه بكلمات فاتمهن قال انى جاعلك للناس اماما

قال ومن زريتى قال لا ينال عهدى الظالمين) (٥)

الى غير ذلك من الآيات المباركة التى لا يتسع المقام لذكرها كلها ، هذا

بجانب انه لقب بأبى الانبياء ، وانه هو سمانا المسلمين .

٤ - امتثاله لامر الله بذبح ولده وفداء الله له بذبح عظيم .

٥ - انجابه الولد وهو شيخ كبير ، كما ان زوجته كانت عجوزا عقيما .

٦ - اكرام الله له عندما امر النار ان تكون بردا وسلاما عليه .

٧ - استجابة الله لندائه بأن يجعل من بيت الله الحرام مهوى لافئدة

المسلمين فى كافة انحاء الارض وان يجعله آمنا ، كما استجاب له فى

(١) سورة آل عمران : (٣٣) .

(٢) سورة الانعام : (٧٥) .

(٣) سورة الانعام : (٨٣) .

(٤) سورة مريم : (٤١) .

(٥) سورة البقرة : (١٢٤) .

اغداق الرزق على أهل الحرم . . قال تعالى :

(واذا قال ابراهيم رب اجعل هذا البلد آمنا واجنبني وبني ان نعبد

الاصنام) (١)

(ربنا انى اسكنت من ذريتى بواد غير ذى زرع عند بيتك المحرم ربنا

ليقيموا الصلاة فاجعل افئدة من الناس تهوى اليهم وارزقهم من الثمرات

لعلهم يشكرون) (٢)

٨ - استجابة الله لطلبه فى بعض نبينا محمد صلى الله عليه وسلم :

(ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلوا عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب

والحكمة ويزكيهم انك انت العزيز الحكيم) (٣)

الى غير ذلك من العواقف والآيات التى اثبت بها الله عز وجل على سيدنا

ابراهيم عليه السلام واكرمه فى تحقيقها دليلا على مكانته وفضله بين اقاربه

من الانبياء الاخيار والرسل الكرام .

(١) سورة ابراهيم : (٣٥) .

(٢) سورة ابراهيم : (٣٧) .

(٣) سورة البقرة : (١٢٩) .

(الفصل الخامس)

لوط عليه السلام

بعد قصة ابراهيم عليه السلام الطويلة مع قومه ، وما رأينا فيها من مواقفه الرائعة في دفاعه عن دعوة الله وتحمله ما لا يحتمل من الايذاء والابتلاء فسي سبيل الله تعالى ، تطالعنا قصة لوط عليه السلام فتكشف لنا عن لون آخر من ألوان المجابهة مع الاقوام الضالة ، فبينما كانت مجابهة الانبياء السابقين مع اقوامهم سببها العقيدة والدعوة الى توحيد الله عز وجل وترك الشرك . نجد ان دعوة لوط عليه السلام قد انصبت أولاً على اصلاح فطرة قومه التي انحرفت ، وشذت بشكل لم يسبق له مثيل في تاريخ البشرية .

قال تعالى : (ولوطا ان قال لقومه أتأتون الفاحشة ما سبقكم بها من أحد من العالمين ، انكم لتأتون الرجال شهوة من دون النساء بل انتم قوم مسرفون) (١)

ان من سنة الله عز وجل في الخلق ان يكون هناك ذكر وانثى ، ولكي تعمّر الارض جعل الله تعالى التقاء الذكر بالانثى وسيلة لاستمرار النسل ، وبذلك يحفظ الجنس البشري من الانقراض ، والله عز وجل قد هباً فطرياً في كل من

(١) سورة الأعراف : (٨٠ ، ٨١) ، ما سبقكم بها احد من العالمين : اي لم يسبق من الناس من فعل فعل قوم لوط قبل ان يقتربوا هم هذا الائم قال عمر بن دينار ما نزا ذكر على ذكر حتى كان قوم لوط . . . وقال الوليد بن عبد الملك الخليفة الاموي باني جامع دمشق : لولا ان الله عز وجل قص علينا خبر قوم لوط ما ظننت ان ذكرا يعلو ذكرا .
(ابن كثير : ٣ / ٤٢١)

الذكر والانثى حب الميل الى الآخر ، كما هباً تعالى مكانا للحرث تجد فيه
الفطرة لذتها وراحتها عند القيام بواجبها على الوجه المشروع .

ولكن يوم ان تنتكس الفطره تتغير مفاهيمها وتنقلب مقوماتها تنفخس النفس
في حماة الفاحشة القدره التي بأبائها الحيوان اذ تترفع غريزته عن ان تضع
نسلها في غير الموضع الذي اعد له الله عز وجل .

ولكن قوم لوط انحرفوا بشكل خطير وشجع اذ فضلوا اتيان الذكور عن اتيان
الاناث ، وهذا الانحراف يودي الى هلاك الجنس البشرى في حال استمراره
لانه يريق الطاقة البشرية ويذهبها في غير موضعها حيث لا ثمر ولا تحقق
الفرض الربانى منها ، فوق انها شهوة شاذة تخالف فطرة الله التي فطر
الناس عليها ، ومن ثم تخالف ناموسه في خلقه ، فاذا وجدت لذه في نقيض
سنة الله فهى شذوذ وانحراف وفساد يجب ان تستأصل من جذورها .

والمعجب ان قوم لوط قد تماروا في هذا الضلال الذى زين لهم الشذوذ ،
وكرههم باتباع الفطرة السليمة ، ويظهر ذلك جلياً من عناد قوم لوط وتهديدهم
له بالاخراج ان لم ينته عن نصحه لهم ومخالفته لأعمالهم الشاذة .

قال تعالى : (وما كان جواب قومه الا أن قالوا أخرجوهم من قريبتكم انهم

أناس يتطهرون) (١)

أليس من العجب أن يتمادى الانحراف حتى يصل الى هذه الدرجة ان
قوم لوط لم يمد بامكانهم أن يسكنوا في قرية يوجد فيها من يتطهرون يريدون اخراج

كل ظاهر من قريتهم وطرده ، ليبقى فيها الطوثون الدنسون انه منطبق الانحراف
الذى يتفق مع انحرافهم الأول المعاكس للفطرة .

وفى الواقع ان الذى ارسل لوط من اجله ليس بعيدا عن قضية التوحيد
ان الاعتقاد فى الله الواحد هو اعتقاد فى سنه وفى نواميسه ، ومن يخالف
هذه السنن يخالف الاعتقاد بوحدانية الله تعالى فكانت رسالة لوط عليه السلام
هى اعادة قومه الذين انصرفوا عن سنن الله وفى عودتهم الى الفطرة .

عودة تلقائية الى الله عز وجل . . . ولكن قوم لوط تماروا فى انحرافهم
وشذوذهم بشكل مريع ، ولقد قص علينا القرآن بعضا من هذا الهياج الشاذ
المحموم اثر زيارة رسل الله للوط عليه السلام .

قال تعالى : (ولما جاءت رسلنا لوطا سىء بهم وضاق بهم ذرعا
قال هذا يوم عصب ، وجاءه قومه يهرعون اليه ومن قبل كانوا يحملون السيئات
قال يا قوم هوءلا بناتى هن اطهر لكم ، فاتقوا الله ولا تخزون فى ضيفى
اليس منكم رجل رشيد ، قالوا لقد علمت ما لنا فى بناتك من حق وانك تعلم
ما نريد ، قال لو ان لى بكم قوة أو آوى الى ركن شديد) (١) .

هكذا صنع قوم لوط مع اضياف نبيهم ، وكان عليه السلام فى موقف صعب
وحرج ان لم يكن له قوة لينع هوءلا المهوسين الذين اشتعلت فيهم حمسى
الشدوذ فسلبتهم كل لياقه وادب . . . فقال لو ان لى بكم قوه أو آوى الى ركن

(١) سورة هود : (٧٧ ، ٧٨ ، ٧٩ ، ٨٠) .

شديد ، فكان صعوبة الموقف انسته عليه السلام انه وان كان لا يملك القوة ان
ليس له قبيلة تدافع عنه لانه غريب بعيد عن أهله ، ولكنه كان بأوى الى ركن
شديد الا وهو الله عز وجل الذى لا يدع أولياءه فى حالة الشدة منفردين بل
يكون معهم ويمدهم بجنود من عنده .

وكم حاول عليه السلام ان يثنى قومه عن افعالهم ويردهم الى رشدهم
ولكنهم اهو الا الضلال . .

قال تعالى : (كذبت قوم لوط المرسلين ان قال لهم اخوهم لوط الا تتقون
انى لكم رسول امين فاتقوا الله واطيعون ، وما اسئلكم عليه من اجر ان اجسرى
الا على رب العالمين ، اتأتون الذكران من العالمين وتذرون ما خلق لكم ربكم
من ازواجكم بل انتم قوم عادون ، قالوا لئن لم تنته يا لوط لتكونن من المخرجين
قال انى لعنكم من القالين رب نجنى واهلى ما يعملون) (١) .

ولكن قومه لم تنفعهم النصيحة بل تحدوه بأن يأتيهم بعذاب الله :

قال تعالى : (ولوطا ان قال لقومه انكم لتأتون الفاحشة ما سبقكم بها من
احد من العالمين أئنكم لتأتون الرجال وتقطعون السبيل وتأتون فى نادىكم

المنكر فما كان جوابقومه الا ان قالوا اتتنا بعذاب الله ان كنت من الصادقين) (٢)

ولما يئس عليه السلام منهم بعد ما رأى من تماد بهم فى الافساد دعا الله عز وجل

بأن ينصره عليهم (قال رب انصرنى على القوم المفسدين) (٣) .

(١) سورة الشعراء : (١٦٠ ، ١٦١ ، ١٦٢ ، ١٦٣ ، ١٦٤ ، ١٦٥ ، ١٦٦)

• (١٦٧ ، ١٦٨ ، ١٦٩)

(٢) سورة العنكبوت : (٢٨ ، ٢٩)

(٣) سورة العنكبوت : (٣٠)

كما دعا ربه بأن ينجيه واهله ما يعملون قال :

(رب نجني واهلي ما يعملون) (١) ، فاستجاب له عز وجل فقال :

(فنجيناها واهله اجمعين الا عجوزا في الغابرين ثم دمرنا الآخرين ،

وامطرنا عليهم مطرا فساء مطر المنذرين ان في ذلك لاية وما كان اكثرهم

مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم) (٢)

وقال تعالى يصف طريقة اخذهم : (فأخذتهم الصيحة مشرقين فجعلنا

عاليها سافلها وامطرنا عليهم حجارة من سجيل ان في ذلك لآيات للمتوسمين) (٣)

وهكذا نزل العذاب المخيف المدمر على قوم لوط بعد ما عصوا رسول

ربهم ولم يمتثلوا امره بل طفوا واتوا من الافاعيل الشنيعة مالم يسبقهم اليه

احد من العالمين ، فكان جزاؤهم من جنس عطيهم فاهلكهم الله جميعا

كما اهلك معهم امرأتهم لوط التي كانت تشاركهم في ضلالهم وكفرهم وتساعدهم

على المنكر . . .

وجد يوهنا أن نقف قليلا هنا لنرى حكمة الله في الابتلاء فكما ابتلى الله

نوحا في ولده ، وابتلى ابراهيم في ابيه ، وابتلى لوطا في زوجته ، وهذِهِ

مشيئة الله ماضية في أوليائه لتكون عبرة للناس ليعلموا انه ليس بين الله وبين

احد نسبا ، وان النسب او القرابة مبهما كانت فانها لا تغني عن صاحبها شيئا

امام عدل الله وحكمه ، ولو انها تغني لافنت نوح في ابنه الذي هو من لحمه

(١) سورة الشعراء : (١٦٩) .

(٢) سورة الشعراء : (١٧٠ - ١٧٥) .

(٣) سورة الحجر : (٧٣ ، ٧٤ ، ٧٥) .

ودمه . . وانما الذى بين الله وعباده الاعمال الصالحة والمعقيدة الخالصة
ان يعبدوه لا يشركوا به شيئا وان يأتروا بما امر وينتهوا عما نهى عنه وزجر .
قال تعالى : (ضرب الله مثلا للذين كفروا امرأة نوح وامرأة لوط كانتا
تحت عبدين من عبادنا صالحين فخانتاهما فلم يغنيا عنهما من الله شيئا وقيل
ادخلا النار مع الداخلين) (١) .

وفى ختام قصة لوط عليه السلام نذكر ثناء الله عز وجل عليه لصبره على ما تحمله
وما عاناه من قومه المنحرفين عن سنة الله وفطرته التى فطرنا سرعيا . .
قال تعالى : (ولوطا آتينا حكما وعلما ونجيناها من القرية التى كانت تعمل
الخبائث انهم كانوا قوم سوء فاسقين وادخلناهم فى رحمتنا انه من الصالحين) (٢)
وقال تعالى : (كذبت قوم لوط بالنذر انا ارسلنا عليهم حاصبا الا آل لوط
نجيناهم بسحر نعمه من عندنا كذلك نجزي من شكر) (٣) .

فعلى الرغم من ان لوطا عليه السلام لم يقطف ثمار دعوته ان لم يستجب له
قومه ، فان الله عز وجل لم يبخسه حقه بل اثنى عليه واكرمه ومدحه بانه كان شاكرا
وعالما وحكيما وصالحا ، لانه ادى دعوة ربه على وجهها وبذل كل طاقته فى سبيلها
فلم يضيره بعد ذلك ان لم يؤمن الناس به او لم يقطف الثمرة بنفسه ، بل على
الداعية ان يستخلص من دعوة لوط ان عليه ان يعمل ويجد ولا يتربح النتائج لان
قلوب العباد بيد الله يقلبها كيف يشاء (انك لاتهدى من احببت ولكن الله يهدى
من يشاء) (٤)

-
- (١) سورة التحريم : (١٠) .
(٢) سورة الانبياء : (٧٤ ، ٧٥) .
(٣) سورة القمر : (٣٣ ، ٣٤ ، ٢٥) .
(٤) سورة القصص : (٥٦) .

(الفصل السادس)

اسماعيل عليه السلام

—

هو ابن ابراهيم الخليل عليهما السلام وهو جد العرب . .

لم يتوسع القرآن الكريم في ذكر دعوة اسماعيل وما واجهها من صعاب وما تحمله من أجلها ، والذي يظهر ان قصر المسافة بين رسالته ورسالة والده وما أن رسالته كانت امتدادا لرسالة والده . هذان الامران كانا السبب في عدم توسع القرآن في ذكر مراحل دعوته والله أعلم .

والذي ذكر في القرآن بشأن اسماعيل عليه السلام هو صفاته وبعضاً من اركان دعوته ، فذكر الله تعالى انه كان صادق الوعد وكان ربه مرضياً كما ذكر ان من اركان دعوته التي جاء بها الصلاة والزكاة . .

قال تعالى : (واذكر في الكتاب اسماعيل انه كان صادق الوعد وكان

رسولاً نبياً وكان يأمر أهله بالصلاة والزكاة وكان ربه مرضياً) (١)

اما عن اثر دعوته على قومه واتباعه، فيرجح الشهيد سيد قطب (٢) ان بقية الموحدين القلائل الذين كانوا قبل بعثة النبي محمد صلى الله عليه وسلم هم من اتباع اسماعيل عليه السلام . .

(١) سورة مريم : (٥٤ ، ٥٥) .

(٢) في ظلال القرآن : ج ١٦ / ص ٤٤ .

وفى الآية السابقة يذكر تعالى من صفات اسماعيل انه كان صادق الوعد
وصدق الوعد صفة كل نبي غير ان هذه الصفة كانت بارزة فى حياة اسماعيل
بدرجته تستدعى الاشارة اليها بشكل خاص . .

ومن مآثر اسماعيل التى ذكرها القرآن الكريم هى مشاركته لوالده فى
بناء الكعبة المشرفة . .

قال تعالى : (وان يرفع ابراهيم القواعد من البيت واسماعيل ربنا
تقبل منا انك انت السميع العليم) (١)

كما اثنى الله عز وجل عليه بأنه من الاخيار . .

قال تعالى : (وان ذكر اسماعيل واليسع وزا الكفل وكل من الاخيار) (٢)
واثنى عليه عز وجل بأنه من الذين فضلهم الله على العالمين . .

قال تعالى : (واسماعيل واليسع ويونس ولوطا وكلا فضلنا على العالمين) (٣)
هذا الى جانب وصفه بأنه حلیم . .

فى قوله تعالى (فبشرناه بخلام حلیم) (٤)

كما اثنى عليه تعالى بتلقى أمر الذبح بالقبول والرضى والتسليم . .

(١) سورة البقرة : (١٢٧) .

(٢) سورة ص : (٤٨) .

(٣) سورة الانعام : (٨٦) .

(٤) سورة الصافات : (١٠١) .

قال تعالى : (فلما بلغ معه السعى قال يا بني انى ارى فى المنام
انى اذبحك فانظر ماذا ترى قال يا ابت افعل ما تؤمر ستجدننى
ان شاء الله من الصابرين) (١)

وهكذا نجد ان الآيات التى ذكر بها اسم اعيل كانت كلها ثناؤه عليه ،
ووصفه بأفضل الاوصاف ما يدل على مقام هذا النبى الكريم الذى قضى حياته
فى طاعة الله وابتغاء مرضاته ، ولا غرو فهو عاش فى كنف النبوة ، وترهى فى
حجرها وشارك والده فى بناء الكعبة وفى الدعوة الى الله عز وجل وهو ما يزال
فتى يافعا .

(١) سورة الصافات : (١٠٢) .

(الفصل السابع)

يوسف عليه السلام

جده اسحاق ووالده يعقوب عليهما السلام ، لم نفرد لهما فضلا خاصا
 لأن القرآن لم يذكر الا ومضات سريعة عنهما . .
 فقد ذكر تعالى انه بشر بهما ابراهيم عليه السلام وزوجته ، وكان ميلا
 اسحاق معجزة ان حملت به امه بعد ان بلغت من الكبر عتيا ، كما ان ابيه
 كان شيخا كبيرا . .

قال تعالى : (ونبئهم عن ضيف ابراهيم ان دخلوا عليه فقالوا سلاما قال
 انا منكم وجلون قالوا لا توجل انا نبشرك بغلام عليم قال ابشرتموني على ان -
 مسنى الكبر فبم تبشرون قالوا بشرناك بالحق فلا تكن من القانطين قال ومن
 يقنط من رحمة ربه الا الضالون) (١)

وفى سورة اخرى قال تعالى : (وامراته قائمة فضحكت فبشرناها باسحاق
 ومن وراء اسحاق يعقوب قالت يا ولهتى أألد وانا عجوز وهذا بعلى شيخا ان
 هذا لشيء عجب قالوا اتعجبين من امر الله رحمة الله وبركاته عليكم اهل البيت
 انه حميد مجيد) (٢)

(١) سورة الحجر : (٥١ ، ٥٢ ، ٥٣ ، ٥٤ ، ٥٥ ، ٥٦) .
 (٢) سورة هود : (٧١ ، ٧٢ ، ٧٣) قوله تعالى : فضحكت : قال مجاهد
 وعكرمه حاضت وكانت آيسة تحقيقا للبشارة وانشد على ذلك اللخويون .
 وانى لآتى العرس عند طهورها ، واهجرها يوما اذا تك ضاحكا . والعرب
 تقول : ضحكت الارنب اذا حاضت . .
 =====

ولقد اثني عليها عز وجل بقوله : (ووهبنا له اسحاق ويعقوب نافلة وكلا
جعلنا صالحين) (١) .

وفى ذكره تعالى ليعقوب اثني على صبره الجميل وما تحمله من فراق وحزن
على يوسف حتى ابيضت عيناه من شدة البكاء .

قال تعالى : (وجاؤا^{هم} على قميصه^{هم} بدم كذب قال بل سولت لكم انفسكم امرا
فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون) (٢)

وقال تعالى : (وتولى عنهم وقال يا اسفى على يوسف وابيضت عيناه من
الحزن فهو كظيم) (٣)

ثم ذكر تعالى وصية يعقوب لاولاده عند وفاته ، حثهم فيها على دعوة التوحيد
والتمسك بالاسلام ، قال تعالى : (ووصى بها ابراهيم بنيه ويعقوب يا بني إن
الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن الا وانتم مسلمون ، ام كنتم شهداء ان حضر
يعقوب الموت ان قال لبيته ما تعبدون من بعدى قالوا نعبد إلهك واله آباءك
ابراهيم واسماعيل واسحاق الها واحدا ونحن له مسلمون) (٤)

=====
وقد انكر بعض اللغويين ان يكون فى كلام العرب نحت بمعنى حاض ، وقال
الجمهور هو الضحك المعروف ، وقال الغراء فيه تقديم وتأخير والمعنى فبشرناها
باسحاق فضحكت اى ضحكت سرورا بالولد وقد هزمت ، وقيل انها ضحكت ،
لقولهم لا تخف سرورا بالامن . والله أعلم .

(القرطبي : ٦٧/٩) .

-
- (١) سورة الأنبياء : (٧٢) .
 - (٢) سورة يوسف : (٦٢) .
 - (٣) سورة يوسف : (٨٤) .
 - (٤) سورة البقرة : (١٣٢ ، ١٣٣) .

ولنصل الى الصديق يوسف عليه السلام ، ان افردت له قصة كاملة ففى القرآن الكريم سجلت فيها حلقات ما عاناه هذا النبي الكريم من المحن والابتلاءات . فنحن نعومة اظفاره وهو لا يزال غلاما صغيرا تعرض لكيد الاخوة الذين تأسروا على القائه فى الجب بعدما وجدوا من حب والده له واثاره عليهم . ولقد صور القرآن الكريم ما دار بين الاخوة من حديث فى شأن يوسف ومصيره . .

قال تعالى : (لقد كان فى يوسف واخوته آيات للسائلين ان قالوا ليوسف واخوه احب الى ابينا منا ونحن عصبه ان ابانا لفى ضلال مبين ، اقتلوا يوسف او اطرحوه ارضا يخل لكم وجه ابكم وتكونوا من بعده قوما صالحين ، قال قائل منهم لا تقتلوه والقوه فى غيابة الجب يلتقطه بعض السيارة ان كنتم فاعلين) (١)

وكانوا قد راودوا اباهم على اخذ يوسف بدعوى اللعب معهم واظهروا ، لا بيهم حبه وحرصهم الشديد على المحافظة عليه ، (قالوا يا ابانا مالك لا تأمننا على يوسف وانا له لناصحون ارسله معنا غدا يرتع ويلعب وانا له لحافظون) (٢)

(١) سورة يوسف : (١٠٤، ٨، ٧) اقتلوا يوسف او اطرحوه ارضا : اى اقتلوه قتلا لا مطمع بعده ولا امل فى لقاءه ، وانهدوه كالشيء اللقا الذى لا قيمه له فى ارض مجهولة بعيدة عن مساكننا او عن العمران بحيث لا يهتدى للعودة الى ابيه سبيلا ان هو سلم من الهلاك . .

يخل لكم وجه ابكم : فيمكن كل توجهه اليكم وكل اقباله عليكم بخلو الديار من يشغله عنكم او يشارككم فى عطفه وحبه .

(محمد رشيد رضا : تفسير المنار ١٢ / ٢٦١)

يلتقطه بعض السيارة : جماعة المسافرين — (المنار : ١٢ / ٢٦٢) .

(٢) سورة يوسف : (١٢، ١١)

وكان يعقوب عليه السلام يخاف على يوسف بعد تلك الرؤيا التي رآها
يوسف وقصها عليه ، وحذره فيها من ان يقصها على اخوته خشية ان يـسـنـزـع
الشیطان بينه وبينهم فيكدوا له كيدا ،

قال تعالى : (ان قال يوسف لابيئه يا ابت انى رأيت احد عشر كوكبا
والشمس والقمر رأيتهم لى ساجدين ، قال يا بنى لا تقص رؤياك على اخوتك
فيكيدوا لك كيدا ان الشيطان للانسان عدو مبين) (١)

من هنا شعر يعقوب بالخوف على يوسف يوم ان طلبه اخوته بدعوى اللعب
معهم لانه كان يدرك بحسه وبصيرته ان وراء هذه الرؤيا شأنا عظيما ليوسف
لذلك اوجس من اخوته خيفة واراد ان يعتذر عن ارسال يوسف معهم
بقوله (انى ليحزننى ان تذهبوا به واخاف ان يأكله الذئب وانتم عنه فافلون) (٢)
ولكنهم كانوا قد اعدوا جوابا لمثل هذا السؤال : (قالوا لئن اكله
الذئب ونحن عصبة انا اذا لخاسرون) (٣)

وهنا وافق يعقوب على ارسال يوسف معهم بعدما اظهروا له الاخلاص
وحسن النية ، ولكنها فرصة قد لا تعوض مرة اخرى فاجمعوا على تنفيذ مؤامرتهم
بأخيهم ضاربين بالعهد الذى اعطوه لابيهم عرض الحائط . .

(فلما ذهبوا به واجمعوا ان يجعلوه فى غيابة الجب وأوحينا اليه لتنبئهم

بأمرهم هذا وهم لا يشعرون) (٤) .

• (١) سورة يوسف : (٥ ، ٤) .

• (٢) سورة يوسف : (١٣) .

• (٣) سورة يوسف : (١٤) .

• (٤) سورة يوسف : (١٥) .

• وتم لهم ما ارادوا اذ نفذوا غدوهم باخيهم والقوه فى ظلمات البئر ، ولكن

الله عز وجل قد اوحى اليه فى هذه اللحظة مطمئنا له وبشرا بالنجاة والخلص
وانه سيخبرهم بما فعلوا فى يوم ما، وهم لا يشعرون .

وفى المساء قفلوا عائدين وهم يتصنعون البكاء وبأيد يهيم قميص يوسف ملطخه
بالدم ليوجهوا والدهم ان يوسف قد اكله الذئب فعلا . .

قال تعالى : (وجاءوا اباهم عشاءً يبكون قالوا يا اباانا انا ذهبنا نستبق
وتركنا يوسف عند متاعنا فأكله الذئب وما انت بمؤمن لنا ولو كنا صادقين وجاءوا
على قميصه بدم كذب) (١)

ولكن يعقوب قد احس منهم المراوغه والكذب والنفاق فى ادعائهم :

(قال بل سولت لكم انفسكم امرا فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون) (٢)

وبعد القاء يوسف فى البئر يبدأ مسلسل المحن فى حياته . .

لم يتكلم القرآن الكريم عن حال يوسف فى الجب وعن الروح الذى لقيه من جراه

القاء فيه ، بل اخبرنا تعالى عما جرى له بعد ذلك . . ان قال : عز وجل :

(١) سورة يوسف : (١٦ ، ١٧ ، ١٨) ، وجاءوا على قميصه بدم كذب : الدم

فى هذه الجملة الفذة ببلاغتها انهم جاءوا بقميصه ملطخا ظاهره بدم غير

دم يوسف يدعون انه دمه ليشهد لهم بصدقهم فكان دليلا على كذبهم فنكر

الدم ووصفه باسم الكذب مبالغة فى ظهور كذبهم فى دعوى انه دمه حتى كأنه

هو الكذب بعينه . .

(المنار : ١٢ / ٢٦١)

(٢) سورة يوسف : جزء من الآية : ١٨

(وجاءت سيارة فأرسلوا واردهم فأدلى دلوه قال يا بشرى هذا غلام)

واسروه بضاعه والله عليم بما يحملون ، وشروه بثمان بخس دراهم معدوده وكانوا فيه من الزاهدين) (١) لقد أخذ عليه السلام واخفى على انه بضاعه وبيع ببيع السماح بثمان بخس كأنه عبد رقيق مع انه الحر بن الحر بن الحر بن الحر (يوسف بن يعقوب بن اسحاق بن ابراهيم) .
(وقال الذى اشتراه من مصر لامرأته اكرسى مشواه عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولدنا) (٢)

وهنا تبدأ الحلقة الثانية من حلقات القصة ، وقد وصل يوسف الى مصر وبيع الى عزيزها الذى توسم فيه الخير ، والخير يتوسم غالبا فى الوجوه الصباح .
لذلك أوصى به امرأته بقوله : (اكرسى مشواه عسى ان ينفعنا او نتخذه ولدنا) وهذه أول بشاره لتمكين يوسف فى الارض وهنا يبدأ أول خيط فى تحديق الرؤيا

(١) سورة يوسف : (١٩ - ٢٠) .

واسروه بضاعة : اخفوه من الناس لثلاث يدعيه احد من أهل ذلك المكان
لاجل ان يكون بضاعة لهم من جملة تجارتهم . .

(المنار : ١٢ / ٢٧٠)

وشروه بثمان بخس دراهم معدوده : شرى الشىء شربه باعه واشتراه ابتاعه ، اى باعوه بثمان قليل وكانوا فيه من الزاهدين ، اى وكان هوؤلاء الذين باعوه من الراغبين عنه الذين ييضمون الخلاص منه لثلاث يظهر من يطالهم به لانه حر . .

(المنار : ١٢ / ٢٧١)

(٢) سورة يوسف : (٢١) .

قال تعالى : (وكذلك مكنا ليوسف فى الارض ولنعلمه من تأويله)

الاحاديث والله غالب على امره ولكن اكثر الناس لا يعلمون (١)

لقد اراد اخوة يوسف لاختيهم سوء ، ولكن الله اراد امرا آخر و ارادة
الله هى الغالبة : (ولكن اكثر الناس لا يعلمون) ان سنة الله ماضية وان امره
هو الذى يكون ولن يغير قضا الله شىء ولو اجتمعت عليه الدنيا بأسرها . .
ونعود الى يوسف الذى اصبح فى قصر العزيز بعد ان نجا من كهـ
الاخوة وانقذ من ظلمات الجب . . ولكن جو القصر بما فيه من نعم ورفاهية
لم يكن مكانا آمنا يطمئن فيه يوسف ان كانت تنتظره فيه محنة اخرى اشد من محنة
الجب واصعب انها محنة الاغراء والشهوة الجامحة التى تمثلت فى امرأة العزيز
بشكل كاسح تجاوز الحياء الانثوى والكبرياء الذاتى ، ولكن الله نجاه بفضله وكرمه

(١) سورة يوسف : من الآية (٢١) . .

تابع ص ١٧٠

اكرمى مشواه : المشوى مصدر واسم مكان من شوى بالمكان يشوى شواه اى اقام

فتضمنت هذه الوصية اكرامه وحسن معاملته فى كل ما يختص باقامته بحيث

يكون كواحد منهم وعلل ذلك بما يدل على امله ورجائه فيه وهو قوله : (عسى

ان ينفعنا) بالقيام ببعض شئوننا الخاصة او شئون الدولة العامة لما يلوح

عليه من مخايل الذكاء والنباهة (او نتخذه ولدا) فيكون قررة عين لنا ووارثنا

لمجدنا ومالنا اذا تم رشده وصدق فراستى فى تجابته ، وفهم من هذا

الرجاء ان العزيز لم يكن له ولد ، وروى انه كان عقيما .

(المنار : ١٢ / ٢٧٢) .

قال تعالى : (وراودته التي هو في بيتها عن نفسه وفلقت الابواب
وقالت هيت لك قال معاذ الله انه ربي احسن شواى انه لا يفلح الظالمون
ولقد همت به وهم بها لولا ان رأى برهان ربه كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء
انه من عبادنا المخلصين ، واستبقا الباب وقدت قميصه من دبر والغيبا سيدها
لدى الباب قالت ما جزاء من اراد بأهلك سوء الا ان يسجن او عذاب اليم
قال هي راودتني عن نفسي وشهد شاهد من اهلها ان كان قميصه قد مس
قبل فصدقت وهو من الكاذبين وان كان قميصه قد من دبر فكذبت وهو من
الصادقين ، فلما رأى قميصه قد من دبر قال انه من كيدكن ان كيدكن عظيم ،
يوسف اعرض عن هذا واستغفرى لذنبك انك كنت من الخاطئين) (١) .

لم يذكر السياق القرآنى كم كانت سننها وكم كان سنه فيران الشهيد سيد
قطب (٢) يرجح ان سننها كانت حوالى الاربعين وسن يوسف كانت حوالى
الخامسة والعشرين . .

(وراودته التي هو في بيتها عن نفسه وفلقت الابواب وقالت هيت لك)
انها دعوة سافرة من امرأة اعماها صرع الشهوة عن كل شىء ، عن المركز والجاه
بل حتى عن الفضيحة المائليه ، وهذه الدعوة الغليظة وان كانت الاولى من نوعها
فى غلاظتها ولكنها لم تكن الاولى من حيث المراد به بل ان الجهر بهذا الفعل

(١) سورة يوسف : (٢٣ ، ٢٤ ، ٢٥ ، ٢٦ ، ٢٧ ، ٢٨ ، ٢٩)

وقالت هيت لك : اى هلم اقبل وادر ، وزيادة لك بيان للمخاطب كما
يقولون هلم لك وسقيا لك ، واقتصر على هذا فى التنزيل وهو منتهى النزاهه
فى التعبير ، والله اعلم بمازادته من الاغراء والتبهيج الذى تقتضيه الحال .

(تفسير المنار : ١٢ / ٢٧٦) .

(٢) فى ظلال القرآن : (١٢ / ٢٤٢) .

لا يكون الا بعد محاولات شتى غير صريحة واغراءات كثيرة بأث بالفشل وان الذى
الجأ المرأة الى هذا هو اضطرارها اليه بعدما وجدت التأسى والامتناع من يوسف
عليه السلام . . وآخر الدواء الكى .

فى هذا الجو المحموم الملىء بالفتنة والمشتعل بالشهوة من امرأة العزيز
تعرض الفتنة داخل غرف مغلقة الابواب على الصديق عليه السلام من امرأة مكتملة
النضوج يتمناها الكبير والصغير فى مصر متفننه فى عرض جسدها داعية يوسف
الى نفسها ، ولكن يوسف يقول : (معاذ الله انه ربي احسن مثواى انه لا يفلح
الظالمون) (١)

فياهى دعوتها ويصدها بعد ان يذكر نعمة الله عليه ويذكر حدوده وجزاءه من
يتجاوزون هذه الحدود ، ولكن امرأة العزيز لم ترعو لقوله بل وجدت انها
الفرصة الاخيره لها فلا بد من تنفيذ ما ربهها بأى ثمن مهما كان واستمرت فى
دعوتها بعدما سيطرت الفريضة الجسدية على العقل والتفكير وتاهت اغراءاتها
واجراءاتها حتى وصلت الى درجة التهالك . . وهنا يخبر تعالى عن ميل النفس
الطبيعى الى مثل هذا ، وهذه فطرة الله التى فطر بنى البشر عليها غير انه
عز وجل جعل لها ضوابط وشروطا فانا لم تراعى هذه الضوابط سقط الانسان فى
المعصية . . ولكن الله عز وجل قد عصم يوسف من هذه المحنة ونجاه من هذه
الفتنة الطاغية .

(١) يوسف من الآية : (٢٣) .

قال تعالى : (ولقد همت به وهم بها لولا ان رأى برهان ربه كذلك

لنصرف عنه سوء الفحشاء انه من عبادنا المخلصين) (١)

ولقد ذهب المفسرون مذاهب شتى فى تفسير الهم هذا ، وقد خاض بعضهم فى الاسرائيليات الباطلة التى لا اصل لها بل تناقض عصمة النبوة ، بل ان بعضها لا يلىق بأن يقال للرجل العادى فكيف برجل كيوسف عليه السلام (٢) . .

وذهب جمهور المفسرين على انها همت به هم الفعل وهم بها هم النفس ثم تداركه ربه وانقذه من الفتنة ، وانكر المرحوم الشيخ محمد رشيد رضا القلمونى على الجمهور هذا الرأى وقال : (انها انما همت بضريبه نتيجة ابائه واهانتها لها وهى السيدة الآمره ، وهم هو بوجوه الاعتداء ، ولكنه آثر الهرب فلحقت به وقد تقيمه من دهر) (٣) .

(١) سورة يوسف : (٢٤) .

(٢) راجع فى ذلك قصص الانبياء المسماة بـ عرائس المجالس لابن

اسحاق النيسابورى : ص ١٠٥ / ١٠٦ .

(٣) تفسير المنار : ج ١٢ / ص ٢٧٦ ، ويضيف صاحب المنار قوله : لقد همت المرأة بالبطش به لعصيانته امرها وهى فى نظرها سيدته وهو بعدها وقد اذلت نفسها له بدعوته الصريحه الى نفسها بعد الاحتياىل : عليه بمراودته عن نفسه ، ومن شأن المرأة ان تكون مطلوبة لا طالبه ومراودة عن نفسها لا مراوده حتى ان حماة الانوف من كهراء الرجال ليطئطئون الرووس لفقرات الحسان نهات الجمال ، ويبدلون لهن ما يعتزون به



من الجاه والمال بل ان الملوك ليهذلون انفسهم لملوكاتهم وازواجهم
ولا يأمون ان يسموا انفسهم عبدا لهن كما روى عن بعض ملوك الاندلس
قوله :

نحن قوم تذيينا الاعين النجل على اننا نذيب الحديد بسدا
فترانا لدى الكرهية اصرارا وفي السلم للملاح عبدا

ولكن يوسف عليه السلام قد عكس القضية وخرق نظام الطبيعة والعوائد
بين الجنسين فأخرج المرأة من طبع انوثتها في دلالتها وتمنعها وهبط
بالسيدة المالكه عن عزة سيادتها وسلطانها واذلها حتى انه لتراوده
عن نفسه في مخدع دارها فيصد عنها علوا ونفارا ثم تصارحه بالدعوه
الى نفسها فيزداد عتوا واستكبارا معتزا عليها بالديانه والامانه
والترفع عن الخيانه وحفظ شرف سيده .

(تفسير المنار : ٢٧٨/١٢) .

ويقول المرحوم سيد قطب في تفسير قوله تعالى : (ولقد همت به وهمم بها لولا ان رأى برهان ربه) * ان هذا هو نهاية موقف طويل من الاغراء بعدما ابى يوسف من اول الامر واستعصم ، وهو تصوير واقعي صادق لحالة النفس البشرية الصالحة في المقاومة والضعف ثم الاعتصام بالله في النهاية والنجاة ولكن السياق القرآني لم يفصل في تلك المشاعر البشرية المتداخلة المتعارضة لان النهج القرآني لا يريد ان يجعل من هذه اللحظة معرضاً يستغرق أكثر من مساحته المناسبة في محيط القصة ، وفي محيط الحياة البشرية المتكاملة كذلك فذكر طرفي الموقف بين الاعتصام في اوله والاعتصام في نهايته مع الالمام بلحظة الضعف بينهما ليكتمل الصدق والواقعية والجوانب النظيفة جميعاً * (١) .

وفي هذا الموضوع يقول الزمخشري : " فان قلت كيف جاز على نبي الله ان يكون منه هم بالمعصية وقصد اليها قلت : المراد ان نفسه مالت الى المخالطة ونازعت اليها عن شهوة الشباب ولو لم يكن ذلك الميل الشديد المسمى هما لما كان صاحبه مدوحاً عند الله بالامتناع لان استعظام الصبر على الابتلاء على حسب عظم الابتلاء وشدته ولو كان همه كرمها " لما مدحه الله بأنه من عباده المخلصين " (٢)

(١) في ظلال القرآن : ج ١٢ / ص ٢٢٧ - ٢٢٨ .

(٢) الكشاف : ج ٢ / ص ٣١١ .

وهذا كلام معقول لان يوسف عليه السلام بشر ويمتريه ما يعترى البشر من ميول ، غير ان اختياره واصطفاه جعل همه هذا لم يتجاوز الميل النفسى فى لحظة من اللحظات ، فلما ان رأى برهان ربه بعد لحظة الضعف الطارئة سارع الى الاعتصام بالله والتمسك بهداه . .

(كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء انه من عبادنا المخلصين) (١)

وهكذا صرف الله عز وجل السوء عن يوسف ونجاه من الفتنة ونجح فى الاختبار الصعب الذى لا ينجو منه الا الصفوة الذين يخافون ربهم فتغلب خشية فيهم مطالبهم الجسدية الملتهمه .

ولم يجد يوسف عليه السلام وسيلة لابعاد الفتنة عنه سوى الهروب من هذا الجو المحوم ولكن المرأة اسرعت لتمسك به حتى لا يهرب ثم افترض امرها ولله حكمة فى هذا الابتلاء ، وقد تحققت هذه الحكمة فى نجاح يوسف نفسى الاستملاء والتأبى عن اجابة دعوة فيها معصية لله عز وجل على الرغم من كل ما فيها من اغراءات ومرغبات ومشوقات . .

قال تعالى : (واستبقا الباب وقدت قميصه من دبر والفيما سيدها

لدى الباب قالت ما جزاء من اراد باهلك سوءا الا ان يسجن أو عذاب أليم) (٢)

وهنا جهر يوسف بالحق بيقه فى وجه الاتهام الباطل ، قال (هى راودتنى عن نفسى) ، ويذكر السياق القرآنى هنا ان احد اهلها حسم هذا النزاع بشهادت

(١) سورة يوسف : فى الآيه (٢٤) .

(٢) سورة يوسف : (٢٥) .

التي قال فيها تعالى :

(وشهد شاهد من أهلها ان كان قميصه قد من قبل فصدقت وهو من

الكاذبين ، وان كان قميصه قد من دبر فكذبت وهو من الصادقين) (١)

ولقد برأ الله يوسف ان وجدت قميصه ممزقه من الخلف دليلاً على انها هي

الجانبيه عند ذلك قال لها زوجها (انه من كيدكن ان كيدكن عظيم) (٢)

ثم وجه الخطاب ليوسف بقوله : (يوسف اعرض عن هذا) (٣) وعاد

وتوجه الى زوجته مرة اخرى وقال لها : (واستغفري لذنبك انك كنت من الخاطئين

ولكن هل انتهت الفتنة بهذه النتيجة على الرغم من فضيحة المرأة وادانتها

لا . . بل ان امرأة العزيز بعد ان انتشر خبرها في المدينة عن طريق النسوة

(وقال نسوة في المدينة امرأة العزيز تراود فتاها عن نفسه قد شغفها حباً

انا لنراها في ضلال مبين) (٥) . .

ارادات ان تنتقم لنفسها وتدافع عن فعلها فأقامت مأدبة ودعت فيها الطبقة

المترفة من النساء اللاتي تكلمن عن حبيها وشغفها بيوسف .

قال تعالى : (فلما سمعت بمكرهن ارسلت اليهن واعتدت لهن متكاً وآتت

كل واحدة منهن سكينة وقالت اخراج عليهن فلما رأينه أكبرنه وقطعن ايديهن وقتلن

(١) سورة يوسف : (٢٦ ، ٢٧) .

(٢) سورة يوسف من الآية : (٢٨) .

(٣) سورة يوسف : (٢٩) .

(٥) سورة يوسف : (٣٠) .

حاشا لله ما هذا بشران هذا الا ملك كريم (١)

(١) سورة يوسف : (٣١)

ولما سمعت بمكرهن ارسلت اليهن واعتدت لهن متكئا وآتت كل واحدة
منهن سكيناً : اى دعتهن الى الطعام فى دارها وهيات لهن
ما يتكنن عليه من الكراسى او الارائك وهو المعتاد فى دور الكبراء ،
واعطت كل واحدة منهن سكيناً ليقطعن به ما يأكلن من لحم او فاكهه
وامرت يوسف بالخروج عليهن (فلما رأينه اكبره) اى اعظمته ودهش
لذلك الحسن الرائع والجمال البارع وغبن عن شعورهن (وقطعن
ايديهن) بدلا من تقطيع ما يأكلن زهولا عما يعملن بأن استمرت
حركة السكاكين الاراديه بعد فقد الارادة على ما كانت عليه قبل فقدها
ولكنها وقعت على اكف شهائهن وقد سقط منها ما كان فيها من
استرخائها بذهول تلك الدهشه فقطعتها : اى جرحتها .

(تفسير المنار : ٢٩٣/١٢)

وقلن حاشا لله ما هذا بشرا : اى قلن هذا تعجبا وتزبيها لله تعالى
ان يكون خلق هذا الشخص العجيب فى جماله وعبته من نوع البشر وهو
ما لم يعهد له فى الناس مثل . .

(ان هذا الا ملك كريم) اى ما هذا الا ملك من الملائكة تمثل فى هذه

الصورة الهدية التى تدهش الابصار وتغلب الالباب .

(المنار : ٢٩٤/١٢)

=====

وهنا انطقها الله بالحقيقة : (قالت فذلكن الذى لمتننى فيه ولقد راودته عن نفسها^{لما ستم} ولئن لم يفعل ما أمره لیسجنن وليكونا من الصاغرين) (١)

فهى لازالت مصرة على الفساد وتتجح به بل وتهدد يوسف بأنه سوف يسجن ان لم ينفذ ما ربهها ، ويسمع الصديق هذا القول فى مجتمع النساء

القاتنات المفتونات فاذا به يناجى ربه : (قال رب السجن احب الى مما يدعونى اليه ولا تصرف عني كيدهن اصب اليهن واكن من الجاهلين) (٢)

وهذه دعوة المؤمن الواقعى الذى لا ينكر بشريته كما لا يفتر بعصاة ان كان معصوما بل يطلب من الله مزيدا من العناية به ومعاونته على ما يعترضه من كيد وفتنة واغراء . . وقد لهى عز وجل نداءه وهو الذى يجيب المضطر اذا دعاه ويكشف السوء : (فاستجاب له ربه فصرف عنه كيدهن انه هو السميع العليم) (٣) . .

وهكذا اجتاز عليه السلام محنته الثانية بلطف الله ورعايته وعنايته ، ثم تأتى الحلقة الثالثة والمحنة الاخيره من محن الشدة فى حياة يوسف ، والمحنة فى هذه الحلقة محنة السجن بعد ان ظهرت براءته ، وكان عزيز مصر نفذ رغبة زوجته فى سجن يوسف بعدما فشلت كل محاولاتها فى سهيل ابقائه . .

وكانت قد هدوت هى بسجنه ان لم يلجى رغبتهما عندما قالت : (ولئن لم يفعل ما أمره لیسجنن وليكونا من الصاغرين) ، ومع انه برى فقد ادخلوه السجن ظلما ، والسجن للبرى اقسى واشد عليه من ذاك الذى ارتكب ذنبا ، ولكنها

(١) سورة يوسف : (٣٢) . (٢) سورة يوسف : (٣٤) .

(٢) سورة يوسف : (٣٣) .

.....

=====

وقوله تعالى في الآية ٣٣ : (ولا تصرف عينا كيدهن اصب المهن)

لقد عرفنا على يوسف عليه السلام كيد بضع نسوة من ذوات الجمال

والمنصب لا يضاعه لهن الا ابضاعهن فدعا به ان يصرف عنه كيدهن

وهو ما ينصينه من شرك الكيد ويمدونه من شبك الصيد لم اسلم

من الصبوة المهن وهي الميل الى موافقتهم على اهوائهم : (واكن

من الجاهلين) : الذين تستخفهم اهواء النفس فيعملون السوء

بجهالة وهي ما يخالف مقتضى العلم والاناة ومقتضى العلم والحكمه

فان من يعمش بين امثال هؤلاء النهوة الماكرات المترفات لا يفر له

من الجهل الا بمصيرك وحفظك بما هو فوق الاسباب الممتاده .

(المنار : ١٢ / ٢٩٩) .

محنه جد يده يتعزى فيها بوعد الله للصائرين الى جانب طمأنينة القلبية
بأنه يرى ، لم يرتكب اثما ، (ثم هذا لهم من بعد ما رأوا الآيات ليسجننه
حتى حين) (١)

وفى السجن تتجلى نعمة الله على يوسف ان وهبه علما لدنيا فى تأويل

الرويا قال تعالى :

(ودخل معه السجن فتيان قال احدهما انى ارانى اعصر خمرا ، وقال
الآخر انى ارانى احمل فوق رأسى خبزا تأكل الطير منه نبئنا بتأويله انا نسراك
من المحسنين) (٢)

ويتهز عليه السلام هذه الفرصه لينشر عقيدته المومنه بالله الواحد الاحد

بين السجناء . ولم يمنعه السجن من الدعوة الى الله عز وجل . .

فيفسر رويهاهما بقوله :

(قال لا يأتكما طعام ترزقانه الا نبأتكما بتأويله قبل ان يأتكما ذلكما

ما علمنى ربي انى تركت ملة قوم لا يؤمنون بالله وهم بالآخرة هم كافرون

واتبعتم ملة آبائى ابراهيم واسحاق ويعقوب ماكان لنا ان نشرك بالله من شئ ،

ذلك من فضل الله علينا وعلى الناس ولكن اكثر الناس لا يشكرون) (٣)

لقد مهد عليه السلام تمهيدا لطيفا لدعوته ثم توغل فى قلبها اكثر واكثر

عندما افصح عنها وأوضح اسسها ليكشف عن فساد اعتقادها واعتقاد قومها

(١) سورة يوسف : (٣٥) .

(٢) سورة يوسف : (٢٦) .

(٣) سورة يوسف : (٣٧ ، ٣٨) .

قال : (يا صاحبي السجن أرباب متفرقون خير ام الله الواحد القهار
 ما تعبدون من دونه الا اسماء سميتوها انتم وآباؤكم ما انزل الله بها مسنن
 سلطان ان الحكم الا لله امر الا تعبدوا الا اياه ذلك الذين القيم ولكن اكثر
 الناس لا يعلمون) (١)

لقد رسم عليه السلام بهذه الكلمات الناصحة معالم الدين ومقومات العقيدة ،
 كما هز اركان الشرك والجاهلية هزا عنيفا .

ومكث عليه السلام في السجن بضع سنين لم ينسى خلالها مهمته في الحياة
 ودعوته التي ارسل من اجلها ..

وهو في السجن تعرض عليه روى ثلاثة فيأولها ، وكانت الثالثة رؤيا
 الملك (١) التي كانت سببا في اخراج يوسف من السجن وظهوره في مصر ..

(١) سورة يوسف : (٣٩ ، ٤٠) .

(٢) (وقال الملك انى ارى سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات

خضر واخر يابسات ، يا ايها الملائة افتوني في رؤياى ان كنتم للرؤيا

تعبرون) .. يوسف (٤٣)

وقال الذي نجا منهما وادكر بعد امة انا انبئكم بتأويله فارسلون يوسف

ايها الصديق افتنا في سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات

خضر واخر يابسات لعلنى ارجع الى الناس لعلهم يعلمون ، قال تزرعون

سبع سنين فأبأ فما حصدتم فذروه في سنبله الا قليلا مما تأكلون ثم يأتى بعد

ذلك سبع شداد يأكلن ما قدتم الا قليلا مما تحصدون ثم يأتى من بعد ذلك

عام فيه يفاك الناس وفيه يحصرون) .. يوسف : (٤٥ + ٤٦) .

وبعد ان بلغ الملك تأويل يوسف للروءياه قال اثتوني به ولكن يوسف عليه السلام ابى ان يخرج من سجنه حتى تحقق قضيته من جديد ويتبين الحق واضحا وتعلن برأئته على رؤوس الاشهاد (فلما جاءه الرسول قال ارجع الى ربك فاسأله ما بال النسوة اللاتي قطعن ايديهن ان ربي يكيدهن عليهن) (١) ويرجع الرسول الى الملك فيخبره بطلب يوسف ويحضر الملك النسوة لاستجوابهن :

(قال ما خطبكن ان راودتن يوسف عن نفسه قلن حاشا لله ما علمنا عليه من سوء) (٢) فاعترفن بطهارة يوسف وبرأئته ، وهذه حقيقة يصعب عليهن انكارها بعدما وجدن صفة الطهر والنقاء في يوسف وربما غيرن شهادتهن لو كان هناك ادنى مسك على الصديق ، ثم تتقدم امرأة العزيز والتي كانت اساس هذه المشكله لتقول كل شىء بصراحه : (قالت امرأة العزيز الان حصص الحق انا راودته عن نفسه وانه لمن الصادقين ، وذلك ليعلم انى لم اخنه بالغيب وان الله لا يهدى كيد الخائنين ، وما ابهرى نفسى ان النفس لامارة بالسوء الا ما رحم ربي ان ربي غفور رحيم) (٣)

انها شهادة كاملة بنظافة يوسف وصدقه ومعفته وطهره قالتها المرأة التي عاشت معه بعد طول سنين وعرفت فيه اخلاقه وشرفه رغم كل الذى حصل منها من

(١) سورة يوسف : (٥٠) .

(٢) سورة يوسف من الآية : (٥١) .

(٣) سورة يوسف (٥١ ، ٥٢ ، ٥٣) .

(قالت امرأة العزيز الان حصص الحق) : اى ظهر بعد خفائه :
(النار : ١٢ / ٣٢١)

.....

=====

(انا راودته عن نفسه) وهو لم يراودنى بل استعصم واعرض عني . .
(وانه لمن الصادقين) فيما اتهمني به من قبل وحمله اذ به الاعلى
ووفاءه الاسي لمن اكرم مثواه واحسن اليه على السكوت عنه الى الآن .
(ذلك ليعلم اني لم اخنه بالغيب) : اى ذلك الاقرار بالحق له
والشهادة بالصدق الذى علمته منه ليعلم الان اني لم اخنه بالغيب
عنه منذ سجن الى الآن بالنيل من امانته او الطعن فى شرفه وعتقه
بل صرحت للنسوة باننى راودته فاستعصم وهو شاهد وما انا اقرر
بهذا امام الطك وملائته وهو غائب .

(المنار : ١٢ / ٣٢٣) .

فتنسة واغراء ، حتى تأثرت به وبدو من قولها أنها آمنت بدعوته بدليل قولها
(ان الله لا يهدي كيد الخائنين) ثم قولها : (ان ربي غفور رحيم)

والى هنا تنتهى محنة السجن ومحنة الاتهام ويسدل الستار على ماضى
الآلام فى حياة الصديق وتبدأ مرحلة الرخاء والعز والتكفين ليكون الاختبار
الثانى من نوع آخر ، اختبار فى الرخاء لا فى الشدة . .

وبعد ما تبين للملك براءة يوسف وطهارته وسمع باذنيه شهادة النسوة
فيه وشهادة امرأته بالذات ، وتبين له علمه ومعرفته بتأويل الرؤيا وحكمتها
طلب التحقيق فى امر النسوة لتظهر براءته امام الملأ ثم ظهر له اباؤه وشرفه
عندما رفض الخروج من السجن قبل اعلان براءته من اى شائبه هذا الى جانب
انه لم يتهافت على لقاء الملك يوم ان ارسل فى طلبه ولكنه وقف وقفه الرجل
الكريم المتهم فى كرامته ، المسجون ظلما وقد انا يطلب رفع الاتهام عن سمعته
وشرفه قبل ان يطلب رفع السجن عن جسده ، ويطلب الكرامة لدعوته ولدينه
الذى يمثله قبل ان يطلب الحظوة عند الملك ، كل ذلك اوقع فى نفس الملك
احترام يوسف وحب له : (وقال الملك اثبتونى به استخلصه لنفسى فلما كلمه
قال انك اليوم لدينا مكين امين ، قال اجعلنى على خزائن الارض انى حفيظ
عليه ، وكذلك مكنا ليوسف فى الارض يتبوا منها حيث يشاء نصيب برحمتنا من
نشاء ولا نضيع اجر المحسنين ولا جر الآخرة خير للذين آمنوا وكانوا يتقون) (١)

وهكذا مكن الله تعالى ليوسف في الارض بعدما تجاوز اختبارات عبده
 ومحننا شديداً وفتنا مغريره ، ولكن دعوته كانت همه الاول وعقيدته هي المقدمه
 على كل ما عداها ففاز بطاعة الله كما فاز برضى الناس وطاعتهم ، فبالهيئت
 رجالا يبرغون كرامتهم اليوم على اقدام الحكام والسلاطين ويتهافتون على نظرة
 رضى وكلمة ثنا ، فبالت هو " لا يعودون الى قرآنهم ويقرأون قصة يوسف موسى
 وصيره ليعلموا ان الكرامه والاياه وهزة النفس والمواقف الكريمة في سبيل الله
 تدر من الريح المعنوى منه والمادى اضعاف ما يدره التمرغ والتزلف على
 الاعتلب وال : نحننا والخضوع للزهما . . ان المؤمن عزيز بربه كريم بدعوتيه
 ابي عن كل اذنايا التي تحط من قدره ، يعلم صدق رسوله محمد صلى الله
 عليه وسلم الذي اخبرنا بانه لن تموت نفس حتى تستوفى كامل رزقها واجلها ، ن
 فعلام الخوف اذن ، وهو على يقين كذلك من قول الرسول صلوات الله
 وسلامه عليه ان من طلب رضى الناس بمعصية الله سخط الله عليه واسخط
 عليه الناس وان من طلب رضى الله بسخط الناس رضى الله عنه وارضى عنه
 الناس . .

اننا بحاجة اليوم الى نظرة جديده تأمله في واقعنا الذي نعيشه ، اننا
 بحاجة للعودة الى الاصول والمنابع الاصيله التي نهل منها وسار على هداها
 انبياء الله ورسله والدعاة اليه من بعدهم ، فنسير على خطاهم راجين عفو الله
 وحده وتوفيقه وحده صادعين بالحق مهما كانت نتائجه دون أن تأخذنا
 في الله لومة لائم وعند ذلك نعيد للاسلام عزه وللدعوة مجدها وللدعاة مكانتهم

ونعود الى مشهد يوسف واخوته بعد ان كشف لهم عن نفسه لنرى مقدار

الحلم والرفق اللذين كان يتحل بهما عليه السلام ..

قال تعالى : (فلما دخلوا عليه قالوا يا ايها العزيز مسنا واهلنا الضر

وجئنا ببضاعة مزجاء فأوف لنا الكيل وتصدق علينا ان الله يجزي المتصدقين

قال هل علمتم ما فعلتم بيوسف واخيه ان انتم جاهلون) (١)

ورن في آذانهم صوت ما زالوا يذكرون نبراته وظهرت لهم ملامح وجهه

وضى " ليس بخريب عنهم ، والتمتع في نفوسهم خاطر بعيد يوم ان كادوا

ليوسف والقوه في فياهيب الجب ، انها حادشه لا يعرفها الا هم ويوسف

وهذه ملامحه توحى بانه هو :

(قالوا أأنك لانت يوسف ، قال انا يوسف وهذا اخى قد من الله علينا

انه من يتق ويصبر فان الله لا يضيع اجر المحسنين) (٢)

مفاجأة لم تكن بالحسبان فيها هو ذا اخوهم الذى ارادوا قتله والتخلص

منه يقفون اليوم امامه يطلبون منه العون والمساعدة وقد اصبح سيدا مطاعا

يمطى ويمنع ياله من موقف صعب ، عندما يقف الجناة امام ضحيتهم وقد

جاءوا يطلبون مساعدته ويستعطفونه في طلب عونه ، ولكن يوسف عليه السلام

لا يقف طويلا لمذكورهم بما فعلوا بل يلمح لهم بما فعلوا سرعاً ثم يركز على

تذكيرهم بمنة الله وفضله عليه وعلى اخيه معللاً هذه المنه بالتقوى والصبر وعدل

الله في الجزاء ، فما كان منهم الا ان اعترفوا بالخطيئة واقروا بالذنب ..

(١) سورة يوسف : (٨٨ ، ٨٩) .

(٢) سورة يوسف : (٩٠) .

(قالوا تالله لقد آثرك الله علينا وان كنا لخاطئين قال لا تشرب عليكم

اليوم يخفر الله لكم وهو ارحم الراحمين) (١)

فذكر الله دائما حتى به قلبه رطب به لسانه ، ثم يطمئن اخوته انه

لا تأنيب اليوم ولا مؤاخذة فقد انتهى الامر والله يتولاكم بالمغفرة وهو ارحم

الراحمين . .

وبعد ذلك يسأل عن والده المفجوع فهو في شوق الى تبشيره ولقائه بعدما

علم من حالة التعب التي وصل اليها فيقول لهم :

(اذهبوا بقميصي هذا فالقوه على وجه ابي يأت بصيرا واتوني بأهلكم

أجمعين) (٢)

ونختم بالمشهد الاخير مشهد يوسف يلتقي بوالديه واخوته ، مشهد تحقيق

الروءيا التي رآها وهو صبي صغير تتحقق اليوم بعد ان اصبح رجلا كبيرا

وبعد ان امضى عليها عشرات السنين ، ان اول قصة يوسف روءيا وختامها

تأويل لهذه الروءيا . .

قال تعالى : (فلما دخلوا على يوسف آوى اليه أبوه وقال ادخلوا مصر

ان شاء الله آمنين ورفع أبوه على العرش وخرروا له سجدا ، وقال يا ايت هذا

تأويل روءياي من قبل قد جعلها ربي حقا ، وقد احسن بي اذ اخرجني من

السجن وجاء بكم من الهدو . بعد ان نزع الشيطان بيني وبين اخوتي ان ربي

لطيف لما يشاء انه هو العليم الحكيم) (٣)

(١) سورة يوسف : (٩١ ، ٩٢) .

(٢) سورة يوسف : (٩٣) .

(٣) سورة يوسف : (٩٩ ، ١٠٠) .

بأله من مشهد حافل بالفرح والدموع ، فبعد الفراق الطويل وبعد الالم والضيق وبعد الامتحان والابتلاء ، وبعد الشوق المضى يلتئم الشمل وتجتمع الاسرة ويلتقى الاب الذى اضناه الفراق وذهب ببصره البكاء يلتقى بالابن الضائع وقد اصبح سيد مصر ، كما يلتقى الابن الذى لقي ما لقي من كيد وسجن واغراء ومراد ، ولم يزد ذلك الا طهرا وعافا يلتقى بأهله جميعا بعد ان نزع الشيطان بينه وبين اخوته قبل عشرات السنين ومع ذلك كله فان مهابة اللقاء وفرحة الانس والبهجة وغمرة الحنان التى عمت جو اللقاء لم تنسى يوسف من ان يتوجه الى ربه يسبحه ويشكره ويذكره داعيا اياه أن يتوفاه مسلما وان يلحقه بال صالحين .

قال (رب قد آتيتنى من الملك وعلمتنى من تأويل الاحاديث فاطر السموات

والارض انت ولى فى الدنيا والآخرة توفنى مسلما والحقنى بال صالحين) (١)

لقد ذكر نعم الله عليه وما من به عليه فى الدنيا ولكنه اليوم وهو فى أوج مجده من السلطان والتمكين يتوجه الى ربه بقلب خاشع خاضع داعيا اياه بأن يتوفاه مسلما وان يلحقه بال صالحين . .

انه الايمان فى أعلى ذروته واليقين بالله فى كامل صورته . .

وانا ما اردنا ان نوجز قصة يوسف عليه السلام لوجدنا ان فيها : اربع روئى مناميه مع تأويلها وغيابتان ، وثلاث مراديات ، وثلاثة اقصصه وشهادات وبراهات واعترافات فى حكاية امرأة العزيز (٢) .

(١) سورة يوسف : (١٠١) .

(٢) راجع محاضرة الشيخ محمد ابو طالب شاهين بعنوان : فى رحاب سورة

يوسف ، محاضرات الجامعة الاسلامية لعام ١٣٩٦/١٣٩٧ هـ ص ١٠٩

وما بعدها .

أما الروى العنانيه الاربع : أولاها روىها يوسف عليه السلام (ان قال يوسف لابي يا ابت انى رأيت احد عشر كوكبا والشمس والقمر رأيتهم لى ساجدين) (١)

والثانية والثالثه : لصاحبى السجن (ودخل معه السجن فتيان قال احد هما انى ارانى اعصر خمرا وقال الآخر انى ارانى احمل فوق رأسى خبزا تأكل الطير منه نبثنا بتأويله انا نراك من المحسنين) (٢)

والروى الرابعه لملك مصر : (وقال الملك انى ارى سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر وآخر يابسات ، يا أيها الملاء افتونى فى روىهاى ان كنتم للروىها تعبرون) (٣)

والغيباتان : أولاها غيابة الجب (قال قائل منهم لا تقتلوا يوسف وألقوه فى غيابة الجب يلتقطه بعض السيارة ان كنتم فاعلين) (٤)

والثانية : غيابة السجن (ثم بدا لهم من بعد ما رأوا الآيات ليسجننه حتى حين) (٥) .

ومن غيابة الجب اخرج يوسف ليباع بثمن بخس ، ومن غيابة السجن اخرج ليجمع على خزائن الارض لانه مكين أمين ، وحفيظ عليم ، والحمد لله الذى يصيب برحمته من يشاء ولا يضيع أجر المحسنين) .

أما المراديات الثلاث : فاثنتان منها ليعقوب واحداها ليوسف عليهما السلام ان راود ابنا يعقوب الاحد عشر ، راودوا اباهم أولا عن يوسف وثانيا عن أخيه الشقيق .

(٤) سورة يوسف : (١٠) .

(٥) سورة يوسف : (٣٥) .

(١) سورة يوسف : (٤) .

(٢) سورة يوسف : (٣٦) .

(٣) سورة يوسف : (٤٣) .

(قالوا يا ابانا مالك لا تأمنا على يوسف وانا له لناصحون ارسله معنا

فدا يرتع ويلعب وانا له لحافظون) (١)

وتردد يعقوب وتوجس خيفة وتوقع الشر غير انه سلم ابنه الاعز ليقضى

الله امرا كان مفعولا .

ثم راودوا اباهم عن شقيق يوسف (وجاءه اخوة يوسف فدخلوا عليه فعرفهم

وهم له منكرون ولما جهذهم بجهازهم قال اثتوني بأخ لكم من ابيكم الا تسرون

انى اوفى الكيل وانا خير المنزلين فان لم تأتونى به فلا كيل لكم عندى ولا تقرهون

قالوا سنراود عنه اباها وانا لفاعطون) (٢)

أما مرادة يوسف عليه السلام فقوله تعالى : (وراودته التى هو فى بيتها

عن نفسه وغلقت الابواب وقالت هيت لك قال معاذ الله انه ربي احسن شواى انه

لا يفلح الظالمون) (٣)

أما القمصان الثلاثة : فأولها القميص الذى سوده الحقد وصبغه الكيد

بدم كذب (وجاءه وا على قميصه بدم كذب قال بل سولت لكم انفسكم امرا فصبر

جميل والله المستعان على ما تصفون) (٤)

والقميص الثانى : هو قميص الهاب ، القميص الذى قدته الفتنة ومزقته

الشهوة وطهرته العفة وبراءته الشهادة (واستبقا الهاب وقدت قميصه من دهر

(١) سورة يوسف : (١١) .

(٢) سورة يوسف : (٥٨ ، ٥٩ ، ٦٠ ، ٦١) .

(٣) سورة يوسف : (٢٣) .

(٤) سورة يوسف : (١٨) .

والقبا سيدها لدى الباب (١) . . الآيات الى قوله تعالى :

(فلما رأى قميصه قد من دبر قال انه من كيدكن ان كيدكن عظيم) (٢)

والقميص الثالث : قميص البرء والعافية والبشرى وجمع الشمل :

(اذهبوا بقميصي هذا فألقوه على وجه أبي يأت بصيرا واتوني بأهلكم

أجمعين) (٣) ثم قال تعالى : (فلما ان جاء البشير القاه على وجهه

فارتد بصيرا قال الم اقل لكم انى اعلم من الله ما لا تعلمون) (٤)

ثلاثة اقصه ، قميص كذب عليه فصدق يعقوب ورأ الذنب وكذب

الكاذبين وقميص شهد واستشهد وحكم ، وقميص وجد يعقوب ريحه الطيبه

فارتد بصيرا بعدما ذهب بصره من كثرة الهكاه وشدة الحزن . .

فأما الآيات الهيئات التي نزلت في حكاية امرأة العزيز ، فهي شهادات

واعترافات وبراءات ، وهي في جملتها وتفصيلها حيثيات حكم يوكد بالحسب

والعدل براءة يوسف وطهره وفتنه وانه انتصر على الفتنة في ظرف عصب لا ينجو

منه الا من عصم الله ورحم .

(١) سورة يوسف : (٢٥) .

(٢) سورة يوسف : (٢٨) .

(٣) سورة يوسف : (٩٣) .

(٤) سورة يوسف : (٩٦) .

(الفصل الثامن)

شعيب عليه السلام

ارسل شعيب عليه السلام الى قومه (مدين) وبدأ دعوته فيهم فدعاهم
 اول ما دعاهم الى عبادة الله الواحد الاحد ، ونهذ الآلهة الأخرى التي تعبد
 من دونه . . قال تعالى : (والى مدين اخاهم شعيبا قال يا قوم اصعدوا
 الله مالكم من اله غيره) (١) .

ثم اخبرهم عليه السلام بأنه مرسل من ربه وأنه رسول أمين على دعوته
 وحرىض على نجاتهم من عذاب الله وفوزهم بمرضاته .

قال : (انى لكم رسول أمين) (٢) ، ثم دعاهم الى تقوى الله وطاعته حيث
 الفوز فى الدنيا والنجاة فى الآخرة : (فاتقوا الله واطيعون) (٣) ، واخبرهم
 عليه السلام بأنه لا يسألهم على دعوته لهم اجرا او مرضا من امراض الدنيا بل
 طمأنهم بأن اجره على الله وحده الذى اصطفاه من بين قومه وارسله اليهم
 مبشرا ونذيرا ، قال (وما اسئلكم عليه من اجران اجرى الا على رب العالمين) (٤)

ثم يبدأ عليه السلام بارشادهم فينهاهم من الغش فى المعاملات ويبدو
 ان اهل مدين كانوا اذا ما اشترؤا زادوا كيلهم واذا ما باعوا نقصوا كيل فيرهم

-
- (١) سورة هود : (٨٤) .
 - (٢) سورة الشعراء : (١٧٨) .
 - (٣) سورة الشعراء : (١٧٩) .
 - (٤) سورة الشعراء : (١٨٠) .

والمعاملات هي نموذج على للمعتقد فالذى يفش الناس وبأكل أموالهم بالحرام يشك في كمال إيمانه بل ان الهدى النبوى يصرح بأن من فش المؤمن فليس منهم ، ولما كان المجتمع الذى يريد الله عز وجل مجتمعا نظيفا من الفش طاهرا من الفساد فقد امر رسله الكرام بتعاليم من شأنها ان ترفع مستوى التعامل البشرى الى الكمال وتنقذه من حماة الانانية والجشع اللذين كانا يسودان المجتمعات الجاهلية .

وقوم شعيب خير نموذج على اولئك الذين يقومون مصالحهم الخاصة على مصالح المجتمع وهمهم الاول جمع المال وملء جيوبهم دون النظر امن حلال كان هو ام من حرام ، المهم عندهم تلبية رغبة نفوسهم الجشعة ولو ادى ذلك الى تدمير مصالح الناس وزمعة اقتصاد المجتمع .

من هنا كان اهتمام شعيب عليه السلام بارساء دعائم الصدق فى المعاملات والاخلاص فى العمل فنهاهم عليه السلام عن نقصان الكيل والوزن قال : (ولا تنقصوا المكيال والميزان) (١) ، ثم أمرهم بإيفاء الكيل والوزن بالقسط . . قال :

(وبيا قوم اوفوا المكيال والميزان بالقسط) (٢)

كما نهاهم من ان يبغسوا الناس اشياء هم واعتبر ذلك نشرا للفساد

فى الأرض :

(١) سورة هود من الآية : (٨٤) .

(٢) سورة هود من الآية : (٨٥) .

(ولا تبخسوا الناس اشياءهم ولا تعثوا فى الارض مفسدين) (١)

ثم يخبرهم عليه السلام ان ما عند الله ابقى وافضل ان هم آمنوا واتبعوا

نصيحته فى المعاملات وانتهوا عن الغش والخداع ، قال :

(بقية الله خير لكم ان كنتم مؤمنين) (٢) ،

وبعد أن أوضح لهم الطريق المستقيم على بينهم وبين ربهم السدى

دعاهم اليه وبين لهم انه لا يملك لهم شيئا ان هم عصوا امر الله ، كما انه

ليس موكلا بحفظهم من الشر ومن العذاب :

(وما انا عليكم بحفيظ) (٣)

واراد بذلك عليه السلام ان يحفظهم سوء ولذمتهم وان يتركهم وجها لوجه

امام العاقبة بلا وسيط ولا حفيظ ليشعروا بثقل التبعة وخطورة الامر ، ولكن

القوم كانوا قد عتوا من امر ربهم ومردوا على الانحراف والفساد :

(١) سورة هود من الآية : (٨٥) ، قوله تعالى : ولا تبخسوا الناس

اشياءهم : اى تنقصوهم مما استحقوه شيئا .

ولا تعثوا فى الارض مفسدين : بين الخيانة فى المكال والميزان مبالغة

فى الفساد فى الأرض . (القرطبي : ٨٦/٩)

(٢) سورة هود : (٨٦) ، قوله تعالى : بقية الله خير لكم : اى ما يبقيه

الله لكم بعد ايفاء الحقوق بالقسط اكر بركة واحمد عاقبه مما تبغونه انتم .

لانفسكم من فضل التطفيف بالتجبر والظلم .

وقال مجاهد : بقية الله خير لكم : يريد طاعته .

(القرطبي : ٨٦/٩)

(٣) سورة هود من الآية : (٨٦) .

والسلوك بين الناس كما انه لا يعلم ان عقيدة التوحيد تتنافى مع العقائد
الآخري . .

لذلك نراه يعالى* ، واحيانا يناصر المبادئ* المخالفة للهدى
الربانى بل والسارسة له ، كالشيوعية، والاشتراكية، والقومية، والبعثية الى غير
ذلك من الاتجاهات الغربية من الاسلام والمعادية له ، وهذا مع الاسف
موجود فى مجتمعنا الحاضر بصور شتى ونسب مختلفة .

فلا يذهبن بنا الترفع كثيرا على اهل مدين فى تلك الجاهلية الجهلاء
ونحن اليوم نعانى من جاهلية اشد مما كان عليه اهل مدين ، لان جاهلية
اليوم تدمى العلم والمعرفة ، وتتخذ التقدم الحضارى وسيلة لتتهم الذين
يربطون بين العقيدة فى الله والسلوك الشخصى فى الحياة والمعاملات
المادية من تجارة وصناعة وغيرها بالرجعية والتعصب والجمود . .

ويتابع شعيب عليه السلام دموته لقمه على الرق من سخرتهم به
وتهكمهم عليه : (قال يا قوم ارايتم ان كنت على بينه من ربهى ووزقنى منه
رزقا حسنا وما اريد ان اخالفكم الى ما انهاكم منه ان اريد الا اصلاح
ما استطعت وما توفيقى الا بالله عليه توكلت واليه انيب) (١)

فينادى بهم فى تقرب وتودد مذكرا بأواصر القرابة ، يا قوم ، ويتلطف
معهم تلافيا صاحب الدعوة الواثق من الحق الذى معه ، كما يتلطف فى

اشعارهم بأنه على بينه من ربه لأنه أوتى من العلم ما لم يوهبوا وأنه إذ يدعوهم إلى الأمانة في المعاملة فسيتأثر مثلهم بنتائجها ، فهو لا ينهزم من شيء ثم يفعله بل سيكون وهو قدوة لهم في دعوة الإصلاح هذه التي يعود خيرها على جميع أفراد المجتمع ، إذ تنقيه من الكسب الخبيث الحرام ليحل محله الكسب الحلال الطيب ليسو المجتمع إلى الذروة بعد أن كان يتخبط فسي بؤرة الاحقاد والغدر وليرتفع إلى قمة التعاون والتضامن بين أفرادها بدل أن يظل في الحضيض .

ثم يتوجه شعيب إلى الله عز وجل الذي عليه الاعتماد في انجاح مساعاه الخير ، هو المرجع فيما يحدث من أمور كما يتوجه إليه في نيته وعمله . وبعد أن وضع شعيب الصورة واضحة أمام قومه وبين لهم الخير من الشر حذرهم عليه السلام أن هم عاندوه وصوا أمره أن يصيبهم مثل ما أصاب الأقسام السابقة التي ضلت وهتت من أمر ربها وتمردت على رسله كقوم نوح وقوم هود وقوم صالح وقوم لوط ، قال :
 (وما قوم لا يجرمنكم شقاقى ان يصيبكم ما أصاب قوم نوح أو قوم هود أو قوم صالح وما قوم لوط منكم بهعيد) (١)

ومع التخويف هذا والتحذير من العذاب والهلاك يفتح لهم عليه السلام باب المغفرة والتوبة ويشجعهم في طلب رحمة الله الواسعة وودة للمؤمنين . .

(١) سورة هود : (٨٩) قولتعالى : لا يجرمنكم شقاقى : قال الحسن وقتادة : أى لا يحملنكم معاداتى على ترك الايمان فيصيبكم ما أصاب الكفار . (القرطبي : ٩٠/٩) .

(واستغفروا ربكم ثم توبوا اليه ان ربي رحيم ودود) (١)

وهكذا نرى شعيب عليه السلام يطرق الابواب كلها امام قومه لعل قلوبهم تلمن وتخشع لله عز وجل ، غير ان القوم على ما يبداوا كانوا قد بلغوا من فساد القلوب وسوء النوايات شأوا بعيدا :

(قالوا يا شعيب ما نفقه كثيرا مما تقول وانا لئراك فينا ضعيفا ولولا

رهطك لرجمناك وما انت علينا بعزيز) (٢)

فهم ضيقوا الافق لا يرددون ان يدركوا الحق فضلا عن العمل به فهم يقيسون القيم فى الحياة بمقياس القوة المادية ، لقولهم انا لئراك فينا ضعيفا ولولا رهطك لرجمناك ، فالوزن عندهم للقوة لا للحق أو للمعتقد الذى يحمله وفى حسابهم عصبية القبيلة لا عصبية العقيدة وصلة الدم لا صلة الروح . . .
وحين تفرغ النفوس من الايمان بالله والقيم العالیه فانها تلتصق بالارض وتفضل صالحها الانية الفانية على تلك الباقية ، فلا تر حرمة لدعوة كريمة ولا تجد حرجا من البطش بالدعاة الى الله اذا لم يكن لهم قوم اشداء يحمونهم من بطش الطغاة ، اما تكريم الدعوة وتقدير الداعية فلا وزن لها فى ظل تلك النفوس الخاوية الخربة .

وعندما وجد عليه السلام هذا الامراض من قومه ، وبعد ان ظهرت نواياهم السيئة اتجاه الدعوة والداعية ، اخذته الغيرة على دينه ودعوته فتصل من الاعتزاز بقومه وقاصلهم على اساس العقيدة وانذرهم من عذاب الله الذى ينتظرهم ان هم تعادوا فى فيهم : (قال يا قوم ارهطى اعز عليكم من الله واتخذتموه وراكم ظهريا ان ربي بما تعملون محيط ويا قوم اعلموا على مكانتكم انى عامل سوف تعلمون من يأتية عذاب يخزيه ومن هو كاذب وارتقبوا انى معكم رقيب) (٣)

-
- (١) سورة هود : (٩٠) .
(٢) سورة هود : (٩١) .
(٣) سورة هود : (٩٢ ، ٩٣) .

انها فضبة الداهية المؤمن من بره المخلص لدعوته العزيز بشرف حمل
الامانة الملقاة على ما خلقه ، فهو لا يعتز بنسبه ولا برهله ، وشعيب عليه
السلام لم ينتمش فرحا اذ وجد الحماية من عشيرته التي منعت اياى السوء
من ان تعدد للنيل منه او الاساءة اليه ، فهو مع ذلك كله لم يعتز بهذا بل
اعتز بربه لان المؤمن لا يعتز الا بالله ولا يرضى ان تكون له عصابة يخشاها
الناس ، ولا يخشون الله رب الناس ، فعصبة السلم ليست لعشيرته ولا
لجنسه انما هى لخالفه ولعقيدته ، وهذا هو الفرق الطريق بين المؤمن
الصادق وبين ادعياء الايمان الذين كثيرا ماخافوا القوة المادية والعصبة
القبلية اكثر من خوفهم من جلال الله تبارك وتعالى وسلطانة .

ومن هذه الغضبة لله والتنصل من الاعتزاز او اللجوء الى سواه تقوم
تلك المفاصله بين شعيب وقومه ، فهو وان كان واحدا منهم غير ان طريقه قد
افترت من طريقهم اذا استحبوا العمى على الهدى . .

(قال يا قوم اعملوا على مكانتكم انى عامل سوف تعلمون من يأتية عذاب

يخزيه ومن هو كاذب وارقبوا انى معكم رقيب) (١)

وفى هذا التهديد تظهر الثقة الكاملة بوعد الله عز وجل وبمصير المكذبين

كما توحى بالمفاصله التامه بين الايمان والكفر .

ثم يأتى الحدث الذى احبرهم شعيب ان يترقبوه اذ جاءهم العذاب ،

بغته ولم يشعروا الا والصيحة تصرمهم والصاعقة تأخذهم ، فاذا هم صرعى

سمرين في ديارهم لا حراك لهم واصبحت ديارهم محاربة كأن لم يكونوا فيها
او صروها ^{في} يوم من الايام ومضوا مشيعين باللعنة جزاء بما كسبتا ايديهم .
(ولما جاء امرنا نجينا شعيبا والذين آمنوا معه برحمة منا واخذت
الذين ظلموا الصيحة فاصبحوا في ديارهم جائعين كأن لم يفنوا فيها الا بعدا
لمدين كما بعدت ثمود) (١)

وهكذا كانت نهاية المكذبين من قوم مدين نهاية سوداء مظلمة جزاء
تكذيبهم لرسولهم وصددهم عن طاعة الله ، ونشرهم الفساد في الارض وهذه
سنة الله في الظالمين الذين يعيشون في الارض الفساد والذين يحادون رسله
وسنة الله ماضية الى قيام الساعة .

(١) سورة هود : (٩٤ ، ٩٥) .

(الفصل التاسع)

الياس عليه السلام

ارسل الياس عليه السلام الى قوم كانوا يعبدون صنما يسمونه بمـلا
والراجع ان هو^١ كانوا في بلاد الشام وفي منطقة البقاع من لبنان على وجه
الخصوص ، اذ ماتزال آثار مدينة " بعليك " والمشتق اسمها على ما يظهر من
اسم الصنم " بعل " تدل على آثار هذه العبادة .

قال تعالى : (وان الياس لمن المرسلين اذ قال لقومه الا تتقون ،

اتدهون بملا وتذرون احسن الخالقين ، الله ربكم ورب ابائكم الاولين) (١)

فبدأ عليه السلام دعوته لقومه الى عبادة الله عز وجل ونهذ عبادة غيره

من المخلوقات وبين لهم عليه السلام مستنكرا عظيم الخالف للفطرة في عبادة

الاصنام وتركهم احسن الخالقين ، ربهم الحق الذي خلقهم وخلق آباءهم

الاولين ، ولكن قومه لم يستجيبوا له بل صدوه وكذبوا دعوته .

قال تعالى : (فكذبوه فانهم لمحضرون الا عباد الله المخلصين) (٢)

ويؤكد تعالى ويقسم انهم سيحضرون مكرهين ليلقوا جزاء تكذيبهم لرسول

الله ، اما الذين آمنوا فان الله عز وجل سيكرمهم بما اعد لهم من نعيم نفسى

الجنة وبما اكرمهم به من تسميتهم بعباد الله المخلصين .

—————

(١) سورة الصافات : (١٢٣ ، ١٢٤ ، ١٢٥ ، ١٢٦) .

(٢) سورة الصافات : (١٢٧ ، ١٢٨) .

ويكفي القرآن الكريم بإيراد هذه اللمحة السريعة من دعوة الياس عليه السلام مع قومه الذين انقسموا حولها قسمين : قسم آمن بها وصدق فأكرمهم الله وسماهم عباده المخلصين ، وقسم آخر كفر بها وكذب الرسول فانزل الله عليهم العذاب جزاء ما اقترفت ايديهم من الآثام .

ثم يختم القرآن الكريم قصة الياس مع قومه بالثناء على هذا النبي الكريم جزاء ما قام به وما تحمله في سبيل ابلاغ دعوة ربه الى قومه . .

قال تعالى : (سلام على الياسين انا كذلك نجزي المحسنين انه :

كلام من عبادنا المؤمنين) (١)

وفي سورة أخرى يذكر تعالى الياس مع مجموعة من الانبياء الكرام ويثنى عليهم بانهم من الصالحين . . قال تعالى :

(وذكربا ويحيى وهيسى والياس كل من الصالحين) (٢)

وهكذا نجد ان الله عز وجل قد اثنى على النبي الكريم الياس بقوله

" انه من المحسنين ومن المؤمنين ومن الصالحين " .

وقبل ان نختم هذا الفصل نذكر ما ذكره تعالى بشأن نبيين كريمين هما

المسح وذا الكفل اذ ذكرهما تعالى في معرض الثناء عليهما دون التعرض لما

(١) سورة الصافات : (١٣٠ ، ١٣١ ، ١٣٢) .

(٢) سورة الانعام : (٨٥) .

عانوه فى سبيل الدعوة . .

قال تعالى : (واذكر اسماعيل واليسع وذا الكفل وكل من الاخيار) (١)

كما ذكر تعالى اليسع فى سورة اخرى فى معرض الثناء ايضا . .

قال تعالى : (وذكريا ويحيى وعيسى والهاس كل من الصالحين واسماعيل

واليسع ويونس ولوطا وكلا فضلنا على العالمين) (٢)

وهكذا نجد ان القرآن الكريم قد اثنى على جميع انبياء الله عز وجل

وفضلهم على العالمين جزاء ما عانوا من شعوبهم وما تحملوه فى سبيل دعوتهم.

(١) سورة ص : (٤٨) .

(٢) سورة الانعام : (٨٥ ، ٨٦) .

(الفصل العاشر)

أيوب عليه السلام

قال تعالى : (واذكر عبدنا أيوب اذ نادى ربه أنى مسنى الشيطان بنصب
وعذاب اركض برجلك هذا مغتسل بارد وشراب ، ووهنا له أهله ومثلهم معهم
رحمة منا وذكرى لاولى الالهاب ، وخذ بيدك ضغثا فاضرب به ولا تحنث انا وجدناه
صابرا نعم العبد انه أواب) (١) .

يضرب الله تعالى فى قصة أيوب عليه السلام مثلا للناس فى الصبر على الابتلاء ،
والرضى بقضاء الله عز وجل ، الصبر على الاذى الجسمانى ، والصبر على زهاب
المال والصبر على فقدان الاهل والاحبه ..

(١) سورة ص : (٤١ ، ٤٢ ، ٤٣ ، ٤٤) .

بنصب وعذاب : قيل النصب بلاء البدن ، والعذاب بلاء المال والولد
ووهنا له أهله ومثلهم معهم : قال الحسن وقتادة : احياهم الله تعالى
باعيانهم وزادهم مثلهم معهم .

(مختصر ابن كثير : مجلد ٣ / ص ٢٠٥)

قوله تعالى : خذ بيدك ضغثا فاضرب به ولا تحنث : كان أيوب عليه السلام
قد غضب على زوجته من أمر فعلته وحلف ان شفاء الله ليضربها مائة جلد ،
فلما شفاء الله عز وجل وعافاه ما كان جزاؤها مع هذه الخدمة التامة والرحمة
والشفقة والاحسان ان تقابل بالضرب فافتاه الله تعالى أن يأخذ (ضغثا)
وهو الشراخ فيه مائة قضيب فيضربها به ضربة واحدة ، وقد برت يمينه ووفى
بنذره .

(مختصر ابن كثير : مجلد ٣ / ص ٢٠٦)

فقد صبر عليه السلام على الأذى الجسماني إذ أصيب بهدنه إصابات بالغة وعانى من الآلام ما لا يحتمل ، ولكنه عليه السلام تحمل ذلك بنفس طيبة راضيا بقضاء الله تبارك وتعالى ، ثم ذهب ماله فصبر واحتسب وأخيرا كانت الثالثة إلا شافى إذ فقد أهله وأحبائه ، ومع ذلك كله صبر صبورا جميلا حتى أصبح مضرب المثل في صبره وجلده وقناعاته ورضاه بقضاء الله وقدره ، وكان عليه السلام كلما زادت محنته ، كلما قوى يقينه بربه عز وجل ، وامتناله لأمره ، وكان عليه السلام طوال محنته متجها إلى الله عز وجل وحده طالبا منه معافاته ورحمته ولم ينسى عليه السلام رغم محنته وشدة بلائه ، لم ينسى ربه وغالقه فهو يعلم أنه هو الشافي وهو المعافي ، فالتجأ إليه داعيا إياه وراجيا منه شفاؤه ومعافاته لما أصابه من سوءٍ وضرٍ ، واستجاب له ربه وهو الذي يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء ، استجاب له بعد أن امتحنه وفاز في الامتحان فوزا عظيما فأذهب الله ما به من ضرٍ ورد عليه صحته وماله وأهله ، جزاء صبره وتحمله فسي سبيل الله واحتسابه ما أصابه عند الله عز وجل بقلب مطمئن وإيمان راسخ لا تزغزه المحن مهما اشتدت وعظمت . .

قال تعالى : (وأيوب إذ نادى ربه انى مسنى الضر وانت ارحم الراحمين فاستجبنا له فكشفنا ما به من ضرٍ وآتيناه أهله ومثلهم معهم رحمة من عندنا وذكرى للعابدين) (١) .

(١) سورة الأنبياء : (٨٣ ، ٨٤) .

والاشارة (للعابدين) بمناسبة البلاء اشارة لها دلالتها ومغزاها
اذ أن اكثر المعرضين للبلاء هم العابدون المؤمنون ، ولا فروقان سلعة الله
غالبه ان سلعة الله الجنة ، فتلك تكاليف العقيدة وتكاليف الايمان والعقيدة
امانه فلا تسلم الا للامناء القادرين عليها ، وعلى تحمل اعبائها التي عجزت
عن حملها السموات والارض .

(الفصل الحادى عشر)

يونس عليه السلام

ارسل الله تعالى يونس عليه السلام الى قرية (قيل ان اسمها نينوى
بالموصل) فبذل عليه السلام جهدا مضنيا فى سبيل اقتناع قومه بالدعوة الى الله
فلم يجد منهم اذنا صافية بل وجد صلابا واعراضا فشق عليه ذلك ولم يعد بمقدوره
ان يبصر أكثر مما صبر ، فتركهم مغاضبا قائلا فى نفسه ان الله لن يضيق على
بالبقاء بين هؤلاء الجاحدين وهو قادر على ان يرسلنى الى قوم آخرين اكثر
قابلية واشد ايجابية لتقبل الدعوة ، ونظرا للضيق الشديد الذى اعتراه بسبب
اعراض قومه نعه فقد توجه نحو البحر حيث تجد النفس راحتها بالتأمل فى ذلك
الأفق الرحب . .

والنفس اذا ما ضاقت ، فانها غالبا ما تتشد لراحتها مكانا فسيحا واسما
بعيدا عن ضوضاء الناس وصخبهم ، وتضوق اكثر الاحيان الى الخلوة فى اماكن
تجمع الشجر كالجنات او تواجد المياه كالانهار والبحار ، والله عز وجل قد
فطر النفس البشرية على حب الخلوة ولو قليلا اذا ما ضاقت او ضجرت واعتراها
بعض ما يعكر صفوها ، فتلجأ للانعساق من هذا الضيق الى التأمل فى مخلوقات
الله عز وجل ونعمه التى انعمها على الانسان ، فالنفس تستريح لروية الشجر
الاخضر وتسرتلمايل اغصانه وسماع زقزقة طيورهِ وتفردها البرى وتهدأ عندما ترى
الماء العذب ينساب مترقرا بين جنات الوادى وعلى جوانبه العشب الاخضر
وتطمئن لروية زرقه ماء البحر وتنعشق من ضيقها عندما ترى الامواج المتلاطمة

تمتد الى الافق الفسيح الواسع الذى لا يرى له حدود ولا تقيد قبود ، من هنا يمكن ان نفسر كشر التجا* يونس عليه السلام الى البحر بعد ان ضاق بقومه ذرعا وان كنا على يقين من ان عمله هذا كان لحكمة ارادها الله عز وجل . .

ومن الشاطى* ابهر عليه السلام فى سفينة كانت تحمل مسافرين فلما وصلت الى وسط اللجه ثقلت السفينة وتعرضت للغرق ، فقال ربانها بيدوان فيها من ارتكب ذنبا ما ، فلنقرع ومن اصابته القرعه فيلقى فى البحر واقرعوا فاصابت القرعة يونس عليه السلام فألقى بنفسه فى البحر وكان الحوت بانتظاره فما لبث ان التقمه ، قال تعالى :

(وان يونس لمن المرسلين ان ابق الى الفلك المشحون فساهم فكان من المدحضين فالتقمه الحوت وهو عليم فلولا انه كان من المسبحين للبت فى بطنه الى يوم يبعثون فنبذناه بالمرء* وهو سقيم وانبتنا عليه شجرة من يقطين وارسلناه الى مائة الف او يزيدون فآمنوا فمتعنناهم الى حين) (١)

وهكذا التقم الحوت يونس عليه السلام ، وانتقل من ضيق الى ضيق اشد واقسى ، فكنا كان فى الظلمات ، ظلمة جوف الحوت وظلمة البحر وظلمة الليل نادى ربه قاعلا :

(ان لا اله الا انت سبحانك انى كنت من الظالمين) (٢)

(١) سورة الصافات : (١٣٩ ، ١٤٠ ، ١٤١ ، ١٤٢ ، ١٤٣ ، ١٤٤ ،

١٤٥ ، ١٤٦ ، ١٤٧) .

(٢) سورة الانبياء : من الآية (٨٧) .

فأحس عليه السلام انه اخطأ في جنب الله عندما ترك قومه بعد ان كلفه الله بهم ، فنادى ربه معترفا بذنبه طالبا منه المغفرة والرحمة ، فاستجاب له عز وجل ونجاه ما فيه من الغم لانه من عباده المؤمنين. والمؤمن قد يخطئ^١ ولكنه سرعان ما يعود عن خطئه تائبا مستغفرا عندما يتبين له الحق . .

قال تعالى : (وذا النون اذ ذهب مغاضبا فظن ان لن نقدر عليه فنادى في الظلمات ان لا اله الا انت سبحانك انى كنت من الظالمين فاستجبنا له ونجيناها من الغم وكذلك ننجي المؤمنين) (١)

وفى قصة يونس عليه السلام عبرة للدعاة ولغفات يجب ان يتقوا امامها للتأمل والنظر . .

ان يونس عليه السلام نبى كريم ، ولا يمكن لاحد ان ينكر انه اهل لحمل الرسالة - معاذ الله - واختيار الله له اكبر دليل على ذلك ، والله أعلم حيث يجعل رسالته ، ولكنه عليه السلام مع كفايته ومقامه هذا فان الله عز وجل قد عاقبه يوم ان ضاق بالقوم ذرعا ولم يصبر على تحمل اعباء الرسالة ، والقسى عبء الدعوة وذهب مغاضبا لقومه حرج النفس وضيق الصدر ، وظن ان خروجه هذا سيرهجه ولو قليلا ما هو فيه من ضيق وفضب ، او ان الله عز وجل سيهيى له قوما آخرين يكونون اشد اقبالا واكثر استجابا للدعوه ، فترتاح نفسه وتعتق من الضيق الذى اعترها بسبب اعراض قومه وجحودهم ، ولكن الله عز وجل عجل فى عقابه ان ادخله مكانا اشد ضيقا وحرجا مما كان يجده مع قومه ، فوقع فى الضيق

(١) سورة الانبياء : (٨٧ ، ٨٨) .

الذى تهون الى جانبه كل مضايقات المكذبين والمعاندين ، ولولا ان تاب الى ربه واعترف بظلمه لنفسه وتذكر واجبه نحو دعوته لما فرج الله عنه هذا الضيق الخانق ولكن رحمة الله أوسع من كل الذنوب فرحمته حفظت يونس عليه السلام وهو فى بطن الحوت ، ونجته من الغم الذى كان يعانىه .

وصاحب الدعوة لا بد ان يحتمل تكاليفها وان يصبر على التكذيب بها والا يذأ من اجلها ، وان كان تكذيب المؤمن الصادق مرير على النفس فسير ان هذا جزء من تكاليف الرسالة فلا بد لمن يحملون الدعوات ان يصبروا ويحملوا ويشبثوا على الحق الذى معهم ولا ييأسوا فان اليأس ليس من صفات حملة الدعوة الربانية ، بل على الدعاة ان يكرروا الدعوة ويبدأوا فيها ويعيدوا وان لا يقنطوا من صلاح النفوس واستجابة القلوب مهما واجهوا من تكذيب وانكار . ان طريق الدعوة الى الله ليس مفروشا بالورود والرياحين بل هو مليء ، بالاشواك والصعاب ، واستجابة النفس البشرية للدعوة ليست سهلة ميسرة ، فهناك ركام من الباطل والضلال والعادات قد خيمت على الفطرة فطمستها فعلى الداعية ان يعمل أولا على ازالة هذا الركام الذى يجثم فوق القلوب لتتجلى وتصبح مستعدة لتلقى أمر الله وفهم مراده .

ان من السهل على صاحب الدعوة ان يفضب او ان يقصر فى دعوته ولكن سيكون ذلك على حساب الدعوة نفسها ، والدعوة هى الاصل لا شخص

الداعية ، فعلية ان يكظم فيظه ويتحمل ، وخير له ان يصبر ولا يضيع
صدره ، فليؤم واجبه في كل حال ، فعلية العمل والفتيجة على الله
عز وجل لان الهدى هدى الله والهداية بيد الله :

(انك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء)

وينبغي على الدعاة ان يتأملوا في قصة نبي النون ويقفوا عندها وقفات
طويلة ، فان فيها درسا وعبرة لاولى الالهاب .

كما ان في رجعة يونس الى ربه واعترافه بخطئه عبرة للدعاة ينبغي ان
يتدبروها .

وان في رحمة الله ليونس عليه السلام واستجابة دعائه وهو في ظلمات
الحوت لبشرى للمؤمنين في نجاتهم من كل كرب مهما كان قاسيا ان هم
اخلصوا العمل لله عز وجل ..

(وكذلك نجى المؤمنين) (١)

(١) سورة الانبياء : من الآية (٨٨) .

(الفصل الثاني عشر)

موسى عليه السلام

بدأ القرآن الكريم فى ذكر قصة موسى عليه السلام منذ أول ميلاده ، وذكر المراحل القاسية والظروف الصعبة التى ولد فيها هذا النبي الكريم فى وقت كان الظلم الفرعونى قبيحاً قد بلغ الذروة إذ استذل الناس واذاقهم العسف والخسف ، حتى وصل به الضلال والنسي الى قتل كل مولود ذكر بعد ان تكهن له الكهان بأن مولوداً سيولد فى ذلك العام ربما كان زوال ملك فرعون على يده لذلك أخذ الطاغية المتأله يعبث فى الارض الفساد ، يذبح الأبناء ويستحي النساء ، قال تعالى :

(ان فرعون علا فى الارض وجعل اهلها شيعا يستضعف طائفه منهم)

يذبح ابناهم ويستحي نساءهم انه كان من المفسدين (١)

وهل هناك فساد اشد واكبر من قتل الناس بغير حق ناهيك عن قتل الاطفال الابرياء الذين لم تر اعينهم النور بعد ، فتسلط السكاكين على رقابهم ويذبحون كما تذبح النعاج لا لذنب ارتكبه بل لرضاء لنهم سفاح متجبر ، انها لجريمة لم يسبق لاحد فى التاريخ ، ان ارتكبتها قبل فرعون .

فى هذا الجو المخيف من الرعب والظنمان ، ان حرب الابداء معلنة ضد كل مولود ذكر ، فى هذه الاثناء ولد موسى عليه السلام ، وها هى امه حائرة به

خائفة عليه تكاد نفسها تذهب فرقا على قرّة عينها خوفا من بطش الطافيهـ
 وجلاديه ، ماذا تصنع ؟ انها عاجزة عن اخفائه وعاجزة عن حمايته انها
 تخشى ان يصل نبأه الى الجزارين وترتجف خوفا من ان تنال عنقه السكين وهي
 فى نفس الوقت عاجزة عن اخفاء صوت بكائه الفطرى الذى ينبعث عادة من الاطفال
 ياله من موقف حرج ؟ وبالحبا من ساعات حاسمه ..

ويطلق العنان لتفكير ام موسى تبحث عن مخرج لما هى فيه ، ولكن لم
 يطل بها الوقت حتى جاءها الفرج الربانى مطمئنا الام المدعوره ملقيا فى روعها
 ماذا عليها ان تفعل لينجو وليدها من بطش الطغاة .

قال تعالى : (وأوحينا الى ام موسى ان ارضعيه ، فاذا خفت عليه فألقيه

فى اليم ولا تخافى ولا تحزنى انا رادوه اليك وجاعلوه من المرسلين) (١)

يا سبحان الله ، هاتف علوى يخبر ام موسى بأنها اذا ماخافت على ابنها
 وهو فى حضنها وبين يديها فعليها ان تلقيه فى اليم ..

يا له من أمر عجب ؟ لا يقدر على تصديقه فضلا عن تنفيذه الا من اكرمه
 الله ووهبه ايمانا لا تزعهه العواصف ولا المحن ، فكيف بمقدور انسان ان يلقى
 بغلظة كبده الى لجة الماء لينجو من الهلاك مع انه لا يستطيع الدفع عنه وهو
 بين يديه وتحت سمعه وصره ، ولكنه الايمان اذا خالطت حلاوته القلب ظهرت
 سماته على الجوارح فأستثلت لامر الله واطمأنت الى حكمه وقضائه .

وهذا ما كان من ام موسى الحائرة الملهوفه ان امتثلت لامر ربها والقست
بفلذة كبدها فى اليم موكله امره الى خالقه يفعل به ما يشاء . وبالقاء موسى فس
اليم تلقى ام موسى عن كاهلها حملا ثقيلًا وهما تنوء الجبال بحمله ، ولكن
قلبها لم ينسى لحظة واحدة وليدها بل ظل معه يرمقه من بعيد يتحسس
بأحاسيسه ويتتبع خطاه وينتظر بفارغ الصبر نهاية مرضية لهذا الوليد الذى لم
تكتحل عيناه برويته بعد . .

ويغيب الصندوق الذى يحمل فى داخله الرضيع عن الانظار ليظهر فيما
بعد عند آل فرعون . .

قال تعالى : (فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا) (١)

يا لله ، ماذا تصنع ام موسى ؟ لقد التقط ابنها آل فرعون وهى التى ،
القت بابنها فى اليم مخافة فرعون ، والآن قد اصبح بين ايديهم فما العمل ؟
ولكنها القدرة الربانية تتحدى الطغاة بأسلوب لا يفقهونه وشكل يرتد فيه
كبدهم الى نحوهم ، فهذا فرعون الجبار يعميت فى الارض الفساد ويقتل كل
مولود ذكر حفاظا على عرشه من الزوال ، وما هو اليوم يلتقط ذلك المولود الذى
سيقضى مضجعه ومضاجع الكافرين معه ، يلتقطه مجردا من كل قوة ، عاجزا
عن ان يدافع عن نفسه اى اذى مهما كان ضئيلا ومع ذلك يقتحم على السفاح
حصنه الحصين ويسخر الله هذا الطافوت وما يملك من سلطان وجاء وما ل لحماية
موسى يعميش فى كنفه وتحت حمايته ليم مراد الله عز وجل (ليكون لهم عدوا
وحزنا) . .

وبهيى * الله عز وجل الاسباب لموسى حتى ينجو من الذبح اذ اضى عليه
المحبة من آل فرعون ، فقد اقتحم بهرأته وحسن طلعمته اقفال القلوب ، بعد ان
اقتحم اسوار القصر المنيع ، ورعته امرأة فرعون بالحب الحانى فى قلبها المؤمن
(وقالت امرأة فرعون قرة عين لى * لك لا تقتلوه عسى ان ينفعنا او نتخذة
ولدا وهم لا يشعرون) (١)

أما ام موسى المسكينه فكانت فى حالة يرثى لها اذ كادت تفقد صوابها
ووعياها خوفا على مصير ولدها ، وكادت تزيع امرها وتفشى سرها للناس لولا
أن ربط الله على قلبها وثبتها لتكون من الصابرين على الابتلاء* ومن الراضين
بالقضاء ..

قال تعالى : (مصورا حالة ام موسى : (واصبح فواد ام موسى فارغا (٢)
ان كادت لتبدي به لولا ان ربطنا على قلبها لتكون من المؤمنين) (٣)

(١) سورة القصص : (٩) .

(٢) فارغاً : اى صار خاليا من كل شىء * ، وقال بعضهم فارغا من العقل

لما دهمها من الخوف والحيرة حين سمعت بوقوعه فى يد عدوه فرعون .

• (روح المعانى : ٤٩/٢٠) .

(٣) سورة القصص : (١٠) .

ان كادت لتبدي به ، قال ابن عباس رضى الله عنهما : انها كادت

تصرح به وتقول وا ابناه من شدة الغم والوجد .

وقوله لولا ان ربطنا على قلبها : اى بما انزلنا عليه من السكينه ، والمراد

لولا ان ثبتنا قلبها وصبرناها .

(روح المعانى : ٤٩/٢٠) .

وهملت أم موسى على تقصى أخبار ابنها والبحث عنه فأرسلت اخته لتتبع

أثره خفية : (وقالت لاخته قصيه فبصرت به عن جنب وهم لا يشعرون) (١)

ولحكمة ارادها الله تعالى ، فقد رفض موسى الرضيع الرضاة من جميع

المرضعات اللاتي عرضن عليه ليتحقق مراد الله عز وجل في دعوة لام موسى

(انا رادوه اليك) . . قال تعالى :

(وحررنا عليه المرضع من قبل فقالت هل ادلكم على اهل بيت يكفلونه

لكم وهم له ناصحون ~~مؤفرد~~ فدناها الى امه كي تقر عينها ولا تحزن ولتعلم ان وعد

الله حق ولكن اكثرهم لا يعلمون) (٢)

وهكذا يرجع موسى الملقى في اليم خوفا من بطش فرعون وزبانيته يرجع

الى امه بواسطة فرعون نفسه معافى في بدنه مرموقا في مكانته عزيزا كريما محاطا

بالحراسة والرعاية ، وفي حين كانت النساء كلهن في حالة خوف على اولادهن

(١) سورة القصص : (١١) .

قوله تعالى : وقالت لاخته قصيه : اي تتبعى اثره وتتبعى خبره .

فبصرت به عن جنب : ابصرته عن بعد .

قال الكرمانى هو من معانى الاضداد

لانه يكون احيانا بمعنى القريب ، كقوله تعالى : (والجار الجنب)

وقيل النظر عن جنب ، هو ان تنظر الى الشيء كأنك لا تريد .

قوله تعالى : فقالت هل ادلكم على اهل بيت يكفلونه لكم : اي تريدون ان

ادلكم على انا من يضمنونه ويقومون بتربيته لاجلكم .

وهم له ناصحون : لا يقصرون في خدمته وتربيته .

(روح المعانى : ٥٠ / ٢٠)

(٢) سورة القصص : (١٢ ، ١٣) .

من القتل والذبح كان موسى آمنا قهر العين عند امه التي اطمأنت بعد ذلك
 الروح الذي ارتابها ، والمنت الذي اصابها ورد الله اليها ابنها عزيزا كريما
 واصبحت تربيته وتعطى على ذلك اجرا ، والكل يرجو رضاها كيف لا وهى ترمى
 فى زعمهم ابن فرعون المتأله . .

انها العناية الربانية لاوليائه ورحمته يخص بها من يشاء من عباده ، أما
 المتجبرون الطغاة فان الله يملئ لهم حتى اذا اخذهم فان اخذه اليم شديد
 وتر فترة غير قصيره من حياة موسى لئلا يذكر القرآن شيئا عنها ، وانما
 ينتقل الى الوقت الذى بلغ فيه اشداه واستوى وآتاه الله الحكمة والعلم . .

قال تعالى : (ولما بلغ اشداه واستوى آتيناها حكما وعلمنا وكذلك نجزي

المحسنين) (١)

(١) سورة القصص : (١٤) ، ولما بلغ اشداه : اى المبلغ الذى لا يزيد
 عليه نشوءه ، واستوى : كمل وتسم ، قال ابن عباس رضى الله عنهما
 الاشد ما بين الثمانى عشره الى الثلاثين ، والاستواء ما بين الثلاثين
 الى الاربعين ، فاذا زاد على الاربعين اخذ فى النقصان .
 والاولى أن يقال : ان بلوغ الاشد عباره عن بلوغ القدر الذى يتقوى
 فيه بدنه وقواه الجسمانية وينتهى فيه نموه المعتد به ، والاستواء اعتدال
 اعتدال عقله وكماله ولا ينبغى تعيين وقت لذلك فى حق موسى عليه السلام
 الا بخبر يعول عليه لما سمعت من ان ذاك ما يختلف باختلاف الاقاليم
 والانصار والاحوال ، واشتهر ان ذلك فى الاغلب يكون فى سن الاربعين
 وفى قوله تعالى (حتى اذا بلغ اشداه وبلغ اربعين سنه) ما يستأنس به
 لذلك ، وحاصل المعنى : انه لما قوى جسمه واعتدل عقله آتيناها حكما وعلمنا
 وهى النبوة والشريعة .
 (روح المعاني : ٢٠ / ٥١) .

وهنا يتسأل المرء هل بقي موسى طوال هذه الفترة في قصر فرعون ام انه اعتزل القصر ولم تسترح نفسه للحياة في ظل تلك الاوضاع الآسنة التي تأهت في ان تعيش في ظلها نفس مجتباة كنفس موسى عليه السلام .

والآيات التالية تلمح الى ان موسى قد فاصل فرعون وناصبه العداء بدليل استغاثة الاسرائيلي بموسى على احد اتباع فرعون مع ان موسى معلوم انه كان رهيب فرعون ، فكيف استغاث به رجل عدو لفرعون ، من هنا يظهر ان المفاصل كانت قد حصلت بين موسى وفرعون وعظم الخلاف بينهما حتى زاع خبره واصبح معلوما لدى الناس . .

قال تعالى : (ودخل المدينة على حين غفلة من اهلها فوجد فيها رجلين يقتتلان هذا من شيعته وهذا من عدوه فاستغاثه الذي هو من شيعته على الذي هو من عدوه فوكزه موسى فقضى عليه) (١)

ويرجح الشهيد سيد قطب المعنى الذي المحت اليه من ان موسى عليه السلام كان قد غادر القصر الفرعوني مغاضبا لفرعون . يقول :

(ان استغاثة الاسرائيلي بموسى على رجل قبلى من رجال فرعون لا تقع اذا كان موسى لا يزال في القصر متبني اوفى الحاشية ، انما يقع اذا كان الاسرائيلي على ثقة من ان موسى لم يمد متصلا بالقصر وانه قد عرف انه من بني اسرائيل وانه ناظم على الملك والحاشية منتصر لقومه المضطهدين وهذا هو الانسب لمن في مقام موسى عليه السلام ، فانه بعيد الاحتمال ان تطيق نفسه

البقاء في مستنقع الشر والفساد (١) .

وعد ان وكز موسى الذي هو عد ولهما وارداه قتيلا من غير قصد لقتله

ندم على فعله وقال (هذا من عمل الشيطان انه عد ومضل مبين) (٢)

ثم اعترف بذنبه وطلب المغفرة من ربه : (قال رب انى ظلمت نفسى فافقر

لسى) (٣) ، فاستجاب له ربه (فغفر له انه هو الغفور الرحيم) (٤)

ثم يقطع عليه السلام على نفسه عهدا بأن يشكر نعم الله عز وجل وينفى بها

وعلى الا يكون في صف المجرمين مناصرا وحليفا بل مع الحق اينما كان :

(قال رب بما انعمت على فلن اكون ظهيرا للمجرمين) (٥)

وعد مقتل احد الموالين لفرعون خاف موسى عليه السلام (وأصبح فسى

المدينة خائفا يترقب) (٦) خائفا من انكشاف امره ويترقب الاذى فى كل لحظه

من زبانية فرعون ، وهذه اشارة تظهر ان موسى عليه السلام كان بعيدا عن قصر

فرعون ، والا لو كان قريبا منه لما خاف على نفسه لقتل رجل او عشره ، لأن

المقربين من القصور عادة فضلا عن اعوانها لا يطبق عليهم القانون بل هم فوق

(١) فى ظلال القرآن : ج ٢٠ / ص ٤٨ .

(٢) سورة القصص : من الآية (١٥) .

(٣ ، ٤) سورة القصص : (١٦) .

(٥) سورة القصص : (١٧) .

(٦) سورة القصص : من الآية (١٨) .

القوانين ولهم ان يفعلوا ما يشاءون برقاب الشعب فضلا عن التصرف بممتلكاته
ومقدراته . .

وبينما موسى عليه السلام في هذا القلق والخوف فاذا بالرجل نفسه الذي
استغاث به بالامس يستغيث به اليوم ، قال تعالى :

(فاذا الذي استنصره بالامس يستصرخه قال له موسى انك لغوى مبين
فلما اراد ان يبطش بالذى هوعد ولهما قال يا موسى اتريد ان تقتلنى كما
قتلت نفسا بالامس ان تريد الا ان تكون جبارا فى الارض وما تريد ان تكون
من المصلحين) (١)

ان موسى عليه السلام قد ندم على قتله للاول ومع ذلك كان يبطش بالثانى
ويهدل ذلك على ما فى قلبه من غيظ ونقمة على البغى والظلم الواقع على بنى
اسرائيل من قبل فرعون الطاغية ، وكثيرا ما تضيق نفس المؤمن حينما يشهد
الظلم ويفسد المجتمع وتنحرف الفطرة الى درجة تصل فيها غفلة الناس الى
حد انكارهم على المظلوم أن يدفع الظلم عن نفسه أو أن يقاوم البغى ذلك أنهم
ألفوا روية الطفيان يبطش بالأبرياء وهم لا يتحركون حتى ظنوا أن هذا هو
الاصل وأن هذا هو الصلاح ولا بأس به درءا للفتنة التى قد يكونون هم وقودا لها
اذا ما اشتعلت ، وهم لا يريدون ذلك بل يكفهم من الدنيا المأكل والمشرب ،
أو الحفاظ على الوظيفة والمنصب ولو كان ذلك على حساب العقيدة والكرامه
والشرف .

ان موسى عليه السلام لم يطق أن يصبر على الظلم وكاد أن يبطش بالرجل
الثانى من اتباع فرعون لولا أنه تدارك وتذكر ندمه على الرجل الاول الذى قتله
والعهد الذى عاهد الله عليه بعد ذلك . . ثم أن كلام الرجل قد أيقظ فسى
نفسه مهمته الاصلية وهى الاصلاح بين الناس والامر بالمعروف والنهي عن المنكر
والدعوة الى الله بالتي هى أحسن .

(ان تريد الا أن تكون جبارا فى الارض وما تريد أن تكون من المصلحين) (١)

ومن هنا نعلم أن صفة الاصلاح كانت مقارنه لموسى عليه السلام ومعلوم عند الناس
أنه رجل مصلح وصاحب رساله حتى حاجه تابع فرعون بذلك . .

وبعد الحادثه الثانيه بيد وأن الخبر قد شاع فى أوساط الناس وأخذ

أعوان فرعون يتكلمون عن موسى الذى يهطن الشر لزعامتهم وبعدوا له أمرا منكرا
لا يقافه عند حده قبل أن يستفعل خطره . .

قال تعالى : (وجاء رجل من أقصى المدينة يسعى قال يا موسى ان الملاء

يأترون بك ليقتلوك فاخرج انى لك من الناصحين) (٢)

ورحمه بموسى عليه السلام هباً الله رجلا مطلقا على ما دار فى ملاء فرعون

من مؤامرة لقتل موسى عليه السلام فجاء من أقصى المدينه يسرع فى مثنيه ليخبر
موسى بما يدور فى القصر بشأنه ، ونصحه بالخروج قبل أن يدركه القتل ، ولعل

هذا الرجل هو ذلك المؤمن الذى يكتم ايمانه والذى ورد ذكره فى سورة غافر

(وقال رجل من آل فرعون يكتم ايمانه أتقتلون رجلا أن يقول ربي الله) (٣)

(١) سورة القصص : من الآيه (١٩) .

(٢) سورة القصص : (٢٠) .

(٣) سورة غافر : (٣٨) .

ونصحه بالخروج قائلا : (ان الملائكة يأترون بك ليقتلوك فاخرج انى لك

من الناصحين)

فخرج عليه السلام فريدا وحيدا لا زاد معه ولا دابة بل خرج يمشى على

رجليه وحيدا فى تلك الصحارى الشاسعة ولكنه لم ينسى زارده الأكبر وهو اعتماده

على الله عز وجل اذا التجأ اليه فى دعوته قال : (رب نجنى من القوم الظالمين) (١)

فهو يطلب حماية الله ورعايته وحده (ولما توجه تلقاء مدين قال عسى ربي

ان يهدينى سواء السبيل) (٢) ، فموسى عليه السلام خرج ولا دليل معه يرشده

الى الطريق ولا معين له ولا أنيس اللهم الا اعتماده على الذى لا تضيع ودائعه .

وفجأة ينتقل موسى من جو النعيم الذى كان يعيش فيه الى جو الملاحقه والخوف

والترقب وتوقع وصول الاعداء فى كل لحظه .

ان جنود فرعون يطاردونه ليقتلوه ويبحثون عنه فى كل مكان ولعلمهم اليوم

ينالون منه ما لم ينالوه وهو طفل رضيع ، ولكن موسى عليه السلام لم يبأس بل

تذكر ان الذى حماه منهم يومذاك هو القادر على أن يحميه منهم اليوم .

وبعد مسافات شاسعه من السير وأبعاد متراميئه وصل الى ماء (مدين)

وهناك رأى منظرا لم تسترح له نفسه الطيبه ، قال تعالى :

(ولما ورد ماء مدين وجد عليه امة من الناس يسقون ووجد من دونهم

امراتين تزودان قال ما خطبكما قالتا لا نسقى حتى يصدر الرعاء وابونا شيخ

(١) سورة القصص : من الآيه (٢١) .

(٢) سورة القصص : (٢٢) .

كبير فسقى لهما ثم تولى الى الظل فقال ربي لما انزلت الى من خير فقير (١)
 فعلى الرغم من التعب الذى كان يعانيه من جراء السفر وحر الشمس والجهد
 الذى بلغه فانه عليه السلام لم يؤثر راحته على مساعدة المحتاجين بل قام
 من ساعته وسأل تلك المرأتين اللتين تقفان بعيدا عن الرعاة الذين تحلقوا
 حول الماء يسقون اغنامهم ، وهما تحاولان رد فئهما كي لا تختلط بأغنام
 الرعاة الاخرين ، فسألها عليه السلام عن سبب تأخرهما وانزوائهما بعيدا
 من الماء ، فقالتا لانسقى حتى ينتهى الرعاة من سقى فئهما وأبونا شيخ كبير
 السن لا يقدر على العمل ونحن كما ترى نساء ضعفاء لانستطيع مجالدة الرجال
 فننظر حتى يسقى آخر رجل منهم . فبعد ذلك نتقدم نحن لسقى اغنامنا

(١) سورة القصص : (٢٣ ، ٢٤) ، ولما ورد ماء مدين : اى وصل المياه ،
 وجد امة من الناس : الامة الجمع الغفير ، ووجد من دونهم : بقربهم وقيل :
 اسفل منهم ، او الجبهه المقابله لهم .
 تذروران : قال ابن عباس رضى الله عنهما كانتا تمنعان فئهما عن الماء
 خوفا من السقاة الاقويا ، وحكى عن الزجاج : قوله كانتا تمنعان فئهما
 عن التقدم نحو البئر لئلا تختلط بفئيرها ، قال ماخطبكما : اى ما مطلوبكما .
 قالت لانسقى حتى يصدر الرعاة : اى عادتنا ان لانسقى حتى يصرف الرعاة
 مواشيهم بعد ربيها من الماء عجزا عن مساجلتهم ، وأبونا شيخ كبير : ابدأ
 منهما للعذر ، فى تزليهما السقى بأنفسهما والمقصود قولهما : انا امرأتان
 ضعيفتان مستورتان لا نقدر على ساجلة الرجال ومزاحمتهم مالنا رجل يقوم
 بذلك وأبونا شيخ كبير لا يقدر على ذلك ولا بد لنا من تأخير السقى الى أن يقضى
 الناس اوطارهم من الماء . (روح المعانى ٦٠/٢٠) .

وثارت نخوة موسى عليه السلام وهو الذى تعود ان لا يسكت على الظلم والقهر فتقدم وسقى للمراتين بشهامة الرجال ومروءة الافاضل واخلاق الانبياء مع انه غريب فى ارض لا يعرفها ، لا سند له فيها ولا نصير ، ولكن نفس المؤمن تظل لها مهابتها ورهبتها حتى ولو كانت فى اعياء وتعيب شديدين ولعلل الرعاية قد شاهاوا موسى عندما رأوه وقد شمر من ساعديه واخذ ينزح الماء بقوة وثقة ويصب للانعام كي تشرب دون ملل أو تضجر . . . وبعد ان سقى لهما تولى الى الظل مما يشير الى ان الوقت كان وقت حر وقبيح ، والظل نعمة من نعم الله انعمها على البشر ولكن كم من الناس يمرون بها ولا يعرفون قدرها لانها دون مقابل ولو كان الظل والهوا والماء والشمس يشترون بالمال لضايق الناس بالحياة ذرما ولكن انعم الله على الناس لا تحصى وعطاياه لهم لا تقدر .

وبعد ان جلس عليه السلام فى الظل وارتاح جسمه نوحا ما من اعياء السفر ومشاق الطريق احس بالجوع اذ لآزاد معه ولعله لم يشبع من طعام بعد خروجه من مصر وهو المدلل فى قصر فرعون كان يرقل بالنميم ويأكل المذوطاب وهو اليوم مطارد متعب جائع ، اما كان له ان يرحم نفسه ويسكت عن الظلم ليظل منعما مكرما ، فى رحاب القصور تحيط به الحسان وتعزف له القيان ؟ ولكنها العقيدة تأبى ان تجارى الظلم مهما كان وترفض انصاف الحلول مع الجاهلية فليست الدعوة الى الله بمحاياة أصحاب السلطان على حساب العقيدة والشريعة ، انما الدعوة هى عدم لكل اشكال الجاهلية وبناء لمجتمع مؤمن بالله ربا وبشريته دستورا ونظاما . . .

ولا يضير صاحب الدعوة ما يصيبه من الاذى فى سبيل دعوته وتحقيق قايته
فهو لها وبها يعيش ، وبدونها لا حياة له وكل هذا النعيم الذى ينعم به
الناس لا يساوى فى نظره تكبيره واحدة فى سبيل الله عز وجل ، ولا ايذاء ،
واحدة من اجل اعلاء كلمة الله . .

من هذا المنطلق ترك موسى عليه السلام الراحة والدعة والفنى والرفاهية
فى قصر فرعون ليعيش ملاحقا مضطهدا فى سبيل دعوته من اجل اقامة الحق
والعدل بين الناس وتحكيم شرع الله بدل شريعة الطاغوت ولا ضير اذا شعر
بالجوع والعطش ولقى ملقى من الايذاء فهو على يقين من أن الله لن يتركه
وحيدا فى معركة مع الكفر وانما سيكون له ناصر ومعين وهو معه فى كل لحظة
من لحظاته وخلجة من خلجاته ،

ولما شعر عليه السلام بشدة الجوع وكثرة الاميا لجأ الى ربه طالبا منه
العون :

(فقال رب انى لما انزلت الى من خير فقير) (١)

فهو مع الله دائما بقلبه وروحه لانه ركنه الركين ورب المعين، ففرج الكربات
ومنزل الرحمات ، فهو الى جانب النعمة الكبرى التى انعم الله بها عليه وهى
نعمة النبوه ومعرفه الله عز وجل الى جانب ذلك كله، فهو فقير الى رحمة ربه ومحتاج
الى غوثه ورضاه، لانه وحيد فى بلاد بعيدة ومهاجر الى بلاد غريبه لاصديق له
فيها ولا حمم ، وقد بلغ منه الجوع ايما مبلغ ، وشعر بالوحدة الموحشة اذ

(١) سورة القصص : من الآية (٢٤) .

لا أنيس ولا جليس فما كان منه الا ان التجأ الى الذات العلية طالباً العون والفرج
وكان الفرج القريب من الله عز وجل لدما القلب الضارع بعد ان استجاب للاجى
الى حماة ورحمته . .

قال تعالى : (فجاءته احداهما تمشى على استحياء قالت ان ابى يدعوك
ليجزيك اجر ما سقيت لنا) (١)

يبدوا ان الفتاتين قد قصا قصتهما على والدهما وذكرتا له ذلك الرجل
الشهم صاحب المروءة والاخلاص ، فأرسل والدهما الشيخ فى طلبه وجاءته
احداهما تمشى على استحياء والحياء هو زينة المرأة ورأس مالها ودليل عفتها
وطهارتها ، فجأت الفتاة تمشى متجهة نحو موسى عليه السلام لتبلغه دعوة
والدها فى اقصر لفظ وادله : (قالت ان ابى يدعوك ليجزيك اجر ما سقيت
لنا) (٢) ، فمع الحياء الابانه والوضوح والدقة فى التعبير فلا " سفسطه " ولا
لف او دوران كما تفعل بعض فتيات اليوم ممن لا خلاق لهن بل عبارة موجزة
دقيقة فى تعبيرها ومشية فى غير ما تبذل ولا تبرج ولا تبجح ولا افوا ، ولكنه
طهر واستقامه . .

ويشى موسى عليه السلام ليلتقى بالشيخ والد الفتاتين (٣)

(١) سورة القصص : (٢٥) .

(٢) سورة القصص : من الآية (٢٥) .

(٣) لم ينص القرآن الكريم على اسمه ، وذهب المفسرون فيه الى عدة أقوال :

فمنهم من قال انه شعيب النبى الكريم ، ومنهم من قال انه ابن اخى

.....

=====

شعيب ، واسمه ثيرون ، وقال آخرون انه رجل من مدين ، ويرجئح
 الشهيد سيد قطب ان هذا الشيخ ليس شعيبا النبي لان شعيبا قد
 شهد مهلك قومه المكذبين له ولم يبق معه الا المؤمنون به ، ولو كان
 كذلك لما سقى القوم المؤمنون قبل ابنتى نبيهم الذى آمنوا به وصدقوه
 واعتقدوا بعقيدته الصافية عن كل ادران الشرك والوثنيه ، والمسلك
 الذى اتبعه الرعاة مع ابنتى هذا الشيخ يتنافى مع سلوك المؤمن
 ومعتقدهم ، من هنا يرجح سيد قطب ان هذا الشيخ ليس النبي
 شعيب بل رجل آخر من مدين .

(فى ظلال القرآن : ج ٢٠ / ص ٥٦) .

(فلما جاءه وقص عليه القصص قال لا تخف نجوت من القوم الظالمين) (١)

فقد طمأنه انه اصبح آمنا مطمئنا فلا يحوف عليه هنا لان القوم الظالمين لا سلطان لهم على مدين ، وكان الشيخ الوقور عرف بحديثه مكن الحاجة العاسة لموسى عليه السلام فأول كلمة قالها له : لا تخف نجوت من القوم الظالمين ، فهو على الرغم من جوعه فير انه للأمن احوج ، والخائف لا يستلذ بل لا يجد طعاما لكل اطبيب الحياة مهما كانت لذيقه اذا ما هيمن عليه شبح الخوف .

وبعد أن اطمأن موسى عليه السلام طلبتة احدى ابنتى الشيخ من ابها ان يستأجره على رعى اغنامها ، فان فيه صفات الرجولة كلها من حيث القوة ومن حيث الامانة فى الحفاظ على العرض والشرف والعال . .

(قالت احداهما يا ايت استأجره ان خير من استأجرت القوى الامين) (٢)

ويبدو ان رغبة الفتاة هذه كانت نتيجة لما تعاني واحتها من شظف العيش بسبب رعى الغنم ومزاحمة الرجال على الماء والكلاء ، هذه المزاحمة التى تتأذى منها المرأة العفيفة التى تريد ان تأوى الى بيت فيه السترة والراحة بعيدا عن ملاحقة الامين والنظرات العريبه . ان الفطرة السليمة للمرأة العفيفة الطاهرة لا ترتاح للعمل الذى فيه مزاحمة للرجال والذى قالها ما يرفع المرأة على التبذل فيظهر منها ما لا تحب ان يطلع عليه الا محارمها ومن يحل لهم

(١) سورة القصص : من الآية (٢٥) .

(٢) سورة القصص : (٢٦) .

ذلك من هذا العنطلق ولا اعتبارات فطرية اخرى طلبت ابنة الشيخ من والدها
استتجار موسى عليه السلام . .

واستجاب الشيخ لرغبة ابنته وقدم عرضا فى غاية الأدب والخلق اذ عرض
على موسى عليه السلام الزواج من احدى ابنتيه على ان يأجره ثمانى سنين فى
القيام على رعى غنمه وتصريف شؤونه . .

وقد سبق عرض الزواج عرض الاجاره فموسى نسيب له قبل ان يكون اجيرا
ولعل هذا الشيخ الجليل قد شعر بعد لقائه بموسى عليه السلام بأن لهذا
الرجل شأنا ، فسيمات التقوى بادية على محياه وامارت الصلاح والامانة وفعل
الخير تشهد بها جوارحه ، لذلك سارع وعرض عليه الزواج من احدى ابنتيه
ليكون له شرف القربى من هذا الرجل الكريم . .

(قال انى اريد ان انكحك احدى ابنتى هاتين على ان تاجرني ثمانى
حجج فان اتعمت عشرا فمن عندك وما اريد ان اشق عليك ستجدنى ان شاء
الله من الصالحين) (١)

وكان العرض صريحا وبسيطا فهو يعرض ببناء اسرة واقامة بيت يرجو ان يكون
مباركا طيبا لذرية صالحة مؤمنة ان شاء الله . .

وليس فى عرض الرجل على من يتوسم فيه الخير بالزواج من ابنته ما يدعو
الى الخجل او التحرج بل ان الذى يدعو الى الخجل هو ما يسود مجتمعنا
اليوم من التصنع والتكلف وعسا دات محدثه تمنع الوالد او ولى امر الفتاة من

التقدم لمن يرتضى خلقه ودينه وكفاً ته لابنته او لاحتة ، لان العرض في نذر هذه العادات اصبح من قبل الزوج نفسه او وليه ولا يليق بمقام الفتاة ولا شرف اهلها ان يجي العرض من جانب وليها ، مع ان الصحابة الكرام والسلف الصالح كانوا يعرضون زواج بناتهم او من يتولون ولا يتهم على من يرتضون خلقه ودينه ، ولقد عرض الفاروق رضى الله عنه ابنته ام المؤمنين حفصة على ابي بكر ثم على عثمان واخيراً تزوجها خاتم الانبياء والمرسلين صلوات الله وسلامه عليه .

بمثل هذه البساطة والوضوح بنى المجتمع الاسلامي كيانه وارسي اركانه ويوم ان استبدلنا هذه البساطة بالتصنع والتكلف تعقدت امورنا وصعبت حياتنا وكثرت تكاليف الزواج مما جعل الكثير من الشباب غير قادر على الزواج بسبب تكاليفه الباهظة والخياليه احياناً ، ونتاج من ذلك وجود اعداد كبيره من الشبان والفتيات دون احصان ، مما يجعل الفرصة متاحة امام افواه الشيطان في نشر الفساد والرذيلة في المجتمع الذي اراد له الاسلام ان يكون طاهراً عفيفاً محصناً . .

وبعد ان عرض الشيخ زواج ابنته وشروط العمل مع موسى عليه السلام وعده بالا يشق عليه ولا يتعبه في مهنته راجياً بمشيئة الله ان يجده موسى من الصالحين في معاملته ومن المؤمنين على عهد . .

وقبل موسى عليه السلام العرض واشهد الله على ذلك :

(قال ذلك بيني وبينك ايما الاجلين قضيت فلا عدوان علي والله على

مانقول وكيل) (١)

وهكذا نرى ان ذكر الله عز وجل كان شاهدا في كلام كل منهما ، ، .
 فالشيخ قد مهر كلامه بقوله : (ستجدني ان شاء الله من الصالحين) ،
 وموسى عليه السلام قد ختم كلامه بقوله : (والله على ما نقول وكيل) وهذه
 مزية من مزايا المؤمن من وصفة من صفاته ان يكون دائما ذاكرا لربه وفي كل
 حالاته جاعلا خشيته نصب عينيه ورا. جيا عونه وتوفيقه في كل اموره وتطلعاته .
 وتمضى الايام وموسى في بيت حمه آمنة من فرعون وكيده ثم تمضى السنوات
 التى اتفق على قضائها ، وتبدأ الحلقة الثالثة بعد ما قضى موسى الاجل وسار
 بأهله عائدا من مدين الى مصر سالكا نفس الطريق التى مشى فيها يوم ان
 فر هاربا وحيدا طريدا من مصر واليوم يرجع وبعد سنوات طوال الى البلد
 الذى هاجر منه ، ولكن سفره هذه المرة لم يكن وحيدا بل كان بصحبة اهله
 ولم يشعر بالوحدة والجذع الذى شعر به فى المرة الاولى اذ آتسه ربه بعد
 ان ناداه وكلمه وامره بابلاغ رسالته التى من اجلها وقاه من فرعون وورعاه وحفظه
 من كل الشرور التى كانت تتربص به ، ثم علمه ليكون اهلا لحمل رسالة الله
 وتبليغها الى الناس .

قال تعالى : (فلما قضى موسى الاجل وسار بأهله آتس من جانب
 الطور نارا قال لاهله امكثوا انى آتست نارا لعلى آتيكم منها بخير أو جدوة
 من النار لعلكم تصطلون ، فلما أتاهما نودى من شاطىء الوادى الايمن فى
 البقعة المباركة من الشجرة أن يا موسى إنى أنا الله رب العالمين وأن ألق
 بهصاك فلما رآها تهتز كأنها جان ولى مدبرا ولم يعقب يا موسى اقبل ولا تخف
 انك من الآمنين ، اسلك يدك فى جيبك تخرج بيضا من غير سوء واضم

اليك جناحك من الرهب فذانك برهانان من ربك الى فرعون وملئه انهم كانوا
قوما فاسقين (١)

(١) سورة القصص : (٢٩ ، ٣٠ ، ٣١ ، ٣٢)

فلما قضى موسى الاجل : اى تم العده المضروبه ، والمراد منه الاجل
الآخر ، لما اخرج به البخارى من ابن عباس انه سئل اى الاجلين قضى
موسى عليه السلام فقال قضى اكثرهما واطيبهما ان رسول الله اذا قال
فعل .. (روح المعانى : ٧١/٢٠) .

آنس من جانب الطور : اى ابصر من الجبهه التى تلى الطور
فلما اتاها : اى النار التى آنسها ، نودى من شاطى الوادى الايمن
اتاه النداء من الجانب الايمن بالنسبة الى موسى فى سيره فالايمن صفه
للشاطى وهو ضد الايسر وجوز ان يكون الايمن بمعنى المتصف بالبركه ضد
الاشام .

البقعة المباركة : البقعه هى القطعة من الارض على غير هيئة التى الى
جنبها . ووصفت بالبركه لما خصت به من آيات الله عز وجل وانواره ..
وقيل : لما حوت من الارزاق والثمار الطيبة . (روح المعانى : ٧٣/٢٠)
قوله تعالى : اسلك يدك فى جيبك : ادخلها فى الجيب : وهو فتحة .
الثوب من حيث يخرج الرأس . من غير سوء : من غير عيب .
واضم اليك جناحك من الرهب : اى من اجل المخافه ، قال مجاهد :
امره سبحانه بضم عضده ووزراه وهو الجناح الى جنبه ليخفف بذلك فزع
(روح المعانى : ٧٥/٢٠) .

وهكذا نادى الله عز وجل عبده موسى وكلفه بحمل الرسالة وامره بتبليغها
 واعطاء آيتين من آياته لتقوى حجته ويعزز برهانه ليكون حجة على المدعوين
 انه مرسل من رب العالمين . .

ثم يأمره تعالى بالذهاب الى فرعون وملكه بعد ان طغى وبغى وصاى
 فى الارض الفساد ، وهنا يتذكر موسى عليه السلام وترجع به الذاكرة الى
 الماضى فهو قتل منهم نفسا وخرج من مصر طريدا بعد ان تأمروا على قتله
 ولعلمهم مايزالون يترهبون به الدوائر مخاطب ربه طالبا منه العون :

(قال رب انى قتلت منهم نفسا فأخاف ان يقتلون واخى هارون هو افصح
 منى لسانا فارسله معى رد ١٥ بصدقنى انى اخاف ان يكذبون) (١)

وكانى بموسى عليه السلام يريد ان يدعم دعوته بالبيان والفصاحة وقوة
 التعبير الى جانب القوة الجسميه التى يتمتع بها ، لذلك طلب من الله ان
 يرسل معه اخاه هارون فى هذه المهمه لينافح معه من الدعوه وليكون
 له عضداو مساعدا يدفع عنه الاذى ويقوى دعواه ويخلفه فى اهله ودعوته ان
 هم قتلوه ، واستجاب الله عز وجل لموسى عليه السلام وطمانته :

(قال سنشد مضدك بأخيك وتجعل لكما سلطانا فلا يصلون اليكما

بآياتنا انتما ومن اتبعكما الغالبون) (٢)

(١) سورة القصص : (٣٣ ، ٣٤) .

(٢) سورة القصص : (٣٥) ، ونجل لكما سلطانا : اى تسلطا عظيما وقلبه

فلا يصلون اليكما بآياتنا : اى لا يصلون اليكما باستيلاء او حاجة وقيل

تمتنعون منهم بها - الآيات - (روح المعانى : ٢٠ / ٧٨) .

لقد استجاب الله عز وجل لرجاء موسى عليه السلام وشد ضده بأخيه هارون وزاده على ما رجاه من البشارة والتطمين بأن قال له : " ونجعل لكما سلطانا " فموسى وهارون لن يذهبا اعزلين الى الطاغية فرعون بل سيذهبان اليه وقد زودهما خالق الاكوان وقاصم الجبابره بسلطان لا يقف فى مواجهته سلطان فى الارض ولا تستطيع ان تغال منهما كف طاغية جبار " فلا يصلون اليكما" فعين العناية والرعاية تحوطكما ولكم فيها حصن وملاذ . .

وبشرهما عز وجل بغلبة الحق على الباطل ودحره ونصرة الايمان على الكفر والضلال : (انتما ومن اتبعكما الغالبون)

وهكذا تجلت قدرة الله عز وجل وعلت لصالح الرسل والمؤمنين لتكون الغلبة بأسباب اخرى غير تلك التى تعارف عليها الناس فى دنياهم وليقوم فى النفوس ميزان جديد للقوى والقيم يحل محل الذى تعارف عليه الناس ، ايمان وثقة بالله مع العمل لما يحبه ويرضاه ، وبعد ذلك فعلى الله الاتكال وبعبده مقدرات الامور . .

ويطوى الزمان فاذا موسى وهارون فى مواجهة فرعون بآيات الله البينات ، واذا الحوار بين الهدى والضلال، وبين الحق والباطل، وبين الايمان والكفر . . بدأ موسى عليه السلام حواراه مع فرعون فى اللقاء الاول بينهما بعد ما كلفه ربه بحمل الرسالة وتبليغها مخاطبا اياه بانه مرسل من رب العالمين :

(وقال موسى يا فرعون انى رسول من رب العالمين) (١)

فأبلغه عليه السلام أولاً بأنه رسول من عند الله وكونه من عند الله . .
 يستحيل عليه ان يقول على الله غير الحق : (حقيق علي الا اقول
 على الله الا الحق) (١) ، ثم يخبر فرعون بعد ما اكد له انه رسول من
 عند الله وانه لا يقول الا الحق اخبره بأنه جاء بهينه من عند الله تعالى تدل
 على صحة رسالته وتبين له صدقه ويطلب من فرعون ان يخلي بينه وبين بنى
 اسرائيل ليتمكن من هدايتهم الى الله والسير بهم من الرق والعبودية التي
 فرضها فرعون عليهم الى طريق الحرية والايمان .

(فأرسل معى بنى اسرائيل) (٢) ، ولكن فرعون لم يصدق ما قاله موسى
 فأجابه : (قال ان كنت جئت بآية فأت بها ان كنت من الصادقين) (٣)
 وهنا تقدم موسى ويقبل التحدى فيلقى عصاه فاذا هى شعبان مبین
 وينزع يده فاذا هى بيضاء للناظرين قال تعالى :

(فألقى عصاه فاذا هى شعبان مبین ونزع يده فاذا هى بيضاء)

للناظرين) (٤) ، وتتدخل حاشية السوء التي تحيط بالطاغية لتعزز موقف
 البغى وتزين له الشر (قال الملاء من قوم فرعون ان هذا لساحر عليه يريد
 أن يخرجكم من ارضكم فماذا تأمرون) (٥) . .

(١) سورة الاعراف : من الآية (١٠٥) .

(٢) " " " " " (٢)

(٣) سورة الاعراف : (١٠٦) .

(٤) سورة الاعراف : (١٠٧ ، ١٠٨) .

(٥) سورة الاعراف : (١٠٩ ، ١١٠) .

خاف القوم وجن جنونهم لما رأوا من آيات بينات ولكنهم ادعوا ان هذا
 سحر وسوف يبطلونه بعد ان يستدعوا كبار السحرة من جميع انحاء مصر
 ليقتفوا في وجه موسى ودعوته ، لقد وصل بهم الخوف والهلع الى اقصى درجاته
 بدليل استنفار جهود السحرة واستدعائهم من طول البلاد وعرضها :
 (قالوا ارجه واخاه وارسل في المدائن حاشرين ياتوك بكل ساحر
 عليهم) (١) .

واجتمع السحرة من كل فج لمقاومة موسى عليه السلام ، والتقوا عند فرعون
 أولا ليأخذوا منه موثقا باغداق الاموال عليهم ولكنه كان اكثر ايجابيه مما توقعوا
 اذ اجبرهم بانهم سيكونوا الى جانب اجبرهم من المقربين لديه وهذه مرتبة
 قل من يطمع بالفوز بها عند فرعون ، ولكن الخوف من سوء العصور وزيادة في
 افراء السحرة جعله يقدم هذه العروض السخيه في سبيل بذل اقصى الجهد
 من اجل التغلب على موسى ودعوته . .

وابتداً السحرة ينسجون من سحرهم ويجمعون عصارة صنعتهم ويعملون
 فاية جهدهم ليحوزوا برضى فرعون ويعطايها الموعوده ، وقاب من اذهانهم
 ان الموقف ليس موقفاً احترام ومهاره في السحر ان هو موقف المعجزة والنبوة
 المستمدة قوتها من رب العالمين ، والتي لا يقف امامها سحر السحرة مهما
 كان ولا تجبر الجبايرة مهما بلغ . .

وبعد ان ادلعان السحرة على نيل الاجر واشرايت اضاقتهم الى وعد
فرعون بالقربى توجهوا نحو موسى بالتحدى .

(قالوا يا موسى اما ان تلقى واما ان نكون نحن الملقين) (١)

واجابهم عليه السلام بجواب العظمى الى نصر اللتعالى مع انه فرد

واحد امام مجموعة كبيرة من السحرة المحترفين .

(قال القوا) وتبدو الاستهان من موسى عليه السلام بهؤلاء السحرة

عندما قال لهم " القوا " وتظهر المفاجأة بعد القا سحرهم الذى سحروا

به اعين الناس واسترهبوهم فهم سحرة ماهرون جمعهم زبانية البغى من طول

البلاد وعرضها ولتقوهم انتقا من بين سائر السحرة لتكون لهم الغلبة على

موسى عليه السلام ومع انهم جاءوا بسحر عظيم اخاف الناس واخاف موسى

معهم لشدته ، وقد وصفه تعالى بأنه عظيم : (فلما القوا سحروا اعين

الناس واسترهبوهم وجاءوا بسحر عظيم) (٢)

حتى كاد الرعب يدب بموسى عليه السلام قال تعالى : (فأوجس فى

نفسه خيفة موسى) (٣) ، ولا مانع ان يخاف النبى المرسل فهو بشر ولكن

خوفه هذا لم يطل اذ جاءه المدد الالهى ليثبت قلبه ويعيد السكينة الى

جوارحه (قلنا لا تخف انك انت الاطى) (٤) الله أكبر فى هذا الموقف العصيب

تأتى البشرى لموسى بأن لا تخف انك انت المنتصر والظاهر عليهم. فلا تخف

(١) سورة الاعراف : (١١٥) .

(٢) سورة الاعراف : (١١٦) .

(٣) سورة طه : (٦٧) .

(٤) سورة طه : (٦٨) .

مهما كان سحرهم عظيما وكيدهم متينا ، فهو مجرد سحر ولا يفلح الساحر حيث اتى ، وينزل الامر الربانى الى موسى قائلا : (والى ما فى يمينك تلقف ما صنعوا انما صنعوا كيد ساحر ولا يفلح السحر حيث اتى) (١) ،

وفى سورة اخرى قال تعالى : (وأوحينا الى موسى ان الق عصاك

فاذا هى تلقف ما يافكون فوق الحق وبطل ما كانوا يعطون) (٢)

قد ينتفشى الباطل وينتفخ ويسحر العيون ، حتى يخيل الى الكثيرين

انه غالب وسيطر ، ولكنه يوم ان يواجه الحق الهادى العظمن الى وعد

ربه لا يلبث ان ينفق كالمطاط المنفوخ وينكش كالقطن المبلول بعد ما . .

يعصر واذا الحق راجع الوزن ثابت القواعد عميق الجذور .

وبعد ان وقع الحق وظهر زيف فرعون وبطل سحر السحرة ، تجلست

الغفأة الكبرى التى لم تكن لتخطر على بال احد ، اذا اعلن السحرة ايمانهم

لما رأوا من آيات الله المعجزة على يد موسى عليه السلام . .

ولقد فات فرعون وزبانيته ان للحق صدى فى النفوس حينما ينكشف لها

والسحرة هم اعلم الناس بحقيقة فنهم وهم اعلم الناس بالذى جاء به موسى ان

كان سحرا ام آية معجزة ، تعجز البشر عن الاتيان بمثلها او ادراك كتبها

ومن هنا تحول السحرة من التحدى السافر والظرسنة المنتفشه بسحرهم العظيم

الذى كاد يسلب قلوب الناظرين الى التسليم المطلق امام صولة الحق ونور

الايمان : قال تعالى (والى السحرة ساجدين قالوا آما يرب العالمين رب

موسى وهارون) (٣)

(١) سورة طه : (٦٩) .

(٢) سورة الاعراف : (١١٧ ، ١١٨) .

(٣) سورة الاعراف : (١٢٠ ، ١٢١ ، ١٢٢) .

" انه نور الحق واليقين يقذف في القلوب المستعدة لتلقى هذا الحق واليقين ، ولكن المتجبرين المتكبرين لا يدركون كيف يتسرب النور الى قلوب البشر ، وكيف تمازجها بشاشة الايمان ، وكيف تلمسها حرارة اليقين وان سطوتهم الظاهرية على الناس وقدرتهم الموهومة على تصرف ماديات الحياة لتخدعهم حتى ليحسبون انهم ملكوا تصرف الارواح وتقليب القلوب .

والارواح جنود من جنود الله ، والقلوب بين اصبعين من اصابعه يقبلها كيف يشاء " (١) .

لذلك فوجي " الطاغية بهذا الايمان المفاجي " الذي لم يدرك كنهه ولم يظن الى مداخله ، والذي انزل عليه كالصاعقه ، فجن جنونه واخذ يهدد السحرة الذين آمنوا بانه سوف يقطع ايديهم وارجلهم من خلاف ثم يصلبهم ان هم لم يرجعوا عن ايمانهم برب العالمين .

كما اتهمهم الطاغية بأن ما حصل كان نتيجة مؤامرة دبرت ليليل لابعاد الناس عن فرعون وجنوده .

(قال فرعون آمنتم به قبل ان آذن لكم ان هذا لمر مكرموه في المدينة لتخرجوا منها اهلها فسوف تعلمون ، لا قطعن ايديكم وارجلكم من خلاف ثم لاصلبنكم اجمعين) (٢)

(١) سيد قطب : في ظلال القرآن : ج ٩ / ص ٢٥ ، الطبعة الاولى بتصرف .

(٢) سورة الأعراف : (١٢٣ ، ١٢٤) .

انه الوعيد بالعذاب الشديد والتهديد بالموت البطيء المدمر ، ولكن
الايان اذا وقر في القلوب استهان بهأس الطفأة ، وفضل البقاء الدائم
على الفناء الزائل :

(قالوا انا الى ربنا منقلبون وما تنقم منا الا ان آمننا بآيات ربنا لما جاءتنا
ربنا افرغ علينا صبرا وتوفنا مسلمين) (١)

انه الايمان الذى لا يتزعزع ولا يخاف بطش الطفأة ويستعلى على
كل التهديد والوعيد فلا يستجدي النجاة ، ولا يطلب تخفيف العذاب
بل يستعلى بايمانه فوق كل المصائب والمحن ويطلب من الله التثبيت والصبر
ويسأله حسن الخاتمة .

قالوا : (ربنا افرغ علينا صبرا وتوفنا مسلمين)

ويقف الجبابرة عاجزين امام عظمة الايمان متحيرين فى ثقة المؤمن بربه
وقد ظنوا انهم اذا ملكوا الاجسام وسيطروا عليها استطاعوا السيطرة على
القلوب والارواح ، ولكن خاب فآلهم ، فلا سلطان على القلوب الا سلطان
وماذا يملك الطفأة اذا رغبت القلوب فى جوار الله
الله . وماذا يملك المتجبرون اذا رغبت القلوب برحمة الله عن ملك ملوك الأرض .
x

انه موقف حاسم فى تاريخ البشرية هذا الذى كان بين الطاغية فرعون
وبين الفئة المؤمنة من السحرة التى استعلت بايمانها فوق التهديد والوعيد
ورضيت بالتشكيل والعذاب وتحملت كل اذى فى سبيل عقيدتها وايمانها . .

انه موقف رائع في تاريخ البشرية ان تنقلب تلك النفوس ويلمح البصر
من النقيض الى النقيض فبعد ان كانت ترجو القرب من فرعون وتساله الاجر
على الانتصار ، فاذا بها هي ذاتها ومقدرة قادر تستهين بأجره وبالتقرب
اليه وتستعمل على الطاغية ولا تعب بوعده ووعيده وترضى بالموت والتنكيل على
الخنوع والخنوع لرجل مزيف يدعى الالوهية ويرغم الناس على اعتقاد باطل وهرق
بهم عن الطريق المستقيم . .

انه الايمان اذا خالطت حلاوته شعاب القلب ظهرت آثاره على الجوارح
فاستعملت باستعلاءه ، وارتفعت بارتفاعه على كل الفانيات والمفريات ، ورضيت
بالباقيات الصالحات . .

(والباقيات الصالحات خير عند ربك ثوابا وخير أملا) (١)

ويذهب التهديد ويتلاشى الوعيد وبعض الايمان . في طريقه لا يتردد ،
ولا يحيد . .

ولكن هل يسكت الطفافة امام الهزيمة النكراء التي لحقت بهم على رؤوس
الاشهاد ، ان الباطل حين ينهزم يبحث له عن مدخل جديد ليطمئن به الحق
فيلتف ويدور لعله يجد مقتلا آخر ينفذ منه الى طعن الحق واسكاته وتظهر
حاشية السوء التي تعيش كالحشرات الطفيلية على دم الحاكم تمتص منه وتحيا
بحياته ، فاذا ذهب ذهبته معه وتلاشت ، من هنا حرص الملا من قسوم
فرعون على تحريض الطاغية ضد موسى والمؤمنين معه .

قال تعالى : (وقال الملاة من قوم فرعون اتذر موسى وقومه ليفسدوا في الأرض ويذرك وآلهتك ، قال سنقتل ابناهم ونستحي نساءهم وانما فوقهم قاهرون) (١) .

لقد سعى زبانية الظلم الدعوة الى الله تعالى افسادا في الارض ، وهذه قوله اتفق عليها رجال السوء في كل عهد الطغيان لانهم يعلمون ان الدعوة الى الله وحده تهدد دولتهم وتنقضها من اساسها ، لانها دعوة الحق والعدل وانصاف المظلوم من الظالم والارتفاع بالانسان من عبودية الارض بما فيها من مطامع الجاه والمال والشهوات الى عبودية الواحد القهار حيث يتساوى فيها الغني والفقير ، والقوي والضعيف ، والحاكم والمحكوم ، ولا يفضل بعضهم على بعض الا بالتقوى والعمل الصالح .

ويقف موسى عليه السلام امام تهديد فرعون وبطشه موقف المؤمن المتيقن من نصر الله له مهما بلغت التضحيات ، فهو صي قومه بالصبر واحتمال الفتنة والهلاة والارتفاع فوق الانانيات ويحثهم على طلب العون من الله عز وجل كما يبشروهم بأن الارض بما فيها من متاع وخيرات هي لله عز وجل يورثها من يشاء من عباده ، ولكن العاقبة الخيرة الطيبة في النهاية هي لمن يتقون الله فيخشونه ولا يخشون احدا سواه ، كانوا من كان ، بالفا ما بلغ من السلطان والغنى ..

(١) سورة الأعراف : (١٢٧) .

قال تعالى (في معرض ذكر وصية موسى لقومه :

(قال موسى لقومه استمعينوا بالله واصبروا ان الارض لله يورثها من

يشاء من عباده والعاقة للمتقين) (١)

ولما شكى قوم موسى شدة الابداء التي يلاقونها من فرعون وجنوده

طيب عليه السلام نفوسهم وبشرهم بأن الله تعالى سوف يستخلفهم في الأرض

ان هم صبروا وتحملوا في سبيله الاذى ، كما اخبرهم بهلاك عدوهم واطهارهم

عليه ان صدقوا الله عز وجل واخذوا العمل له .

قال تعالى : (قالوا اؤذينا من قبل ان تأتينا ومن بعد ما جئتنا

قال عسى ربكم ان يهلك عدوكم ويستخلفكم في الأرض فينظر كيف تعملون) (٢)

ويبدو من سياق الآيات ان المؤمنين من قوم موسى عليه السلام قد

صبروا وتحملوا شدة فرعون وبطشه صابرين محتسبين ، فأحسن الله اليهم

جزاء صبرهم وحقق وعده لهم بالاستخلاف في الارض ودمر البقاة الطفافة ،

وأورثهم ديارهم واموالهم . .

قال تعالى : (ولقد اخذنا آل فرعون بالسنين ونقص من الثمرات

لعلهم يذكرون فاذا جاءتهم الحسنة قالوا لنا هذه وان تصبهم سيئة يطيروا

بموسى ومن معه الا انما طأفهم عند الله ولكن اكثرهم لا يعلمون ، وقالوا

سهما تأتينا به من آية لتسحرنا بها فما نحن لك بمؤمنين فارسلنا عليهم

(١) سورة الأعراف : (١٢٨) .

(٢) سورة الأعراف : (١٢٩) .

الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم آيات مفصلات فاستكبروا وكانوا قوما
 مجرمين ، ولما وقع عليهم الرجز قالوا يا موسى ادع لنا ربك بما عهد عندك
 لئن كشفت عنا الرجز لنؤمنن لك ولنرسلن معك بنى اسرائيل ، فلما كشفنا
 عنهم الرجز الى اجل هم بالفضوه ^{ان ا هم} ينكثون فانتقمنا منهم فاغرقناهم في اليم
 بأنهم كذبوا بآياتنا وكانوا عنها غافلين وأورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون
 مشارق الأرض ومغاربها التي باركنا فيها وتمت كلمة ربك الحسنى على بني
 اسرائيل بما صبروا ودمرنا ما كان يصنع فرعون وقومه وما كانوا يعرشون * (١)

واذا كانت قصة موسى مع فرعون قد انتهت باغراق فرعون وجنوده في اليم
 فان قصة موسى مع بنى اسرائيل لم تنته ، ان لم يطل بهم العهد منذ ان كانوا
 يسامون الخسف ويتجرعون كؤوس المذلة في ظل الوثنية عند فرعون حتى تقع

(١) سورة الأعراف : (١٣٠ ، ١٣١ ، ١٣٢ ، ١٣٣ ، ١٣٤ ، ١٣٥ ،
 ١٣٦ ، ١٣٧) .

يعرشون : يزرعون من الجنات ، ومنه قوله تعالى (جنات معروشات)

وقيل ما كانوا يعرشون : يرفعون الابنيه المشيده في السماء .

(الرازى : ١٤ / ٢٢٢) .

تأبع ص ٤٧ ان هو لا متبر ما هم فيه : قال الليث : التبار الهلاك ، يقال

تبر الشيء تبارا والتببر : الاهلاك ، ومنه قوله تعالى : (تبرنا

تبيرا) ويقال للذهب المنكسر المفت التبر ، فقوله متبر ما هم

فيه : اى مهلك مدمر .

(الرازى : ١٤ / ٢٢٢) .

أبصارهم بعد أن تجاوزوا البحر على قوم يعكفون على أصنام لهم ، فسرعان
 ماتسرى الوثنية فيهم كسريان الدم في العروق ويطلبون من موسى الذي أنقذهم
 من ربقة الشرك الى توحيد الله عز وجل ، أن يتخذ لهم صنما يعبدونه من
 دون الله . قال تعالى : (وجاوزنا ببني اسرائيل البحر فأتوا على قوم
 اصنام لهم قالوا يا موسى اجعل لنا اله كما لهم آله قال انكم
 يعكفون على قوم تجهلون ان هو^١ لا متبرماهم فيه وباطل ما كانوا يعملون ، قال
 أغير الله أبغيتكم لها وهو فضلكم على العالمين . وان أنجيناكم من آل فرعون
 يسومونكم سوء العذاب يقتلون أبناءكم ويستحيون نساءكم وفي ذلكم بلاء من ربكم
 عظيم) (١)

ويواجه موسى عليه السلام دعوة قومه المنحرفة بقوله : (انكم قوم تجهلون
 فهو يستنكر أشد الاستنكار لهذا الطلب العجيب الذي لا يصدر الا عن اناس
 جهله ، لان الشرك الذي يطلبونه هو الذي أنزلهم به فرعون ومن أجله قتل
 أبناءهم واستحيا نساءهم وأن أقمهم الهوان ، فلو كانوا يقتلون لما يجرى حولهم
 ما طلبوا العودة الى الشرك بعد أن أنقذهم الله منه على يد رسوله موسى عليه
 السلام .

ويضئ موسى عليه السلام ناصحا لقومه مبينا لهم سوء المصير الذي ينتظر
 هو^١ المشركين ، قال : (ان هو^١ لا متبرماهم فيه وباطل ما كانوا يعملون)
 ثم يبين لهم فضل الله عليهم ورحمته بهم . (قال أغير الله أبغيتكم لها
 وهو فضلكم على العالمين)

ثم يذكرهم بنعم الله عليهم . (واذ انجيناكم من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب يقتلون أبناءكم ويستحيون نساءكم وفى ذلكم بلاء من ربكم عظيم)

فالنجاة من فرعون منه عزيمة تكفى وحدها لشكر الله عز وجل والخضوع لسيده وحده ، ويخبرهم تعالى بأن هناك ابتلاء بالرخاء كما ان هناك ابتلاء فى الشدة وينتهى هذا المشهد بهن موسى وقومه لينتقل السياق الى المشهد العظيم حيث يكلم الله موسى ، وقبل أن يذهب موسى للقاء ربه يوصى أخاه هارون بأن يكون خليفته على بنى اسرائيل ويوصيه بأن يكون مصلحا بينهم متبعا فيهم سبيل الخير والرشاد ، ويتقبل هارون عليه السلام هذه الوصية بقلب مطمئن محتسب لله عز وجل على ما يلقاه من تعب وجهد فى سبيل ابلاغ دعوة الله الى الناس .

(١) (وقال موسى لآخيه هارون اخلفنى فى قومي واصلح ولا تتبع سبيل المفسدين)

وينتهى الموعد الذى أعطاه الله لموسى وهو أربعون ليلة ويحين موعد اللقاء الذى اختص الله به موسى من بين أنبيائه .

قال تعالى (ولما جاء موسى لميقاتنا وكلمه ربه قال رب أرنى أنظر اليك قال

لن ترانى ولكن انظر الى الجبل فان استقر مكانه فسوف ترانى فلما تجلى ربه

للجبل جملة دكا وخر موسى صعقا فلما أفاق قال سبحانك تبت اليك وأنا أول

المؤمنين) (٢)

(١) الاعراف (من الاية ١٤٢)

(٢) الاعراف (١٤٣)

ويهد وأن حب موسى لله عز وجل وشوقه للقاء أنساه حقيقة البشرية فطلب من ربه أن يتجلى عليه لينظر اليه ، ولكن الله عز وجل ينهيه ويرده الى حدود طاقته بقوله : (لن ترانى) ثم يترفق به الخالق العظيم فيعلمه عدم قدرته على رؤيته فيقول له : (ولكن انظر الى الجبل فان استقر مكانه فسوف ترانى فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا)

وهنا أدركت موسى رهبة الموقف فلم يستطع أن يتمالك امام هول مارأى (وخر موسى صعقا) فلما عاد له وعيه وأدراك مدى طاقته البشرية قال : (سبحانك تبت اليك وانا أول المؤمنين) ثم يخاطب تعالى نبيه موسى مبشرا اياه بالاصطفاء (قال يا موسى انى اصطفيتك على الناس برسالاتى وبكلامى فخذ ما آتيتك وكن من الشاكرين ، وكتبنا له فى الالواح من كل شىء موعظة وتفصيلا لكل شىء فخذها بقوة وأمر قومك يأخذوا بأحسنها سأريكم دار الفاسقين . سا هصرف عنى اياتى الذين يتكبرون فى الارض بغير الحق وان يروا كل آية لا يؤمنوا بها وان يروا سهيل الرشد لا يتخذوه سهيلا وان يروا سهيل النفى يتخذوه سهيلا ذلك بأنهم كذبوا بآياتنا وكانوا غافلين . والذين كذبوا بآياتنا ولقاء الأخرة حبطت أعمالهم هل يجزون الا ما كانوا يعملون) (١)

وبينما كان موسى فى حضرة ربه كان قومه يرتكسون الى عبادة الأصنام ان اتخذوا لهم عجلا يعبدونه من دون الله .

قال تعالى : (واتخذ قوم موسى من بعده من حليهم عجلا جسدا له خوار ألسم يروا انه لا يكلمهم ولا يهدىهم سهيلا اتخذوه وكانوا ظالمين) (٢)

(١) الاعراف (١٤٤ - ١٤٥ - ١٤٦ - ١٤٧)

(٢) الاعراف (١٤٨)

انها طهيمة بنى اسرائيل المنحرفة التي يصعب عليها السير فى الطريق
السليم والارتفاع فوق المائه ولا سيما حينما تكون تلك المادة هى الذهب الذى
يحرص عليه بنو اسرائيل منذ القوم أكثر من حرصهم على أى شىء آخر .

لقد راودتهم أنفسهم فراودوا تبييتهم أن يجعل لهم آلهة من دون الله ولكن
موسى عليه السلام صد هم عن ذلك ووعظهم ورد هم الى الله خالقهم وخالق كل
شىء ولكن ما ان خلوا بأنفسهم ورأوا عجلا من الذهب حتى طاروا اليه وتهافتوا
على عبادته ونسوا وصية نبيهم من قبل بل وضربوا بها عرض الحائط ولو فكروا فى
حقيقة هذا العجل لما انكبوا على عبادته (ألم يروا انه لا يكلمهم ولا يهدى بهم
سبيلا ولكنه الضلال والعمى ، انها لا تسمى الابصار ولكن تسمى القلوب التى
فى الصدور)

وحاول هارون عليه السلام أن يرد هم عن هذا الارتكاسة الوثنية وعمل ما فى
وسمه ولكنهم ما ان رأوا فيه الاخلاص والجد فى منعهم حتى هددوه بالقتل ان
هو لم يلزم الصمت ، ويدعهم ومعبودهم الجديد — عجل الذهب .

ويعلم موسى عليه السلام بالامر فيسرع الى قومه والشر يتطير من عينيه غضبا
على بنى اسرائيل الذين استبدلوا عبادة الواحد القهار بعبادة وثقى لا يضر
ولا ينفع . .

قال تعالى : (ولما رجع موسى الى قومه غضبان أسفا قال يا قومه انقلبتم على اعقابكم
من بعدى أعجلتم أمر ربكم وألقى الألواح وأخذ برأسى أخيه يجره اليه قال ابن
ام أن القوم استضعفوني وكادوا يقتلونى فلا تشمت بي الأعداء ولا تجعلنى مع

القوم الظالمين (١)

ان اثر الغضب الشديد يظهر من موسى عليه السلام عندما ألقى الألواح وأخذ برأس أخيه هارون يجره اليه ويعنفه ، مع أن هارون هو النبي الصالح الطيب الوديع ولكن صعوبة المفاجأة وهول الموقف جعل موسى عليه السلام يفعل ما فعل انتقاما لدين الله ووجدانيته ، فهو ترك القوم على التوحيد والهسدى فلماذا اختاروا الضلال واستمجلوا عذاب الله وفضبه ؟

وعند ما رأى هارون عليه السلام مبلغ الغضب الذى حل بموسى نتيجة ما رأى من انحراف قومه ، ما جعله يأخذ برأسه بعنف ويجره اليه أخذ يستشير فى نفس أخيه موسى عاطفة الأخوة والرحمة ويعتذر اليه بأنه لم يقصر فى هدايتهم وارشادهم غير أنهم رفضوا كل هداية ولقد حاولوا قتله لكثرة مانهاهم وحذرهم من عبادة العجل ولكنهم استضعفوه وخالفوا أمره ملين نوازع الشر فى نفوسهم (قال ابن ام ان القوم استضعفونى وكادوا يقتلونى فلا تشمت بهى الاعنــــد!)
ولا تجعلنى مع القوم الظالمين (٢)

(١) الاعراف : (١٥٠)

اعجلتم أمر ريكم : قال عطاء : اعجلتم سخط ريكم

وألقى الألواح : يريد التى فيها التوراة والقاءه لها يدل على شدة غضبه

ولا تجعلنى مع القوم الظالمين : أى لا تجعلنى شريكا لهم فى عقوبتك لما

فعلوا . (الرازى ١٥ / ١٢)

(٢) الاعراف : (من الايه ١٥٠)

عندئذ هدأت نائرة موسى بعد ماتبين له صدق هارون ، وبعد ذلك توجه
الى الله عز وجل يطلب منه المغفرة والرحمة له ولاخيه (قال رب اغفر لى ولاخى
وأدخلنا فى رحمتك وأنت أرحم الراحمين) (١)

ثم ينزل حكم الله فى عبدة العجل ، قال تعالى : (ان الذين اتخذوا
العجل سينالهم غضب من ربهم وذلة فى الحياة الدنيا وكذلك نجزي المفترين) (٢)
وبعد ذلك يفتح الله باب التوبة واسما بقوله (والذين عملوا السيئات ثم
تابوا من بعد ما وآمنوا ان ربك من بعد ما لغفور رحيم) (٣)

ثم يصور لنا القرآن الكريم حالة موسى عليه السلام بقوله :
(ولما سكت عن موسى الفضب أخذ الألواح وفى نسختها هدى ورحمة للذين
هم لربهم يرهبون) (٤)

وتمضى قصة موسى مع بنى اسرائيل فاذا نحن أمام مشهد الصفوة التى اختارها
موسى من بنى اسرائيل للقاء الله وعلان التوبة .

قال تعالى : (واختار موسى قومه سبعين رجلا لميقاتنا فلما أخذتهم
الرجفة قال رب لو شئت أهلكتهم من قبل واياى أتهلكنا بما فعل السفهاء منا
ان هى الا فتنتك تضل بها من تشاء وتهدى من تشاء انت ولينا فاغفر لنا

(١) الاعراف (١٥١)

(٢) الاعراف (١٥٢)

(٣) الاعراف (١٥٣)

(٤) الاعراف (١٥٤)

وارحمنا وانت خير الغافرين ، واكتب لنا في هذه الدنيا حسنة وفي الآخرة
~~حسنة~~ انا هدنا اليك (١)

فيجيبه تعالى بقوله : (قال عذابي أصيب به من أشاء ورحمتي وسعت
كل شيء فساكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة والذين هم بآياتنا يؤمنون
الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الذي يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة
والإنجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم
الخبائث ويضع عنهم أصرهم والأغلال التي كانت عليهم ، فالذين آمنوا به
وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذي أنزل معه أولئك هم المفلحون) (٢)

وبعد أن أخذت الرجفة الرجال السبعين (٣) الذين اصطفاهم موسى من
بنى اسرائيل توجه عليه السلام الى ربه يتوسل اليه ويطلب منه المغفرة والرحمة
ويعلن الولاء والاعتراف بالقدرة الربانية ، (قال رب لو شئت أهلكتهم من قبل
واياي)

ثم يأتي الرجاء بصيغة الاستفهام : أتهلكنا بما فعل السفهاء منا .

(١) الاعراف (١٥٥ - وشطر من ١٥٦)

انا هدنا اليك : تبنا ورجعنا اليك ، قال الليث : الهدد : هو التوبة

(الرازي ٢١ / ١٢)

(٢) الاعراف (شطر ١٥٦ - ١٥٧)

(٣) لم ينص هنا على سبب الرجفة ولكنه جاء في مثل هذا الموضع من القصة
في سورة البقرة قوله تعالى (واذا قلت يا موسى لن نؤمن لك حتى نرى
الله جبهة فاخذتكم الصاعقة وانتم تنظرون ثم بعثناك من بعد موتكم
لعلكم تشكرون .)

ويذكر المرحوم سيد قطب ان القصة هي نفسها وليست حادثة اخرى في

تاريخ بنى اسرائيل (في ظلال القرآن ج ٩ / ٤٥) .

أى انه مستبعد على رحمتك ان تهلكنا بفعل سفهائنا (ان هى الا فتنتك
تضل بها من تشاء وتهدى من تشاء) وهذا هو الشأن فى كل فتنة ، ان
يهدى الله من يشتهون على الامتحان ويجتازونه بالصبر والرضى وأن يضل بها
ذوى القلوب الضعيفة البعيدة عن الله ، وموسى عليه السلام يقرر هذا الاصل
تمهيدا لطلب النصرة والعون من الله (أنت ولينا فاغفر لنا وارحمنا وانت خير
الفافرين واكتب لنا فى هذه الدنيا حسنة وفى الآخرة انا هدنا اليك) .

ثم يأتى الجواب من رب العالمين (قال عذابي اصيب به من أشاء ورحمتي
وسعت كل شئ فساكنها للذين يتقون ويؤتون الزكاة والذين هم بآياتنا يؤمنون^(١))

ثم يطلع الله نبيه موسى على الغيب المقبل وعلى الملة الآخرة .

(الذين يتبعون الرسول النبى الامسى الذي يجدونه مكتوبا عندهم فى التوراة
والانجيل بأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم
الخبائث ويضع عنهم اصرهم والاغلال التى كانت عليهم فالذين آمنوا به وعذروه
ونصروه واتبعوا النور الذى انزل معه اولئك هم المفلحون) (٢) .

وبهذا البلاغ كشف سبحانه عن مستقبل دينه وعن حامل رسالته وعن طريق

أتباعه وعن مستقر رحمته ولم يبق عذر لاتباع سائر الديانات السابقة منذ ذلك

البلاغ المبين .

(١) الاعراف (١٥٦)

(٢) الاعراف (١٥٧)

الفصل الثالث عشر

داود عليه السلام

طريق الانبياء طريق ابتلاء ومعاناة وصبر ، ولقد ابتلى الانبياء كل حسب درجته ، فابتلوا بالضراء كما ابتلوا بالسراء ، فالسراء كانت محكما للصبر على النعماء بعد الصبر على الضراء .

وحياة الرسل الكرام كما قصها القرآن العظيم ، كان قوامها الصبر ومادتها الامتحان والابتلاء ، لتكون درسا للناسرعاة وللدعاة خاصة تسجل فيه كيف تنتصر العقيدة وتسمو الروح وتستعلى بعد أن تنجرد من المفريات وتخلص لله وتختاره على كل شيء سواه .

وفي معرض قصة داود عليه السلام بوجه المولى عز وجل خطابه الى نبيه الكريم سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم داعيا فيه الى الصبر وتحمل المعاناة والأذى من الكفار ويذكره بسلفه نبي الله داود عليه السلام ويدعوه الى السير على طريقه فى التحمل والصبر .

قال تعالى : (اصبر على ما يقولون واذكر عهدنا داود ذا الابد انه

اواب) (١) . فوصف الله عز وجل نبيه داود بأنه ذو قوة وسلطان ولكنه اواب فالقوة والسلطان لم تغير من فطرته المؤمنه ولم تشبها شائبة العتو والفتوسة بل زادت انابه واستغفارا وتوبة وعبادة وذكرًا .

ومع النبوة والملك آتاه الله من فضله قلبا ذا كرا وصوتا جميلا وسخر له الجبال
والطير .

قال تعالى : (انا سخرنا الجبال معه يسبحن بالمشى والاشراف والطير
محشورة كل له اواب) (١) . فهذه نعم أنعم الله بها على نبيه داود ان
سخر معه الجبال تسبح خالقها بالمشى والاشراق .

كما سخر له الطير مطيعة منييه ، تنفذ أوامره وتقضى حوائجه ، وهذه
خاصية حص الله بها نبيه داود زيادة عن النبوة والاصطفاء ، وفوق هذا
أيضا عزز الله ملكه وآتاه الحكمة وفصل الخطاب .

قال تعالى : (وشد لنا ملكه وآتيناها الحكمة وفصل الخطاب) (٢)
فكان ملكه قويا مساسا بالحكمة والحزم والرأى السديد الذى لا يحتاج معه
الى الاستئناس بأراء الآخرين واستعراضها بل يجزم بالمسألة دون تردد
وذلك مع الحكمة والقوة .

ومع هذا الخير كله الذى أعطاه الله لداود عليه السلام فلم تخل دعوته
من محن وابتلاءات .

قال تعالى : (وهل أتاك نبوء الخضم ان تسوروا المحراب ان دخلوا على
داود ففزع منهم قالوا لا تخف خصمان بغى بعضنا على بعض فاحكم بيننا بالحق

(١) ع (١٩)

(٢) ع (٢٠)

ولا تشطط واهدنا الى سواء الصراط ان هذا أخى له تسع وتسعون نعجة
 ولى نعجة واحدة فقال أكفلنيها وعزنى فى الخطاب قال لقد ظلمك بسوء
 نعمتك الى نعاجه وان كثيرا من الخلطاء ليبنى بعضهم على بعض الا الذين
 آمنوا وعملوا الصالحات وقليل ما هم . وظن داود انما فتناه فاستغفر ربه
 وخر راكعا واناب (١)

لقد جنحت بعض التفاسير فى تفسير هذه الفتنة الى الروايات الاسرائيلية
 التى لا أصل لها والتى نعمت نبي الله داود بنعموت يتنزه عنها الانسان العادى
 فكيف بمن اصطفاه الله ؟ . كما أخطأت هذه التفاسير حينما نقلت عن أهل
 الكتاب ما لم يصح سنده ولا يجوز اعتماده لأنه يتنافى مع عقيدة المسلمين فى
 عصمة الأنبياء (٢) .

وبيان هذه الفتنة أن داود عليه السلام كان يخصص بعض وقته للقضاء بين
 الناس ، ويخصص البعض الآخر للعبادة والخلوة فى المحراب .

وكان من عادته اذا دخل المحراب لم يدخل عليه أحد حتى يخرج هو الى
 الى الناس ، وفى ذات يوم وهو فى خلوته فوجى* بشخصين غريبين عنده
 يتسوران المحراب ففزع منهم ، ولما نظرا ذلك فى وجهه بادرا يطمئنانه
 قالوا لا تخف خصمان بنى بعضنا على بعض ، وجئناك لتحكم بيننا بالحق
 ولتهدنا الطريق المستقيم . . وبدأ أحدهما فعرض مسألته فقال : (ان هذا

(١) ص : (٢١ - ٢٢ - ٢٣ - ٢٤)

(٢) رجع كتاب الاسرائيليات وأثرها فى كتب التفسير د / رمزي نعاة ص ٣٦

أخى له تسع وتسعون نعجة ولي نعجة واحدة فقال أكفلنيها (١) وعزني فسى
الخطاب (٢)

والقضية كما عرضها أحد الطرفين تحمل ظلما واضحا لالبسرفيه ، وهنا
بادر عليه السلام ليحكم بما سمع في الخصم الأول قبل أن يستمع الى حجة
الثاني فقال : (لقد ظلمك بسؤال نعجتك الى نعاجه وان كبيرا من الخلق)
ليبنى بعضهم على بعض الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات . وقليل ما هم (٤)
ويبدو انه عند هذه النقطة من الحكم اختفى الرجلان فعلم داود عليه
السلام أن الرجلين لم يكونا بشرا بل كانا ملكين جاءا لامتحانه في الحكم
والقضاء . . . وقد تعمد الملكان عرض هذه المسألة بهذه الصورة المثيرة حتى
ينظرا هل يتمجل الحكم أم يترث . . . وليعلمانه أن القاضى يجب عليه أن
لا يستأثر مهما بلفت غرابة القضية التى عرضت عليه ، كما أن عليه ألا يتمجل
بالحكم وعليه ألا يأخذ بظاهر قول واحد قبل أن يمنح الآخر فرصة لبيان
مسأله والادلاء بحجته .

وبعد اختفاء الملكين تنبه داود عليه السلام أن جوابه بهذه السرعة
لم يكن مصيبا للحق وان الله قد أرسل هذين الملكين لاختباره . (وظن

(١) أكفلنيها : اجعلها فى كفالى

(٢) وعزنى فى الخطاب : شد على القول

سورة ص : (٢٣)

(٣) الخلق : الشركاء

(٤) سورة ص : (٢٤)

داود لما فتناه واستغفر ربه وخر راكعاً وأُتاب (١)

وسرعان ما جاءتته المغفرة من ربه مع الوعد بحسن الخاتمة ، قال تعالى :

(فغفرنا له ذللك وان له عندنا الزلفى وحسن مآب) (٢)

ثم ينزل التوجيه الربانى لداود عليه السلام

قال تعالى : (يا داود انا جعلناك خليفة فى الأرض فاحكم بين الناس بالحق

ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله ان الذين يضلون عن سبيل الله لهم

عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب) (٣)

ومن رعاية الله لعبده ونبيه داود انه نبيه الى خطئه مباشرة وهذره من

النهاية البعيدة الصعبة ان لم يحكم بين الناس بالحق ، وان لم يسلك بهم

طريق الله السوى . . وهذا فضل الله على المختارين من عباده فمنهم مبشرتهم

. . . قد يخطئون وقد تتمتعوا خطيئاتهم ولكن سرعان ما يقبلها الله عز وجل

فلا يكلهم الى أنفسهم بل يأخذ بايديهم ويعلمهم الصواب بعد أن يعرفوا

الخطأ ، ويوفقهم الى الانابة والمغفرة ثم يصدق عليهم بعد النجاح من الابتلاء

وهذا وعد الله لعباده (انا لننصر رسلنا والذين آمنوا فى الحياة الدنيا

ويوم يقوم الاشهاد) (٤)

(١) سورة ص : شطر من آيه (٢٤)

(٢) " : (٢٥)

(٣) " : (٢٦)

(٤) غافر : (٥١)

(الفصل الرابع عشر)

سليمان عليه السلام

خلف داود عليه السلام في النبوة والملك ابنه سليمان فكان خير خلف

لخير سلف ، فهو نبي ابن نبي . .

قال تعالى : (ووهبنا لداود سليمان نعم العبد انه اواب) (١)

فوصفه عز وجل بأنه نعم العبد لكثرة انابته ورجوعه الى الله عز وجل

الى جانب العلم الواسع الذي آتاه الله اياه كما وهبه لوالده من قبل

قال تعالى : (ولقد آتينا داود وسليمان علما وقالوا الحمد لله الذي

فضلنا على كثير من عباده المؤمنين) (٢)

فحمد الله وتسبيحه دائما رطبة به السنتهم وحبه به قلوبهم مع العلم

الشاسع والسلطان الواسع الذي وهبه الله لسليمان عليه السلام في تسخير

الريح العاصفه التي تسير بأمره حيث يشاء والجن الذين يعملون بين يديه

ما يحتاجه من معاريف وتمائيل وجفان كالجواب وقدور راسيات الى غير ذلك

من غوصهم في البحار والانهار لاستخراج اللؤلؤ والمرجان الى تعليمه

منطق الطير ، ومع هذا الخير والسلطان كله لم ينج سليمان عليه السلام

من الفتنة ، وهذه سنة الله في الذين اصطفاهم لهداية الناس ، يضعهم

(١) سورة ص : (٣٠) .

(٢) سورة النمل : (١٥) .

امام عقبات كوه وفتن مظلمه ليرى كيفية صبرهم عليها وطريقة مواجبتهم لها
قال تعالى : (ولقد فتنا سليمان والقينا على كرسيه جسدا ثم انا ب) (١)
ومع كثرة التأويل والتفسير لهذه الفتنة الا ان الصحيح فيها ماورد في صحيح
البخارى من رواياتى هريرة رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال : (قال سليمان بن داود عليهما السلام لا طوفن الليلة بمائة
امراه تلد كل امرأة فلما يقاتل فى سبيل الله ، فقال له الملك قـ
ان شاء الله ، فلم يقل ونسى ، فاطاف بهن ولم تلد منهن الا امرأة نصف
انسان . . قال النبي صلى الله عليه وسلم لو قال ان شاء الله لمحنث
وكان ارجى لحاجته) (٢) .

فالفتنة اذا هى فى ذلك الجسد الذى القى على كرسى سليمان وهو
الوليد الشقى الذى تمنى سليمان لو يرزق بسبعين رجلا مكتملا ليجاهدوا
فى سبيل الله ، ولكن دعاه لم يقرنه بأن شاء الله فابتلاه الله بسقط
وليد ليختبره واحتبار الله لاوليائه الذين اصطفاهم هو توجيه لهم وارشاد
ليبعدهم عن الخطأ والزلل .

ولكن سليمان عليه السلام سرعان ما انا ب الى ربه ورجع اليه طالبا المغفرة
منه واتجه اليه بالدعاء والرجاء . .

(١) سورة ص : (٣٤) .

(٢) رواه البخارى فى صحيحه ج ٧ ص ٥٠ فى كتاب النكاح .

(قال : رب اغفر لى وهب لى ملكا لا ينهى لاحد من بعدى انك

أنتا الوهاب) (١) .

وسليمان عليه السلام لم يرد بهذا الطلب - والله أعلم - اثره أوحيا

فى الملك لمجرد الملك وانما اراد الاختصاص الذى يتجلى فى صورة معجزة

وملكا ذا طبيعة معينة ليست مكررة ولا معهودة فى الملك الذى يعرفه

الناس . .

ولقد استجاب مز وجل فاعطاه ما طلب من الملك وزاده ملكا خاصا لم

يعطى لاحد غيره من البشر اذ سخر له الريح ، والشياطين ، والطير ،

والان له الحديد وطوه لخدمته . .

قال تعالى : (فسخرنا له الريح تجرى بأمره رخاء حيث اصاب ،

والشياطين كل بناء وفواص واخرين مقرنين فى الاصفاد هذا عطاؤنا فأمّن

أو امسك بغير حساب) (٢)

وقال تعالى بخصوص تعليمه منطقا لطير : (وورث سليمان داود

وقال يا أيها الناس علمنا منطق الطير وأوتينا من كل شىء ان هذا لهو

الفضل الصبين) (٣)

وبخصوص تطويع النحاس له قال تعالى : (وسليمان الريح فدوها شهر

ورواحها شهر واسلنا له عين القطر) (٤)

(١) سورة ص : (٣٥) .

(٢) سورة ص : (٣٦ ، ٣٧ ، ٣٨ ، ٣٩) .

(٣) سورة النمل : (١٦) .

(٤) سورة سبأ : (١٢) .

فبعد تسخير الجن والطير لسليمان عليه السلام وتعليمه لغة الطير والنمل سخر له مز وجل القطر وطوعه له يعمل منه ما يشاء من أدوات الحرب وأواني الطعام الى غير ذلك من حاجيات السلم والحرب التي تحتاجها مملكته عليه السلام .

ثم أخبره مز وجل انه مطلق اليد فيما وهبه الله من سلطه ونعمه . له أن يعطى من يشاء ويمنع من يشاء ، قال تعالى :

(هذا صطاوونا فأمنن أو امسك بغير حساب) (١) ، وهذه ممن

أعظم مراتب الاكرام والمنه يمتن بها مز وجل على نبيه سليمان ، ثم زاد على ذلك كله ان له عند الله قربى فى الدنيا وحسن مآب فى الآخرة . .

(وان له عندنا لزلفى وحسن مآب) (٢)

وهذه درجة عظيمة من الرعاية والرضى والاكرام . .

ثم نراه عليه السلام فى كل مرة يكرمه الله مز وجل فيها كيف يأوب اليه ويطلب منه العون والعدد ليستطيع القيام بهواجب الشكر على نعماء الله وآلائه . . قال تعالى :

(حتى اذا اتى على وادى النمل قالت نملة يا أيها النمل ادخلوا

مساكنكم لا يحططنكم سليمان وجنوده وهم لا يشعرون فتبسم ضاحكا من قولها

وقال رب اوزعنى ان اشكر نعمتك التي انعمت على وطفى والدى وان اعمل

صالحا ترضاه وادخلنى برحمتك فى عبادك الصالحين) (٣)

(١) سورة ص : (٣٩) .

(٢) سورة ص : (٤٠) .

(٣) سورة النمل : (١٨ ، ١٩) .

ومن اسلوب دعوته عليه السلام نراه كيف سلك طريق المراسلة المستعجله
لنشر دعوته وتفهييمها الى الناس ، وعلى رؤوسهم حكامهم وأولياء امورهم
فما ان علم بعبادة ملكة سبأ وقومها لغير الله حتى ارسل لها بريدته المستعجل
بواسطة الهدهد الذى سخره الله ليكون اداة لنشر دين الله واحلال وحدانيته
محل الاشراف به ، فأخذ الهدهد الكتاب الذى يحمل فى طياته الدعوة
الى توحيد الله عز وجل ونبذ ما يعبد من دونه والقاء بكل امانه الى ملكة
سبأ :

(قالت يا ايها الملا انى القى الى كتاب كريم انه من سليمان وانسه

بسم الله الرحمن الرحيم ألا تعلوا علي واتونى مسلمين) (١)

وتصرفت ملكة سبأ تصرف المسئول اذ جمعت أهل الحل والعقد

عندها واستشارتهم فى الامر :

(قالت يا ايها الملا افتونى فى امرى ما كنت قاطعة امرا حتى

تشهدون) (٢) ، ولكن القوم اظهروا لها القوة والبأس الشديد اذا ما

ارادت القتال ثم اوكلوا الامر اليها لتختار السلم أو الحرب :

(قالوا نحن اولوا قوه واولوا بأس شديد والامر اليك فانظرى ماذا

تأمرين) (٣) .

وبكونها امرأة تميل غالبا الى حب السلام والبعد عن سفك الدماء لذلك

نراها كيف حاولت ان تثنى عزمهم من الحرب بطريقه ذكبه وهى اظهار جبروت

(١) سورة النمل : (٢٩ ، ٣٠ ، ٣١) .

(٢) سورة النمل : (٣٢) .

(٣) سورة النمل : (٣٣) .

الطوك وقوة بطشهم وانهم اذا ما دخلوا مكانا افسدوه وجعلوا اعزة اهلها
اذله : (قالت ان الطوك اذا دخلوا قرية افسدوها وجعلوا اعزة اهلها
اذلة وكذلك يفعلون) (١) .

ثم فلبت طلبها طبيعتها الانثوية ومالت الى ارسال هدية لعلها تشفى
بذلك هزم سليمان فيرضى بهديتها شأنه شأن الطوك الاخرين لعله يقرها
على ما هي عليه ولكنها نسيت انه نبي مرسل من عند الله عز وجل لا يرضى
ان يكون في الارض ظلم قادر على ازالته واحلال العدل والحق مكانه الا
ازاله ولو كلفه ذلك كل قال ورخيص . .

لذلك غضب عليه السلام غضبا شديدا عند ما رأى الهدية قد وصلت
الى ملكه بقصد اغرائه بالمال والدنيا، فما كان منه الا ان ردهم بهديتهم
وهو دهم باشد العذاب ان هم لم يذعنوا لاوامره ويأتوا مسلمين .

(فلما جاء سليمان قال ائصدوننى بمال فما آتانى الله خير مما آتاكم
بل انتم بهديتكم تفرحون ارجع اليهم فلنأتينهم بجنود لا قبل لهم بها
ولنخرجنهم منها اذلة وهم صاغرون) (٢)

ويبدو من السياق القرآنى ان ملكة سبأ قد تهبأت للذهاب بنفسها
لمقابلة سليمان بعد ما بلغها تهديده بالحرب ان لم يأتوه مسلمين .

(١) سورة النمل : (٣٤) .

(٢) سورة النمل : (٣٦ ، ٣٧) .

وتظهر حكمة سليمان عليه السلام حينما امر الملأ من قومه باحضار
 عرش ملكة سبا قبل ان تصل ومن معها الى قصر سليمان ، ليظهر لها
 مقدار القوة والسلطان ، والتمكين فى الارض الذى من الله به عليه حتى اذا
 ما عرفت ذلك سلمت واذمنت له لانها ستدرك بذكائها ان وراء هذه العظمة
 والقوة سلطانا يفوق سلطان البشر وقوة عظيمة لا يمكنها الاحاطة بها فتسلم
 لامر الله عز وجل وتخضع لقوته وفعلا حدث ماتوقع سليمان عليه السلام
 ان اعلنت اسلامها بعدما رأت من عجائب صنع الله عز وجل :

(قال نكروا لها عرشها ننظر اتهتدى ام تكون من الذين لا يهتدون

فلما جاءت قيل اهكذا عرشك قالت كأنه هو وأوتينا العلم من قبلها وكنا
 مسلمين وصدھا ما كانت تعبد من دون الله انها كانت من قوم كافرين
 قيل لها ادخلى الصرح فلما رآته حسبته لجة وكشفت من ساقيها قال انه
 صرح مرعد من قوارير قالت رب انى ظلمتنفسى واسلمت مع سليمان لله رب

العالمين) (١)

لقد هالها مارأت من العجائب التى تعجز البشر عن الاتيان بخلقها ،
 وتدلل على ان سليمان مؤيد من الله خالق كل شىء ومليك .

ولما تيقنت من ذلك رجعت الى الله وناجته معترفة بذلمها لنفسها

فيما سلف من عبادة غير الله واطلنت اسلامها امام الملاء لله رب العالمين

(قالت رب انى ظلمتنفسى واسلمت مع سليمان لله رب العالمين)

لقد اهتدى قلبها واستنار بنور الله فعرفت ان الاسلام هو الاستسلام
 لله وحده لا لاحد سواه من المخلوقين حتى ولو كان ذلك المخلوق سليمان
 نفسه صاحب هذه المعجزات ، انما الاسلام اسلام لله رب العالمين .
 وهنا يسجل القرآن العظيم لغته بارزة يكشف فيها عن طبيعة الايمان
 بالله والانقياد له بعد ان يشهر المرء اسلامه .

فالاسلام يرفع المغلوب الى صف الغالب ، بل يصبح الغالب والمغلوب
 اخوين في الله داعين اليه وحده سائرين في طريقه على قدم المساواه . .
 داعين الى سلوك نهجه واتباع اوامره ، لا فضل لاحدهما على الآخر
 الا بقدر تمسكه بهذا الدين القويم : (ان اكرمكم عند الله اتقاكم)
 انه الدين الحق الذي اهتدت اليه ملكة سبأ بعد ان انار الله قلبها
 على يد نبي الله سليمان عليه السلام ، فأطنت امام العلاء واسمعت الدنيا
 عبر اجيالها انها اسلمت مع سليمان لله رب العالمين .

(الفصل الخامس عشر)

عيسى عليه السلام

رافقت المحنة نبي الله عيسى عليه السلام منذ ولادته ، فكانت ولادته معجزة فريدة من نوعها في تاريخ البشرية ، ان ولد من أم دون أب ، فأثيرت من حوله الشبهات وكثرت التأويلات واتهمت امه الطاهرة بالفاحشه ونعت بأنه ابن زنى ، وهو الطاهر المطهر ابن الطاهرة المطهرة ، التي اصطفى الله آلها وفضلها مع من اصطفى على العالمين . .

قال تعالى : (ان الله اصطفى آدم ونوحا وآل ابراهيم وآل عمران

على العالمين ذرية بعضها من بعض والله سميع عليم) (١)

وهي التي وهبتها امها وهي في بطنها لله عز وجل ، قال تعالى :

(ان قالت امرأة عمران رب انى نذرت لك ما فى بطنى محررا فتقبل منى انك

انت السميع العليم) (٢) .

وهي التي بعد ان وضعتها امها استمها مريم واعادتها وذريتها بالله

من الشيطان الرجيم .

(١) سورة آل عمران : (٣٣ ، ٣٤) .

(٢) سورة آل عمران : (٣٥) .

محررا : خالصا لله تعالى ، وكانت امرأة عمران قد نذرت لله عز وجل

ان وهبها الله مولودا ذكرا ان تجعله خالصا لعبادة الله وحده .

(القرطبي : ٦٥/٩) .

(فلما وضعتها قالت رب انى وضعتها انى واللّه اعلم بها وضعت وليس
الذكر كالانثى وانى سميتها مريم وانى اعينها بك ووزيتها من الشيطان
الرجيم) (١) .

واستجاب تعالى لدعاء امرأة عمران وتقبل ابنتها مريم وانبتها نباتا
حسنا ، قال تعالى : (فتقبلها ربهما بقبول حسن وانبتها نباتا حسنا
وكفلها زكريا كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقا قال يا مريم
انى لك هذا قالت هو من عند الله ان الله يرزق من يشاء بغير حساب) (٢)
ومعد ان ذكر القرآن الكريم نسب مريم ، وانها ابنة الكرام الشرفاء
اخذ يفند مزاعم الذين اتهموها فى طهارتها وشرفها ويذكر قصة حملها
وحوارها مع الملائكة ، فسجل أولا مخاطبة الملائكة لها واخبارها بأن الله
اصطفاها وطهرها وفضلها على نساء العالمين ، ثم امرها بكثرة الصلاة
والدعاء ، وذلك منع عنها القرآن الكريم كل ريبة الصقها بها اعداء الرسالات ،
قال تعالى : (وان قالت الملائكة يا مريم ان الله اصطفاك وطهرك ،
واصطفاك على نساء العالمين يا مريم اقنتى لربك واسجدى واركعى مع
الراكمين) (٣) .

(١) سورة آل عمران : (٣٦) .

(٢) سورة آل عمران : (٣٧) .

(٣) سورة آل عمران : (٤٢ ، ٤٣) .

قوله تعالى : ان الله اصطفاك وطهرك : اختارك وطهرك من الكفر

=====

وسائر الادناس .

.....

=====

على نساء العالمين : قال الحسن وابن جريج على عالمي زمانها
وقال الزجاج وغيره وايداه القرطبي : ان الاصطفاة على جميع نساء
العالمين واستدلوا بحديث لابن عباس رضي الله عنهما رواه عنه
موسى بن عقبه عن كريب قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
سيدة نساء العالمين مريم ثم فاطمة ثم خديجة ثم آسيا - زوجة
فرعون - وهو حديث حسن .

(القرطبي : ٨٣/٩) .

وفى الحديث الذي رواه البخاري عن أبي موسى الأشعري رضي الله
عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : كمل من الرجال
كثير ولم يكمل من النساء الا مريم بنت عمران وآسيا امرأة فرعون وفضل
عائشة على النساء كفضل الشريد على سائر الطعام .

(رواه البخاري في صحيحه ج ٥ ص ٣٦ باب فضل عائشة)

ونظرا لغرابة حمل مريم بنبي الله عيسى واستغلال هذه الحادثة
استغلالا سيئا من قبل اعداء الله ، فقد قص القرآن الكريم وقائدها بالتفصيل
ليقطع بذلك السدة السوء التي اتهمت هذه الطاهرة بشرفها وعفتها وكذلك
لهسد الطريق على اولئك الذين اضفوا على عيسى عليه السلام صفات الالوهية،
قال تعالى : (واذكر في الكتاب مريم اذ انتبذت من اهلها مكانا شرقيا
فاتخذت من دونهم حجابا فأرسلنا اليها روحنا فتمثل لها بشرا سويا قالت
إني اعوذ بالرحمن منك ان كنت تقيا ، قال انما انا رسول ربك لاهب لك غلاما
زكيا قالت انى يكون لى غلام ولم يمسنى بشر ولم اك بغيا ، قال كذلك قال
ربك هو على هين ولنجمه آية للناس ورحمة منا وكان امرا مقضيا) (١)

فصور القرآن الكريم المشهد الذى تم خلاله حمل مريم وان ذلك كان بأمر
الله ليكون آية للناس ودليلا واضحا على قدرة الله عز وجل التى لا تعد لها
حدود ولا تقيدها قيود . . (انما امره اذا اراد شيئا ان يقول له كن فيكون)
فلا يقتضى تنفيذه موافقة النواميس او ما اعتاده الناس بل ربما كان امره مخالفا
لما عهد به البشر ، والبشر عهدوا الحمل ان يتم نتيجة لقاء بين ذكر وانثى ، اما
ان يتم بغير ذلك فهى آية معجزة من آيات الله الكيرة فى هذا الكون الفسيح .
والنص القرآنى يصور لنا مشهد الفتاة المذراة الطاهرة حين يفجوهها
الملك الممثل بصورة رجل فى خلوتها ، بشكل تشعر وكأنك تراه امامك فتحس

(١) سورة مريم : (١٦ ، ١٧ ، ١٨ ، ١٩ ، ٢٠ ، ٢١) .

بهول الموقف وصعوبة التصرف ، ولكنها سرعان ما تجد المخرج اذ التجأت ^{من} الى الله عز وجل تستعيز به وتطلب النجده ، كما تستثيرهم ^{في نسائها} تسأله بعد ان ^{والثلاث}

صارحها بمهمته (قالت انى يكون لى غلام ولم يمسنى بشر ولم اك بغيا)

فهى تدافع عن عرضها لانها لم تكن تتصور وسيلة للحمل الا الوسيلة المعهودة

التي تتم بين الذكر والانثى ، ولكن جاءها الجواب :

(قال كذلك قال ربك هو على هين ولنجمه آية للناس ورحمة منا وكان

امرا مقضيا) . .

ثم يمضى السياق القرآنى ليصور لنا مشهدا جديدا من مشاهد قصة

مريم ، قد يكون اشد هولاً مما سبقه واكثر حيرة . .

قال تعالى : (فحملته فانتبذت به مكانا قصيا فلأبعاها المخاض المسى

جذع النخلة قالت باليتنى مت قبل هذا وكنت نسيا منسيا) (١)

ويكاد المرء يرى ملامحها ويحس اضطراب خواطرها وهى تتعنى لو كانت

قد ماتت وانتهت من هذه الحياة الدنيا قبل الذى حصل لها واصبحت فى

عالم النسيان لانها تعنى وتحس مقدار ما سيلحق بها من اذى سوا من اهلها

او قومها وانها سوف تتهم فى عرضها وهى العذراء الطاهرة التى لم تعرف الا

العفة والطهارة ، ولكن حزنهم لم يدم طويلا اذ فأجأها وليدها بصوت تكاد

لا تصدقه يطمئن فيه قلبها ويصلها بربها ويرشد لها الى طعامها وشرابها

ويدلها على حجتها وبرهانها (فناداها من تحتها لا تحزنى قد جعل ربك

تحتك سرىا ، وهزى اليك بجزع النخلة تساقط عليك رطبا جنيا فكلى واشربى

وقرى عينا ، فأما ترين من البشر احدا فقولى انى نذرت للرحمن صوما فلنسن

الكلم اليوم انسيا) (٢)

ومع العناية والرعاية التي أحاط الله بها مريم فان كثيرا من العقبات
مازالت أمامها ، وهاهى العقبة الكؤود قد حان موعدها كيف ستواجهه
أهلها وقومها بما حصل ، وكيف سيقابلونها وهي تحمل بين يديها وليدا
لأب له ، وهم يعلمون أنها مازالت عذراء لم تتزوج زواجا شرعيا بعد
انها التهمة والفضيحة ، ولكن لا بد من مواجهة الموقف بحزم طالما أنها
بريئة وان الله سيدافع عنها (فأنت به قومها تحملها قالوا يا مريم لقد جئت
شيئا فسر يا أخت هارون ما كان أبوك امرىء سوء وما كانت أمك بغيا) (١)
ان أسنتهم لتنطلق بالتقريع والتأنيب لهذا الصنيع الذى لا يصنعه فسى
نظرهم الا بنات آباء سوء والأمهات البغايا ، ولكنها تنفذ وصية وليدها
من الصيام عن الكلام (فأشارت اليه قالوا كيف نكلم من كان فى المهد صبيا) (٢)
وهاهى الخارقة تقع مرة أخرى (قال انى عبد الله آتانى الكتاب وجعلنى
نبيا وجعلنى مباركا أينما كنت وأوصانى بالصلاة والزكاة ما دمت حيا وسرا
بوالدتى ولم يجعلنى جبارا شقيا ، والسلام على يوم ولدت ويوم أموت ويوم
أبعث حيا) (٣)

وهكذا يعلن عليه السلام عبوديته لله ويعلن أن الله جعله نبيا لا ولدا
ولا شريكا يشارك فيه وأوصاه بالصلاة والزكاة مدة حياته ، والبر بوالدته

(١) مريم (٢٧ - ٢٨)

(٢) مريم (٢٩)

(٣) مريم (٣٠ - ٣١ - ٣٢ - ٣٣)

والتواضع للناس كما أعلن انه سيמות وسوف يبعث بعد موته حيا ، فيجرى عليه ما يجرى على غيره من العباد من مولد ، وحياة ، وموت ، ثم بعث بعد الموت (ذلك عيسى بن مريم قول الحق الذي فيه يمترون ما كان لله أن يتخذ من ولد سبحانه اذا قضى أمرا فانما يقول له كن فيكون وان الله ربي وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم) (١)

وهكذا تنتهي قصة مولد عيسى عليه السلام لتبدأ قصة حياته المليئة بالمعاناة مع أعداء الله الذين ناصبوه العداء ووقفوا له بالمرصاد يترصدون به الدوائر وكان على رأس هؤلاء اليهود أعداء الله والانسانية .

لقد عمل اليهود ومنذ اللحظة الاولى لدعوة عيسى عليه السلام على التصدي لها والعمل على تحطيمها بالتكذيب لها حينما وبالتشكيك بصاحبها حينما آخر . . فملى الرغم ما أعطاه الله من آيات بينات واجرى على يده كثير من المعجزات التي لم تجر على يد نبي قبله ولا نبي بعده ومع ذلك لم يجد عليه السلام الا الصدود والعناد من اليهود الذين حاولوا قتله بعد أن أعتهم الحيل في التصدي لدعوته .

قال تعالى : (في ذكر بعض صفات عيسى عليه السلام) ان قالت الملائكة يا مريم ان الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى بن مريم وجيها في الدنيا والآخرة ومن المقربين ، ويكلم الناس في المهد وكهلا ومن الصالحين (٢)

(١) مريم (٣٤ - ٣٥ - ٣٦)

(٢) آل عمران : (٤٥ - ٤٦)

ثم يذكر الله تعالى نعمه التي أنعم بها على عيسى بقوله : (ويعلمه الكتاب والحكمة والتوراة والانجيل ورسولا الى بنى اسرائيل انى ^{قد} جئتكم بأية من ربكم انى أخلق لكم من الطين كهيئة الطير فأنفخ فيه فيكون طيرا باذن الله وابرىء الاكمه والابرس وأحى الموتى باذن الله وانبتكم بما تأكلون وما تدخرون فى بيوتكم ان فى ذلك لآية لكم ان كنتم مؤمنين ومصدق لما بين يدي من التوراة ولأحل لكم بعض الذى حرم عليكم وجئتكم بأية من ربكم فاتقوا الله وأطيعون ان الله ربه وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم) (١)

ومع هذا الموضوع وهذه الآيات البينات فى دعوة عيسى الا أن أعداء الله أصروا على عدائهم للدعوة وللداعى وعلى كفرهم بالرسالة وبالرسول أمام هذا الجحود من القوم كان لا بد من مفاصلة الكفر من الايمان ومعرفة العدو ومن الصديق قال تعالى : (فلما أحس عيسى منهم الكفر قال من أنصارى الله الله ، قال الحواريون نحن أنصار الله آمننا بالله وأشهد باننا مسلمون ربنا آمننا بما أنزلت. واتبعنا الرسول فاكتبنا مع الشاهدين ومكروا ومكر الله والله خير العاكرين) (٢)

فآمن له الحواريون ولكن ايمانهم لم يكن سهلا بل كان بعد أن رأوا آيات كثيرة ، وبعد أن طلبوا مزيدا من الآيات المعجزة .
قال تعالى : (ان قال الحواريون يا عيسى بن مريم هل يستطيع ربك أن ينزل

(١) آل عمران : (٤٨ - ٤٩ - ٥٠ - ٥١)

(٢) “ : (٥٢ - ٥٣ - ٥٤)

علينا مائدة من السماء قال اتقوا الله ان كنتم مؤمنين قالوا نريد أن نأكل

منها وتطمئن قلوبنا ونعلم أن قد صدقتنا ونكون عليها من الشاهدين (١)

ونزل عليه السلام عند رغبتهم طمعا في ايمانهم وطلب من ربه كي يلبس

طلبهم (قال عيسى بن مريم اللهم ربنا أنزل علينا مائدة من السماء تكون

لنا عيدا لا وللمسا وآخرنا وآية منك وارزقنا وأنت خير الرازقين) (٢)

فاستجاب الله لدعوته ، ولكنه هدد من يكفر بعد ذلك وتوعده بأشد

العذاب (قال الله انى منزلها عليكم فمن يكفر بعد منكم فانى أعذبه عذابا

لا أعذبه أحدا من العالمين) (٣)

ويستمر عيسى عليه السلام حاملا لواء الدعوة الى الله عز وجل غير آبه

بما يلقاه من الصعاب متحملا أذى قومه بصبر واحتساب ، وفى كل مرة يحاول

اقناع بنى اسرائيل بصدق دعوته ولكنهم لا يزدادون الا تكديبا وصدورا .

(وان قال عيسى بن مريم يا بنى اسرائيل انى رسول الله اليكم مصداق لما

بين يدي من التوراة ومبشرا برسول يأتى من بعدى اسمه أحمد فلما جاءهم

بالهينات قالوا هذا سحر مبين) (٤)

ولم يكف اليهود بتكذيب رسالة عيسى عليه السلام ومعارضتها بل عمدوا

أخيرا الى محاولة قتله ، غير أن الله عز وجل كان لهم بالمرصاد فأكرمه بأن

(١) المائدة : (١١٢ - ١١٣)

(٢) " : (١١٤)

(٣) " : (١١٥)

(٤) الصف : (٦)

نجاه ورفعته اليه وأوقعهم بشر فعلتهم ان قتلوا محرضهم وصلبوه ظنا منهم انه عيسى بعد أن ألقى الله عليه شبهه .

قال تعالى واصفا اليهود : (فيما نقضهم ميثاقهم وكفرهم بآيات الله وقتلهم الأنبياء بغير حق وقولهم قلوبنا غلف بل طبع الله عليها بكفرهم فلا يؤمنون الا قليلا وكفرهم وقولهم على مريم بهتاننا عظيما وقولهم انا قتلنا المسيح عيسى بن مريم رسول الله وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم وان الذين اختلفوا فيه لفي شك، منه ما لهم به من على الا اتباع الظن وما قتلوه يقينا بل رفعه الله اليه وكان الله عزيزا حكيم) (١)

وانا كان عليه السلام قد نجا من اعدائه اليهود ومن الاله فلم يمكنهم الله منه فانه لم ينج من بعض أنصاره الذين غلوا فيه حتى رفعوه الى مقام الالهية . قال تعالى مخاطبا هؤلاء : (يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم ولا تقولوا على الله الا الحق انما المسيح عيسى بن مريم رسول الله وكلمته ألقاها الى مريم وروح منه فآمنوا بالله ورسوله ولا تقولوا ثلاثة انتهوا خيرا لكم انما الله اله واحد سبحانه أن يكون له ولد له ما في السموات وما في الارض وكفى بالله وكيل) (٢)

ولقد أفحم القرآن الكريم أهل الكتاب الذين ظفوا في عيسى عليه السلام ان سجل الحوار الذي دار بينه وبين الله عز وجل والذي نفى فيه عليه السلام المزاعم الباطلة والملفحة التي ألصقها به المشركون .

(١) النساء : (١٥٥ - ١٥٦ - ١٥٧ - ١٥٨)

(٢) " : (١٧١)

قال تعالى : (واذ قال الله يا عيسى بن مريم أتنت قلت للناس اتخذوني
وامي الهين من دون الله قال سبحانك ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق ان
كنت قلته فقد علمته تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك انك أنت علام الغيوب
ما قلت لهم الا ما أمرتني به أن أعبدوا الله ربي وربكم وكنت عليهم شهيدا ما دمت
فيهم فلما توفيتني كنت أنت الرقيب عليهم وأنت على كل شيء شهيد ان تعذبهم
فانهم عبادك وان تغفر لهم فانك أنت العزيز الحكيم) (١)

وفي معرض آخر يصرح القرآن الكريم بكفر الذين قالوا بالوهية المسيح ،
ويؤكد لهم مقدرة الله عز وجل على اهلاك المسيح وامه وجميع من في الارض ان
شاء، فهو الاله المتفرد الواحد الاحد له الخلق والامر سبحانه وتعالى عما
يشركون .

قال تعالى : (لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح ابن مريم قل فمن
يملك من الله شيئا ان أراد أن يهلك المسيح بن مريم وامه ومن في الارض جميعا
ولله ملك السموات والارض وما بينهما يخلق ما يشاء والله على كل شيء قدير) (٢)
ولقد عانى عليه السلام أشد المعاناة من اتباعه الذين زعموا ان الله هو
المسيح بن مريم فضلوا وأضلوا من بعدهم ، وكم حاول عليه السلام اقناع هؤلاء
المنحرفين للعودة الى جادة الحق ولكن دون جدوى ، فيذل كل ما في وسعه

(١) المائدة : (١١٦ - ١١٧ - ١١٨)

(٢) “ : (١٧)

واستعمل كل الوسائل التي وهبه الله اياها لاقتناعهم بأنه ليس سوى عبد الله
وانه رسول من عنده ، وان الله هو رب كل شيء ، وخالقه ، وحذرهم بأن السذى
بشرك مع الله غيره فقد حرم عليه الجنة وأواه النار ولا ناصر له يوم القيامة ولكنهم
أهوا البغى والضلال .

قال تعالى : (لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح بن مريم وقال
المسيح يا بنى اسرائيل اعبدوا الله ربي وربكم إنه من يشرك بالله فقد حرم عليه
الجنة وأواه النار وما للظالمين من أنصار ، لقد كفر الذين قالوا ان الله
ثالث ثلاثة وما من اله الا اله واحد وان لم ينتهوا عما يقولون ليمسن الذين
كفروا منهم عذاب أليم أفلا يتوبون الى الله ويستغفرونه والله غفور رحيم فالمسيح
ابن مريم الا رسول قد خلت من قبل الرسل واه صديقة كانا يأكلان الطعام
انظر كيف نبين لهم الايات ثم انظر انى هو فكون . قل أتعبدون من دون الله
مالا يملك لكم ضرا ولا نفعا والله هو السميع العليم) (١)

واذا ماتت دعوة عيسى عليه السلام نجد أنه قد حارب على جبهتين :
الجبهة الاولى : اليهود ومن والاهم من الذين ناصبوه العداء ، وكذبوا رسالته
وطعنوا فيه وباه الطاهرة ثم حاولوا قتله ولكن الله نجاه منهم .

والجبهة الاخرى : اتباعه الذين ادعوا نصرته وضلوا عن طريقه وخالفوا نهجه
فألصقوا فيه ما هو بغيره منه ومخالف لتعاليمه ، فكانوا يقولون ان الله هو المسيح

ابن مريم ويقول لهم (ان الله ربي وربكم فاعبدوه عذاب صراط مستقيم) (١)

ولكنهم أبوا، إلا الضلال فوعدهم الله بالويل والثبور يوم القيامة . .

قال تعالى : (ولما جاء عيسى بالبينات قال قد جئتكم بالحكمة والابسين لكم بعض الذي تختلفون فيه فاتقوا الله واطيعون ان الله هو ربي وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم فاختلف الأحزاب في ربيهم فويل للذين ظلموا من عذاب يوم السيم) (٢) .

ورفع عيسى عليه السلام الى ربه وهو عنه راض بعد ان طهره من الكافرين ووعد بالانصر للمؤمنين به وانهم سيظلمون ظاهرين على من عاداهم من الكافرين الى يوم القيامة ، كما ان عذابه سيلحق بالكافرين في الدنيا والآخرة ، أما المؤمنون فسوفهم اجورهم بأحسن ما عملوا ويزيدهم من فضله اكراما لهم على حسن طاعته والعمل بأوامره .

قال تعالى : (وان قال الله يا عيسى اني متوفيك ورافعك الي ومطهرك من الذين كفروا وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا الى يوم القيامة ثم السى مرجعكم فاحكم بينكم فيما كنتم فيه تختلفون فأما الذين كفروا فاعذبهم عذابا شديدا في الدنيا والآخرة وما لهم من ناصرين ، وأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيوفهم اجورهم والله لا يحب الظالمين) (٣)

(١) سورة آل عمران : (٥١) .

(٢) سورة الزخرف : (٦٣ ، ٦٤ ، ٦٥) .

(٣) سورة آل عمران : (٥٥ ، ٥٦ ، ٥٧) .

ولقد اكرم الله عز وجل عبده ورسوله عيسى واجرى على يديه آيات معجزات
كثيره تجلت فيها قدرة الله عز وجل وعظمته في الخلق والابداع والايجاز
من العدم والاحياء بعد الموت وشفاء الاكه والابصر الى غير ذلك من
الآيات المعجزة وكان من اعظم هذه الآيات خلق عيسى نفسه من ام بلا أب
ومن نفخة ملك لا من قذفة رجل فاستحقت ان تكون صاحبة هذه المعجزة
آية ايضا . .

قال تعالى : (والتي احصنت فرجها فنفخنا فيه من روحنا وجملناها
وابنها آية للعالمين) (١) .

لقد كانت مريم آية فيما خصها الله به من اكرام وما البسها من ثوب الطهر
والعفاف وجمالها بالايمان والتقوى .

كما كان ابنها عليه السلام آية في صبره على قومه الذين آذوه سواء منهم
من ناصبه العداء واران قتله او اولئك الذين ادعوا نصرته فحرفوا دعوتهم
وطمسوا تعاليمه النبويه فقلبوها من الايمان الى الكفر ومن الوجدانية الى الشرك
فصبر على ذلك كله وقابله بايمان واحتساب فنال اجر أولئك جميعا . .

هذلك استحق أن يكون من أولياء الله المقربين .

(الفصل السادس عشر)

خاتم الأنبياء والمرسلين محمد صلى الله عليه وسلم (١)

—————

من حكمة الله عز وجل ان اختص انبياءه بآيات بيّنات ، وجعل لكل نبي
آية امتاز بها عن اخوانه الانبياء ، وتوالت هذه الآيات من لدن آدم الى خاتم
الانبياء عليه الصلاة والسلام . .

فكانت آية ادم انه خلق من العدم وكانت مادته التراب فلا ام له ولا أب،
وكانت آية نوح ان عاش في قومه حوالي الفعام ، وكانت آية ابراهيم ان جعل الله
النار التي القى فيها بردا وسلاما عليه فخرج من اللهب المستعمر دون أن
يصبه أدنى أذى ، وكانت آية يوب الصبر على الهلاك واحتساب ذلك عند الله
عز وجل . . وكانت آية يونس التسبيح في بطن الحوت ثم خروجه من بطنه
حيّا بعد ان ابتلعه ، وكانت آية داود تسخير الجبال يسبحن معه والطيور
محشورة له مطيعة خاضعة ، وكانت آية سليمان ان سخر الله له الرياح كما سخر
له الجن يعملون له ما يشاء وعلمه الله لغة الطيور والحيوانات . .

(١) لقد ذكر عليه الصلاة والسلام في القرآن الكريم في اكثر من ثلاثمائة آية
لا تكاد تخلو منها سورة من سور القرآن ، ولقد استقصت هذه الآيات
كل ما يتعلق بسيرته ورسالته وهما هديه وذكر حروفه وفتوحاته استقصاء
فاق كل ما تحدث به القرآن عن الانبياء والمرسلين السابقين . .

وكانت آية موسى العصا التي استحالت الى افعى لتلقى في قلب فرعون
وجنوده الرعب ، وكانت آية عيسى احياء الموتى وابراء الاكه والابصر ، التي
جانب تكليمه للناس وهو في المهد ، وكذلك ولادته من ام دون أب . .
فاذا كانت هذه آيات الانبياء السابقين فان آية سيدنا محمد صلى الله
عليه وسلم ومعجزته هي " القرآن الكريم " الذي انزل ليكون دستوراً لكل
البشر ، واذ كانت رسالة الانبياء السابقين مقتصرة على اقوامهم ، فان رسالة
الاسلام شاملة لكافة اقوام الدنيا وشعوبها . .

(قل يا أيها الناس انى رسول الله اليكم جميعا الذى له ملك السموات
والأرض لا اله الا هو يحيى ويميت فآمنوا بالله ورسوله النبي الامى الذى
يومن بالله وكلماته واتبعوه لعلكم تهتدون) (١) .

واذا كانت آيات الانبياء السابقين موقته فان آية نبينا محمد صلى الله
عليه وسلم دائمة ومستمره لا تخلق على كثرة الرد بل تتجدد بتجدد الازمان ،
ولا تتغير اذا تغيرت المبادئ ، ولا تتبدل اذا تبدل الحكام ، وتغيرت
الممالك . .

ان خاصية الاسلام هي الشمول والاستمرار والثبات ، ما يجعله صالحاً
لكل زمان ومكان الى ان يرث الله الأرض ومن عليها ، فهو دين الله الخاتم
لذلك اعده عز وجل لان يكون شاملاً ومهيمناً على ما سبقه من الكتب
المنزله . .

(١) سورة الأعراف : (١٥٨) .

وكان يبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم استجابة لدعوة ابراهيم عليه السلام ان دعا الله عز وجل قائلا :

(ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة
ويذكهم انك انت العزيز الحكيم) (١)

كما بشرت بخاتم الانبياء والمرسلين التوراة والانجيل . .

قال تعالى : (الذين يتبعون الرسول النبي الامى الذى يجدونهم مكتوبا عندهم فى التوراة والانجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ، ويضع عنهم اصرهم ، والاغلال التى كانت عليهم ، فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذى انزل معه أولئك هم المفلحون) (٢) كما بشر برسول الله الخاتم عيسى عليه السلام .
قال تعالى : (وان قال عيسى بن مريم يا بنى اسرائيل انى رسول الله اليكم صدقا لما بين يدي من التوراة وبشرا برسول يأتى من بعدى اسمه أحمد فلما جاءهم بالبينات قالوا هذا سحر مبين) (٣) .

وكان لابد لحمل هذه الامانة العظيمة من انسان تجتمع فيه افضل المزايا واكملها . . . انسان شهد له اعداؤه قبل ان يشهد له اصدقاؤه فاختروه ليكون حكما بينهم فى اخطر القضايا ، ولقبوه بالامين لامانته وصدقه واخلاصه

(١) سورة البقرة : (١٢٩) .

(٢) سورة الاعراف : (١٥٧) .

(٣) سورة الصف : (٦) .

فكان اختيار الله له لحمل امانة هذا الدين وابلاغه الى كافة العالمين

موافقا لاختيار الناس له في القضاء والامانة والصدق ..

ولكن الذين شهدوا له بالامانة والصدق عادوا ليناصبوه العداوة يوم ان

ظهر لهم انه نبي مرسل من عند الله جاء ليفير ما كانوا عليه من الشرك وعبادة

العباد الى عبادة الواحد القهار ، فناصبوه العداوة ووقفوا له بالمرصاد ، واذا

وجد الانبياء السابقون صدودا من اقوامهم وعنتا من اهل عشيرتهم حتى شكوا الى

الله ظلم الاقربين ، فقد اجتمع على رسول الله صلى الله عليه وسلم ظلم الاقارب

وظلم الاباعد ، وتصدت له اليهودية بكل قواها وتربصت به الدوائر ، كما استنفر

الشرك قواه ليوقف حاجزا بينه وبين ابلاغ دعوته الى الناس ، وعمل هـو لـا

الاعداء كل مافى وسعهم للنيل من رسول الله صلى الله عليه وسلم بعدما

تبينوا انه لن يداهـنهم أو يتنازل عن مبادئه قيد انمله ..

لقد شن الكفار قريش على رسول الله صلى الله عليه وسلم حربا شعواء

استعملوا فيها كافة الاساليب ، من مادية ومعنوية ، كما حاولوا تصفيتـه

الجسديه ..

فعدى المستوى المعنوى : اتهموه بانه ساحر .. (وقال الظالمون

ان تتبعون الا رجلا مسحورا) (١)

كما اتهموه بالجنون والكهانة فرد عليهم تعالى بقوله :

(فذكر فما انت بنعمة ربك بكاهن ولا مجنون) (٢)

(١) سورة فاطر : (٧) .

(٢) سورة الطور : (٥٢) .

واتهموه بأنه شاعر :

(ام يقولون شاعر نترص به ريب المنون) (١)

وقالوا لما جاء به من هداية ونور هو افكك مفترى ليصدهم عما كان

يعبد آباؤهم ..

قال تعالى : (واذا تتلى عليهم آياتنا بينات قالوا ما هذا الا افك

مفترى وقال الذين كفروا للحق لما جاءهم ان هذا الا سحر مبين) (٢)

واتهموه بالكذب وهو الصادق المصدوق ، وتهموه بالخيانة وهو الامين

المؤمن ، واتهموه بالشمر وما هو بشاعر ولم يقل شعرا قط ..

ولما لم يفلحوا في ذلك حاولوا قتله فنجاه الله منهم .. قال تعالى :

(وان يمكر بك الذين كفروا لمثبتوك او يقتلوك او يخرجوك ويمكرون ويمكر

الله والله خير الماكرين) (٣)

ولم يكتف اعداء الرسالة بعدائها واعداء نبيها الخاتم ، بل حاولوا

الطعن بطهارة زوجة ام المؤمنين ، وخاض المنافقون في ذلك ليوهنوا عزم

النبي وليصدوا اتباعه عن دعوته ، ولكن الله عز وجل برأ الطاهرة التي اتهمت

من فوق سبع سمواته وانزل بشأنها قرآنا يقرأ الى يوم يعثون ، فازداد غيظ

الكافرين وخاب سعيهم ..

(١) سورة الطور : (٣٠) .

(٢) سورة سبأ : (٤٣) .

(٣) سورة الانفال : (٣٠) .

وسار الاسلام بخطى واسعة ينشر العدل والسلام ويحل الامن والاطمئنان

محل الجور والظفیان (١) .

ولقد سلك رسول الله صلى الله عليه وسلم اسلوبا رائعا في الدعوة

الى الله اذ كان يخاطب الناس باللين ويناقشهم بالحكمة ويجادلهم بالتي

هي أحسن امتثالا لقوله تعالى : (ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة

الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن) (٢)

(١) اما عن مواقفه البطولية فيكفي ان نقول ان عدد غزواته عليه السلام التي

قادها بنفسه بلغت سبع وعشرون غزوه ، وعدد سراياه التي بعث بها

سبع واربعون ، وقاتل بنفسه في تسع غزوات ، قاتل قريشا في عدة

مواقع وفتح مكة ودخلت قريش في طاعته وحارب سائر قبائل العرب

ودخلوا في دين الله افواجا ، وحارب اليهود واذلهم واخرجهم

من جزيرة العرب ، وكتب ملك فارس والروم وسائر الملوك وسائر

الامراء المعروفين في الجزيرة والحبشة ومصر في عهده ودعاهم

بدعاية الاسلام ونازل جيوش الروم وارسل قواده للفتح وقبض عليه

السلام وهو يجهز جيش اسامه بن زيد لمحاربة الروم .

(راجع مرشد الدعاة للشيخ محمد نمر الخطيب ط ٩)

للمزيد من الاطلاع على جهاده وصفاته صلى الله عليه وسلم راجع : الشامل

المحمدية للترمذى ، وكتاب بطل الابطال لعبد الرحمن عزام ، ومحمد المثل

الكامل لجمال المولى وكتاب الشفاء للقاضي عياض ، وكتاب نفسية الرسول

للبيب الرياش ، وكتاب مع الانبياء لعفيف طباره ، وكتاب الرسول القائد

للواء الركن محمود شيت خطاب .

(٢) سورة النحل : (١٢٥) .

فملك الناس بحبه واحيا القلوب بهديه وانار الطريق بشرعه ومهد
ان تم هذا الدين واكمل قبض الله نبيه الخاتم بعد جهاد طويل وسريهر
مع اعداء الاسلام ، جهاد لم ينقطع طرفه عين منذ ان اطن رسول الله
صلى الله عليه وسلم هذا الدين وجاهر به (١)

وانتقل السى ربه وهو عنسه راض بعد ان ترك امته على المحجبة
البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها الا هالك .

فصلاة الله وسلامه عليه ، وجزاه الله عنا خيرا ما يجزى نبي
عن امته .

(١) يعترف " فيليب حتى " رقم نصرانيته بعظمة الاسلام ونبي الاسلام

فيقول : " اذا نحن نظرنا الى محمد من خلال الاعمال التى حققها

فان مضمدا الرجل والمعلم والخطيب ورجل الدولة والمجاهد يبدو

لنا بكل وضوح واحدا من اقدر الرجال فى جميع احقاب التاريخ

لقد نشر ديننا هو الاسلام ، واسبس دولة هى الخلافة ، ووضع

اساس حضارة هى الحضارة العربية الاسلامية ، واقام امة هى الامة

العربية ، وهولا يزال الى اليوم قوة حية فعالة فى حياة الملايين

من البشر " .

(الاسلام منهج حياة ص ٥٦ ، نقله الى العربية د . عمر فروخ) .

الباب الرابع

أساليب الدعوة وطرقها

في

القرآن الكريم

الباب الرابع :

أساليب الدعوة وطرقها في القرآن الكريم

تمهيد :

ورد في القرآن الكريم أساليب عديدة في مجال الدعوة ، ومن هذه الأساليب الأساليب اللفظية والبيانية .

من ذلك دعوة القرآن الى الأفعال بصيغ الأوامر الصريحة المباشرة كقولــه تعالى : (اعدوا الله ، واتقوا الله ، واستغفروا له ، وتوبوا إليه ، واستقيموا إليه ، واطعوا الأوامر والنهي ، واتقوا الله ، واتقوا الزكاة ، واتقوا الصيام الى الليل ، واتقوا الحج والعمرة لله ، واحسنوا ، واصبروا ، وصابروا ، وربطوا ، واجيبوا داعي الله ، وانفروا خفافا وثقال ، وجاهدوا في سبيل الله ، الى غير ذلك من الأفعال التي وردت بصيغ الأوامر الصريحة .

وكذلك دعا القرآن الى ترك الفعل بالنهي الصريح ، كقوله تعالى : (لا تعبدوا الا الله ، ولا تشركوا به شيئا ، ولا تقتلوا أولادكم ، ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الا بالحق ، ولا تقربوا الزنا ، ولا تقربوا الفواحش ، ولا تقربوا مال اليتيم الا بالتي هي أحسن ، ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل ، ولا توءموا السفهاء أموالكم ، ولا تخسروا الميزان ، ولا تقف ما ليس له به علم ، ولا تشبي في الأرض مرحا ، ولا يسخر قوم من قوم ، ولا تجسسوا ، ولا تناهبوا بالألقاب ، ولا يغترب بعضهم بعضا ولا تماونوا على الأثم والمدوان) الى غير ذلك من الآيات الكثيرة التي دعت الى ترك الفعل بالنهي الصريح ، أما أساليب الاستفهام والتقرير فهي شائعة في نسق رائع وجذاب ومقطع . من أمثلة ذلك . قوله تعالى في سورة المؤمنون +

(قل لمن الأرض ومن فيها ان كنتم تعلمون سيقولون لله قل افلا تتذكرون

قل من رب السموات السبع ورب المرش العظيم سيقولون لله قل افلا تتقون ،

قل من بيده ملكوت كل شيء وهو يجير ولا يجار عليه ان كنتم تعلمون ؟ سيقولون
(١)
لله قل فاني تسحرون)

وفي سورة النمل قوله تعالى :

(قل الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى اللّٰهُمَّ مَا يَشْرِكُونَ اَمَّنْ
خلق السموات والأرض وأنزل لكم من السماء ماء فأنبتنا به حدائق ذات بهجة
ما كان لكم أن تنبتوا شجرها أ اله مع الله بل هم قوم يعدلون -

أمن جعل الأرض قرارا وجعل خلالها انهارا وجعل لها رؤسا وجعل بين
البحرين حاجزا أ اله مع الله ؟ بل أكثرهم لا يعلمون أمن يجيب المضطر
اذا دعاه ويكشف السوء ويجعلكم خلفاء الأرض أ اله مع الله ؟ قليلا ما تذكرون .
أمن يهديكم في ظلمات البر والبحر ومن يرسل الرياح بشرا بين يدي رحمته
أ اله مع الله ؟ تعالى الله عما يشركون .

أمن يبدؤوا الخلق ثم يعيده ومن يرزقكم من السماء والأرض أ اله مع الله قل
(٢)
هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين)

وفي سورة يونس قوله تعالى :

قل من يرزقكم من السماء والأرض امن يملك السمع والأبصار ومن يخرج
الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ؟ ومن يدبر الأمر فسيقولون الله فقل
أفلا تتقون ، فذالك الله ربكم الحق فماذا بعد الحق الا الضلال فأنسى
(٣)
تصرفون) .

(١) المؤمنون : (٨٤ - ٨٥ - ٨٦ - ٨٧ - ٨٨ - ٨٩)
(٢) النمل : (٥٨ - ٥٩ - ٦٠ - ٦١ - ٦٢ - ٦٣ - ٦٤)
(٣) يونس : (٢١ - ٢٢)

وقوله تعالى : (قل هل من شركائكم من يهدوا الخلق ثم يمهده ؟ قل الله

يهديهم والخلق ثم يمهده فاني توهم فكون ؟

قل هل من شركائكم من يهدى الى الحق ؟ قل الله يهدى للحق أمن يهدى

الى الحق أحق أن يتبع أمن لا يهدى الا أن يهدى فما لكم كيف تحكمون)^(١)

وفي سورة القلم قوله تعالى : افجعل المسلمين كالمجرمين ما لكم كيف تحكمون

أم لكم كتاب فيه تدرسون ان لكم فيه لما تخيرون)

أم لكم ايمان علينا بالغة الى يوم القيامة ان لكم لما تحكمون)^(٢)

وفي سورة الطور قوله تعالى :

(فذكر فما أنت بنعمة ربك بكاهن ولا مجنون ، أم يقولون شاعر فترهبنا به

ربنا المنون ؟ قل ترهبوا فاني معكم من المترهبين أم تأمرهم احلامهم بهذا أم

هم قوم طاغون ، أم يقولون تقوله بل لا يؤمنون ، فليأتوا بحديث مثله ان كانوا

صادقين ، أم خلقوا من غير شيء أم هم الخالقون ، أم خلقوا السموات والأرض بل

لا يوقنون ، أم عندهم خزائن ربك أم هم المصيطرون ، أم لهم سلم يستمعون فيه ؟

فليأت مستمعهم بسلطان مبين ، أم له البنات ولكم البنون ؟ أم تسلثمهم أجرافهم

من مغرم مشغلون ، أم عندهم الغيب فهم يكتبون أم يرعدون كيدا فالذي بين

كفستروا هم المكيدون ، أم لهم اله غير الله سبحانه الله عما يشركون)^(٣)

الى غير ذلك من الآيات الكثيرة التي احتوت اسلوب الاستفهام والتقرير .

(١) سورة يونس (٣٤ - ٣٥)

(٢) سورة القلم (٣٥ - ٣٦ - ٣٧ - ٣٨ - ٣٩)

(٣) سورة الطور (٢٩ - ٣٠ - ٣١ - ٣٢ - ٣٣ - ٣٤ - ٣٥ - ٣٦ - ٣٧ - ٣٨ - ٣٩ - ٤٠ - ٤١)

هذا والأساليب الخبيرة ان لم تكن دعوة صريحة بالنص اللغوي فهي دعوة بضمونها
وفحواها وظايتها .

فالأمر بالنظر في الآيات الكونية وهدائع السموات والأرض دعوة الى التفكير
والتأمل .

آيات التبشير والانذار دعوة بالترغيب والترهيب .

والقصص القرآني دعوة الى الموعظة الحسنة .

آيات المناسك والشعائر دعوة الى تعظيم ما عظم الله .

آيات المعاطاة دعوة الى احلال ما أحل الله وتحريم ما حرم .

وهذا الفهم الواسع للدعوة الذي يشمل كل أساليب القرآن في كل مقاصده

يكون القرآن كله دعوة .

الفصل الأول :

الحكمة والموعظة الحسنة

الحكمة هي وضع الشيء في موضعه ، والموعظة الحسنة ما كانت في رفق ولسين ، كما ان الحكمة هي المدل في تقدير الأمور ، والوسطية بين الافراط والتفريط . والاطناب الممل ليس من الحكمة وكذلك الاجاز المخل .

ولقد وجه تعالى نبيه الكريم الى أفضل الطرق وأحسنها في الدعوة الى دينه الحق .

قال تعالى : (ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن ان ربك هو أظلم ممن ضل عن سبيله وهو أظلم بالمهتدين ، وان طأقتهم فمأقبتوا بمثل ما عوقبتهم به ولئن صبرتم لهو خير للصائرين) (١)

على هذه الأسس ارسى القرآن الكريم قواعد الدعوة ومبادئها ، وعين وسائلها وطرائقها ، ورسم المنهج القويم للرسول الكريم وللدعاة الى نهجه من بعده ، الى أن يرث الله الأرض ومن عليها .

(ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن)
فالدعوة اذا هي في سبيل الله وابتغاء مرضاته وليست لشخص الداعي .
ودعوة الله هذه يجب أن تقدم للناس بأسلوب حكيم ، هين ، لين ، مشوق ،

وليس بأسلوب فظ منفر ،

ومن الحكمة ان ينظر الداعي الى حال المدعويين وظروفهم والقدر الذي يتناسب مع مداركهم بحيث يستطيعون استيعاب ما يقال لهم ، كما ان على الداعية أن يختار الأوقات المناسبة والمقدار الذي يهينه لهم في كل مرة حتى لا يثقل على المدعويين ، وليس من الحكمة التطويل في الكلام حتى لا يمل السامع ، كما انه ليس من الحكمة طرق عدة مواضع في آن واحد حتى لا ينسى آخر الكلام أوله . بل من الحكمة اختيار موضوع واحد والتركيز عليه بشكل يستوعب السامع ما يلقى على سامعه .

كما ان من الحكمة طرق المواضيع ذات الأهمية في حياة الناس وتقديم الأهم على المهم . . .

ولا بد للداعية الناجح من أن يتمتع بالحكمة بالموعظة الحسنة ، التي تدخل الى القلوب برفق ، وتسرى في نفس الانسان سريان الماء البارد في الجوف الظمآن ، فتوخر به وتفسره من الفساد الى الهدى .

وكثيرا ما تهدي الموعظة الحسنة القلوب الشاردة التي انشغلت عن ذكر الله بأمر الدنيا ، وتوهم القلوب النافرة التي اعترأها بمحض الزل من مداخل الشيطان . . . أو لعل نفرتها تكون بسبب محض الدعاة الذين يسيئون الى الدعوة لمخالفتهم نهج الرسول الكريم في الدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة ^{اسلوب} فيستملون بالتقريع والتمنيف وما فضح العاصي ومكاشفته بمحصنة أمام الناس فمثل هو لاء من الأفضل أن يكونوا بعيدين عن ميدان الدعوة لانهم بهذه الطريقة يهدون أكثر ما يعمرون .

ثم يأتي البند الثالث من الآية الكريمة وهو الجدل والتي هي أحسن .

وهذا النوع من طرق الدعوة كثيرا ما يففل عنه الدعاة والذات عندما يحسى وطيس النقاش وعند ذاك يصبح الجدل هدفا للغلبة ويخرج عن كونه هدفا للاقتناع والوصول الى الحق ، من هنا كانت أهمية التوجيه القرآني للجدل والتي هي أحسن . . . ليكون جدالا هدفه احقاق الحق والوصول اليه بلا تحامل على المخالف أو تقبيح له ، حتى يطمئن المدعو الى الداعي ويشمران هدفه ليس هو الغلبة ومراعاة الناس بل هدفه الاقتناع والوصول الى الحق الذي يسمد من يتبعه ويشقى من يجتنبه .

ويجب على الداعية ان لا ينسى ان للنفس البشرية كبرياءها وعنادها وهي لاتنزل عن رأيها الذي تدافع عنه الا بالرفق واللين حتى لاتشمر بالهزيمة لانها تعتبر ان التنازل عن الرأي تنازل عن هيبتها وكيانها ، والجدل بالحسنى هو الذي يطمئن قلب المدعو ويشمره ان ذاته مصونه وقدره محترم ، وان الداعي لا يقصد في جدله الى اظهار الحقيقة في ذاتها ولا هتداء اليها لان من أجل ذاته ونصرة رأيه وهزيمة الرأي الآخر / من أجل الاهتداء الى الحق والعمل بمقتضاه .

وما ان الهداية بيد الله عز وجل وهو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أطم بالمهتدين ، فلا داعي للجاجة الزائدة من قبل الداعية في الجدل وانما على الداعية البيان والتوضيح والتي هي أحسن ، اما التوفيق والهداية فبيد الله عز وجل يهدي من يشاء ويضل من يشاء .

هذا هو منهج الدعوة واسلوبها ما دام الامر في دائرة الدعوة باللسان
والجدل بالحجة ، فاما اذا وقع الاعتداء على أهل الدعوة فان الاسلوب
يختلف والموقف يتغير فالاعتداء عمل مادي مضمونه التحدي ، فلا بد أن
يدفع بثله اعزازا لكرامة الحق ودفعاً لاذى الباطل على ان أصحاب الدعوة
طزمون بالا يتجاوز الرد على الاعتداء حدوده الى التمثيل والتقطيع ، فالاسلام
دين العدل والاعتدال ودين السلم والمسالمة ، اذا لم يجد من يناصره
المداء ، وانما يدفع عن نفسه واهله البغي دون أن يبغى (وان عاقبتهم فمأقبا
بمثل ما عوقبتهم به)

فالدافع عن الدعوة في حدود القصد والعدل يحفظ لها كرامتها وعزتها
فلا تهون في نفوس الناس ، لان الدعوة المهينة المستدلة لا يرغب باعتناقها
أحد وانما يرغبون عنها الى الدعوات المعززة القوية الجانب التي تحفظ كرامة
وعزة معتنقيها ، من هنا كان على المؤمن من ان لا يقبلوا السكوت على المضمم
وهم دعاة الى الله لان العزة لله جميعا ، ثم انهم امانا على اقامة الحق فسي
هذه الأرض وتحقيق العدل بين الناس .

ولا يبنهض بهذا الواجب العظيم من يعاقب ولا يتسطيع أن يعاقب ومن
يعتدى عليه ولا يقدر على رد الاعتداء .

ومع تقرير قاعدة القصاص بالمثل فان الهدى الرباني يدعو الى الصبر والصبر
حين يكون المسلمون قادرين على دفع الشر ووقف العدوان ورد الاعتداء ، ليكون
لهم الفضل والعزة دائما بالسلم والحرب (وان صبرتم لهو خير للصابرين)

وفي سورة آل عمران نرى التوجيه الرباني للنبي محمد صلى الله عليه وسلم فسي
منهج الدعوة في قوله تعالى :

وللمشورى أثر ايجابي على الحاكم والمحكم ، فالامة التي ترى ولي امرها يرجع في أمره الى أهل الحل والعقد ويشاركهم في حلها يزداد حبها له وتقديرها لجهوده ، وتمسك به على العكس من ذلك المتسلط الجائر ، الذي لا يستشير أحدا ولا يثق باحد ، فان الأمة تزهد به وسرطان ما تتخلى عنه عندما تسنح لها الفرصة ، لانه عمل جفوه بينه وبين امته بسبب مخالفته اساسا من أساس الحكم الذي ينهي طيه العدل ، وتمم به الفائدة .

من هنا كان التوجيه القرآني للنبي الكريم في قوله تعالى : (وشاروهم فسي

الأمر)

والقرآن الكريم قد أورد عدة آيات في منهج الدعوة واسلوبها ، فكما أرشد نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ، كان تعالى قد أرشد موسى وهارون عليهما السلام من قبل فقال لهما : (اذعبا الى فرعون انه طغى فقولاً له قولاً لينا لعله يتذكر أو يخشى)^(١)

يرشد تعالى موسى وهارون الى الطريقة المثلى في الدعوة الى الله عز وجل ووجههم الى اسلوب غاية في الرفق واللينونة ، مع انهما ذاهبان الى طاغية متجبر ومتكبر ، استذل الناس واستمهدهم ، ونصب نفسه اليها من دون الله ، ومع ذلك كله يقول عز وجل لهما اذعبا الى فرعون انه طغى فقولاً له قولاً لينا لعله يتذكر أو يخشى .

والله تعالى عالم بالنفوس وهو أعلم بما ينفع النفس البشرية وما يؤذيها

هذه النفس التي سرعان ما تأخذها المزة بالاثم ان لم تحسن دعوتها
وتأنيها باللين والرفق فسرعان ما تفر وتتفر .

أما الليونة في القول فتؤثر في النفس ايما تأثير وتدخل الى شباب القلب
فتغيره من الشر الى الخير . . .

أما الغلظة فانها تزيد المتمنت تمننا ، وتهدم القريب ، ولا تقرب الهميد .
وقد عل تعالى قوله لموسى وهارون (فقلوا له قولنا) بقوله - لعله يتذكر
أو يخشى -

فالقول اللين اذا يذكر الانسان بما نسيه ويفتح له اقفال قلبه ليتعلم ما كان
جاهلة ، واذا تذكر الحق وعلمه فسرعان ما يخشى الله ويتقيه ويعمل بما أمره
ويجتنب عما نهاه عنه .

ان دعاة الهم عليهم ان يسيروا على نهج القرآن في الدعوة والارشاد وان تغيرت
الأحوال وتبدلت الظروف ، فان النفوس البشرية لم تتبدل من حيث التكوين
الفطرى ، من حب للرفق وتأثر بالحسنى وكره للفظظة وهفض للفظظة .

والداعية الناجح عليه ان يراعى ذلك كله ويعمل بما فيه مصلحة الدعوة
الى الله عز وجل ويسير على نهج الانبياء والمرسلين صلوات الله عليهم .
وفي سورة الكهف نرى نموذجاً آخر من اسلوب الدعوة ،

قال تعالى : (وكذلك بعثناهم ليتسألوا بينهم قال قائل منهم كم لبثتم
قالوا لبثنا يوماً أو بعض يوم قالوا ربكم أظلم بما لبثتم فابحثوا احدكم بهورقكم
هذا الى المدينة فلينظر ايها أركى طعاما فليأتكم برزق منه وليتلطف ولا يشمرن

بكم أظلم ان يظهروا عليكم يرجوكم أو يعيدوكم في طنتهم ولن تغلحوا
انآ أبدا) (١)

فالايمان الكريمان تظهران أهمية التطف في القول وحسن المعاملة ، صاحب
 هذين الصفتين هو الراجح في جميع الحالات ، فاذا كان يتعامل مع صديق
 فيجلبه اليه بحسن المعاملة وطيب القول ، وان كان يتعامل مع عدو قهتقي شره
 وينجو من كيد .

ومن الخطأ الكبير ان يبدي الانسان صفحته امام العدو وفيكشف أمره ، وهو
 لا حول له ولا قوة ، ففي هذه الحالة لابد من التأنى والتروى في القول
 والعمل ويستحسن ان يأخذ الانسان أكثر ما يحظى ولا يقول الا ما يناسب
 المقام نظرا لخطورة الموقف في حال انكشاف الأمر .

من هنا كانت وصية أهل الكهف لزميلهم الذي ذهب الى المدينة ليشترى
 بعض ما يحتاجونه من طعام ، فآوصوه بأن يكون لطيفا في القول حينما فسي
 المعاملة حتى لا يشمر به أحد والا رجموه ومن معه بالحجارة أو حاولوا اعاتهم
 الى بوتقة الكفر بعد ان انقذهم الله منها .

الحوار القرآني .

لقد شاع الحوار في منهج الدعوة القرآنية ، فما من نبي الا و حوار قوميه ،
في معتقداتهم الباطلة ، و أظهر لهم زيفها ، و دعاهم الى عبادة الله الواحد
القهار ، و نبذ ما يعبد من دونه .

والحوار من أهم الأساليب التي يظهر الداعية من خلالها حججه الدامغة
فيلجم الخصم ، فان أراد الله به خيرا هداه الى الحق ، و اذعن له ، وان كان
من الذين أظلمهم الله على علم ، تبادى في فمه ، و ما طله على الرض من ظهور
الحق و كشف الباطل .

والحوار اخذ ورد و جذب و شد ، و النفوس تقبل عليه و تتشوق اليه كما انها
أكثر تسليما لديه من هنا كانت أهميته في الدعوة ،

و القرآن الكريم أورد كثيرا من المواقف التي دار فيها الحوار بين الدعاة
و المدعويين . و بين الأنبياء و المتكبرين .

ففي سورة البقرة : يقول تعالى : (ألم تر الى الذي حاج ابراهيم
في ربه ان أتاه الله الملك ، ان قال ابراهيم ربي الذي يحيى و يميت قال اننا
أحيى و أميت ، قال ابراهيم فان الله يأتي بالشمس من المشرق فأت بها من
المغرب فبهت الذي كفر والله لا يهدي القوم الظالمين)
(١)

لقد جادل نمرود ابراهيم عليه السلام في ربه بعد أن آتاه الله الملك .

(ان الانسان ليطغى ان رآه استغنى)

وحاج ابراهيم نمرود وقال له : ربي الذي يحيى ويميت ، وظالم نعروء وادعى
بنفسه الاحياء ، والامانة ، مكابرة وعنادا ، وليظهر مقدرته على ذلك أتى برجلين
فقتل احدهما وترك الآخر حيا ، وادعى بذلك انه احيا وامات ، ولم يفاجى
ابراهيم عليه السلام بهذه المغالطة ، واستمر في المناظرة ، وكانت معركة قصيرة ،
انتظر فيها الحق على الباطل ،

(قال ابراهيم فان الله ياتى بالشمس من المشرق فات بها من المغرب)

وكان ابراهيم عليه السلام يريد أن يقول له اذا كنت تدعى الاحياء والامانة
فغير مطلع الشمس ومدارها ، فالذى يحيى ويميت هو الذى يتصرف فى الكون
من خلق وتدبير (فهبت الذى كفر) فمجز نمرود عن الجواب وأسكته الحق
وقامت عليه الحجة - والله لا يهدى القوم الظالمين .

وفي سورة الأنبياء نموذج آخر من الحوار لابراهيم عليه السلام مع قومه

قال تعالى : (ولقد آتينا ابراهيم رشده من قبل وكنا به عالمين ، ان قال
لأبيه وقومه ما هذه التماثيل التي انتم لها عاكفون قالوا وجدنا آباءنا لها
عابدين قال لقد كنتم أنتم وآباؤكم فى ضلال مبين ، قالوا اجئتنا بالحق أم
أنت من اللامين ، قال بل ربكم رب السموات والأرض الذى فطرهن وأنا على
ذلك من الشاهدين ، وتالله لاكيدن اصنامكم بعد أن تولوا مدبرين ، فجهلهم
جذانا الا كبيراً لهم لهم لملهم اليه يرجعون ، قالوا من فعل هذا بالهتتا انه
لن الظالمين ، قالوا لاسمعنا فتى يذكرهم يقال له ابراهيم ، قالوا فاتوا به

على أمين الناس لعلمهم يشهدون ، قالوا عانت فعلت هذا بالكهنتا يا ابراهيم
قال بل فعله كبيرهم هذا فستلوهم ان كانوا ينطقون فرجعوا الى أنفسهم فقالوا
انكم أنتم الظالمون .

ثم نكسوا على رؤسهم لقد علمت ما هوء لا ينطقون ، قال أفتعبدون من دون
الله ما لا ينفعكم شيئاً ولا يضركم أف لكم ولما تعبدون من دون الله أفلا تعقلون
قالوا حرقوه وانظروا آلهتكم ان كنتم فاعلين ، قلنا يا نار كوني برداً وسلاماً على
ابراهيم ، وارادوا به كيدا فجعلناهم الاخسرين (١)

نرى في هذه الآيات ابراهيم عليه السلام وهو يحاور ابيه وقومه ويدعوهم
الى ترك عبادة الأصنام والاتجاه الى عبادة الله الواحد القهار ، الذى خلقهم
وخلق السموات والأرض وكل ما في هذا الكون ، ثم يهددهم بأنه سوف يحطم
اصنامهم فان كانوا حقا آلهة فلماذا فموا عن أنفسهم ، وأراد بذلك عليه السلام
أن يثبت لقومه بطلان معتقدتهم الذى ورثوه عن آباءهم دون تفكير أو تعمق
وفعلا نفذ عليه السلام وعيده وحطم الأصنام وترك أكبرها دون تحطيم ليكون
شاهدا على ما حصل بل ليكون حجة على عبيده ، ولتكون حجة ابراهيم أقوى
وأكثر وقفا في قلوب القوم . فلما حضر القوم ورأوا ما حل بأصنامهم من تدمير
قالوا من فعل هذا بالكهنتا فأرشدوهم الى ابراهيم ، ولما مثل للمحاكمة ، قال
بل فعله كبيرهم هذا فسألوهم ان كانوا ينطقون ؟ وهنا عاد القوم الى رشدهم
واعترفوا بخطيئهم (فرجعوا الى أنفسهم فقالوا انكم أنتم الظالمون)

(١) الأنبياء (٤١-٤٢-٤٣-٤٤-٤٥-٤٦-٤٧-٤٨-٤٩-٥٠-٥١-٥٢-٥٣-٥٤-٥٥-٥٦-٥٧-٥٨-٥٩-٦٠-٦١-٦٢-٦٣-٦٤-٦٥-٦٦-٦٧-٦٨-٦٩-٧٠)

ولكن لم يدم هذا الاقرار طويلا ان سرطان ما طادت اليهم جاهليتهم ،

(ثم نكسوا على رؤسهم لقدمت ما هو لا ينطقون)

وهنا حان الوقت المناسب لبراهيم عليه السلام ليبدلي بحجته الدامغة التي

يتحين لها الفرصة (قال افتميدون من دون الله ما لا ينفعكم شيئا ولا يضركم

أف لكم ولما تميدون من دون الله أفلا تمقلون)

ولكن انسى لقلوب ران طمها من كثرة المعاصي والآثام ان ترجع الى الحق

بسهولة ويسر فبدل أن يذعنوا للحق اذا بهم يتعادون في الغي والضلال

ويهربون من مواجهة الحق الى استتمال اسلوب الجبان المنحدر الذي

لا يستطيع ان يقرع الحجة بالحجة فاذا به يقرع الحجة بالقسوة والمنف وبواجه

الحق بالحديد والنار محاولا اسكاته خشية ان يندثر باطله ، وهذه عادة

أعداء الله قديما وحديثا ، ان سرطان ما يلجأون الى الحديد والنار لاسكات

الحق بتصفية أهله قتلا ، أو تعذيبها ، أو تشريدنا (قالوا لاجرقوه وانصروا

الجهنم ان كنتم فاطين)

فلا بد من احراق الداعية والانتها منه بأية طريقة حتى تنتصر الالهة المصطنعة

ويكتب لها الحياة في جو لا معارضة فيه ، والا فلا حياة ولا بقا لها طالما

ان الداعية الى الحق حيا طليقا ، معافى .

ولكن الله عز وجل بالمرصاد لاعدائه وحافظا لوليائه ، وقد يقتل الداعية فسي

سهيل الله فذلك شرف له وتكريم من الله عز وجل ، وقد ينتصر اعداء الله لفترة

من الوقت ولكن الله سينتقم منهم عاجلا أو آجلا (وارادوا به كيدا فجعلناهم

الا خسرين)

الها سنة الله في الحياة ، ان يولي الله للظالم حتى اذا أخذه لم يكذب
بفلسفه ، ثم يرث الأرض عباد الله الصالحين .

وفي سورة الشعراء نرى الحوار الذي دار بين موسى وهارون عليهما السلام
من جهة وهجن فرعون وجنوده من جهة أخرى .

قال تعالى موجها خطابه لموسى وهارون : (فاتهما فرعون فقولا انا رسول
رب العالمين ، ان ارسل معنا بني اسرائيل ، قال ألم نريك فينا وليدا ولبثت
فينا من عمرك سنين ، وفعلت فعلتك التي فعلت وانت من الكافرين ، قال
فملمتها اذا وانا من الضالين ، ففررت منكم لما خفتكم فوهب لي ربي حكما
وجملي من المرسلين ، وتلك نعمة تضها علي ان عهدت بني اسرائيل .
قال فرعون وما رب العالمين قال رب السموات والأرض وما بينهما ان كنتم
موقنين ، قال لمن حوله الا تستمعون ، قال ريك هرب آباؤكم الاولين .

قال ان رسولكم الذي ارسل اليكم لمجنون ، قال رب المشرق والمغرب وما بينهما
ان كنتم تملقون ، قال لئن اتخذت الها غيرى لاجملنك من المسجونين ،
قال اولو جئتكم بشي * مبین ، قال فات به ان كنت من الصادقين ، فالقسي
عصاه فاذا هي شعبان مبین ونزع يده فاذا هي بيضا * للناظرين ، قال
للملأ حوله ان هذا لساحر عظيم يريد ان يخرجكم من ارضكم بسحره فماذا
تأمرون ، قالوا ارجسه واخاه وابحث في المدائن حاشرين ، ياتوك بكل سحار
عظيم ، فجمع السحرة لميقات يوم معلوم ، وقيل للناس هل انتم مجتمعون ، لملنا
نتبع السحرة ان كانوا هم الغالبين ، فلما جاء السحرة قالوا لفرعون ائن لنا
لاجرا ان كنا نحن الغالبين ، قال نعم وانكم لمن المقربين ، قال لهم موسى
القول ما انتم طقون ، فالقوا حبالهم وعضهم وقالوا بحزة فرعون انا لنحن الغالبون

فالتقى موسى عصاه فاذا هي تلقف ما يافكون ، فالتقى السحرة ساجدين

قالوا آتنا برب العالمين ، رب موسى وهارون ، قال آمنت له قبل ان آذن

لكم انه لكبيركم الذى علمكم السحر فلسوف تعلمون ، لا قطعن ايديكم

وأرجلكم من خلاف ولا صلبنكم أجمعين ، قالوا لا ضمير انا الى ربنا

(١)

منقلبون ، انا نطمع ان يخفر لنا ربنا خطايانا ان كنا اول المؤمنين)

وفي خلال الحوار بين موسى عليه السلام وفرعون نلاحظ كيف ان فرعون

يحاول الفرار من مواجهة موسى بالاسترسال بالاسئلة فهل ان يجيب هو أو

يمتدح على جواب موسى سلماً أو ايجاباً بل يهرب من الجواب فنلاحظ

عندما سأل فرعون وما رب العالمين ؟ اجاب موسى (قال رب السموات

(٢)

والأرض ما بينهما ان كنتم موقنين)

فهرب فرعون من المحاجه الى التظاهر بقوته واستمداً من حوله طسى

(٣)

موسى (قال لمن حوله الا تستمعون)

ولم يكرر موسى الدليل بل انتقل الى شاهد آخر (قال ربكم ورب آبائكم

(٤)

الاولين)

وهرب فرعون للمرة الثانية من المواجهة ولجأ الى اسلوب المنهزمين

(٥)

(السب والشتم) (قال ان رسولكم الذى أرسل اليكم لجنون)

(١) الشمرات : (١٦ - ١٧ - ١٨ - ١٩ - ٢٠ - ٢١ - ٢٢ - ٢٣ - ٢٤ - ٢٥ - ٢٦ - ٢٧ -

٢٨ - ٢٩ - ٣٠ - ٣١ - ٣٢ - ٣٣ - ٣٤ - ٣٥ - ٣٦ - ٣٧ - ٣٨ - ٣٩ - ٤٠ -

(٤١ - ٤٢ - ٤٣ - ٤٤ - ٤٥ - ٤٦ - ٤٧ - ٤٨ - ٤٩ - ٥٠ - ٥١)

(٢) الشمرات : (٢٤)

(٣) الشمرات : (٢٧)

(٤) الشمرات : (٢٦)

(٥) الشمرات : (٢٧)

واستمر موسى عليه السلام يذكر عظمة الله ومقدرته (قال رب المشرق والمغرب

(١)
وما بينهما ان كنتم تعقلون)

وطار فرعون الى استمطال اسلوب - المنهزمين الجبناء - فهدد موسى

(٢)
بالسجن (قال لئن اتخذت الها غيرى لاجملنك من المسجونين)

وهنا جاءت المعجزة الموهبة لرسول الله موسى (قال او لو جئتك

(٣)
بشيء ميين قال فأت به ان كنت من الصادقين)

وكأنه يشكك قومه بصحة قول موسى عليه السلام ، وتأتي المعجزة موهبة قول

موسى (فالقى عصاه فاذا هي شعبان ميين ، ونزع يده فاذا هي بيضاء

(٤)
للناظرين)

وامام هذه المعجزة الحسية التي فوجئ بها فرعون لم يجد وسيلة للفسرار

من الواقع والحق الذي يدهفه الا الالتجاء الى التشكيك بصدق موسى

ورسالته .

(قال للملاء حوله ان هذا لساحر ظم يريد ان يخرجكم من ارضكم بسحره

(٥)
فماذا تأمرون)

(١) الشعراء : (٢٨)

(٢) الشعراء : (٢٩)

(٣) الشعراء : (٣٠ - ٣١)

(٤) الشعراء : (٣٢ - ٣٣)

(٥) الشعراء : (٣٤ - ٣٥)

فهو يريد أن يستمدى قومه على موسى ويضلّهم بقوله

(ان موسى يريد أن يخرجكم من أرضكم بسحره هذا) . وكانهم هم المقصودون

وليس فرعون نفسه .

وشارت حمة القوم الذين ظنوا انهم مهددون فعلا بالخروج من ارضهم

وديارهم (قالوا ارجه واخاه وابحث في الدائن حاشرين بأتوك بكسل

(١)

سحار طيم)

واستحسن فرعون هذا الرأي بل وانتفش كالديك ظنا منه ان القوم اذعنوا

له وريح الجولة الاولى من المناظرة . .

وطلب استدعاء جميع السحرة المشهورين في كافة انحاء مصر استعدادا لمجابهة

موسى ولعله يفوز بالجولة الأخيرة فيكون بذلك قد قضى على موسى ودعوته .

واسرع السحرة بتلبية دعوة فرعون (فجمع السحرة لميقات يوم معلوم وقبيل

(٢)

للناس هل أنتم مجتمعون لملنا نتبع السحرة ان كانوا هم الفالين)

وجاء السحرة يطلبون مسبقا من فرعون الاجر والشهرة ان كانوا هم الفالين

(٣)

(فلما جاء السحرة قالوا لفرعون ائسن لنا لاجرا ان كنا نحن الفالين)

فاجابهم لكم ذلك وزهادة ان انكم ستكونون من المقربين لدى (قال نعم وانكم

(٤)

لمن المقربين)

(١) الشعرا : (٣٦ - ٣٧)

(٢) الشعرا : (٣٨ - ٣٩ - ٤٠)

(٣) الشعرا : (٤١)

(٤) الشعرا : (٤٢)

انه موقف حاسم وعليه يتوقف صدق فرعون أو كذبه ، وهو يعلم انه مفر باوطائه
 الالهية و يعلم انه على باطل وان باطله لو انكشف للناس لانتهى الى غير رجعة ،
 لذلك حرص على تشجيع السحرة فوعدهم بان يصدق عليهم من الاجر وان يكونوا
 من الذين أنعم عليهم فيصبحوا من المقربين الذين يعملون عن كل قانون فيأكلوا
 أموال الناس بالباطل أو يسفكوا دماءهم دونما حسيب أو رقيب عليهم . .

من هنا كان حرص فرعون على استدعاء أفضل السحرة وأكثرهم مهارة ليطلبوا
 بزعمه سحر موسى ، وحين موعد المجابهة وطلب منهم موسى ان يلقوا ما عندهم
 من سحر (قال لهم موسى القوا ما انتم ملقون ، فالتقوا حبالهم وعصيهم وقالوا
 بعزة فرعون انا لنحن الغالبون)^(١)

فهم حتى هذه الساعة موقنون بصدق فرعون لذلك اقسوا بعزته بانهم سوف
 يخلبون موسى ، ظنا منهم ان موسى مجرد ساحر ماهر وهم بهذا الفئس
 لا يجارون ، ولكن سرطان ما تغيرت هذه المفاهيم بحد ان رأوا بأمر أعينهم
 معجزة موسى عليه السلام وان الذي فعله موسى ليس سحرا فهم أعظم الناس
 بالسحر وطلاسه ، وان الذي فعله موسى هو معجزة موه يده من الله الواحد
 القهار (فالتقى موسى عصاه فاذا هي تلقف ما يأفكون)^(٢)

ولم يمتلك السحرة امام هذه المعجزة الا ان خروا سجدا لله عز وجل
 (فالتقى السحرة ساجدين قالوا آتانا برب العالمين رب موسى وهارون)^(٣)

(١) الشعراء : (٤٣ - ٤٤)

(٢) الشعراء : (٤٥)

(٣) الشعراء : (٤٦ - ٤٧ - ٤٨)

وهنا استشاط فرعون بعد ان رأى ما لا يسره ففقد توازنه واخذ بهـسرف
(قال آمنت له قبل ان آذن لكم) وكأنه يظن ان تأثير باطله ما زال مسيطرا
عليهم ولم يعلم ان ما رآوه من حق وصدق قد قلب معتقدهم من الظلام
المدلهم الى النور الواضح الوضاه وان الايمان الذى لا تزغزه المواصف
حل محل الجاهلية المرزلة تحت مطارق الحق والصدق ، فأخذ المهزوم
بكيال التهم ، مهددا ومتوعدا (انه لكبركم الذى علمكم السحر فلسوف تعلمون
(١)
لاقطعن ايديكم وارجلكم من خلاف ولاصليكم أجمعين)
وظن فرعون ان الوحيد بالتنكيل والمذاب سيخيفهم ويردهم الى ما كانوا
عليه من معتقد فاسد ، ولكن جاءه الرد الحاسم الذى لا هوادة فيه
ولا مساومة ، مؤكدا على صدق ايمانهم وقوة عزيمتهم على التمسك بالدين الحق
صهط غلت التضحيات ، (قالوا لاضير انا الى ربنا منقلبون) وكأنهم يستهزئون
(٢)
بوعيد فرعون ويستخفون به امام ما وجدوا من الحق ، قالوا افعل ما بدا لك
من تنكيل وتمذيب فنحن قد بعنا أنفسنا لله وسوف نلاقيه وسنجد عنده مسن
الشوية والرضوان ما يهون علينا كل مصائب الدنيا ، وكأنهم يقولون أيضا ان ا
كان لك التسلط على اجسادنا الغائبة فلن يكون لك تأثير على عقيدتنا
(٣)
وقلوبنا المؤمنة (انا نطمع أن يغفر لنا ربنا خطايانا ان كنا أول المؤمنين)

(١) الشمراء : (٤٩)

(٢) الشمراء : (٥٠)

(٣) الشمراء : (٥١)

انه موقف رافع من مواقف البطولة والفداء ، يسطره هو ، لا السحرة الذين ضحوا
 بأرواحهم في سبيل الله وقد موها قربانا في سبيل الحفاظ على العقيدة
 والذود عنها ، انه موقف مشرف من البذل والتضحية في سبيل العقيدة
 قدمته الفئة المؤمنة من سحرة فرعون لينضموا بمطعمهم هذا الى مواكيب
 المجاهدين على طريق الدعوة من أجل رفع راية لا اله الا الله وحده لا شريك
 له عليه خفاقة شاء من شاء وأبى من أبى (والله متم نوره ولو كره الكافرون)
 وفي سورة الكهف نرى الحوار التالي الذي دار بين صاحب الجنتين الذي
 كفر بنعمة الله وتكبر وتجبر على صاحبه المؤمن الذي حاول ان يذكره بفضل
 الله عليه ويحذره من منية جحوده وكفره .

قال تعالى : (واضرب لهم مثلا رجلين جعلنا لاحدهما جنتين من اعناب
 وحفناهما بنخل وجعلنا بينهما زرعا ، كلتا الجنتين آتت اكلها ولم تظلم
 منه شيئا وفجرنا خلالهما نهرا ، وكان له شمر فقال لصاحبه وهو يحاوره أنا
 أكثر منك مالا وأعز نفرا) ودخل جنته وهو ظالم لنفسه قال ما اظن ان تبهد
 هذه أبدا ، وما اظن الساعة قائمة ولئن رددت الى ربي لاجدن خيرا منها
 منقلبا . قال له صاحبه وهو يحاوره أكفرت بالذي خلقك من تراب ثم من
 نطفة ثم سواك رجلا ، لئن لم يكن الله ربي ولا أشرك بهي احدا ، ولولا ان
 دخلت جنتك قلت ما شاء الله لا قوة الا بالله ان ترن انا أقل منك مالا وولدا ،
 فمضى ربي أن يوتئني خيرا من جنتك ويرسل عليها حسانا من السماء
 فتصبح صعيدا زلقا ، أو يصبح ماؤها غورا فلن تستطيع له طلبا ، واحيط
 بشعره فأصبح يقلب كفيه على ما أنفق فيها وهي خاوية على عروشها

ويقول يا ليتني لم أشرك بربي احدا ، ولم تكن له فئة ينصرونه من دون الله
(١)
وما كان منتصرا)

يظهر لنا من حوار المؤمن انه حاول ارشاد صاحب الجنتين الى الطريق
المستقيم وعمل على تذكيره بالله الذي خلقه من تراب ثم من نطفة ثم سواه
رجلا قويا ، يمد ان كان حقيرا ضعيفا ، وحذره ان لم يعبد الله وحده ويترك
البحود به فان الله عز وجل قادر على ان يذهب وهلمحة عين نضارة جنته
واخضرارها بأن يرسل طيها ما يدمرها ويحرقها وينضب ما يهبط ، فتصبحا
كان لم تكونا ولكن الجاحد ظل على كفره ونكرانه لفضل الله عليه ، حتى
عاقبه الله بالتلاف ما عنده من خير ورزق ، وان به يمد ان كان شامخا بانفسه
مختالا يمد حابي الجذع كالمرجون القديم معترفا بقدره الله وعظمته
نادما على ما فرط في جنب الله من نكران فضله وكفر نعمه ولكن بعد فوات
الوان . (واحيط بشجرة فاصبح يقلب كفيه على ما انفق فيها وهي خاوية على
عروشها ويقول يا ليتني لم اشرك بربي احدا ، ولم تكن له فئة ينصرونه من دون
(٢)
الله وما كان منتصرا)

(١) سورة الكهف : (٣٢ - ٣٣ - ٣٤ - ٣٥ - ٣٦ - ٣٧ - ٣٨ - ٣٩ - ٤٠ - ٤١ - ٤٢ - ٤٣)

(٢) الكهف : (٤٢ - ٤٣)

وفي سورة ابراهيم عليه السلام نستعرض ما دار من حوار بين رسل الله تعالى وبين أقوامهم الكافرة .

قال تعالى : (وقال موسى ان تكفروا انتم ومن في الأرض جميعا فان الله لفي حميد ، ألم يأتكم نبيؤ الذين من قبلكم قوم نوح واد وشمود والذين من بعدهم لا يعلمهم الا الله جاءتهم رسلهم بالبينات فردوا ايديهم في افواههم وقالوا انا كفرنا بما ارسلتم به وانا لفي شك مما تدعوننا اليه مريب ، قالت رسلهم افي الله شك فاطر السموات والأرض يدعوكم ليعفركم من ذنوبكم ويؤخركم الى أجل مسمى قالوا ان انتم الا بشر مثلنا تريدون ان تصدونا عما كان يعبد آباؤنا فاتونا بسلطان مبين ، قالت لهم رسلهم ان نحن الا بشر مثلكم ولكن الله يمن على من يشاء من عباده ، وما كان لنا ان ناتيكم بسلطان الا باذن الله وعلى الله فليتوكل المؤمنون .

وما لنا الا نتوكل على الله وقد هدانا سبلنا ولنصبرن على ما آذيتموننا وعلى الله فليتوكل المتوكلون ، وقال الذين كفروا لرسولهم لنخرجنكم من أرضنا أولتمودن في ملتنا فآوحى اليهم ربهم لنهلكن الظالمين ، ولنسكننكم الأرض من بعدهم ذلك لمن خاف مقامي وخاف وعيد) (١)

يظهر لنا من خلال هذه الآيات البينات الصمومات التي واجههم رسل الله عليهم السلام ، من أقوامهم الجاحدة التي كانت تحارب الأنبياء والمرسلين وتشكك بصدق دعواهم ، ومع ذلك التشكيك والصدود نرى أنبياء الله كيف يحاولون بكل هدوء وروية اطادة القوم الذين ضلوا الطريق

الى جادة الصواب مع كل ما يجدونه منهم من عنت وحدود ، ويصبرون طسى
اذاهم محتسبين ذلك عند الله عز وجل .

(١)
قالوا : (ولنصبرن طسى ما آذيتونا وطى الله فليتوكل المتوكلون)

ولكن الأقسام الكافرة تقابل هذا الصبر من الرسل والاسلوب الحسن في الدعوة
باسلوب فظ لهم (قال الذين كفروا لرسلم لنخرجكم من أرضنا أو لنعمودن
(٢)
في طنتنا)

فبدل ان يكافأ الدعاة الى الخير والصدق من مدعهم اذا بهمسولا
يتكرون لهم ويحاملونهم معاملة جافة قاسية تخلو من المروءة والانسانية :
وان كان رسل الله مستضعفين امام طغيان الاقسام الكافرة ، فان الله عز وجل
ناصر رسله وموئدهم بقوة من عنده ، فبعد ان هدد القوم الكافرين رسل الله
بالطرد والاخراج طمانهم الله بان أوحى اليهم (لنهلكن الظالمين) وبشرهم
بالنصر والتمكين في الأرض (ولنسكنكم الأرض من بعدهم ذلك لمن خاف
(٣)
مقامي وخاف وعيد)

فالأرض لله يورثها من يشاء من عباده والمآقبة للمتقين .

وفي سورة يس نستعرض ما دار من حوار بين أصحاب القرية وبين المرسلين
اليها .

قال تعالى : (واضرب لهم مثلا أصحاب القرية ان جاءها المرسلون ، ان
ارسلنا اليهم اثنين فكذبوهما فمزنا بثالث فقالوا انا اليكم مرسلون ، قالوا
ما أنتم الا بشر مثلنا وما أنزل الرحمن من شىء ان انتم الا تكذبون ،

(١) ابراهيم : (١٢)
(٢) ابراهيم من الآية (١٣)
(٣) ابراهيم : (١٤)

قالوا ربنا يعلم اننا اليكم لمرسلون وما علينا الا البلاغ المبين ، قالوا اننا
تطيرنا بكم لئن لم تنتهوا لخرجنكم وليسننكم منا عذاب اليم ، قالوا طائرکم
معكم أين ذكرتم بل انتم قوم مسرفون ، وجاء من اقصى المدينة رجل يسمى
قال يا قوم اتبعوا المرسلين اتبعوا من لا يسألكم اجرا وهم مهتدون والسي
لا أعبد الذى فطرني واليه ترجعون ، اتخذ من دونه الهة ان يره بن الرحمن
بضر لا تغنى عني شفاعتهم شيئا ولا ينقذون ، اني اذا لفي ضلال مبين
اني آمنت بربكم فاسمعون ، قيل ادخل الجنة قال يا ليت قومي يعلمون بما
(١)
فعلني ربي وجعلني من المكرمين)

ففي هذه الآيات أيضا نرى صدق وأصحاب القرية وكفرهم بالرسول ،
حتى اتهمهم بالكذب والخداع ، ثم هددهم بالرجم بالحجارة وبالمنذاب
الأليم ان هم لم ينتهوا عن دعوتهم الى عبادة الله وحده وترك ما يعبدون
من دونه ، ومع ذلك كله كان الرسل الكرام يقابلون هذه الاساءة بالحسنى
والفلظة بالقول اللين (قالوا ربنا يعلم اننا اليكم لمرسلون وما علينا الا البلاغ
المبين) (٢)

ثم تصور لنا الآيات ذلك الرجل المؤمن الذي جاء من اقصى المدينة
يسمى (قال يا قوم اتبعوا المرسلين اتبعوا من لا يسألكم اجرا وهم مهتدون)

(١) يس : (١٣-١٤-١٥-١٦-١٧-١٨-١٩-٢٠-٢١-٢٢-٢٣-٢٤-٢٥-٢٦-)

(٢) يس : (١٦-١٧)

ثم يبين لهم سبب عبادته لله وحده بقوله : (وما لي لا أعبد الذي فطرني
 وإليه ترجعون * اتخذ من دونه آلهة ان يريدن الرحمن بغير لا تفنى عني
 (١)
 شفاعتهم شيئا ولا ينقدون)

فيخبرهم بأنه لم يشرك بالله لان تلك الالهة غير قادرة على رد قضاء
 الله فهو الخالق الباري ، المقدر للأمور ، وانا أراد شيط فلا محق لارادته
 ولا راد لحكمه ، فلزاما على من كان يعقل ان يتبع الله وحده ويذرا الآلهة
 المصطنعة التي لا تملك ضرا ولا نفعا .

ثم يخبرنا تعالى عن مصير أولئك القوم الذين تطاولوا في كفرهم وضلالهم
 كيف انتهت امرهم وبلحمة عين الى الهلاك والاندثار .
 (٢)
 (ان كانت الا صيحة واحدة فاذا هم خامدون)
 وهذا مصير كل مكذب للرسول منكر للحق وللصدق .

وفي سورة سبأ نستعرض ما دار من حوار بين المستضعفين والمستكبرين
 قال تعالى : وقال الذين كفروا لن نؤمن بهذا القرآن ولا بالذي بين يديه
 ولو ترى ان الظالمون موقوفون عند ربهم يرجع بعضهم الى بعض القول ،
 يقول الذين استضعفوا للذين استكبروا لولا انتم لكانا مؤمنين ، قال الذين
 استكبروا للذين استضعفوا نحن صدقناكم عن الهدى بعد ان جاءكم
 بل كنتم مجرمين ، وقال الذين استضعفوا للذين استكبروا بل مكر الليل
 والنهار ان تامرونا ان نكفر بالله ونجعل له اندادا واسروا الندامة لما

(١) يس : (٢٢ - ٢٣)

(٢) يس : (٢٩)

راوا المذاب وجعلنا الافلال في اعناق الذين كفروا هل يجزون الا ما كانوا
(١)
يحملون)

وفي سورة "ص" نستعرض ما دار من تخاصم بين أهل النار .

قال تعالى : (هذا وان للطافين لشر مآب جهنم يصلونها فبئس المهاد
هذا فليذوقوه حميم وضاق ، وآخر من شكه أزواج ، هذا فون مقتحم
ممك لا مرحبا بهم انهم صالحوا النار ، قالوا بل انتم لا مرحبا بكم انتم
قدمتموه لنا فبئس القرار ، قالوا ربنا من قدم لنا هذا فزده عذابا ضعفا
في النار ، وقالوا ما لنا لا نرى رجلا كنا نعدهم من الاشرار ، اتخذناهم
(٢)
سخريا ام زافت عنهم الأبصار ، ان ذلك للحق تخاصم أهل النار)

وفي سورة الزمر نستعرض ما دار من حوار بين الملائكة وبنى اصحاب النار
قال تعالى : (ووفيت كل نفس ما عملت وهو أظم بما يفعلون ، وسيق الذين
كفروا الى جهنم زمرا حتى اذا جاؤوها فتحت أبوابها وقال لهم خزنتها
الم ياتكم رسل منكم يتلون عليكم آيات ربكم وينذرونكم لقاء يومكم هذا قالوا بلى
ولكن حققت كلمة المذاب على الكافرين قيل ادخلوا أبواب جهنم خالدين
(٣)
فيها فبئس شوق المتكبرين)

(١) سبأ : (٣١-٣٢-٣٣)

(٢) ص : (٥٥-٥٦-٥٧-٥٨-٥٩-٦٠-٦١-٦٢-٦٤)

(٣) الزمر : (٧٠-٧١-٧٢)

وفي الجهة المقابلة جرى استقبال من الملائكة للفلات الموء منة

قال تعالى : (وسبق الذين اتقوا ربهم الى الجنة زمرا حتى اذا جاؤاها
وفتحت أبوابها وقال لهم خزنتها سلام عليكم / فادخلوها خالدين وقالوا
الحمد لله الذي صدقنا وعده وأورثنا الأرض نقباء من الجنة حيث نشاء
فنعم أجر العاطلين) (١)

وفي سورة الاعراف نستعرض ما دار من حوار بين أهل النار الذين
ظلموا بعضهم بعضا ، قال تعالى : (فمن أظلم ممن افترى على الله
كذبا أو كذب باياته أولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب ^{حتى} اذا جاءتهم رسلنا
يتوفونهم قالوا امين ما كنتم تدعون من دون الله قالوا ضلوا عنا وشهدوا
على أنفسهم انهم كانوا كافرين ، قال ادخلوا في أم قد خلت ^{من} قبلكم
من الجن والانس في النار كلما دخلت أمة لعنت أختها حتى اذا ادركوا
فيها جميعا قالت اخراهم لاولاهم ربنا هو لاه اضلونا فآتهم عذابا ضعفا
من النار قال لكل ضعف ولكن لا تعلمون ، وقالت اولاهم لا خراهم فما كان لكم
عليها من فضل فذوقوا العذاب بما كنتم تكسبون)

وفي سورة الاعراف نستعرض أيضا ما دار من حوار بين أهل الجنة وأهل
النار واشترك أهل الاعراف بالحوار أيضا .

(١) الزمر : (٢٣-٢٤)

(٢) الاعراف : (٣٧-٣٨-٣٩)

قال تعالى : (ونادى اصحاب الجنة اصحاب النار ان قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا ؟ قالوا نعم فان مؤمن بينهم ان لعنة الله على الظالمين ، الذين يصدون عن سبيل الله ويبغونها عوجا وهم بالآخرة كافرون وبينها حجاب وعلى الأعراف رجال يعرفون كلا بسيماهم ونادوا أصحاب الجنة ان سلام عليكم لم يدخلوها وهم يطمعون ، واذا صرقت ابصارهم تلقوا اصحاب النار قالوا ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين ونادى أصحاب الأعراف رجالا يعرفونهم بسيماهم قالوا ما اغنى عنكم جمعكم وما كنتم تستكبرون اهو لا ؟ الذين اقستم لا ينالهم الله برحمة ادخلوا الجنة لا خوف عليكم ولا انتم تحزنون .

ونادى أصحاب النار أصحاب الجنة ان افيضوا علينا من الماء أو مما رزقكم الله قالوا ان الله حرمها على الكافرين الذين اتخذوا دينهم لهما ولعبها وغرتهم الحياة الدنيا فالهيم نفسهم كما نسوا لقاء يومهم هذا وما كانوا بآياتنا
(١)
يجحدون)

الى غير ذلك من الآيات التي وردت في هذا الموضوع .

وهكذا نرى ان في القرآن الكريم امثلة كثيرة في الحوار والحاجة .
وأهمها ما كان يدور بين رسل الله وعباده الصالحين من جهة وبين أهل الكفر والجاحدين من جهة أخرى ، وكان موضوعه الدعوة الى الله عز وجل واتباع أوامره وترك نواهيه ،

وما ان مهجة الأنبياء والمرسلين والدعاة من بعدهم هي الهداية التي
الطريق المستقيم وارشاد الناس الى خالقهم العظيم ، كان لا بد في
الجهة الثانية من اقتلاع العقائد الفاسدة من قلوب القوم اقتلاعا وانتزاعهم
من عقائد آبائهم انتزاعا ، انه موضوع شاق لا بد فيه من الحوار والمحااجة
لاداء الفرج منه ، وقد يقتضي الامر مناقشات فكرية وجدل كلامي لاثبات
جذور الحق بخرق الفرس الطيب واقتلاع الفرس الفاسد من نفوس الناس .
وطى كل من الداعية والمدعو ان يدلي بدلوه لتظهر الحجة ويصرف الحق
فيتبع ويظهر الباطل فيجتنب .

والداعية الناجح يستفيد مما أورد القرآن الكريم من مناقشات بين الدعاة
وخصومهم ، ويسير على ضوءها فيوفقه اللد لما يصبو اليه من خير فسي
هداية الناس .

الترغيب والترهيب

ومن أساليب الدعوة التي وردت في القرآن الكريم أسلوب الترغيب والترهيب .
والترغيب : هو كل ما يشوق المدعو الى الاستجابة للحق والثبات عليه ،
والترهيب : هو كل ما يخيف المدعو من عذاب الله وسخطه في حالة عدم
الاستجابة لامره في ترك ما نهى عنه وزجر .

والاصل في الترغيب : ان يكون نيل رضا الله عز وجل هو الغاية في الدنيا
والآخرة ، ليحظى بوعده الله من جزيل الثواب وفيه الرحمة .

كما ان الاصل في الترهيب هو التخويف من غضب الله وعذابه في الدنيا
والآخرة بسبب اقراره بمعاصيه وانتهاك محارمه .

ولقد نهج الرسل الكرام هذا المنهج في الدعوة الى الله ، كما بين
ذلك القرآن الكريم .

فمن نوح عليه السلام قال تعالى : (انا ارسلنا نوحا الى قومه ان انذر
قومك من قبل ان ياتهم عذاب اليم ، قال يا قوم اني لكم نذير مبين ان
اعبدوا الله واتقوه واطيعون يغفر لكم من ذنوبكم ويؤخركم الى اجل مسمى
(١)
ان اجل الله اذا جاء لا يؤخر لو كنتم تعلمون)

وعن نوح أيضا ذكر تعالى ما قاله هذا الرسول الكريم لقومه ترغيبا لهم
في طاعة الله وطلب مغفرته . (فقلت استغفروا ربكم انه كان غفارا يرسل
السماء عليكم مدرارا ويمددكم بأموال وبنين ويجعل لكم جنات ويجعل لكم
انهارا) (٢)

(١) نوح : (١-٢-٣-٤)

(٢) نوح : (١٠-١١-١٢)

وعن صالح عليه السلام قال تعالى : (والى ثمود اخاهم صالحا قال
يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره قد جاءكم بهينة من ربكم هذه ناقية
الله لكم آية فذروها تأكل في أرض الله ولا تمسوها بسوء فإخذكم عذاب
(١)
الهم)

وعن لسان هود عليه السلام قال تعالى : (واتقوا الذي امدكم بما
تعلمون امدكم بأنعام وينون وجنات وعمون اني اخاف عليكم عذاب يوم
(٢)
عظيم)

الى آخر الآيات التي وردت عن لسان الرسل الكرام في الترهيب والترهيب
من الكفر والعصيان أوردتها في باب دعوة الرسل .

ومن الآيات التي وردت في القرآن الكريم في الترهيب والترهيب ،
قوله تعالى في سورة الشعراء : (يوم لا ينفع مال ولا بنون الا من اتى الله
بقلب سليم ، وأزلفت الجنة للمتقين وبرزت الجحيم للفاورين وقيل لهم أيمن
ما كنتم تمبدون من دون الله هل ينصرونكم او ينتصرون فكفوا فيها هم
والفاورون وجنود ابليس أجمعون ، قالوا وهم فيها يختصمون تالله ان كنا
لفي ضلال مبين ان نسويكم برب العالمين وما اضلنا الا المجرمون فما لنا
(٣)
من شافعين ولا صديق حميم فلو ان لنا كرة فنكون من المؤمنين)

(١) الاعراف : (٧٣)

(٢) الشعراء : (١٣٢ - ١٣٣ - ١٣٤ - ١٣٥)

(٣) الشعراء : (٨٨ - ٨٩ - ٩٠ - ٩١ - ٩٢ - ٩٣ - ٩٤ - ٩٥ - ٩٦ - ٩٧ - ٩٨ - ٩٩ -

وفي سورة البقرة قوله تعالى : (يا ايها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين
من قبلكم لعلكم تتقون الذي جعل لكم الأرض فراشا والسماء بناءً وأنزل
من السماء ماءً فأخرج به من الثمرات رزقا لكم فلا تجعلوا لله اندادا وانتم
تعملون ، وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فاتوا بسورة من مثله وادعوا
شهداءكم من دون الله ان كنتم صادقين فان لم تعملوا ولن تعملوا فاتقوا
النار التي وقودها الناس والحجارة اعدت للكافرين وبشر الذين آمنوا وعملوا
الصالحات ان لهم جنات تجري من تحتها الانهار كلما رزقوا فيها من ثمرة
رزقا قالوا هذا الذي رزقنا من قبل واتوا به متشابها ولهم فيها أزواج مطهرة
وهم فيها خالدون (١)

وفي سورة الرحمن وصف مسهب للجنة ونعيمها ، كما فيها وصف لسوء مصير
الكفار وما يما نونه في جهنم .

قال تعالى : (فاذا انشقت السماء فكانت وردة كالدهان فبأى آلاء ربكم
تكذبان ، فيومئذ لا يسئل عن ذنبه انسان ولا جان فبأى آلاء ربكم تكذبان ،
يمصرف المجرمون بسيماهم فيؤخذ بالنواصي والاقدام ، فبأى آلاء ربكم تكذبان ،
هذه جهنم التي يكذب بها المجرمون يطوفون بينها وبين حميم آن فبأى آلاء
ربكم تكذبان (٢)

(١) البقرة : (٢١-٢٢-٢٣-٢٤-٢٥)

(٢) الرحمن : (٣٧-٣٨-٣٩-٤٠-٤١-٤٢-٤٣-٤٤-٤٥)

ثم يذكر تعالى الجنة ونعيمها ، بقوله : (ومن خاف مقام ربه جنتان
فبأى آلاء ربكما تكذبان ذواتا افنان ، فبأى آلاء ربكما تكذبان ، فهبصا
عينان تجريان ، فبأى آلاء ربكما تكذبان فهبما من كل فاكهة زوجان
فبأى آلاء ربكما تكذبان ، متكئين على فرش بطائنها من استبرق وجنس
الجننتين دان ، فبأى آلاء ربكما تكذبان فهبن قاصرات الطرف لـم
يطشهن انس قبلهم ولا جان ، فبأى آلاء ربكما تكذبان كأنهن الياقوت
والمرجان فبأى آلاء ربكما تكذبان هل جزاء الاحسان الا احسان فبأى
آلاء ربكما تكذبان ، ومن دونهما جنتان فبأى آلاء ربكما تكذبان مدهامتان ،
فبأى آلاء ربكما تكذبان فهبما عينان تضاختان فبأى آلاء ربكما تكذبان ،
فهبما فاكهة ونخل ورومان فبأى آلاء ربكما تكذبان فهبن خيرات حسان
فبأى آلاء ربكما تكذبان ، حور مقصورات في الخيام ، فبأى آلاء ربكما
تكذبان لم يطشهن انس قبلهم ولا جان ، فبأى آلاء ربكما تكذبان ، متكئين
على رفرف خضر وعقري حسان ، فبأى آلاء ربكما تكذبان ، تبارك اسم
(١)
ربك ذي الجلال والاكرام)

ومن سورة الفتح قوله تعالى : محذرا الكافرين : (ومن لم يؤمن
(٢)
بالله ورسوله فانا اعتدنا للكافرين سميرا)

(١) الرحمن : (٤٦-٤٧-٤٨-٤٩-٥٠-٥١-٥٢-٥٣-٥٤-٥٥-٥٦-٥٧-٥٨)

٥٩-٦٠-٦١-٦٢-٦٣-٦٤-٦٥-٦٦-٦٧-٦٨-٦٩-٧٠-٧١-٧٢-٧٣-٧٤

(٧٥-٧٦-٧٧-٧٨)

(٢) الفتح : (١٣)

وفي السورة نفسها يقول الله تعالى مرغبا ومرهبا (ومن يطع الله ورسوله يدخله

(١)

جنات تجري من تحتها الأنهار ومن يتولى يمد به عذابا اليما)

ومن سورة الأنبياء قوله تعالى : (فمن يعمل من الصالحات وهو مؤمن

فلا كفران لسمعیه وأنا له كاتبون وحرام على قرية اهلكناها انهم لا يرجعون

حتى اذا فتحت يا جوج ويا جوج وهم من كل حدب ينسلون واقترب الوعد

الحق فاذا هي شاخصة ابصارهم الذين كفروا ياولنا قد كنا في غلظة

من هذا بل كنا ظالمين ، انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم

انتم لها واردون لو كان هو لآلهة ما وردوها وكل فيها خالدون لهم فيها

زفير وهم فيها لا يسمعون ، ان الذين سبقتمهم منا السنن اولئك عندها

معدون لا يسمعون حسيسها وهم في ما اشتبهت انفسهم خالدون لا يجزئهم

(٢)

الفرع الأكبر وتلقاهم الملائكة هذا يومكم الذي كنتم توعدون)

(١) الفتح : من الآية (١٧)

(٢) الأنبياء : (٩٤ - ٩٥ - ٩٦ - ٩٧ - ٩٨ - ٩٩ - ١٠٠ - ١٠١ - ١٠٢ - ١٠٣)

ومن سورة الشورى ، قوله تعالى : (من كان يريد حرث الآخرة نزد له فسي
 حرثه ، ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها وما له في الآخرة من نصيب ،
 أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله ولولا كلمة الفصل
 لقضي بينهم وان الظالمين لهم عذاب أليم ، ترى الظالمين مشفقين مما كسبوا
 وهو واقع بهم ، والذين آمنوا وعملوا الصالحات في روضات الجنات لهم ما
 يشاؤون عند ربهم ذلك هو الفضل الكبير) .
 (١)

ومن سورة الطلاق ، قوله تعالى : (وكأين من قرية عنت عن أمر ربها ورسله
 فحاسبناها حسابا شديدا وعذبناها عذابا نكرا فذاقت وبال أمرها وكان عاقبة
 أمرها خسرا أعد الله لهم عذابا شديدا ، فاتقوا الله يا أولى الألباب ، الذين
 آمنوا قد أنزل الله إليكم ذكرا رسولا يتلو عليكم آيات الله مبينات ليخرج
 الذين آمنوا وعملوا الصالحات من الظلمات الى النور ومن يؤمن بالله ويعمل
 صالحا يدخله جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا قد
 أحسن الله له رزقا)
 (٢)

ومن سورة السجدة ، قوله تعالى : (افمن كان مؤمنا كمن كان فاسقا
 لا يستوون اما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلهم جنات المأوى نزلا بما
 كانوا يعملون ، واما الذين فسقوا فمأواهم النار كلما أرادوا ان يخرجوا منها
 اعيدوا فيها وقيل لهم ذوقوا عذاب النار الذي كنتم به تكذبون ولنذيقنهم
 من العذاب الادنى دون العذاب الأكبر لعلمهم يرجعون) .

(١) سورة الشورى : آية (٢٠ - ٢١ - ٢٢)

(٢) سورة الطلاق : آية (٨ - ٩ - ١٠ - ١١)

(١)

ومن أظلم ممن ذكر آيات ربه ثم أعرض عنها أنا من المجرمين منتقمون)

ومن سورة التوبة نقرأ وعدين لله عز وجل وعد للمنافقين والمنافقات والكفار،

ووعد للمؤمنين والمؤمنات .

فالوعد الأول : قال تعالى : (وعد الله المنافقين والمنافقات والكفار

(٢)

نار جهنم خالدين فيها هي حسبهم ولعنهم الله ولهم عذاب مقيم)

أما الوعد الثاني ، للمؤمنين ، قال تعالى : (وعد الله المؤمنين والمؤمنات

جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها وساكين طيبة في جنات عدن ورضوان

(٣)

من الله أكبر ذلك هو الفوز العظيم)

وفي سورة النور نجد وعداً آخر للمؤمنين : قال تعالى : (وعد الله الذين آمنوا

آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين آمنوا

قبلهم وليمكّن لهم دِينهم الذي ارتضى لهم وليبدّلنهم من بعد خوفهم انفساً

(٤)

يعبدونني لا يشركون بي شيئاً ، ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون)

ثم يذكر تعالى في نفس السورة مصير الكافرين بقوله :

(٥)

(لا تحبسن الذين كفروا معجزين في الأرض وما وأهم النار وطئس المصير)

(١) سورة السجدة : آية (١٨-١٩-٢٠-٢١-٢٢)

(٢) سورة التوبة : آية (٦٨)

(٣) التوبة : آية (٧٢)

(٤) سورة النور : (٥٥)

(٥) النور : (٥٧)

وفي سورة الصافات يصور لنا عز وجل حال الكافرين بعد ان يصمقوا بالحقيقة التي كانوا يكذبوا بها المرسلين .

قال تعالى : (فانما هي زجرة واحدة فاذا هم ينظرون ، وقالوا يا ويلنا هذا يوم الدين هذا يوم الفصل الذي كنتم به تكذبون ، احشروا الذين ظلموا وأزواجهم وما كانوا يعبدون من دون الله فاهدوهم الى صراط الجحيم ، وقفوهم انهم سوف يفلحون ما لكم لا تناصرون ، هل هم اليوم مستسلمون ، واقبل بعضهم على بعض يتساءلون قالوا انكم كنتم تأتوننا عن اليمين قالوا بل لم تكونوا مؤمنين وما كان لنا عليكم من سلطان بل كنتم قوما طاغين ، فحق علينا قول ربنا انا لذائقون فاغويهم انا كنا ظالمين ، فانهم يومئذ في العذاب مشتركون انا كذلك نفعل بالمجرمين ، انهم كانوا اذا قيل لهم لا اله الا الله يستكبرون ويقولون ائنا لنتاركو آلهتنا الشاعر مجنون بل جاء بالحق وصدق المرسلين انكم لذائقوا العذاب الاليم وما تجزون الا ما كنتم تعملون (١) ثم يستثني عز وجل المؤمنين من اصناف البشر الجاحدة التي ذكرها ،

ويذكر ما لهم من نعم وبركات في الجنة .

قال تعالى : (الا عباد الله المخلصين أولئك لهم رزق معلوم فواكه وهم مكرمون في جنات النعيم ، على سرر متقابلين يطاف عليهم بكأس من معين ، بهيض لذة للشاربين ، لا فيها غول ولا هم عنها ينزفون ، وعندهم قاصرات الطرف عين ،
(٢)
كانهن بهيض مكنون)

(١) الصافات : (١٩-٢٠-٢١-٢٢-٢٣-٢٤-٢٥-٢٦-٢٧-٢٨-٢٩-٣٠-٣١-٣٢)
(٣٣-٣٤-٣٥-٣٦-٣٧-٣٨-٣٩)

(٢) الصافات : (٤٠-٤١-٤٢-٤٣-٤٤-٤٥-٤٦-٤٧-٤٨-٤٩)

ومن سورة النساء قوله تعالى : (ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها وذلك الفوز العظيم ومن يعص الله ورسوله ويتمدد حدوده يدخله ناراً خالداً فيها وله عذاب مهين) (١)

ومن سورة الاحقاف قوله تعالى : (ويوم يمرض الذين كفروا على النار اليس هذا بالحق قالوا بلى وربنا قال فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون) (٢)

ومن سورة الاعراف : يقول تعالى : (يا بني آدم اما باتينكم رسل منكم يقصون عليكم آياتي فمن اتقى واصلح فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون ، والذين كفروا وكذبوا بآياتنا واستكبروا عنها اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون) (٣)

ومن لوازم الترضيب والترهيب ، بيان قيمة الدنيا في مقابل الآخرة وتحذير المدعو من ايثار الفاني على الباقي مع بيان أهمية اعمار الدنيا والقيام باعمال الخلافة فيها ، حتى يمتطى الانسان كل ذى حق حقه ، فلا يوشى الدنيا على الآخرة ويبركن اليها لما يراه فيها من متاع زائل ، بل يجعلها مراً ومصعباً للآخرة .

قال تعالى : (انما الحياة الدنيا كما أنزلناه من السماء فاختلط به نهبات الأرض ما يأكل الناس والانعام حتى اذا أخذت الأرض زخرفها وزينت ووطن أهلها انهم قادرون عليها انما امرنا لئلا أونهاراً فجعلناها حصيداً كان لم نفنى بالامس ، كذلك نفصل الآيات لقوم يتفكرون) (٤)

(١) سورة النساء (٣ - ١٤)
 (٢) سورة الاحقاف : آية (٣٤)
 (٣) سورة الاعراف : آية (٣٥ - ٣٦)
 (٤) سورة يونس : آية (٢٤)

وهكذا يضرب الله الأمثال للناس لتتضح لهم الطريق وتستبين الخطايا ،
فأما السعداء فيختارون طريق الله المستقيم الذي يوصل الى الجنة ، حيث
ما لا عين رأت ، ولا اذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر .
وأما الذين في قلوبهم عمى وآثروا الفانية على الباقية وفرتهم الحياة الدنيا
فيختارون طريق الشيطان الموصل الى جهنم وهنئ المصيران لم تتأثر قلوبهم
بالترغيب ولم تخف الترهيب .
فحق عليهم وعد الله بالمذاب الأليم .

الفصل الرابع : القصص القرآني .

وما ورد من أساليب الدعوة في القرآن الكريم ، الاسلوب القصصي وان كانت
القصة عامة تشتت فنا من فنون التعبير والتصوير ، الا ان القصة في القرآن الكريم
قد جمعت بين الفرض الديني لما لها من تأثير في النفوس ، والفرض الفني
فيما تعرضه هذه القصص من الصور الحية والمشاهد المؤثرة .

وقصص القرآن هو الآيات البينات التي صاغت الوقائع وسجلت الاحداث وظروفها
وملابساتها ، ونزل فيها وحى السماء ، لبيان امر الله وحكمه تشريحا ، وهداية ،
وشفا ، وعبادة ، وتشبيها ، وتبشيرا ، وانذارا ، وعقيدة وشريعة ، وتفصيلا
لكل شي .

(ومن الصعب استقصاء الاغراض التي سبق من أجلها القصص القرآني لانه يكاد
يتسرب الى جميع الاغراض القرآنية كاثبات الوحي والرسالة واثبات وحدانية الله ،
وتوحد الاديان في أساسها والانذار والتبشير ومظاهر القدرة الالهية وعاقبة
الخير والشر ، والصبر والجذع ، والشكر والبطر ، وكثير غيرها من الاغراض الدينية
والمرامي الخلقية ، قد تناولته القصة في القرآن وكانت اداة له وسبيلا اليه)^(١)

(١) سيد قطب ، التصوير الفني في القرآن ص ١٤٠

وفيما يلي سأحدث عن بعض ما يهدف اليه القصص القرآني :

أولا : الاعجاز واثبات الوحي والرسالة :

فرسول الله صلى الله عليه وسلم يخبر بانباة الامم الغابرة ويتحدث عن
أنبيائها الذين ارسلهم الله لهداية اقوامهم وشموسهم الى طريق الحق ،
ويذكر مصير المكذبين ، ونهاية الكفر والطحدين .

والمعلم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكن يحرف القراءة ولا الكتابة
وهو الذي قال له ربه (وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه يمينك انا لارتاب
(١)
المبطلون)

فوجود قصص الامم السابقة وما حوت من أخبار في القرآن الكريم دليل على
ان عناك وحيا يوحى من عند الله وينزل على رسول الله ويخبره عما جرى في
ظاهر الازمان من الاحداث والمسائل ،

قال تعالى : (تلك من انباء الفيب نوحياها اليك ما كنت تعلمها انت ولا
(٢)
قومك من قبل هذا فاصبر ان العاقبة للمتقين)

وفي مبداء عرض قصة مريم يقول تعالى : (ذلك من انباء الفيب نوحياها
اليك وما كنت لديهم ان يلقون افلامهم ايهم يكفل مريم وما كنت لديهم
(٣)
ان يختصمون)

(١) المنكوت : (٤٨)

(٢) هود : (٤٩)

(٣) آل عمران : (٤٤)

وفي سورة القصص يقول تعالى موجهها خطابه الى خاتم الرسل صلى الله عليه

وسلم

(تلك آيات الكتاب المبين نتلوا عليك من نبأ موسى وفرعون بالحق لقوم

(١)

يوؤمنون)

وبعد سرد قصة موسى عليه السلام يوجه تعالى خطابه الى رسول الله صلى

الله عليه وسلم بقوله : (وما كنت بجانب الغربي ان قضينا الى موسى الأمر وما كنت

من الشاهدين ولكننا وأنشأنا قرونا فتطاول عليهم العمر وما كنت ثابوا في أهل

مدين تتلو عليهم آياتنا ولكننا كنا مرسلين ، وما كنت بجانب الطور ان نادينا

(٢)

ولكن رحمة من ربك لتتذرعوا ما آتاهم من نذير من قبلك لعلهم يتذكرون)

وفي سورة يوسف يقول الله تعالى : (انا أنزلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون

نحن نقص عليك احسن القصص بما أوحينا اليك هذا القرآن وان كنت من قبله

(٣)

لمن الخافلين)

(١) القصص : (٢-٣)

(٢) القصص : (٤٤-٤٥-٤٦)

(٣) يوسف : (٢-٣)

ثانيا : شبهت الرسول صلى الله عليه وسلم .

قال تعالى : (فان كذبوك فقد كذب رسل من قبلك جاوا بالبينات

(١)

والزبر والكتاب المنير)

(*)

وقال عز وجل : (يا أيها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون في الكفر

وقال تعالى : (وكلا نقص عليكم من انباء الرسل ما ثبت به فؤادك وجاءك

(٢)

في هذه الحق وموعظة وذكرى للمؤمنين)

وقال تعالى : (واصبر وما صبرنا الا بالله ولا تحزن عليهم ولا تك في ضيق

(٣)

ما يمكرون)

كل هذه الآيات سهقت في معرض شبهت الرسول صلى الله عليه وسلم واخباره

بان ما يعانیه من اذى الكفار قد طناه من سبقه من الرسل الكرام وانسه

لمس أول من كذب وحورب بل هذه سنة الله في المرسلين ليختبر الله صبرهم

وتحطهم .

وحاول المشركون انكار رسالة الرسول وجحد القرآن بأن قالوا :

(ان هذا الا افك افتراه واعانه عليه قوم آخرون فقد جاوا ظلما

(٤)

(وزورا)

(١) آل عمران (١٨٤)

(*) الطائفة (٢١)

(٢) هود : (١٢٠)

(٣) النحل : (١٢٧)

(٤) الفرقان : (٤)

(١)

وقالوا اساطير الاولين اكتتبها فهي تلى عليه بكرة واصلا)

(٢)

(وقالوا انما يحطمه بشر) فرد عليهم تعالى وكذب افتراءتهم بقوله :

(٣)

(لسان الذي يلحدون اليه اعجمي وهذا لسان عربي مبين)

وتطمينا للنبي الكريم بان النصر حليفه مهما اشتد اذى الكفار عليه قال تعالى :

(٤)

(كتب الله لاطمين انا ورسلي ان الله قوى عزيز)

الآخرة

ثالثا : وكان من أهداف البيان ان الله ينصر انبياءه في النهاية ويهلك المكذابين .

قال تعالى : (لقد ارسلنا نوحا الى قومه فلبث فيهم ألف سنة الا خمسين

طما فاخذهم الطوفان وهم ظالمون فانجيناه واصحاب السفينة وجعلناها آية

(٥)

للمالين)

وعن مدين قال تعالى : (والى مدين اخاهم شعيها فقال يا قوم اعبدوا

الله وارجو اليوم الآخر ولا تمشوا في الأرض مفسدين فكذبوه فاخذتهم الرجفة

(٦)

فاصبحوا في دارهم جاثمين)

(١) الفرقان : (٥)

(٢) النحل (١٠٣)

(٤) المجادلة (٢١)

(٥) المنكوت : (١٤)

(٦) المنكوت : (٣٦-٣٧)

وعن عاد وثمود قال تعالى : (وعادا وثمودا وقد تبين لكم من مساكنهم وزيرين لهم الشيطان اعمالهم فصدهم عن السبيل وكانوا مستبصرين ، وقارون وفرعون وهامان ولقد جاءهم موسى بالبينات فاستكبروا في الأرض وما كانوا سابقين ،

فكلا أخذنا بذنيه فضهم من أرسلنا عليه حاصبا ومنهم من أخذته الصيحة ومنهم من خسفنا به الأرض ومنهم من أغرقنا وما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون (١)

تلك هي النهاية الواحدة المصير المشترك للمكذبين .

رابعا : وكان من أهداف القصص بيان ان الدين ^{من} عند الله وانه موحد الأساس داعيا الى الايمان بالله الواحد الأحد وطلبي لسان جميع الأنبياء والمرسلين . قال تعالى عن لسان نوح : ولقد أرسلنا نوحا الى قومه فقال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيروا فلا تتقون (٢)

وعن هود : قال تعالى : (والى عاد اخاهم هودا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره افلا تتقون (٣)

وعن صالح قال تعالى : (والى ثمود آخاهم صالحا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره (٤)

(١) المنكوت : (٣٨-٣٩-٤٠)

(٢) المؤمنون : (٢٣)

(٣) الاعراف : (٦٥)

(٤) الاعراف : (٧٣)

وعن شميم قال تعالى : (والى مدین اخاهم شميمها قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره)

الى اخر ما هنالك من آيات بينات دعت الى توحيد الله عز وجل .
 خامسا : وكان من أهداف القصص القرآني بيان نعمة الله على انبيائه واصفيائه كقصص سليمان وداود وأيوب وابراهيم ، وزكريا ويونس وموسى وعيسى . الخ
 كذلك تنبيه ابناء آدم الى غواية الشيطان ، وبرزاز الحداوة الخالدة بينه وبينهم منذ عهد أبيهم آدم .

كما كان من الأهداف ، بيان قدرة الله على الخوارق والمعجزات كقصّة خلق آدم من تراب ، وقصة مولد عيسى ، وقصة ابراهيم والطير وقصة الرجل الذي مر على القرية الخاوية على عروشها فقال انى يحيى هذه الله بعد موتها فاماته الله طائفة عام ثم بعثه ، وقصة أصحاب الكهف . كما ان من الاعداف القصصية ، بيان عاقبة الطيبة والصلاح ، وطاقة الشر والافساد ، كقصة ابني آدم ، وقصة صاحب الجنتين وقصة أصحاب الاخدود ، وقصص بني اسرائيل بعد عصيانهم الى آخر ما هنالك من اعداف ومرامى كثيرة المصع اليها القصص القرآني .

الفصل الخامس : الامثال

وما ورد من اساليب الدعوة في القرآن الكريم اسلوب " الامثال " ولما للأمثال من أهمية بالغة في التأثير على الناس فقد استعمل القرآن الكريم هذا الاسلوب في عدة مجالات تذكرة وموعظة للناس لهمم يتذكرون * وللمثل دلالة الفنية التي تجسم الأفكار وترسم الصور وتقرّب الى الافهام ما هو بعيد عنها ^(١)

قال تعالى : (ويضرب الله الامثال للناس لعلهم يتذكرون) ^(٢)

والمثل تعبير قرآني يكشف به عن نماذج مؤمنة بلغ بها اليقين النفساني والاطمئنان للايمان ، ونماذج كافرة تمكن منها الحقد والحسد ، ونماذج منافقة يصدر عنها القول الحسن في فعل قبيح ونية سيئة ، وتظهر في أشكال جذابة الى غير ذلك من اشكال التعبير ، وفي الحفز على الاخلاص في العمل، وحسن النية وتحذير من ابطال الصدقة بالمن والاذى قال تعالى :

(يا أيها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى كالذي ينفق ماله رثاء

الناس ولا يؤمن بالله واليوم الآخر فمثل كمثل صفوان عليه تراب اصابه ويميل

^(٣)

فتركه صلدا لا يقدرّون على شيء ما كسبوا والله لا يهدي القوم الكافرين) .

فشبه تعالى الذي يبطل صدقته بالمن والاذى بذلك المرائي الذي ينفق

ماله رثاء الناس ليقال عنه انه جواد ولم يبتغ بهذا الانفاق وجه الله ، فشبهه

بظنه

تعالى بحجر صلد عليه قشرة رقيقة من التراب/ من يراه أرضا خصبة طيبة

ولكن ما ان يصبه المطر حتى تدعب عنه تلك القشرة التي كانت تستره وتخيل

فيه النماء والخصوبة .

(١) فتحي احمد طمر، المماني الثانية في الاسلوب القرآني ص (٤٤٥)

(٢) ابراهيم (٢٥)

(٣) البقرة (٢٦٤)

وفي الصورة المقابلة يمثل تعالى للذي ينفق ماله ابتغاء مرضاة الله ، بجنسة مرتفعة اصابتها المطر الكبير فآتت اكلها ضعفين فان لم يصبها وابل فطسل ، أى مطر خفيف غير انه يرببها ويحييها .

قال تعالى : (ومثل الذين ينفقون اموالهم ابتغاء مرضات الله وتشبيها في انفسهم

كمثل جنة برهية اصابتها وابل فآتت اكلها ضعفين فان لم يصبها وابل فطسل
(١)
والله بما تعبطون بصير)

(فهذه الصدقات التي تنفق ابتغاء مرضات الله في هذه المرة كالجنة لا كحفنة من تراب ، وانما كانت حفنة التراب هناك طى وجه صفوان ، فالجنة هنا فوق برهية ، وهذا هو الواهل مشتركاً بين الحالتين ، ولكنه في الحالة الأولى يسحق ويحق ، وفي الحالة الثانية يربي ويخصب ، في الحالة الاولى يصيب الصفوان فيكشف عن وجه كالح كالاندى وفي الحالة الثانية يصيب الجنة فيمتزج بالترسة ويخرج اكلا ، ولو ان هذا الواهل لم يصبها فان فيها من الخصب والاستعداد للانبات ما يجعل القليل من المطر يهزها ويحييها)
(٢)

ويمثل تعالى للذين يدعون آلهة غير الله ويستجدون بها بشخص باسسط كمية الى الماء ، والماء منه قريب ، يريد ان يبلغ فاه ولكنه لن يصل اليه طالمسا هو طى هذه الكيفية الخاطئة في طلبه - قال تعالى : (له دعوة الحق والذين يدعون من دونه لا يستجيبون لهم بشيء الا كباسط كفيه الى الماء ليبلغ فاه وما هو ببالفه وما دعا الكافرين الا في ضلال)
(٣)

(١) البقرة : (٢٦٥)

(٢) سيد قطب ، التصوير الفني في القرآن ص (٣٢-٣٨)

(٣) الرعد : (١٤)

وهنا يبرز تعالى ان الله وحده يستجيب لمن يدعو وينيله ما يرجوه وان الالهة التي يدعونها من دون الله لا تملك لهم شيئا ولا تنيلهم خيرا ولو كان الخير قريبا منهم .

وفي آية مشابهة يمثل تعالى الذين كفروا انهم يدعون الهة صماء بكما لا تعي شيئا ولا تجيب طلبها فضلا على انها لا تستطيع دفع الأذى عن نفسها فكيف عن غيرها، ويخبر تعالى ان دعاء مثل هذه الالهة هو عيث لا طائل تحته .

قال تعالى : (ومثل الذين كفروا كمثل الذي ينعق بما لا يسمع الا دعاء ونداء صماء بهم ، عمي ، فهم لا يعقلون) (١)

ومصور تعالى ضعف الالهة المصنعة والاولياء من دونه . بقوله : (مثل الذين اتخذوا من دون الله اولياء كمثل المنكوت اتخذت بيوتا وان أوهمن البيوت لبيت المنكوت لو كانوا يعلمون) (٢)

ويبين تعالى خطورة الاشراف بالله ، فيشبه المشرك بانسان خر من السماء ، فهاجمته الطير كل تريد اخذ قطعة منه حتى تخطفته أو هوت به الريح في مكان سحيق لا يدري أحد مكانه .

قال تعالى : (ومن يشرك بالله فكأنما خر من السماء فتخطفه الطير أو تهوى به الريح في مكان سحيق) (٣)

(١) البقرة : (١٧١)

(٢) المنكوت : (٤١)

(٣) الحج : (٣١)

وفي سورة الاعراف يرسم لنا تعالى صورة أولئك الذين يهيه الله لهم سبيل
المعرفة والعلم فيفرون منها كان لم تهباً لهم ابداً ، ثم يحيشون بمد ذلك
في قلق وحيرة من امرهم لانهم احتبوا هواهم وشهواتهم .

قال تعالى : (واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها فاتبه
الشیطان فكان من الخاوين ولو شئنا لرفعناه بها ولكنه اخلد الى الأرض واتبع
أوتركه يلهث
هواه فمثل كمثل الكلب ان تحمل عليه يلهث / لذلك مثل القوم الذين كذبوا
بآياتنا فاقصص القصص لعلهم يتفكرون) (١)

فهؤلاء قوم اشرق امام ابصارهم نور الله في آياته التي اخبر بنسط انبياءه
ورسله وكانت واضحة الحجة ساطعة البرهان على الايمان بالله فسلخوا أنفسهم
عنها وزين لهم الشيطان فاغواهم واعى ابصارهم .

وفي معرض ذم الذين انزلت اليهم التوراه ولم يرضوا بحكمها ولم يعطوا
بمقتضاها شبههم الله تعالى بالحمار الذي يحمل كتب العلم وليس له
منها الا التعب ، قال تعالى : (مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل
الحمار يحمل اسفارا بئس مثل القوم الذين كذبوا بآيات الله ، والله لا يهدي
القوم الظالمين) (٢)

وفي معرض كقران النعم يضرب تعالى مثلا بالقرية التي كانت آمنة مطمئنة
بأتينها رزقها من كل مكان فلم تشكر هذه النعمة بل كفرت بها فابدلها الله
بالخوف والجوع .

(١) الاعراف (١٥٥ - ١٥٦)

(٢) الجمعة : (٥)

قال تعالى : (وضرب الله مثلا قرية كانت آمنة مطمئنة ياتها رزقها رغدا
من كل مكان فكفرت بانعم الله فاذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا
(١)
يصنعون)

وفي معرض ضرب الأمثال للذين كفروا ، قال تعالى : (ضرب الله مثلا للذين
كفروا امرأة نوح وامرأة لوط كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين فخانتاهما فلم
(٢)
يفنيا عنهما من الله شيئا وقيل ادخلا النار مع الداخلين)

فبين تعالى ان اصله القرابة أو النسب لا تفسير شيئا من ميزان الله تعالى
في الحساب والمقاب ، فذكر عن امرأتين كانتا تحت تبين من أنبياء الله
الصالحين ، ولكنهما لم يؤمنا برسالة الأنبياء بل خانتاهما وفضلنا الكفر على
الايان ، فكان مصيرهما النار ، على الرغم من انهما زوجات لنبيين من أنبياء
الله .

وفي المقابل ضرب الله مثلا للذين آمنوا ، بأمرأة مؤمنة تحت عهد كافر
كانت
طاغية/تدعو الله أن يجعلها من أهل الجنة وان ينجيها من فرعون وعطسه ،
قال تعالى : (وضرب الله مثلا للذين آمنوا امرأة فرعون ان قالت رب ابنى
لى عندك بيتا فى الجنة ونجني من فرعون وعطسه ونجني من القوم الظالمين)
(٣)

(١) النحل : (١١٢)

(٢) التحريم : (١٠)

(٣) التحريم : (١١)

وفي مرض التفاضل في الأعمال الخيرة يضرب تعالى الأمثال ، قال عز وجل

(ضرب الله مثلا عبدا مملوكا لا يقدر على شيء ومن رزقناه منا رزقا حسنا فهو

ينفق منه سرا وجهرا هل يستويون الحمد لله بل أكثرهم لا يعلمون)^(١)

وضرب الله مثلا رجلين احدهما ابكم لا يقدر على شيء وهو كل على مسؤولاه

ايضا بوجهه لا يأت بخير هل يستوي هو ومن يامر بالعدل وهو على صراط مستقيم)^(٢)

كذلك يشبه تعالى الذين اتخذوا مع الله شركاء في العبادة برجل يملكه عدة

اناس مختلفين فيما بينهم كل منهم يامر بما يحسن للآخر ، هل يستوي هذا مع

رجل آخر لا شركاء فيه بل هو خالص لواحد فقط ، الجواب لا يستويون .

قال تعالى : (ضرب الله مثلا رجلا فيه شركاء متشاكسون ورجلا سلما لرجل

هل يستويان مثلا ، الحمد لله بل أكثرهم لا يعلمون)^(٣)

وفي مجال مدح النبي الكريم ومن معه من الصحابة الأفاضل ، يشبههم تعالى

بزرع قد تم نموه واكتمل نضجه بمجيب الزراع شكله ويتمنون ان يكون عندهم شميل

لسه .

قال تعالى : (محمد رسول الله والذين معه اشداء على الكفار رحماء بينهم

تراهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا سيئاتهم في وجوههم من أشرف

السجود ذلك مثلهم في التوراة ومثلهم في الانجيل كزرع اخرج شطاؤه فأزره فاستفلفط

(١) النحل : (٧٥)

(٢) النحل : (٧٦)

(٣) الزمر : (٢٩)

فاستوى على سوقه بمجيب الزرع لهفيظ بهم الكفار وعد الله الذين آمنوا وعملوا

(١)

الصالحات منهم مغفرة واجرا عظيما)

وفي مجال وصف نساء أهل الجنة ، قال تعالى : (وحرور عين كأمثال اللؤلؤ

(٢)

المكنون)

فشبه تعالى حور الجنة التي وعد بها المجاهدين في سبيل الله والمؤمنين

المخلصين شبههن باللؤلؤ المخبأ المصون اكراما وتشريفا للذين احسنوا فسي

هذه الدنيا وجعلوها مزرعة للأخرة .

(٣)

الى غير ذلك من الأمثال الكثيرة التي ضربها الله عز وجل لعباده تلميحا ،

وترغيبا ، وترهيبا .

(١) الفتح : (٢٩)

(٢) الواقعة : (٢٢ - ٢٣)

(٣) يقول صاحب كتاب " اسرار البلاغة " واطم ان ما اتفق عليه المقلاء ان

التشيل اذا جاء في اعقاب المعاني ، وأبرزت هي باختصار في معرضه ،

ونقلت عن صورها الاصلية الى صورته كساها ابهة ، وكسبها منقبة ، ورفع

من اقدارها ، وشب من نارها ، وضاعف قواها في تحريك النفوس لها ، ودعا

القلوب اليها ، واستشار لها من اقاصي الأفتدة صحابة وكلفاً ، وقسر الطباع

على ان تعطىها محبة وشفقا .

(عهد القسطاهر الجرجاني ، اسرار البلاغة ص ٩٢ - ٩٣)

الباب الخامس

مراحل الدعوة النبوية الشريفة

الباب الخامس

مراحل الدعوة النبوية الشريفة .

تمهيد : ان المتتبع لمراحل دعوة النبي صلى الله عليه وسلم يجد بوضوح الفارق بين المرحلة والمرحلة .

ففي مكة مهبط الوحي ومهد الدعوة ، بدأت الدعوة سرا ، واذنا جاز لنا ان نطلق عليها مصطلحات اليوم فنقول انها / (تكتيك) خطة لدعوة طويلة الامد ولطريق بعيدة الهدف وسامية الغاية ، فاقتلاع عقيدة الشرك والوثنية من قلوب قوم شهوها مع اللبث حتى سرت في دمائهم وعروقهم ، ليس بالأمر الهين .

لذا فان على الداعية ان يحسب حسابا عسيرا قبل ان يصارح الناس بدعوته اذ ان القوم كانوا اشداء البأس ، الداء الخصومة ، حتى انهم كانوا يرغمون من جاء ليظوف بالبهت على التجرد من ثيابه ان كان غير قرشي ، فيظوف
(١)
عربانا كما خلقه الله ، لا لمجرد شيء الا حبا في السيطرة وقهر الآخرين .

يدعون انهم سدنة البيت وخدامه ، فحق لهم ان يسنوا قوانين الجور والفسف ضد الناس .

وهم ان تواترت الاخبار لشركي قريش بان محمدا سيكون نبي هذه الأمة وخاتم المرسلين ضج صناديد الكفر وارباب الشرك وحاولوا قتله واهادة دعوته قبل ان تنمو وتثمر .

(١) وكانت تنشد الواحدة منهن وهي تطوف اليوم بيد وبمضه أو كفه ، وط بدأ منه فلا حله .

وكم عرضوا عليه من عروض مفرية ليترك أمر الدعوة ، أو يهادنهم قليلا
 في معتقداتهم لملهم بذلك يبقون على شيء من مورثات آباؤهم وأجدادهم ،
 ولكنه رسول الله اختاره عز وجل وهو أعلم حيث يجعل رسالته ، فصمد عليه
 السلام وتحمل من الأذى ما تنوء بحمله الجبال الثقيل ، ففقد حنان الأم
 وهو ما زال صغيرا ثم فقد حنان كفيليه جده وعمه ثم فقد زوجته أم المؤمنين
 خديجة رضي الله عنها التي كانت تشد من أزره وتواسيه فيما ينزل به مسن
 مصائب ، وكثر عليه أذى المشركين حتى رماه سفها وهم بالحجارة ، فادسوا
 قدميه الشريفتين وخذله من كان يتوقع نصرتهم ، ومع ذلك كله تحمل ما نزل به
 صابرا محتسبا حتى لقي الله وهو عنه راض بعمد ان جاهد في الله حقيق
 جهاده .

وبنى صرح الدولة الاسلامية وارسى قواعدها في المدينة المنورة ورهبى جيلا
 من الصحابة الكرام لم يشهد التاريخ له مثيلا ففتح الله على أيديهم البلاد
 ورحم بهم المهاد ، فدخل الناس في دين الله أفواجا ، وانتقلوا من ظلم
 الجاهلية الى عدل الاسلام ومن ظلام الكفر والشرك الى نور الهداية والرضوان .

الفصل الأول : المرحلة المكية ،

المبحث الأول : مرحلة التكوين .

لا بد لكل دعوة من مراحل تربتها وتجتازها ليكتب لها النجاح ، ودعوة الاسلام لاقامة حكم الله في الأرض لم تكن بالأمر الهين لانها لم تأت لترقيع مجتمع جاهلي ومعايشته بل جاءت لهدم الجاهلية بكل ما فيها من شرك وضلال ، لتقيم على انقاضها مجتمع الاسلام بكل مقوماته وخصائصه . .
انها اذا دعوة هدم وبناء ، هدم لكبان الكفر والضلال وبناء لصرح دولة الاسلام الشامخ حيث الهدى والرضوان .

لذا اتخذت دعوة الرسول صلى الله عليه وسلم في المرحلة المكية طابع السرية في مراحلها الأولى ، فكان عليه الصلاة والسلام يلتقي باصحابه الكرام ويعلمهم ما نزل من القرآن ويأمرهم بتبليغ رسالة الاسلام الى أهلهم واقربائهم ومن يرون فيه الخير من الناس الآخرين . واستمر عليه السلام في هذه الحال حوالي ثلاث سنوات حتى اجتمع حوله نفر من الصحابة الكرام الذين اسلموا وعاهدوا الله على نصرته هذا الدين ورسوله الخاتم ، فكانوا نسوا للدعوة وكان على رأس هؤلاء علي بن أبي طالب وأبو بكر الصديق السدي وقف الى جانب رسول الله بحاله ونفسه وكل ما يملك .

وقد بارك الله بأبي بكر ان كان محبها الى قومه ، حسن العشرة ، كريم الخلق ، وكان صاحب جاه ومال ، ونسب ، فكان الناس يفتشونه لما يجدون عنده من حسن الخلق وطيب المعشر ، فجعل رضي الله عنه يدعو الى الله كل من وثق به من قومه حتى اسلم على يديه عدد من خيرة الرجال ، منهم

عنان بن عفان ، والزبير بن العوام ، وعبد الرحمن بن عوف ، وسعد بن أبي وقاص
وظلحة بن عبد الله ، وأخذ هو لا يدعون من يتوسمون فيه الصلاح من الناس ،
وأصبحوا جداول تنبع من نبع الاسلام الصافي لتسقي النفوس العطشى فتحيتها
ما كانت فيه من الجفاف والقحط في العقيدة ولتغسل عنها شوائب الشرك
وما طغف فيها من ادران الجاهلية ، وأصبحت هذه الفئة المؤمنة سندا
لرسول الله صلى الله عليه وسلم في دعوته الى الحق والعدل ، واستمرت هذه
الفئة المؤمنة في دعوتها حتى أسلم على يديها مجموعة أخرى من خيرة الرجال
منهم أبو عبيدة ظمر بن الجراح ، وأبو سلمة بن عبد الأسد ، والأرقم بن أبي
الأرقم الذي اتخذت داره مقرا للدعوة السرية حتى قوى عودها ، كما أسلم
عنان بن مظعون ، وخباب بن الارت ، وعبد الله بن مسعود ، وعمار بن ياسر ،
وصهيب الرومي ، وغيرهم من الصحابة الكرام ، كما أسلم من النساء بعد أم المؤمنين
خديجة رضي الله عنها ، فاطمة بنت الخطاب ، واسماء بنت أبي بكر وطائفة بنت
أبي بكر وهي يومئذ صغيرة واسماء بنت عميس وفاطمة بنت المجلل ، وفكيهة بنت
يسار ، وامينة بنت خلف ، وغيرهن من السابقات بالايان .
وكلما دخل هذا الدين رجل كان أو امرأة قويت شوكته وعظم امره وذاع صيته
حتى دخل الناس في الاسلام افواجا وأصبح هذا الدين الجديد حديث
العامة والخاصة بمكة وأصبح النبي المرسل شغل الناس الشاغل .

ولما اكتمل عدد الرجال أربعين رجلا باسلام عمر بن الخطاب واشتد ساعد
الدعوة الفتية الى حد ما نزل قوله تعالى : (فاصدع بما تؤمر وأعرض عن

(١)

(المشركين)

(١)

وقوله : (وانذر عشيرتك الاقربين واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين)
خرج المسلمون من دار الأرقم ابن أبي الأرقم مقر الدعوة ومدرسة التربية ،
حيث تم فيها تكوين الفئة المؤمنة التي ستحمل هذا الدين وتعمل على نشره
مهما بهظ الثمن وكثرت التكاليف ، وانطلق المسلمون ليعلنوا دعوتهم على
الملا ، وأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم يصدع بالحق كما أمره الله تعالى .
فدعا قومه لمبايعة الله وحده ، ونهذ ما يعبد من دونه ، ولكنهم ابوا واستكبروا
استكبارا ، وناصبوه العدا ، وبد ، وا حرب الشائعات ليثنوا الناس عن اتباع
دعوتهم ، فتارة يقولون كاهن وتارة يقولون مجنون ، وتارة يقولون شاعر ، وتارة
يقولون ساحر ، ولما لم يفلحوا في ذلك بحثوا عن وسيلة اخرى عليهم يصلوا
عن طريقها الى هدفهم في الحد من نمو هذا الدين وكثرة اتباعه ، خصوصا
بعد ان تراسى الى اسماعهم خبر اسلام حمزة رضي الله عنه فملوا على مفاوضة
رسول الله لهم برضونه بشي * من متاع الدنيا فيكف عن دعوتهم .

ووقع الاختيار على عتبة بن ربيعة ليقوم بهذا الدور .

وذهب عتبة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يعرض عليه ما عنده فقال :
يا ابن أخي انك منا حيث قد علمت من الشرف والعشيرة والمكانة في النسب ،
وانك قد اتيت قومك بأمر عظيم فرقت به جماعتهم وسفهت به احلامهم ، وعبت
به من مضى من آباؤهم فاسمع مني اعرض عليك امورا تندلر فيها لملك تقبل
بعضها .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قل يا أبا الوليد : قال : يا ابن أخي
ان كنت انما تريد بما جئت به من هذا الا^مر مالا جمعنا من أموالنا حتى تكون
اكثرنا مالا ، وان كنت تريد به شرفا سودناك علينا حتى لا تقطع امرا دونك ،

وان كنت تريد به ملكا ملكناك طيننا، وان كان هذا الذي يأتيك رقيقا لا تستطيع
 رده عن نفسك طلبنا لك الطب وبذلنا فيه أموالنا حتى نبرئك منه فانه ربما
 غلب التابع على الرجل حتى يداوى منه ، حتى اذا فرغ عتبه ورسول الله صلى
 الله عليه وسلم يستمع منه قال أو قد فرغت يا أبا الوليد ؟ قال نعم ، قال :

فاسمع مني ، قال افعل ، فتلا قوله تعالى (بسم الله الرحمن الرحيم ،
 حم تنزيل من الرحمن الرحيم ، كتاب فصلت آياته قرآنا عربيا لقوم يعلمون
 بشيرا ونذيرا فاعرضوا كثرهم فهم لا يسمعون ، وقالوا طوبينا في اكنه ما تدعونا
 اليه وفي آذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب فاعمل اننا ظالمون)
 (١)

ثم مضى عليه السلام يقرأ حتى وصل الى قوله تعالى :
 (٢)
 (فان اعرضوا فقل انذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود)

وهنا ناشد عتبه الرحم وقال حسبك حسبك .

وطأ عتبه الى أصحابه فقال بعضهم لبعض نحلف بالله لقد جاءكم أبو الوليد
 بخير الوجه الذي ذهب به ، فلما جلس اليهم قالوا ما وراءك يا أبا الوليد
 فأقر قائلا : اني سمعت قولا والله ما سمعت بمثله قط ، والله ما هو بالشمس
 ولا بالسحر ولا بالكهانة ، يا مشرق قرهش اطمعوني واجملوها بي وخلصوا بين هذا
 الرجل وبين ما هو فيه ، فاعتزلوه فوالله ليكونن لقوله الذي سمعت منه نبأ عظيم

(١) فصلت : (١-٢-٣-٤-٥)

(٢) فصلت : (١٣)

فان تصبه العرب فقد كفيتموه بخيركم وان يظهر على العرب فملكه ملككم وعززه
عزكم وكنتم اسعد الناس به قالوا سحرك والله ياأبا الوليد بلسانه قال : هذا
رأى فيه فاصنعوا ما بدا لكم .^(١)

ولما فشلت جهودهم في استتالة رسول الله صلى الله عليه وسلم أو الحد من
دعوته لجأوا الى وسيلة أخرى هي وسيلة العنف ، وأخذوا يتتبعون المؤمنيين
وينزلون بهم أشد العذاب لملهم يثنون بذلك عزيمهم ويصدونهم ومن معهم عن
دين الله الخاتم ، فكانت كل قبيلة تشب على من فيها من المسلمين وتعذبهم بالضرب
والجوع والعطش ، وازا اشتد الحر وضوهم بمرضاة مكة ليفتنوهم عن دينهم ،
والمؤمنون صابرون محتسبون ، لا يزيدهم العذاب الا صلابة للحق وتمسكاً
بهذا الدين الحنيف .

ولم يقتصر العذاب على الافراد بل شمل اسرا بكاملها فهذا بيت آل ياسر
عمار وأمه وأبوه ، كان بنو مخزوم يذيقونهم أشد العذاب ، فيمر بهم رسول الله
صلى الله عليه وسلم وهم يهذبون فيفتطر قلبه حزنا عليهم لانه لا يستطيع نصرتهم
فلا يملك الا ان يقول لهم صبرا آل ياسر فان موعدكم الجنة .

انها محنة قاسية مرت بها الدعوة الوليدة في بدء نشأتها وقيل ان يشتد
عودها ، فكان المسلمون يهذبون ويضطهدون وهم لا يملكون من الأمر شيئا
الا الصبر والاحتساب لله على ما يجدونه من قومهم ، فلما رأى رسول الله صلى
الله عليه وسلم ما يصيب أصحابه من البلاء ولا يملك ما يدفع عنهم الأذى أمرهم

(١) عهد السلام هارون - تهذيب سيرة ابن هشام ص ٦٤ -

بالهجرة الى بلاد الحبشة ، لملهم يجدون بعض الراحة ما هم فيه . من
الشداك ، في أرض لا يذب فيها من يعبد الله ، حتى يجعل الله لهم
فرجا ومخرجا .

وبهجرة الفئة المؤمنة الى الحبشة شرعت الهجرة من أرض يسام فيها المؤمن
ويفتن في دينه الى أرض أكثر أمنا لعليسترد بعض عافيته ، ليمود
الى مقره الأول أكثر قوة واشد صلابة .

ولكن اعداء الاسلام لم يهدأ لهم بال والمسلمون في مأمن من بطشهم وطفيانهم
فلحقوا بهم الى مهاجرهم وحاولوا استردادهم الى قومهم ، ليحاصروا دعوتهم
خشية الانتشار وليحمدا عليهم الكرة في العذاب والفتنة . ولما لم يفلحوا
عطوا على الايقاع بينهم وبين النجاشي ملك الحبشة ، بعد ان اشترى ذمم
البطارقة بمتاع من الدنيا وحاولوا اغراء النجاشي نفسه بالهدايا والرشوة ،
ليطرد الفئة المؤمنة من أرضه ، ولعب البطارقة دورا خطيرا في هذا الأمر
لمساعدة المشركين الا ان النجاشي كان على وعي بط دور حوله فرفض مطالب
المشركين والتماسات البطارقة وأقر الفئة المؤمنة على دينها بعدما جرى من
حوار بينهم وبين مشركي قريش ، ثم اعطاهم الامان على معتقدهم وانفسهم
وطاد مشركو قريش مقبوحين خائبين الى قومهم في مكة مردودا عليهم ما جاءوا
به .

فاشتد غمظ صنديد الكفر وارباب الشرك في مكة فلا هم قدروا على ملاحقة
المهاجرين واستردادهم ولا هم قادرين على الحد من انتشار الاسلام بين
القبائل ، وكل يوم يمر يزداد فيه عدد المؤمنين ، ويقل فيه عدد المشركين ،

انه وضع لا يطاق ولا بد من حل صارم لهذه الظاهرة الخطيرة ، التي تهدد
الشرك واهله في عقود ادهم ، وتتذر بزوال سطوتهم وجبروتهم ، لهذا الأسر
الجلل اجتمعت قرين واثمروا فيما بينهم على ان يكتبوا كتابا يتماقدون فيه
على بني هاشم وبني عبدالمطلب على الا ينكحوا اليهم ولا ينكحوهم ، ولا يبيعوهم
شيئا ولا يبتاعوا منهم .

فهو اذا الحصار الشامل لكل من ينصر الرسول أو يدافع عنه ، وتوكيدا
على ما في الصحيفة والعمل بمحتواها قاموا بتعليقها في جوف الكعبة ، ورسول
الله صلى الله عليه وسلم يمر بمراحل صعبة ان ان الحذاب لم يعد مقتصر
على المؤمنين كافران بل شمل اقرباء رسول الله وأهل عشيرته .

انه موقف صعب ومخرج للغاية ، ولكن رسول الله صلى الله عليه وسلم بمسأ
وهبه الله من طمأنينة في القلب ، وراحة في النفس صبر وأخذ يصبر قومه على
تحمل ما نزل بهم من بأساء وضراء .

وفي هذا الظرف كان القرآن الكريم ينزل على رسول الله يخبره بكيد المشركين
وتدبيرهم ، ووعد الله لهم ، ووعد له للفتنة المؤمنة بالنصر ولو بعد حين *
واستمر الحصار مضروبا على بني هاشم وبني عبدالمطلب حتى فتح الله عليهم ،
وفك الحصار ففرح المسلمون لانجلاء هذه الغمة عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم .

وتمضى الأيام ورسول الله صلى الله عليه وسلم مستمر في دعوته والمسلمون فسي
ازدياد مستمر على الرغم من المحن والمصاعب التي يواجهونها ،

وفجأة تتوفى أم المؤمنين خديجة التي كانت له وزهر صدق توأسيه في محنته
وتخفف عنه بعض ما يجد وتدافع عنه بحالها وجاهها ، ولم يمضى العام نفسه
حتى توفي عمه أبو طالب الذي كان له عضدا ومنعة وناصر على قومه ، وبهلك
أبى طالب نالت قريش من رسول الله من الأذى ما لم تكن تطمح في حياة أبى
طالب ، حتى كان بعض سفها قريش يلقون التراب على رأس رسول الله
صلى الله عليه وسلم ويدخل عليه السلام بيته والتراب منشورا على رأسه فتقوم
ابنته فاطمة وتفسل عنه التراب وهي تهكي ورسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول لها لا تهكي يا بنتي فان الله مانع اباك .

انه اليقين بالله عز وجل وينصره والرضى بقضائه والثقة بوعده مهبط ادلهمست
الخطوب وكثرت المصائب واشتدت المحن .

فملى الرغم من المصائب الفادح الذي أصاب رسول الله صلى الله عليه
وسلم بوفاة زوجته أم المؤمنين خديجة ، ووفاة عمه أبو طالب ، فانه عليه السلام
لم ينثنى عزمه ابدا بل سار في طريق دعوته ، يدعو الناس الى الحق والمدل ،
فذهب الى الطائف يعرض دعوته على ثقف لعله يجد آذانا صاغية من القوم ،
غير انهم ردوه ردا قبيحا بل وسلطوا عليه سفها هم وعبيد هم يصيحون به ويرمون
بالحجارة ، حتى الجأوه لشده ما وجد من التمسب الى بستان لعتبة بن ربيعة
وهناك دعا ربه متضرعا اليه ، " اللهم اليك أشكو ضعف قوتي وقلة حيلتي وهواني
على الناس يا أرحم الراحمين انت رب المستضعفين وانت ربي العلى من تكلمي الى
بعيد يتجهمني أم الى عدو ملكته امرى ان لم يكن بك على غضب فلا أبالي
ولكن عافيتك هي أوسع لي ، اعوذ بنور وجهك الذي اشرقت له الظلمات

وصلح عليه أمر الدنيا من أن تنزل به غضبك أو يحل علي سخطك لك العتبي
حتى ترضى ولا حول ولا قوة الا بك *

انه الرضى بقضا* الله وحكمه ، واليقين بان النصر من عند الله وحده هو
الناصر مهبط كان خذلان المهاد ، وهو الموهب يد مهبط اشتد كيد البشر .

ومع كل الذي وجده عليه الصلاة والسلام من ثقيف وطفغيانها فلم ييأس ولم
يقنط ، بل تابع طريق دعوته وكان عليه السلام يهتتم موسم الحج ليدعو القبائل
من العرب فيقول لهم* يا بني فلان اني رسول الله اليكم يأمركم ان تعبدوا الله
ولا تشركوا به شيئا ، وان تخلصوا ما تعبدون من دونه من هذه الانداد وان
تؤمنوا بي وتصدقوني وتمنوني حتى أبين عن الله ما بحثني به *^(١)

ومن بين القبائل التي دعاها عليه السلام بني عامر ، وكندة ، وبني حنيفة .
وكان عليه السلام لا يسمع بقادم يقدم مكة الا وعرض عليه دعوة الاسلام ، حتى
لقي نفرا من الخزرج فعرض عليهم الاسلام فشرح الله صدرهم للايمان وطأوا
الى المدينة يحطون دعوة النبي المرسل ، فلما قدموا قومهم ذكروا لهم رسول
الله صلى الله عليه وسلم ودعوه الى الاسلام حتى انتشر خبرهم فلم يبق دار من
دور المدينة الا وفيها ذكر من رسول الله صلى الله عليه وسلم ودعوته ، وترك
هذا اللقاء المبارك بالخزرج بذورا مباركة سرطان ما انبتت واثمرت ان حضر
في العام الذي يليه وفد من المدينة قوامه اثنا عشر رجلا ، فبايعوا رسول
الله صلى الله عليه وسلم ببيعة العقبة الأولى وكان على رأسهم

(١) تهذيب سيرة ابن هشام ع ٩٩

أسعد بن زراره، ورافع بن مالك، وعبادة بن الصامت ، وكان مضمون البيعة
على الا يشركوا بالله شيئا ، ولا يسرقوا ولا يزنوا ، ولا يقتلوا اولادهم ولا يأتوا
ببيعتان يفترونه بين أيديهم وأرجلهم ، والا يحصوا الله في معروف .

وبعد ان تمت البيعة واطمان رسول الله صلى الله عليه وسلم الى اسلام القوم
أرسل في أثرهم "مصعب بن عمير" وامره بان يقرئهم القرآن ويحلّمهم الاسلام ، ويفقههم
في دين الله ، فكان رضى الله عنه أول سفير لرسول الله صلى الله عليه وسلم
الى المدينة .

وعمل مصعب رضي الله عنه كل ما في وسعه في سبيل الدعوة الى الله
وأثمرت جهوده ان حضر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد سفر مصعب
الى المدينة مجموعة من الخزرج تقدر بثلاثة وسبعين رجلا وامراتان ، بايموا
رسول الله صلى الله عليه وسلم ببيعة العقبة الثانية، بايحوه على السمع والطاعة
في السر واليسر والمنشط والمكره ، والا ينازعوا الامراء له وان يقولوا الحق
أينما كانوا لا يخافوا في الله لومة لائم .

وبذلك يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أسس في المدينة أرضا
خصبة لنشر الدعوة وتبنيها ، والدفاع عنها بالمال والنفس.

لقد بايحت الفئة المؤمنة من الأنصار رسول الله صلى الله عليه وسلم على
نصرة دعوته واحتضانها ، والمحافظة على حياته ولو ادى ذلك الى بذل الأرواح
والمهج .

انه تخطيط حركي للدعوة ، وحبذا لو يمشى الدعاة اليوم على هدى نبيهم
ومرشدهم رسول الله صلى الله عليه وسلم لان من سيمت الداعية الناجح أن يؤسس

لبنات صالحة لحمل دعوته ونشرها بين العباد ، وان لا يقتصر على مكان واحد حتى لا تحاصر دعوته وتخنق في مهدها ، ان لم يقلبها أهلها ، بل عليه أن يسير على خطى المصطفى الذي عمل على نشر دعوته بين القبائل واطنبا للناس جميعا حتى ساروا بها الى الحبشة كما كون لها رجالا يتبنونها ويدعون لها ويدافعون عنها ، حتى أصبحت الدعوة الجديدة حديث الناس .

لابد اذا من تربية عناصر مهيئة تكون ذات معدن نفيس معدة اعدادا تربويا وجهاديا لتكون وسيلة لنشر هذا الدين وحمل امانته ، وبهذه العناصر يتم الامتداد الافقي للدعوة ، وما بهيمة العقبة الأولى والثانية الا تحقيقا لهذه الغاية ، وتهيئة مكان آخر أكثر أمنا لها يحتضنها أهلها ويددون عنها بالنفس والنفيس ، وهذا ما حصل بالفعل ان أمر المسلمون في مكة بالهجرة الى المدينة بعد ان اعدت لتكون أرضا طيبة للدعوة الى الله عز وجل ومنطلقا حرا لتبليغ الناس رسالة الاسلام رسالة الحق والصدق التي شعارها " لا اله الا الله محمد رسول الله " .

المبحث الثاني :

خصائص السور المكية .

للسور المكية بوجه عام مميزات اعتازت بها عن غيرها إذ ان طبيعة الموضوعات التي عالجتها كانت في الغالب منصبة على العقيدة في الله ووحدايته، والايان بالملائكة وبالكتب المنزلة من السماء ، وبالانبياء الذين ارسلهم الله لهداية البشر وعقيدة الجزاء على الخير والشر في اليوم الآخر .

ان السور المكية طلجت ترسيخ الايمان بالله وحده ونهذ ما يعبد من دونه ، وبرهنت على ذلك بمعظم صنع الله وقدرته المعجزة في الخلق والابداع .

فكانت الآيات المكية تأخذ بمجامع النفس البشرية وتطوف بها في الوجوه كلها ، تطوف بها في ملكوت السموات والأرض ، ترى الظلمات فيها والنور ، وترقب الشمس والقمر والنجوم المسخرات بأمر الله ، وتسرح في الجنات الممرشات وغير الممرشات والماء الهاطل عليها من المزن ، والماء الذي يتفجر من الأرض ويجرى ينابيع وانهارا فيخرج الحب والنبات ويحيى الأرض بعد موتها .

كما تقف الآيات المكية على مصارع الام الفاهرة ، وآثارها البائدة والباقية لتكون عبرة للناس ، ثم تسبح مع ظلمات البر والبحر واسرار الغيب والنفس ، وتجول مع الحبة المستسكنة في ظلام الأرض ، والنطفة المستكنة في ظلمات الرحم وكيفية نموها ، ثم تستعرض الجن والانس ، والطير ، والاولين والآخرين ، والاحياء والاموات ، والحفظة من الملائكة مع الانسان بالليل والنهار ، هذا الحشد كله وغيره ما يجيش في النفس سوا شحرت به أم احسته أم تخيلته كان موضوعا للسور المكية ، تفرس عن طريقه العقيد بالله الواحد القهار ، الخالق الباري المصور ، له الأسما الحسنى والصفات العلى .

سبحانه وتعالى عما يشرك به الظالمون ، والواقع وان كانت السور المكية قد
امتازت بموضوع العقيدة في الله وترسيخ وحدانيته بكل موجباتها فـ في
الآفان والانفس وكل تفصيلاتها وتغريعاتها وكل مقتضياتها في واقع النفس
وواقع الحياة ، مع هذا كله نقول :

" ان العقيدة هي الموضوع الرئيسي في القرآن كله مكية ومدنية على السواء
ولكنها في السور المكية تستغرق المساحة كلها وتستوعب الحديث كله بينما هي
في السور المدنية اشبه بالتيار الجاري ، تستنبت على شاطئيه الحياة من
كل جانب ، لقرع ، وتزدهر بعد ان تشبهت بها النفس فتجي " التنظيمات
السياسية والاقتصادية ، والاجتماعية والروحية ، والفكرية التي تنظم حياة المجتمع
المسلم فتشغل معظم المساحة ولكنها تجي " مرتبطة بالعقيدة مستمدة منها
(١)
نابتة في ظلها آوية في النهاية اليها "

(١) محمد قطب ، دراسات قرآنية ص ٢١ ، دار الشروق .

الفصل الثاني :

المرحلة المدنية .

ويتكون هذا الفصل من محثين : الأول : مرحلة الاعداد والتصدى

والثاني : خصائص السور المدنية

المبحث الأول : مرحلة الاعداد والتصدى .

ظل رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث عشرة سنة في مكة يهبي الصحابة الكرام ويفقههم / ويعلّمهم الصبر على تحمل الايذاء ، وقد مرت دعوتهم في كثير من العقبات والمحن ، فعذب الصحابة واوذى رسول الله في نفسه وماله وأهله ، وكان بعض الصحابة يطلب من رسول الله صلى الله عليه وسلم رد الاذى ومقارعة المشركين غير انه كان يقول لم اوامر بالقتال بعد ، وانما أمر بالصبر على تحمل الاذى ، ليقوى الصمود ، ويشتك الساعد انها مرحلة تربية واعداد للنفوس لتحمل الصعاب ، فاذا اجتازت هذه المرحلة ونجحت فيها انتقلت الى مرحلة أخرى هي مرحلة اعداد المدة والتصدى للعدو .

ان دعوة الاسلام لم تأت لجيل أول جيلين ولا لقرن أو قرنين وانما جاءت لتبقى وتسمر الى أن يرث الله الأرض ومن عليها ، فهي دين الله الخاتم ورسالة البشرية جماعاً ، فدعوة هذا شأنها تحتاج الى عناية ودراسة وروية في كل خطوة تخطوها وكل حركة تتحركها .

ان العجلة والتسرع في وضع اساس البناء قد يكون سبب في انهدام اركانه اما التروى والهدوء والتعقل ، من شأنه ان يجعل الاساس متيناً قويا لا تزغزه المواصف مهابت .

من هنا تعلم الحكمة في بقا رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث عشرة سنة
 في مكة يدعو الى توحيد الله الواحد الأحد ، ونهذ ما يعبد من دونه ، وظل
 عليه السلام يطوف بالكعبة المشرفة ويصلى اليها وحولها ثلاثا وستون صنفا
 ومع ذلك لم يحطم / صنفا واحدا قبل ان يهيئ النفوس ويهدى العدة لشل
 هذا العمل ، لان تحطيم الصنم لا جدوى منه ان لم تهده من النفوس أ ولا
 وتبني مكانه بنا الايمان والتقوى ، كما ان هدم الصنم قد يكون له طقبة
 سيئة في البداية على المسلمين الذين قد يتعرضون للابادة من قبل المشركين
 قبل ان يستمدوا هم لمواجهة مثل هذا الموقف ، بسبب ضعفهم وقلة حيلتهم .
 فالتمرن للكعبة التي تعبد من دون الله لا يكون الا بعد اعداد العدة
 وتهيئة النفوس .

ولقد تم ذلك بعد الهجرة الى المدينة فتمت النقطة من الصبر على الاذى
 وعدم رد المدوان الى الاعداد بالعدة والمدد .

وأعلن الجهاد بعد ان نزل قوله تعالى :

(ان الذين يقاتلون بانهم ظلموا وان الله على نصرهم لقدير الذين
 اخرجوا من ديارهم بخير حق الا ان يقولوا ربنا الله ولولا دفع الله الناس
 بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع ، وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا ،
 (١)
 ولينصرن الله من ينصره ان الله لقوى عزيز)

وهاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن معه من الصحابة الكرام الى مقر الدعوة في المدينة المنورة ، حيث ابتدأ الاعداد للجهاد في سبيل الله وأول عمل بدأ به رسول الله صلى الله عليه وسلم هو بناء مسجد الذي يلتقى فيه المسلمون خمس مرات في اليوم والليلة ، فهو المكان الطاهر الذي يجمع أهل الايمان فتشتد روابطهم وتقوى أواصر محبتهم ويزدادون طمأينة يوم نظروا لوجود رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أظهرهم يتلو عليهم ما ينزل عليه من ربه . فتقوى صلتهم بالله ويقينهم به .

وبعد ان أقام رسول الله صلى الله عليه وسلم المسجد منطلق الدعوة ومقر اجتماع المسلمين قام بخطوات تالية ، منها المواخاة بين المهاجرين والانصار فأخى عليه السلام بين المؤمنين فجعل لكل مهاجرا خالدا له من الأنصار تجري عليه أحكام الاخوة كاملة ، حتى وصل التفاني بينهم الى درجة تقسيم الدور والأموال فيما بينهم بل وأكثر من ذلك فان بعض الانصار من كان له أكثر من زوجة كان يعرض على أخيه المهاجر ان لم يكن عنده زوجة ان يطلق له احدى زوجاته فتمتد ثم يتزوجها ان شاء .
(١)

(١) روى أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قدم عبد الرحمن بن عوف فأخى النبي صلى الله عليه وسلم بينه وبين سعد بن الربيع الأنصاري وعند الأنصاري امرأتان فعرض عليه أن يناصفه أهله وماله فقال بارك الله لك في أهلك ومالك ، بدلوني على السوق .

” رواه البخاري في صحيحه ج ٧ ص ٥ في كتاب النكاح .“

انه جيل فريد لا مثيل له في تاريخ البشرية جميل ربي على عمى رسول الله
وتحت رعاية رب العالمين وعنايته .

فكان مثالا في التضاني ، ومثالا في الاخلاص ، ومثالا في الايثار ومثالا في
كل المكرات .

وتلت هذه الخطوة في المواخاة ، خطوة أخرى هي عقد المعاهدات
فحفاظا على الصف الداخلي وحرصا على بقا جوامع المدينة عادتا بعيدا عن
النزاعات الداخلية ليتم اعداد العدة ومن ثم ارساء قواعد الدولة الاسلامية
الأولى ، عقد عليه الصلاة والسلام عهدا مع اليهود وحنى القبائل في المدينة
وخارجها شرط لهم واشترط عليهم .

وكان عليه الصلاة والسلام حريصا على ان يبقى منطلق الدعوة آمنة بعيدا عن
النزاعات الداخلية التي تهدد القوى وتشتت الجهود ، وكان عليه الصلاة والسلام
يحاول توسيع رقعة المدينة بمواخاة القبائل التي تسكن حولها وكسب ود هم ليتقوى
بذلك شوكة المسلمين ، وبها بهم اعداؤهم . . .

وكان عليه الصلاة والسلام لا يسمع بمكان في الجزيرة العربية قريب أو بعيد
يوجد فيه من يشكل خطرا على الدعوة وباستطاعته تأديبه الا وأرسل سرايها
لتأديبه ، ورد الأمور الى نصابها . فاما ان يخضع العدو واما ان يستسلم
ويوقع عهد بحسن الجوار وعدم التعرض للمسلمين أو مساعدة عدو خارجي عليهم .
وحرصا على تنمية روح الجهاد بين الصحابة الكرام كان رسول الله صلى

الله عليه وسلم يخرج بنفسه في الغزوات ويمتدر مواقع القتال ، وأول غزوة خرج
فيها هي غزوة الايواء ، وكانت بعد اثني عشر شهرا من مقدمه المدينة ،

وتوالت سرايا والفرزوات ، حتى اثار كرز بن جابر الفهري " على سرح المدينة فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في طلبه حتى بلغ وادى سفوان ناحية بدر وفاته كرز فلم يدركه ، وهي غزوة بدر الاولى ، ثم حصلت غزوة بدر الكبرى التي التحمت فيها القوة المؤمنة من المهاجرين والانصار ضد المشركين ، وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم يحرض المسلمين على القتال ويقول ، والذي نفس محمد بيده لا يقاتلهم اليوم رجل فيقتل صابرا محتسبا مقبلا غير مدبر الا وأدخله الله الجنة فقال عمير بن الحمام ، وكان في يده تمرات يأكلهن يخ بخ أنما بيني وبين أن أدخل الجنة الا ان يقتلني هو لا ، ثم رمى التمرات ^{من} يده وأخذ سيفه فقاتل القوم حتى قتل . انها تربية الجهاد والاستشهاد .

قتل لاطلاء كلمة الله ، فاما النصر على الاعداء ورفع راية لا اله الا الله المطلبه خفاقة ، واما الشهادة في سبيل الله ، وهذه طريق المسلم الحق الذي لا يمطي الدنية في دينه ولا يرضى بان تسود احكام الجاهلية وفيه عرق يمتد .

وانتصر المسلمون ببدر وانهزم المشركون الذين جاؤا لمجئوا جذور المسلمين في المدينة ، أتوا بخيلهم وخيلائهم يهدون الكيد لأهل الايمان ، فرد الله كيدهم في نحورهم ، وانتصر المسلمون عليهم بعد ان لقتوهم درسا عظيما في القتال وحب الاستشهاد في سبيل الله .

ان معركة بدر الكبرى حدث عظيم ، ونموذج فريد في تاريخ الحروب ان هذه المعركة خالفت المقاييس العادية المعروفة عند الناس ، مقياس الريح والخسارة ومقياس النصر والهزيمة ، والنصر للفئة الاقوى الاكثر عددا والهزيمة للفئة الأقل عددا وعدة .

ولكن معركة بدر فبرت هذه المقاييس المادية وأوضحت للبشرية كافة ان هناك
مقياس أساسي هو مقياس الايمان بالله عزوجل ، والاعتقاد بأن النصر من عنده ،
وان القوة مهب عظمت فان هناك قوة قاهرة لها هي قوة الله تبارك وتعالى .

وان المقاييس المادية لا اعتمد عليها في ميزان الاسلام ، لان المفهوم الاسلامي
(١)
ان النصر من عند الله وحده (وط النصر الا من عند الله)

وهذا لا يمنع من أخذ الأسباب بل نحن ما مورين بأخذ كامل الأسباب من عدة
وعتاد ، مع الاعتقاد بان هذه العدة هي وسيلة وليست غاية وانما الغاية هي
رضى الله عزوجل ، ونصرة شريعته ، ومن نصر الله نصره الله .

(٢)
(يا أيها الذين آمنوا ان تنصروا الله ينصركم ويثبت اقدامكم)

وسار المسلمون من نصر الى نصر ومن فتح الى فتح ، وطان المهاجرون الذين
خرجوا هروبا بحقدتهم بعد ان ذاقوا على أيدي مشركي قريش الامرين
عادوا الى مكة فاتحين ظافرين ، مطأطئة لهم رؤوس اعدائهم ، طالبين منهم
الصفح والعفو ودخل رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة خاشعا لله تكاد رأسه
الشريفة تمس ظهر راحلته لتواضعه ، فلم تشبهه نشوة النصر عن هدفه وظايمته
بل كان لسانه يلهج بذكر الله وحده والثناء عليه ، فجمع أهل مكة الذين
أعطاهم الاسمان وكان أول ما قاله لهم : لا اله الا الله وحده لا شريك له ، صدق
وعده ونصر وعده واعز جنده وهزم الأحزاب وحده .

(١) آل عمران : (١٢٦)

(٢) محمد : (٧)

ثم قال : يا معشر قريش ان الله قد اذهب عنكم نخوة الجاهلية وتعظمها
بالآباء ، الناس لآدم وآدم من تراب .

ثم تلا قوله تعالى : (يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم
شعوبا وقبائل لتعارفوا ان اكرمكم عند الله اتقاكم ان الله عليم خبير)
ثم قال يا معشر قريش ما تظنون ما فاعل بكم قالوا خيرا اخ كريم وابن اخ
كريم .

قال : اذهبوا فانتم الطلقاء .

لله در رسول الله ما أحلمه وما أرحمه ، بالأسس عذبه ، وكذبوه ، وأهانوه ،
حتى أخرجوه من بلده وسقط رأسه ، بعد ان تأمروا على قتله مرارا ، واليوم بعد
ان مكته الله منهم ودانت له رقابهم فبدل ان يقتل منهم على ما اقترفت ايديهم
من الآثام بحقه وبحق المؤمنين معه اذا به يقول لهم ، اذهبوا فانتم الطلقاء !
انها النبوة التي اهداها رب العالمين للانسانية جمعا ، لترشد هم السى

رهم وتهد بهم الى طريق الله المستقيم ، ليفلحوا في الدارين ويفوزوا بالسعادتين .
وبفتح مكة دانت قريش كلها للمسلمين وخضعت لحكمهم وظل امتداد الاسلام
يسير بخطى ثابتة سريعة ، فدانت بعد الفتح هوازن وثقف في الطائف ،
وكانت قبائل اليهود الثلاث القوية في المدينة قد خضت شوكتها نهائيا ،

فاجلست بنو قينقاع ، وبنو النضير الى الشام ، وأهدت بنو قريظة بمدى

قدرت برسول الله ونقضت عهده ، واستسلمت خيبر الاستسلام الأخير ،
وبذلك انتشر الاسلام في انحاء الجزيرة العربية كلها .
وأخذ الامتداد الافقى يتجه نحو بلاد الشام لمجابهة الروم هناك .

كما بحث رسول الله صلى الله عليه وسلم رسلا الى الطوك وحطهم كتباً يدعونهم
فيها الى الاسلام .

(١)

فكان ممن بعثه : دحية الكلبي الى قيصر ملك الروم وعبدالله بن حذافه
السهمي الى كسرى ملك الفرس وعمرو بن أمية الضمري الى النجاشي ملك
الحبشة وحاطب بن أبي بلتعة الى المقوقس ملك الاسكندرية وعمرو بن
الماضي الى جيفر وعياد ابني الجلندي الازديين ملكي عمان .

(١) روى البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : ارسل رسول الله
صلى الله عليه وسلم كتابا الى قيصر مع دحية الكلبي وأمره ان يدفعه الى
عظيم بصرى ليدفعه الى قيصر فلما جاء قيصر كتاب رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال حين قرأه التمسوا لي ما هنا احدا من قومه لا سألتهم عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ابن عباس فاخبرني أبو سفيان انه كان
بالشام في رجال من قريش قدموا تجارا في المدة التي كانت بين رسول الله
صلى الله عليه وسلم وبين كفار قريش قال أبو سفيان فوجدنا رسول قيصر
ببعض الشام فانطلق بي وباصحابي حتى قدمنا ايلياء فادخلنا عليه فاذا
هو جالس في مجلس ملكه وعليه التاج واذا حوله عظام الروم فكلم لترجمانه
سلمهم اليهم اقرب نسبا الى هذا الرجل الذي يزعم انه نبي قال أبو سفيان
فقلت انا اقربهم اليه نسبا قال ما قرابة ما بينك وبينه فقلت هو ابن عسي =

.....
 ووليس في الركب يومئذ احد من بني عبد مناف غيري فقال قيسر انسوه
 وامر باصحابي فجلسوا خلف ظهري عند كفي ثم قال لترجمانه قل لاصحابه
 اني سائل هذا الرجل عن الذي يزعم انه نبي فان كذب فكذبوه قال أبو سفيان
 والله لولا الحواشي يومئذ من ان ياثراصحابي عني الكذب لكذبته حين سألتني
 عنه ولكني استحييت ان ياثروا الكذب عني فصدقته ثم قال لترجمانه قل لسه
 كيف نسب هذا الرجل فيكم قلت هو فينا ذو نسب قال : فهل قال هذا القول
 احد منكم قبله قلت لا فقال كنتم تتهمونه على الكذب قبل ان يقول ما قال قلت
 لا قال : فهل كان صن آباءك من ملك ؟ قلت لا . قال : فاشراف الناس
 يتهمونه ام ضعفاؤهم قلت بل ضعفاؤهم ، قال فيزيدون أو ينقصون قلت بل
 يزيدون قال فهل يرتد أحد سخطه لدينه بعد ان يدخل فيه ؟ قلت لا قال :
 فهل يخدر ؟ قلت لا ونحن الان منه في مده نحن نخاف ان يخدر قال
 أبو سفيان ولم يمكني كلمة ادخل فيها شيئا انتقصه به لا اخاف ان توء شرعني
 غيرها .

قال فهل قاتلتموه او قاتلكم قلت نعم قال فكيف كانت حربيه وحربكم قلت كانت
 دولا وسجلا يدال علينا وندال عليه الاخرى .
 المره

قال فطانا يامرؤك قال : يا مرنا ان نعبد الله وحده ولا نشرك به شيئا
 وبينها عما كان يعبد آباؤنا وبأمرنا بالصلاة والصدقة ، والعفاف والوفاء
 بالمهد واداء الامانة ، فقال لترجمانه حين قلت ذلك قل له اني سألتك عن
 نسبه فيكم فزعمت انه ذو نسب وكذلك الرسل تهتم في نسب قومها ، وسألتك
 هل قال احد منكم هذا القول قبله فزعمت ان لا فقلت لو كان أحد منكم قال هذا
 القول قبله قلت رجل ياتم بقول قد قيل قبله وسألتك هل كنتم تتهمونه بالكذب
 قبل ان يقول ما قال فزعمت ان لا فمرفعت انه لم يكن ليهج الكذب على الناس
 ويكذب على الله ، وسألتك هل كان في آباءك من ملك فزعمت ان لا فقلت

فقلت لو كان من آباءه ملك قلت يطلب ملك آباءه وسألتك اشرف الناس يتبعونه
 أم ضعفاؤهم فزعمت ان ضعفاؤهم اتبعوه وهم اتباع الرسل ، وسألتك هل
 يزيدون أو ينقصون فزعمت انهم يزيدون وكذلك الايمان حتى يتم ، وسألتك
 هل يرتد احد سخطه لدينه بعد أن يدخل فيه فزعمت ان لا فكذلك الايمان
 حتى تختلط بشاشته القلوب لا يسخطه أحد وسألتك هل يفدر فزعمت
 ان لا وكذلك الرسل لا يفدرون وسألتك هل قاطعوه وقاطمكم فزعمت ان
 قد فعل وان حربكم وحربه تكون ولا ويدال عليكم المره وتدالون عليه الأخرى
 وكذلك الرسل تهتلى وتكون لها الماقبة وسألتك بطاذا يأمركم فزعمت انه
 يأمركم ان تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وبينهاكم عما كان يعبد آباؤكم
 وبأمركم بالصلاة والصدق والعفاف والوفاء بالعهد واداء الأمانة قال وهذه
 صفة النبي قد كنت أعلم انه خارج ولكن لم اظن انه منكم وان يك ما قلت
 حقا فيوشك أن يطك موضع قدمي هاتين ولو ارجوان اخلص اليه لتجشمت
 لقيه ولو كنت عنده لفسلت قدميه .

قال أبو سفيان : ثم دعا بكتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقرأه فاذا
 فيه " بسم الله الرحمن الرحيم من محمد عبد الله رسوله الى هرقل العظيم
 الروم سلام طي من اتبع الهدى أما بعد :

فاني ابعثوك بمطية الاسلام اسلم تسلم واسلم يوتك الله اجره مرتين فان
 توليت فملكك اثم الا ريسين " وبأهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا
 وبينكم ان لا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا اربابا
 من دون الله فان تولوا فقولوا اشهدوا باننا مسلمون " قال أبو سفيان فلما
 ان قضى مقالته علت اصوات الذين حوله من غلماؤهم وكر لفظهم فلا
 ادري ماذا قالوا وامر بنا فاخرجنا فلما ان خرجت مع اصحابي وخلوت بهم
 قلت لهم لقد امر امر ابن أبي كبشه هذا ملك بني الاصر يخافه .

.....

قال أبو سفيان والله ما زلت ذليلاً مستيقناً بان أمره سيظهر حتى ادخل
الله قلبي الاسلام وأنا كاره .

رواه البخاري في صحيحه ج ٤ ص ٥٦-٥٧ باب د ط النبي صلى الله عليه
وسلم الى الاسلام والنهوه .

وسليط بن عمرو الى ثمامة بن اثال وهوذ ه ملكي اليمامة والعلاء بن الحضرمي
الى المنذر بن ساوي العبدي ملك البحرين وشجاع بن وهب الأسد والسي
الحارث بن أبي شمر الغساني ملك تخوم الشام .

كما جهز عليه الصلاة والسلام أسامة بن زيد مع جيش ضم كبار المهاجرين
والانصار وامره ان يتجه الى الشام وان يوطى الخيل تخوم البلقاء والدرهم من
أرض فلسطين . (١)

وبذلك يكون عليه الصلاة والسلام قد سار بدعوته بخطى ثابتة مدروسة ، وكان
يواجه كل شي * بما يكافوه * من التخطيط والتنظيم والتنفيذ فبدأ بالكلمة
وانتهى الى ارسال الجيوش الجرارة لمحاربة الاعداء في عقربارهم ونشر
راية الاسلام طلبة خفاقة لتكون كلمة الله هي العليا وكلمة الذين كفروا السفلى .
وعودة الى منهجته صلى الله عليه وسلم نرى انها مرت بالمراحل التالية :
" ففي أول النبوة امره تعالى بأن يقرأ باسم ربه الذي خلق ، ولم يأمره ان ذاك
بالتبليغ ، ثم أنزل عليه بأيتها المدثر قم فأنذر ، فنبأه تعالى بقوله اقرأ
وارسله بقوله بأيتها المدثر ، ثم أمره بأن يندب عشيرته الاقربين ثم قومه ثم
من حولهم من العرب ، ثم اندر العرب قاطبة ، ثم اندر العالمين ، فبقي
عليه السلام بضع عشرة سنة بعد نبوته يندب بالدعوة بغير قتال ولا جزية ، ويأمر
بالكف والصبر والصفح ، ثم اذن له تعالى بالهجرة ، واذن له في القتال ثم
أمره بأن يقاتل من قاتله ويكف عن اعتزله ولم يقاتله ، ثم أمره بقتال المشركين حتى
يكون الدين كله لله .

ثم كان الكفار معه عهد الامر بالجهاد ثلاثة أقسام

أهل صلح وهدنة .

وأهل حرب

وأهل ذمة

وأمر بأن يتم لاهل العهد والصلح عهدهم وان يوفى لهم بما استقاموا على العهد فان خاف منهم خيانة نهد اليهم عهدهم ولم يقاتلهم حتى يملئهم بنقض العهد ، وامر ان يقاتل من نقض عهده .

ولما نزلت سورة براءة نزلت ببيان حكم هذه الاقسام كلها فأمر أن يقاتل عدوه من أهل الكتاب حتى يحطوا الجزية عن يد وهم صاغرون ، وأويد خلوا في الاسلام ، وامره فيها بجهاد الكفار والمنافقين والخلطه عليهم ، فجاهد الكفار بالسيف والسنان ، والمنافقين بالعجة واللسان ، وامره فيها بالبراءة من عهود الكفار ونهد عهودهم اليهم وجعل أهل العهد في ذلك ثلاثة أقسام ،

قسما امره بقتالهم وهم الذين نقضوا عهده ، ولم يستقيموا له فحاربهم وظهر عليهم ، وقسما لهم عهد موء قتالم ينقضوه ولم يظاهروا عليه فأمره ان يتم لهم عهدهم الى مدتهم وقسما لم يكن لهم عهد ولم يحاربوه ، أو كان لهم عهد مطلق فأمر أن يموء عليهم أربعة أشهر ، فاذا انسلخت قائلهم فقتل الناقض لعهدهم واجل من لاعهد له أو له عهد مطلق أربعة أشهر ، وامره ان يتم للكوفى بعهدهم ، عهدهم الذي مدته ، فاسلم هوء لاء كلهم ولم يقيموا على كفرهم الى مدتهم ، وضرب على أهل الذمة الجزية . . .

فاستقر امر الكفار معه بعد نزول براءة على ثلاثة أقسام محاربين له ، وأهل
عهد ، وأهل ذمة .

ثم آلت حالة أهل العهد والصلح الى الاسلام ، فصاروا معه قسمين محاربين
وأهل ذمة ، والمحاربون له خطافون منه . فصار أهل الارض معه ثلاثة أقسام
سلم مؤمن به ومسالم له آمن ، وخائف محارب .

أما سيرته مع المنافقين ، فانه امران يقبل منهم علانيتهم ويكفل سرايرهم الى
الله وان يجاهدهم بالملم والحجة ، وامران يمرض عنهم ويفلظ عليهم ،
وان يبلغ بالقول البليغ الى نفوسهم ونهي ان يصلي عليهم وان يقوم على قبورهم
واخبرانه ان استغفر لهم فلن يغفر الله لهم . . . (١)

وان اردنا ان نلخص سمات المنهج الحركي لهذا الدين ، نجد ان
هناك سمات اصيلة وعميقة ، منها :

السمة الأولى : الواقعية في منهج الدعوة فالاسلام دين واجه واقعا بشرياً
مشرنم الافكار مشتت المقائد .

واجه الجاهلية الكافرة ، وواجه الشرك المتأصل في النفوس وواجه اليهودية
المحرفة ، وواجه النصرانية المزيفة .

هذا الواقع الفاسد كانت تقوم عليه انظمة تسندها سلطات ذات قـوـة
مادية ، فكان على الدعوة الاسلامية ان تواجه هذا الواقع بما يكافئه من الوسائل

(١) ابن القيم ، زاد المعاد راجع فصل في ترتيب سياق هدية صلى الله

عليه وسلم مع الكفار والمنافقين من عين بحث الى حين لقي الله عز وجل

ج ٣ ص ١٥٨ وما بعدها .

والاساليب تواجهه بالدعوة والبيان لتصحيح المعتقدات والتصورات ، وتواجهه بالقوة والجهاد لازالة الانظمة والسلطات القائمة طيها تلك التي تحول بين جمهور الناس وبين التصحيح بالبيان للمعتقدات والتصورات ، وتخضعهم بالقهر والتضليل .

ان الدعوة حركة لا تكفي بالبيان في وجه السلطان المادي بل لابد من مقارنته ومقاتلته اذا كان ما نعا من انتشا رها وحجر عثرة في طريقها . لان اعلاء كلمة الله هي الغاية واخراج الناس من عبودية الصناد الى عبادة الله الواحد الاحد هو المطلب المنشود .

السمة الثانية في منهج هذا الدين : هي الواقعية الحركية ، فهو حركة ذات مراحل متسلسلة كل مرحلة لها وسائلها المكافئة لمقتضياتها وحاجاتها الواقعية ، وكل مرحلة تسلم الى المرحلة التي تليها ، وهكذا حتى تتم الغاية وينال المقصد ، وتقطف الثمرة بمون الله وتوفيقه .

والذي يدرس سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم يجد ان التخطيط والتنظيم والتنفيذ كان في ظية الاتقان ، وكان يواجه كل شي "بط يكافو" ، فراه كيف تصرف عليه الصلاة والسلام بعد هجرته ، ان استوعب الوضع بسرعة فائقة فأسس المسجد ، وأخى بين المهاجرين والانصار ، وحدد العلاقة بين مسلمي المدينة وغيرهم ، وجعل سوق المسلمين مستقلة عن سوق اليهود ، الى غير ذلك ، فحل المشكلات ووضع أساس العلاقات في المجتمع الاسلامي الجديد ، ثم سار في الطريق بخطى ثابتة مدروسة ، على أرض صلبة حتى مكن لدين الله تبارك وتعالى .

المبحث الثاني :خصائص السور المدنية .

سبق وذكرنا ان العقيدة كانت أهم الخصائص في السور الحكيمة ، ومع ذلك فان السور المدنية لم تغفل هذه الحقيقة بل تحدث عنها غير انها لم تأخذ الحيز الذي اخذته هناك ، ان انها هنا في المدينة كانت للتذكير في حين كانت في مكة للتأسيس .

والذي اختلفت به السور المدنية ، هو مناهج الحياة الاجتماعية ونظام الحكم والاقتصاد ، والعلاقات الانسانية عامة كما انها امتازت بالتشريع الدقيق ، والاستطراد الموضح ، والتصبير المباشر مع الجدل المنطقي الهادف . وفي المدينة شرع الجهاد في سبيل الله لحماية الدولة الاسلامية ومعتقدها من الاعداء الذين يترهبون بها الدوائر ، كما أمر المسلمون بالاعتماد على سبب القوة الطائفة منها ، والمعنوية ، ليتمكنوا من نشر رسالة الاسلام بين العباد دون أن يحول بينهم وبينها حائل .

والذي يسترعي الانتباه في السور المدنية ان الموضوعين الاساسيين اللذين استنفرتا أكبر مساحة من السور ، وهما التشريع والجهاد ، لم يخالجا كوضوعين منفصلين قائمين بذاتهما ، وانما عولجا من خلال العقيدة وانهاقا منها لان الاسلام عقيدة وشريعة وجهاد ، فليس في الاسلام عقيدة منفصلة عن المعاملات ، ولا عقيدة منفصلة عن التشريع والتنظيم ، وانما كله وحدة متكاملة ، وكله عبادة بالمعنى الشامل ، الذي تتضمنه الآية الكريمة .

(١)

(وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون)

(٢)

ويفسره قوله تعالى : (قل ان صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين)

وفي السور المدنية أيضا نجد ربطا كاملا بين العقيدة والشريعة كقوله تعالى :

(٣)

(ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون)

وقوله تعالى : (فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في انفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما)

(٤)

في انفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما)

ومفهوم هذه الآية ان المدلول الحقيقي للايمان هو التحاكم الى شريعة الله

وان الادعاء بالايمان مع رفض التحاكم الى شرع الله هو ادعاء كاذب

على صاحبه .

وهكذا تضي السور المدنية بخصائصها المميزة في توضيح وبيان انظمة

وشرائع الدولة الاسلامية ، من نظام الحكم ، والسياسة ، والاقتصاد ، والاجتماع

والتربية ، الخ ..

كما وضحت السور المدنية الاسس التي تتعامل الدولة الاسلامية مع الدول

الاخرى على اساسها وضمن نطاقها .

فميزة الاسلام انه دين شامل جمع بين الدنيا والآخرة ولم يفرق بين المقيدة

والعبادة ، ولا بين العبادة والمعاملة ولا بين السياسة والدين ، بل جعل كل

منها مكملا للآخر ،

(١) الذاريات (٥٦)

(٢) الانعام (١٦٢)

(٣) البقرة (٤٤)

(٤) النساء (٦٥)

وبهذا يمتاز النظام الاسلامي بانه من صنع الله فهو خال من عيوب القصير
البشرى والهوى البشرى والنظرة البشرية الجزئية القاصرة التي ترى شيئاً
وتغفل عن أشياء؛ وترى مصلحة الجيل الواحد ولا ترى مصلحة كل الأجيال .
انها ميزة امتاز بها الاسلام الدين الخاتم ، وخصيصة اختص بها القرآن
عامة والسور المدنية على وجه الخصوص .

الباب السادس

المنهج الرباني يدعو

دراسة الواقع ^{إلى} وسبر غوره

الباب السادس .

المنهج الرباني يدعو الى دراسة الواقع وسير فسوره .

تمهيد :

ارسل الله تعالى سيدنا محمدا صلى الله عليه وسلم الى الناس كافة بشيرا ونذيرا ، فهو الرسول الخاتم والذي ختمت به الرسالات الربانية وانقطع بعده الوحي ، فلم ينتقل الى ربه الا بعد ان ترك امته على المحجبة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها الا هالك .

وبما ان الاسلام الدين الخاتم فهو مهيب من قبل الله عز وجل لان يكسونه صالحا لكل زمان ومكان ، وكفيلا بحل كل المشكلات والعقبات التي تواجه المسلمين اذا ما ساروا على هدى الله واستقاموا على شرعه .

والاسلام لم ينزل ليغطي الناس قواعد نظرية مجردة بل جاء ليطبق واقما على الارض ، حكما ونظما ، شريعة ومنهاجا ، ديننا ودولة آدابها ومعاملات اخلاقها وسلوكها .

وكان القرآن الكريم يمايش الواقع لحظة بلحظة ، فما تقع قضية الا وينزل فيها حكم الله موضحا ، ومعلما ، ومرشدا ، ولا يسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن مسألة الا ويأتي الجواب الرباني عن طريق الوحي ليحل القضية في حينها ويمنع السنة السوء من التشكيك والتضليل ، واذا تتبعنا آيات القرآن نجد ذلك واضحا جليا ، فمثلا : عندما اراد اليهود اعراج رسول الله صلى الله عليه وسلم وارسلوا له من يسأله عن الروح وعن الساعة وعن نبي القرنين ،

نزلت الآيات القرآنية تجيب عن كل سوء ال بها يناسبه فحمة أولئك الذين
ارادوا تمجيز رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال تعالى : (ويستظنونك عن الروح قل الروح من أمر ربي وما أوتيتم من العلم
(١)
الا قليلا)

وقال تعالى : (يستظنونك عن الساعة ايان مرساها قل انا اعلمها عند ربي
لا يجليها لوقتها الا هو ثقلت في السموات والارض لا تاتيك الا بفتة يستظنونك
(٢)
كانك حفي عنها قل انا اعلمها عند الله ولكن أكثر الناس لا يعلمون |

وقال تعالى : (ويستظنونك عن ذي القرنين قل سأتلوا عليكم منه ذكرا اننا
(٣)
مكننا له في الأرض وآتيناه من كل شيء سببا)

وهكذا يستمر القرآن الكريم في توضيح ما يرد على رسول الله صلى الله عليه

وسلم من اسئلة سواء كانت من أهل الكتاب او من المسلمين أو من فيهم .

ففي معرض السوء ال عن الاعلة قال تعالى : (يستظنونك عن الاهلة

قل هي مواقيت للناس والحج وليس البربان تاتوا البيوت في ظهورها ولكن

البر من اتقى واتوا البيوت من أبوابها واتقوا الله لعلكم تفلحون)
(٤)

(١) الاسراء : (٨٥)

(٢) الاعراف : (١٨٧)

(٣) الكهف : (٨٣-٨٤)

(٤) البقرة : (١٨٩)

وعند ما سألو عن النفقة قال تعالى :

(يسألونك ماذا ينفقون قل ما انفقتم من خير فليلو الدين والاقربين واليتامى

والمساكين وابن السبيل وما فعلوا من خير فان الله به عليم)^(١)

وعند ما سألو رسول الله صلى الله عليه وسلم عن القتال في الأشهر الحرم ،

قال تعالى :

(يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه قل قتال فيه كبير وصد عن سبيل الله

وكفر به والمسجد الحرام واخراج اهله منه اكبر عند الله والفتنة اكبر من القتل)^(٢)

وعند ما سألو عن الخمر والميسر ، قال تعالى :

(يسألونك عن الخمر والميسر قل فيها اثم كبير ومنافع للناس واشهد ان اكبر

^(٣)

من نفسها)

وفي نفس الآية يجيب تعالى على الذين قالوا ماذا ننفق ؟ فقال تعالى :

(ويسألونك ماذا ينفقون قل العفو كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تتفكرون)

وعن اليتامى ، قال تعالى :

(يسألونك عن اليتامى قل اصلاح لهم خير وان تخالطوهم فاخوانكم والله

^(٤)

يعلم الفساد من المصلح ولو شاء الله لاعتقكم ان الله عزيز حكيم)

(١) البقرة (٢١٥)

(٢) البقرة (٢١٧)

(٣) البقرة (٢١٩)

(٤) البقرة (٢٢٠)

وعندما سألوا عن المحيض اجابهم تعالى بقوله :

(ويستلونك عن المحيض قل هو اذى فاعتزلوا النساء في المحيض ولا تقربوهن)

حتى يطهرن فاذا تطهرن فاتوهن من حيث أمركم الله ان الله يحب التوابين

(١)

(ويحب المتطهرين)

وعندما سألوا عما أحل لهم من الطعام اجاب تعالى ، بقوله : (يستلونك

ماذا أحل لهم قل أحل لكم الطيبات وما طعمت من الجوارح مكلبين تعلمونهن

ما طعمكم الله فكلوا مما أمسكن طيبكم واذكروا اسم الله عليه واتقوا الله ان الله

(٢)

سريع الحساب)

ويوم ان اختلفوا في تقسيم الفنائم ، أنزل تعالى حكمه موضحا ومبيننا ،

قال تعالى : (يستلونك عن الأنفال قل الأنفال لله والرسول فاتقوا الله

(٣)

واصلحوا ذات بينكم واطيعوا الله ورسوله ان كنتم مؤمنين)

وعندما سألوا عن مصير الجبال يوم القيامة اجاب تعالى بقوله : (ويستلونك

عن الجبال فقل ينسفها ربي نسفا فينزلها قاطا صفصفا لا ترى فيها عوجا

(٤)

ولا امنا)

ويوم اراد بعض المسلمين الزواج من المشركات انزل تعالى آياته في

النهي عن ذلك ، قال عز وجل :

(١) البقرة (٢٢٢)

(٢) المائدة : (٤)

(٣) الأنفال : (١)

(٤) طه : (١٠٥-١٠٦-١٠٧)

(ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمنن ولأمة مؤمنة خير من مشرك ولو أعجبكم)
 ولا تنكحوا المشركين حتى يؤمنوا ولعبد مؤمن خير من مشرك ولو أعجبكم أولئك
 يدعون إلى النار والله يدعو إلى الجنة والمغفرة بإذنه وببين آياته للناس
 (١)
 لهمم يتذكرون)

ويوم ادعى اليهود أن من أتى امرأتهم من دبرها في قهلبها جاء الولد أحسول
 وقالوا إن الله قد حرم على الرجل أن يأتي زوجته إلا من جهة واحدة وانتشر
 الخبر بين المسلمين ، فنزل قوله تعالى مكذبا لليهود فيما زعموا .
 (٢)

قال عز وجل : (نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم أنى شئتم وقد موأ لانفسكم
 (٣)
 واتقوا الله واطمأ انكم ملاقوه وبشر المؤمنون)

وقد فسر ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله : أقبل وادبر واتقى
 الحيضة والدبر .

ويوم أن حصلت حادثة الأفك وأخذت السنة السوء من المنافقين تنتشر
 الأخبار المكذوبة واشتد الأمر على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، نزل قوله
 تعالى مهرباً أم المؤمنین عائشة رضي الله عنها ، الطاهرة المطهرة ، وقد وعد
 الذي تولى كبره بالمذاب العظيم .

(١) البقرة : (٢٢١)

(٢) عن جابر رضي الله عنه قال كانت اليهود تقول إذا أتى الرجل امرأته من
 دبرها في قهلبها كان الولد أحسول فنزلت نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم أنى
 شئتم . رواه مسلم في صحيحه ج ٤ ص ١٥٦

(٣) البقرة : (٢٢٣)

(ان الذين جاؤا بالافك/ منكم لا تحسبوه شرا لكم بل هو خير لكم لكل

(١)

امرى منهم ما اكتسب من الاثم والذي تولى كبره منهم له عذاب عظيم)

ولم يكن المسلمون يمشون ضمن حدودهم فقط بل كانوا يمتدحون الاخبار

العالمية ويراقبون ما يجرى عن كعب ، وبم ان جرت معركة بين الروم والفرس

وانتصر فيها الفرس على الروم ، والروم اهل كتاب حزن المسلمون وتألموا لانتصار

المجوس على اهل الكتاب ، ولكن الله عز وجل أنزل وعيه مخبرا المسلمين

بأن الروم سوف ينتصرون على الفرس في حرب قادمة لا تتجاوز بضع سنين .

قال تعالى : (ظهبت الروم في ادنى الارض وهم من بعد ظهيرهم سيفلحون

في بضع سنين لله الامر من قبل ومن بعد ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله

(٢)

ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم)

الى غير ذلك من الآيات الكثيرة التي جاءت تعالج أمور المسلمين سواء

الطارئة منها أو التي ستطرأ ونزلت الآيات مهيئة الاحكام في بعض الوقائع

كالايلاء مثلا والظهار ، واتهام الرجل زوجته بالفاحشة ، والقذف بفسير

شهود ، فضلا عن الآيات التي نزلت بشأن بعض الغزوات والمعارك كقدر ،

وأحد ، والاحزاب وحنين ، وغيرها ، الى آخر ما هنالك من أحداث ووقائع

نزل بها قول الحق موضحا ومرشدا ومعلما .

(١) النور : (١١)

(٢) الروم : (٢-٣-٤-٥)

وهكذا نجد ان المنهج الرباني لم يكن بعيدا عن الواقع الذي يعيشه المسلمون بل كان معهم دائما يحل معهم اينما حلوا ويرتحل معهم حيثما ارتحلوا يوضع الحلول للمشكلات وينزل حكمه بالمستجدات ، ويبشر المؤمنين بفرج الله وقت المحن وينصره وتأبيده في حال الشدائد والطمات .

ان دراسة الواقع البشرى وفهمه امر يثقل جزءا هاما من التصور الاسلامي ، ويثقل جزءا هاما كذلك في طبيعة العمل الاسلامي ، والاسلام يدعو الى عبادة الصالح ويحث عليه لان الحاجة الى دراسة الواقع ليست حاجة طارئة نابعة من ظرف معين بل هي ضرورة شرعية مستمرة باستمرار الايام والدهور .

ان اطلاع المسلم على ما يدور حوله من أمور وقضايا واجب ايماني ، لانه يعني الوعي واليقظة ، وهذه من صفات المسلم التي اخبر بها رسول الله صلى الله عليه وسلم عندما قال : (المؤمن كهي فطن)

والغفلة عما يجري والجهل بما يدور ، صفات تتنافى مع رسالت الكياسة والفتنة التي يتمتع بها المؤمن .

لان المؤمن الحق لا يهد له من ان يعمى واقعه الذي يعيش فيه ويلم بما يدور حوله من قضايا وافكار ومذاهب ، ويعرف عدوه من صديقه حتى يستقيم وعيه ويصح تقديره ويصدق عمله ، وهذا كهيل يرفع الغفلة والضياع والارتجال عن تصرفات المسلم وتحركاته .

وانا ما استمرضنا حياة الرسول صلى الله عليه وسلم وحياة الصحابة الكرام فاننا نجد هذه القاعدة (الكياسة والفتنة) بارزة واضحة في حياتهم العملية فنجد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعرف قريشا وانسابها وعلاقاتها اذق الصرفة . ونجده يعرف القبائل العربية ويعرف امكنة تواجدها ومواقفها وانسابها

ولسجاتها ، كما يعرف رجالها وساداتها ، وطاداتها ، كما كان على معرفة
بمقدار قوتها وضعفها .

لذلك نراه يوم ان جاء الى المدينة المنورة ، كيف نذم علاقة المسلمين مع غيرهم
من القبائل ، العربية ومع اليهود ، نظمها على أسس تكشف قوة هذه المعرفة
وعبقها .

وكان عليه السلام عندما يطبق منهاج الله في حياة المسلمين يأخذ الواقع
بمعين الاعتبار ، لان التشريع نفسه قد راعى هذه الظروف ، حتى لا يكلف
الله نفسا الا وسمحها فلا يكلفها فوق طاقتها ، لانه دين واقمي عطي .

ففي صيام السفر نجد صلى الله عليه وسلم يقول لسائل ان شئت فصم
وان شئت فافطروهم ان راى سلبا منى عليه من اثر الصيام وكان في
سفر قال عليه الصلاة والسلام ، " ليس من البر الصيام في السفر " ^(١) طالما
ان فيه مشقة كبيرة .

وفي فتح مكة امر المسلمين بالافطار حتى لا يكلفهم فوق طاقتهم واذا ما نظرنا
الى الحدود فان الشارح الكريم قد وضع شروطا لا بد من توافرها قبل
أن ينفذ حد من حدود الله ، ففي السرقة مثلا لا يقام الحد على السارق حتى
يبلغ المسروق النصاب ويكون من حرز وبمهدا عن الشبهة لان الحدود تدرا
بالشبهات .

وفي الزنى لا بد من اعتراف صاحب العلاقة أو شهود أربعة على ان تنفق
شهادتهم في الكيفية والزمن والا جلدوا حد القذف ،

(١) رواه البخارى في صحيحه في باب الصوم ج ٣ ص ٤٤

وفي حد القصاص بالقتل فلا يقتل الا من قتل عددا ما قاتل الخطأ فمليه
الديه ، ومن استكره على فعل شي * ما لم يكن اذية لمؤمن فانه يمضى عنه ،
وكذلك من فعل شيئا ناسيا ، لان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :
(رفع عن أمتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه)

وأيا من فعل شيئا قبل سن البلوغ فان الشارع ينظر له نذرة عطف ورحمة .
الى غير ذلك من الحدود المشروطة وهكذا نرى ان فهم الواقع ومراعاة
الظروف التي تحيط به امر اهم به الاسلام وقدره غاية التقدير ، ليصبح
الالمام بالواقع عنصرا ساعدا على تطبيق شرع الله ، لا عنصرا معطلا له
لان الاسلام جاء ليحفظ على الناس حياتهم ويصون اعراضهم وموالمهم .
فهو دين واقفي على امر المسلم بأن يكون كحما فطنا ، وامره بأن تكون الحكمة
ضالته انى وجدها فهو احق بها .

وفي ختام هذا الاستعراض نستطيع ان نوجز اهم معالم دراسة الواقع
البشرى من خلال التوجيه القرآنى ، ومن خلال الواقع التطبيقي فى حياة
رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فدراسة الواقع أول ما تهدي به دائرة صغيرة ، تشمل الفرد وواقعة تسمى
تتوسع شيئا فشيئا لتشمل الاسرة ، والجماعة واخير الامة .

ان هذه الدراسة يجب أن تكون دراسة علم وثبت لدراسة ظن وتخمين ،
كما يجب أن تكون عامة شاملة لا تنحصر فى لون واحد من ألوان الواقع
البشرى بل تشمل مختلف الواجه والالوان . وعلى الجماعة المؤمنة ان
تستفيد فى هذا الشأن من كافة الوسائل المتاحة والمباحة ، وطبيها

ان تستحدث من الأساليب والوسائل ما تحتاج اليه في طريقها ، لتأخذ دورها الحقيقي في خط الدعوة والعمل حتى ترتفع الخفلة وتصدق العزيمة . والله عزوجل قد كرم الامة الاسلامية واعزها عندما جعلها امة وسطا لتكون شهيدة على الناس . قال تعالى :

(وكذلك جعلناكم امة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا)
(١)

ان الامة النائمة الغافلة التي اسلمت اعناقها لاعدائها في أجواء الضياع والخفلة لاتعي نفسها فضلا عن ان تعي غيرها ، فأمة منذه حالها لاتصلح لان تكون شهيدة على الناس ، ان كيف تصح الشهادة من غافل اولاه ان الشهادة لاتصح الا من واع ظلم بواقعه ، وواقع الناس ، مطلع على ما يدور حوله ، يحرف عدوه من صديقه يحب في الله ويبغض في الله ، يصاحب في الله ، ويحادي في الله ، لا يبيع دينه بعرض من الدنيا ، يقول الحق مهبط كان مرا ، لا يخاف في الله لومة لائم ، فمثل هذا وامثاله يستحقون ان يكونوا شهداء على الناس ويفخرون بأن يكون الرسول عليهم شهيدا .

الفصل الأول :

كيف ندعو الى الاسلام اليوم ؟

الدعوة الى الله عز وجل شرف عظيم يمن الله به على من أحب من عباده ، لان الدعوة هم ورثة الأنبياء ، والانبيا لم يورثوا درهما ولا دينارا وانما ورثوا الناس طريق الهداية والفلاح واناروا دروبهم بنور الايمان والتقوى . والدعوة الاسلامية كما سبق ان ذكرنا مرت بمراحل عديدة وتتنوع أساليبها وطرقها بحسب الظروف التي مرت بها .

فراينا ان المرحلة المدنية كانت غير المرحلة المكية ، وان الدعوة بعد الفتح تطورت في الاساليب واتسعت في الآفاق والوسائل حتى وصلت الى مراسلة الملوك والباطرة ودعوتهم الى دين الله الخاتم بعد ان تجاوزت زعماء القبائل والمناطق .

وكما انتشرت دعوة الاسلام واتسع مداها ، استحدثت وسائل جديدة واساليب مناسبة نظرا للواقع الجديد الذي جد .

واليوم وبعد ان تقدم العلم اشواطا بعيدة واصبح العالم باجمعه متصلا بعضه ببعض عن طريق وسائل الاعلام الرخيصة منها والمسجوة والمقروءة ، واصبح ما يجرى في اقصى الارض يعرف بعد دقائق في كافة ارجاء المعمورة . هذه الوسائل التي لم يسبق لها مثل جعلت الدعوة الاسلامية في سباق مع الزمن ، ولم يعد من الجائز لدعاة الاسلام ان يركنوا الى الوسائل القديمة في حين ان اعداءهم يستعملون كل ما وصل اليه العلم الحديث في نشر مبادئهم ومذاهبهم الهدامة منها والمنحرفة .

فانذات التبشير تهتلليل نهار، موجهة اعلامها الصليبي الى العالم
الاسلامي ، وانذات الاحاد والطادية نصب أيضا نيران حقدها في الدس
والتضليل ، هذا فضلا عن المطبوعات والمنشورات التي تعمل كل ما نسي
وسمها على ابعاد المسلم عن دينه وتركه ضائعا في مآهات الحياة .

فاعداء الاسلام يخططون وينظمون وينفذون ضمن اطار معد، واضح
ونوايا شريرة مبيتة .

لذا كان على دعاة الاسلام اليوم ان يكونوا على قدر المسؤولية المطلقة
على عاتقهم ، وان يقدروا الظروف التي يميشونها فلا يخطون خبط عشواء
فيسيئون الى الاسلام وهم يحسبون انهم ^{يسو} صنعوا .

ان العمل الاسلامي اليوم بأمر الحاجة الى منهج تليخ يتقيد به الدعاة
والى منطلقات فكرية وحركية يصدرون عنها في نطاق الدعوة ، ويجب أن يكون
ذلك في غاية الدقة والوضوح لتتحقق معه الروء بما لابعاد الطريق وخصائصه
ومواصفاته ، فالدعاة اليوم بحاجة الى منهج يحدد لهم طريق الدعوة التي
الله وكيفية مخاطبة الناس واقناعهم ، كما يحدد الموضوعات التي يحسن
طرحها عليهم مع اختيار الوقت المناسب والطريقة الملائمة .

ان الداعية الى الله عليه أن يكون كالطبيب يجسد الداء أولا ثم يصف له
الدواء المناسب ، وظيفه أن يخاطب الناس بما يفقهون ، عملا بهدي المصطفى
صلى الله عليه وسلم عند ما اوصى عليا رضي الله عنه بقوله :

(١)
(خاطب الناس بما يعرفون اتحبون ان يكذب الله ورسوله)

وقوله صلى الله عليه وسلم : (بحثنا معاشر الأنبياء * تخاطب الناس على قدر

(١)

عقولهم)

والدعوة الى الله ليست تشريفاً وحسب بل هي تكليف وأى تكليف ؟

ان طريق الدعوة صعب وشاق ، مليء بالاشواك والمخبات ، فالدعاة اليوم

مدعون الى التضحية بكل معانيها ، واصنافها ، وطبيعتهم ان يقدموا مصلحة

الاسلام على مصالحهم الخاصة وان يدوروا في رحاه حيث دارسهط كانت

الظروف وقت التضحيات .

ان الدعوة الى الله ليست ترفيهاً لمجتمعات قد تآكلت بسبب بعدها عن الله

عز وجل وشرعه وتحاكمها الى الطافت .

ولم يأت الاسلام اصلاً ليعايش مثل هذه الانظمة الجاهلية بل جاء ليهدم

المجتمع الجاهلي في كل صورته واشكاله ، يهدم تقاليدته ، ونظمته ، وافكاره

ويقيم مكانه المجتمع الاسلامي بكل اركانه ومقوماته .

ان طريقاً كهذا الطريق الشاق لا يصد فيه ضعفاً الايمان الذين يستفلون

العمل الاسلامي فيأخذون منه ولا يعطونه ويحيشون عليه كما تعيش النباتات

الضارة حول جذع الشجرة الشرة ، فهولا * نمانج غير صالحة بل هم عسبه

ثقل يعوق سير الحركة الاسلامية ويحول دون انطلاقها .

(١) السخاوى المقاصد الحسنة ص ٩٣

ان فريقا من هؤلاء يظنون ان تكاليف العمل الاسلامي تسقط عن كواهلهم
 نهائيا اذا هم اصدروا كتابا ، أو القوا محاضرة أو كتبوا مقالا ، وآخرهم
 يعتقدون ان مجرد انتسابهم الى هيئة أو جمعية إسلامية وحضورهم اجامات تبا
 ودراساتهم في فلكتها حيثما دارت هو غاية الغايات ، ان هؤلاء وأولئك
 يمشون بلا شك على هامش العمل الاسلامي ، ولم يدخلوا في الواقعية
 ميدانه الاصيل أو يعيشوا اجواءه الحقيقية .
 (١)

ان شرف العمل الاسلامي لا يستحقه دعي بلسانه أو متشدد ببيانه ، انما
 يستحقه الذين يمشون للإسلام ويموتون في سبيله .

ان طريق الدعوة الى الله لا يصد فيها الا من نذر نفسه لله عز وجل ووقف
 حياته للجهاد في سبيله وكان الله ورسوله احب اليه مما سواه ، لا تلهيه
 تجارة ولا بيع عن ذكر الله واقام الصلاة واداء ما دعى الجهاد كان اول
 من يشرع عن ساعد الجد ويلتحق بركب المجاهدين في هذا وامثاله قال تعالى
 (من المؤمنون رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم
 من ينتظر وما بدلوا تبديلا)
 (٢)

ان سلعة الله ظالمة لا ينالها الا من بذل الثمن وسدد الحساب ، وهذا
 الشرف لا يناله من يجبن عن قول الحق أو ينافق الباطل لحرص من اعراض
 الدنيا .

ألا ان سلعة الله ظالمة الا ان سلعة الله الجنة .

(١) راجع فصل دعاة على هامش الدعوة . للاستاذ فتحي يكن في كتابه :

كيف تدعو الى الاسلام .

(٢) الاحزاب : (٢٣)

ثم ان الدعوة الى الله عز وجل لم تمتد مجرد سرد لآيات وأحاديث بمناسبة وبدون مناسبة بل اصبحت الدعوة فنا من الفنون التي يجنب على الداعية أن يتقنها قبل دخولها هذا الميدان الفسح .

ان أوقات الناس اليوم اصبحت مليئة بالمشاغل والاعمال حتى ان بعضهم لا يجد الوقت الذي يجلس فيه الى اهله واولاده بل ان بعض الآباء يمر عليهم الاسبوع والاسبوعين ولا يرون ابنائهم في حالة اليقظة ، ان يأتون اليهم في ساعة متأخرة من الليل ثم يتركونهم في الصباح الباكر قبل أن يستيقظوا وهكذا . . .

فهذا الواقع الذي ابتلي به المسلمون يجب ان يؤخذ بعين الاعتبار في الدعوة والارشاد .

من هنا كان على الداعية ان يكون حكيما في اختيار الموعدة الملائمة ويقدر الوقت المناسب ، بحيث لا يكون الوقت وقت زحمة عمل ، ولا تكون الموعدة طويلة مطلة بل عليه أن يختار اقصر الاساليب وأبسطها ، ويجمع أفكاره حتى يحظى السامع فكرة واضحة عن الموضوع الذي يطرحه ويوصله الى الغاية التي يريد بها بأقصر وقت ممكن .

وعلى الداعية الناجح ان يكون ملما بحال المدعوين ومطلعا على واقفهم الذي يعيشونه وعن الاشياء التي هم بحاجة فيها الى توجيه وتعليم أكثر من غيرها ، وعليه ان يخاطب الناس من حيث يستجيبون وبالاسلوب الذي يسهل يتأثرون بشمكل يتحسس فيه شعورهم حتى يلامس كلامه جروحاتهم فيكسبون لها بلسا وشفاء بان الله .

وعلى الداعية ان يكون حكما في دعوته فلا يخاطب المثقلين بلفظ الفلاحين
 ولا يخاطب من كانوا على الفطرة بلفظ القبوريين وأهل البدع ، ولا يناقش
 الملاحة بلفظ الماطفين ، كما طيه ان يحسب حسابا للمناسبات فلا يتكلم
 عن أحكام الصيام في شهر المحرم ولا عن مناسك الحج في ربيع الأول ، بل
 في الوقت المناسب لها تين الفريضتين حتى يستفيد السامع .
 وإذا حضر دعوة قوم^{ما} كالزقاف^{ملا} فعليه الا يخوض في آيات الطلاق وعدة
 المطلقة ونحو ذلك بل يذكر آيات الرحمة والالفة والمحبة ويحض على زواج المؤمن
 بالمؤمنة وأهمية ذلك في إنشاء البيت المسلم والأسرة المسلمة والمجتمع المسلم .
 وهكذا يجعل لكل مقام مقال ، تمثيا مع هدى المصطفى صلى الله عليه وسلم
 حيث كان يتحين الفرص والمناسبات ويتحدث فيها بتلام^م معها ويناسبها .
 ان الاسلام في هذا الزمن بحاجة الى دعة يحسنون عرض افكاره ومبادئه
 بأسلوب شيق جذاب .

يوحرون بالناس ويقرهون ولا ينفرون . .

وكم من ادعاء شوهوا الاسلام بسوء تصرفاتهم وسوء اسلوبهم فيخاطبسون
 الناس بالشدة والتقريع والتوبيخ دون تقدير لمواطن النفس البشرية التي
 تحب من أحسن اليها وتحن اليه وتتفر من القسوة وتبغضها ، وقد تأخذها
 نتيجة لذلك العزة بالام . من هنا كانت وظيفة الدعة خطيرة ومسئوليتهم كبيرة .
 ولو تتبع هو^{لا} المنهج القرآني لوجدوا صفات اللين والحسنى بارزة في
 التوجيه الرباني للدعة ففي خطاب الله تعالى لموسى وهارون عليهما السلام
 عندما أمرهما بالذهاب الى الطاغية فرعون ،

قال تعالى : (اذعبا الى فرعون انه طغى فقولا له قولا لينا لعله يتذكر
(١)
أو يخشى)

فالقول اللين هو الاداة الاولى في التذكر والخشية من الله عز وجل .
وعلى الرغم من طغيان فرعون وجبروته لم يأمر تعالى بتقريبه أو توبيخه بل أمر
رسله باتباع اسلوب اللين والحكمة لشدة تأثيرهما في النفس البشرية ، وهذا
لغة قرآنية وبشارة نبوية ، الى الرفق ومجانبة الغلظة والتسوية تؤكد بما
لا يدع مجالاً للشك فاعليه هذا الاسلوب وقيمته التوجيهية .

ونرى نظيراً لذلك في توجيه الله تعالى لرسوله الخاتم لاتباع الرحمة واللينونة
ومجانبة الغلظة والغلظة لكسب المومدين والانصار ، قال تعالى :

(فما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك فاعف
عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الامر فاذا عزمتم فتوكل على الله ان الله يحسب
(٢)
المتوكلين)

فاللين في الداعية وحسن الاسلوب هو مدعاة لالتفاف القلوب حوله واحتضان
دعوته والذود عنها .

وفي السيرة النبوية الشريفة نماذج عطية ووقائع تفسيرية رائعة للاسلوب الاخان
النافذ الذي كان يبلغ به رسول الله صلى الله عليه وسلم دعوة الاسلام . .

(١) طه : (٤٣-٤٤)

(٢) آل عمران (١٥٩)

وفي الحديث الذي رواه أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت :

(١)
(ما دخل الرفق في شيء إلا زانه وما نزع من شيء إلا شانه)

وفي الحديث الذي رواه أنس قال (لم يكن النبي صلى الله عليه وسلم سباباً

(٢)
ولا فحاشاً ولا لعاناً ، كان يقول لا حدثنا عند المعتبة ماله ترب جبينه |

واسلوب الدعوة ينبغي أن يكون متطوراً في حدود ما يسمح به الشرع الحنيف ،
ومرونة الاسلام تقتضى العمل على مستوى العصر وبمختلف الوسائل المشروعة ،
المرتبطة منها ، والمسموعة والمقروءة حتى يتسنى للدعاة نقل الاسلام الى الناس
بصورته الناصعة لا المبتورة ، على انه منهج حياة متكامل لا يمكن ان يصلح أمر
هذه الأمة الا بالأخذ به والسير على هدايه .

وقد يكون من خير ما يحقق الاسلوب الحسن لدى الداعية معرفته الواضحة
لابعاد الطريق وللغاية التي يريد ها ، لان معرفة الطريق والهدف تلي على
الداعية الاسلوب الذي ينبغي التزامه وتنبه .

وإدراك الداعية لما يريد يوفر طيه الوقت والجهد ويجعل تحركه على بصيره ونور ،
فلا يخبط خبط عشواء أو يدخل البهوت من غير أبوابها دون تقدير للمواقف .
فعلى الداعية أن يكون حكيماً في تحركه سديداً في قوله ، تقياً في كل
أمره ، لان تقوى الله عز وجل والخوف منه يحصم الداعية من الانزلاق ، ويصلح له
علمه ويسدد خطاه .

(١) رواه البخارى في صحيحه ج ٨ ص ١٤ كتاب الأدب وفي رواية : ان الله
يحب الرفق في الأمر كله .

(٢) رواه البخارى في صحيحه ج ٨ ص ١٥ كتاب الأدب .

قال تعالى :

(يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله وقلوا قولا سديدا يصلح لكم أعمالكم ويغفر

(١)

لكم ذنوبكم ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزا عظيما)

ان طريق الدعوة يسيرة على من يسرها الله عليه وعرف حدودها وأبعادها ،
والتزم اصولها وقواعدها وصيرته على من تفرقت به سبل الاجتهاد ولم يحالفه
التوفيق ، لانه لم يقدر للظروف قدرها ، ولم يمش زمنه وواقعه بل عاش في
زمن غير زمنه وواقعا غير واقعه ففلبت سلبياته على ايجابياته ، وكان عطا على
الدعوة بدل أن يكون عونا لها .

ان من أسباب نجاح الداعية ان يعرف ماذا يريد من كل خطوة بخطوها ، ان
خطب أو كتب ، ان ناقش أو تحدث ، ان سالم أو غاصم ، ان مدح أو هاجم ،
يسير على بيته من أمره وسبيل واضح عملا بقوله تعالى :

قل هذه سبيلي ادعوا الى الله على بصيرة انا ومن اتبعنى وسبحان الله وما أنا

(٢)

من المشركين)

فالبينة البينه

والوضوح الوضوح

والرفق الرفق

واللين اللين يا دعاة الاسلام .

(١) الأحزاب : (٧٠-٧١)

(٢) يوسف : (١٠٨)

الفصل الثاني :

ضرورة اعداد الدعاة على كافة المستويات

ثقافيا ، فقهيا ، تنظيميا .

ان مهمة الداعية شاقة وخطيرة ، والله عزوجل قد أرسل رسله وأيدهم بالوحي ، ومع ذلك وجدوا العنت من أقوامهم وشعوبهم فعذبوهم وهم الدعاة الى الخير ، واتهموهم بشتى التهم وهم الاصفيا^٥ الاطهار .

ان الدعوة الى الله هي أفضل الاعمال بعد الايمان بالله تعالى لان شررتها هداية الناس الى الحق وأخراجهم من الظلمات الى النور ،

ولقد شهد لهم عزوجل بقوله :

(١)

(ومن أحسن قولا ممن دعا الى الله وعمل صالحا وقال انني من المسلمين)

والدعوة الى الله هي الدعوة الى دينه ، واتباع هداه ، وتحكيم منهجه في الأرض ، واعلاء كلمته ، والجهاد في سبيله . سبطت التضعضيات ومثل هذه المهمة ليست بالأمر الهين ، لذا كان على الداعية الناجح الذي يريد أن تكون كلمة الله هي العليا وكلمة الذين كفروا السفلى ان يتسلح بأسلحة شتى يحتاجها في الدفاع عن حياض الدين كما يحتاجها في الهجوم على أوكار أعداء الله بشتى اصنافهم .

وعليه أن يعد نفسه على كافة المستويات الثقافية منها ، والفقهية والتنظيمية .

وسأتحدث عن كل من هذه المستويات بمبحث خاص ان شاء الله .

الناحية الثقافية

نظرا لتطور الحضارة اليوم وارتفاع عدد المثقفين في جميع أنواع الثقافات ،
 أصبح لزاما على الداعية المسلم ان يلم بقدر كاف من هذه الثقافات كي يكون
 داعية ناجحا في أسلوبه ، عالما بطريقة دعوته ، متفهما للوسط الذي يدعو فيه
 مطلقا على الافكار والمذاهب الوافده والمنتشرة بين الناس ،

والثقافات التي اراها ضرورية للداعية اليوم الى جانب الثقافة الاسلامية الشاملة ،
 من قرآن وسنة ، والاطم بعلم الفقه والتفسير ، واصولها واطم الحديث ومصطلحه هي :

١- الثقافة التاريخية .

٢- الثقافة الادبية واللغوية .

٣- الثقافة الانسانية .

٤- الثقافة العلمية .

(١)

٥- الثقافة الواقعية .

وسأتحدث عن كل منها بما يعني بالفرنسي ان شاء الله .

(١) للمزيد من التوسع حول هذه الثقافات وغيرها راجع كتاب ثقافة الداعية ،
 للدكتور يوسف القرضاوي .

التاريخ هو سجل الامم ، وديوان عمرها ، وموخر أحداثها ، والشاهد العدل لها أو عليها .

ولا يفهم الحاضر حق الفهم بما يدور فيه من أحداث الا بالاطلاع طسي الماضي وما جرى فيه .

ودراسة الماضي وتحليل أحداثه يوسع آفاق الداعية ويسدد رأيه ، فيرى بعيني بصيرته ، كيف تعمل سنن الله في خلقه ، وكيف ترتقى الامم وتهبط ، وكيف تقوى الدول والممالك وتسقط ، وكيف تنتصر الدعوات وتهزم ، وكيف تحيا الحضارات وتموت .

وقد امرنا عز وجل بالسير في الأرض ، والتفكر فيمن كان عليها ومضى ، ماذا قدم ؟ وماذا لبقي ؟ فقد عاش خلق كثير منهم الصالح ومنهم دون ذلك ، منهم من ارتقى وعز ثم ذل وانحسر ، ومنهم من بقى وتجر ثم خسف الله به وبداره الأرض ، ومنهم من شاد حضارات مادية ولم يتوصل الى معرفة الله ، فاندثرت حضارته باندثاره وكانت وبالاً عليه ، ومنهم من حكم وهدل وشاد وبنى وتترك لمن بعده الخير والرشاد .

قال تعالى في حق أولئك الذين لا يمتثلون من الماضي ،

(أفلم يسيروا في الأرض فتكون لهم قلوب يحقلون بها أو آذان يسمعون بها

(١)

فانها لاتعسى الابصار ولكن تعسى القلوب التي في الصدور)

فالداعية ما مور بأن يتفكر فيما مضى ويستنتج منه العبر ،

والتاريخ أصدق شاهد على أهمية ما دعى اليه الأنبياء والمرسلون من قسم
ومفاهيم ، وهو مرآة واضحة تنعكس عليها نتائج الاعمال ، فتظهر طقبة الايمان
والتقوى ، ونهاية الكفر والفجور ، وجزءا الشاكرين ونهاية الكافرين .

ولقد قص القرآن الكريم اخبار الامم الفائرة للعبرة والعظة قال تعالى :

(لقد كان في قصصهم عبرة لاولى الالباب ما كان حديثا يفترى ولكن تصديق

(١)

الذى بين يديه وتفصيل كل شىء وهدى ورحمة لقوم يؤمنون)

ان دراسة التاريخ كثيرا ما تعين على فهم الواقع الذى يحيايشه الداعية ،

ولا سيما اذا ما تاملت الظروف وتشا بهت الدوافع ، وكثيرا ما نرى ان بعض

القضايا الحاضرة لها جذورها التاريخية العميقة المدى ، فمن لم يحرف ما ضيها

لم يدرك كنه حاضرها ، فالعداوة بين الاسلام واليهودية مثلا ، لا يحرفه حق المعرفة

الا من قرأ التاريخ بوعي وادراك .

فمنذ اليوم الاول الذى اشرقت فيه شمس النبوة واليهود يتهمون بنبي الاسلام

ودعوتهم الدوائر ،

فكذبوه ، وحاولوا قتله مرارا وصد الناس عن دعوتهم ، ثم كيف تطورت العلاقات

بين الاسلام واليهود حتى ابرمت معهم المهادنة ، وكيف نقضوها واحدة بعد

الآخرى وكيف خانوا الامانة وكذبوا الرسالة وطاؤنا اعداء الله على حرب الاسلام

والكيد له .

وعرج وانت تقراً تاريخ اليهود الاسود على بني قينقاع ، وبني النضير ،
وبني قريظة ، وبني المصطلق ، حيث تجد رائحة خيانتهم وفدرهم في كسل
مكان .

هذا في الماضي وانظر في الحاضر ماذا فعلوا في أرض الاسلام ؟ وبالاخص
أرض الاسراء والمعراج . وماذا فعلوا في المسجد الاقصى المبارك أولسى
القبلتين وثالث الحرمين الشريفين ، طأوا فيها فسادا . . فكم قتلوا وكم
شردوا ، وكم انتهكوا من حرمت ، وط مذبحه دير ياسين ومذبحه بحر البقر ،
ومذابح اللاجئيين في مخيمات لبنان ، وغيرها الا نموذج من اجرامهم وحقدهم
ضد الاسلام وأعله ، فسفك الدماء شعارهم ، واهادة البشرية ظيتهم بعد نشر
الفساد والفوضى فيهم ، وأطم ان من معتقداتهم ان الناس جميعا خلقوا
عبدا لليهود ولخدمتهم وان هذه الدنيا وط فيها من خير هي ملكهم
(٢)
وخدمهم .

هذا فضلا عن قتلهم لانبيائهم وتحريفهم لكتبهم السابوية ثم اقرأ حكم الله فيهم
ووصفه لهم : قال تعالى :

(٣)

(لتجدن اشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا)

(١) بحر البقر : منطقة في مصر اظار اليهود عقب حرب ١٩٦٧م على مدرسة
للاطفال فيها فقتلوا المشرات منهم وهم دون سن العاشرة .

(٢) للاطلاع على أهداف اليهودية راجع كتاب : بروتوكولات حكما صهيون ترجمة

محمد خليفة التونسي . وكتاب الماسونية في الحراء ، لمحمد علي الزعبي .

وكذلك الافصى اليهودية لعبدالله التل .

(٣) المائدة : (٨٢)

فهل بعد هذا البيان الرباني من بيان ، وهل يجوز لمتشديقي أو متحذلق
 ان يقول بعد ذلك ، ان العيش على هوى لا القلّة والاختلاط بهم ومجاورتهم
 واهرام اليهود معهم بالامن والاطمئنان ونشر السلام أمر يمكن بل مستحسن .
 ثم يطالب بنسيان الماضي والصفح عنه وفتح صفحة جديدة مع اليهود يكون
 شمارها المحبة من أجل المصالح المتبادلة .

انه هراء ، وای هراء ، لا يقوله من كان فيه بقية من عقل سلم وانما يقوله
 جاهل غبي أو ظالم دعي باع نفسه ودينه للشيطان لعرض من أهراض الدنيا .
 ان الحاضر مرآة للماضي والاصابع التي تنفذ اليوم تحركها أيد بعيدة قد
 خطت ، ونظمت ، ورسمت طريقا طويلا لتحقيق آرائها وظلماتها على مراحل
 يتم بعضها بعضا .

ان الذين يعيشون حاضرهم دون النظر الى ماضيهم ومعرفته ويحكمون على
 الوقائع والمستجدات دون النظر الى بواعثها واسبابها ومسبباتها ويكتفون
 بالنظا سر منها دون ان يكفوا انفسهم مشقة التنقيب والتحليل ، هم أشبه
 بمن رأى انسانا تنهق قدبح صوتها وسمع في نفس اللحظة تفريده بلبل
 فخر انه لم يره فظن ان ما سمعه هو صوت الاثنان فقال متعجبا ما أجمل
 صوت هذه الاثنان ! !

أو كالاعى لمس من الفيل خرطومه فقط فقال ان الفيل عمارة عن خرطوم .
 وقدما قيل : اذا كنت لا ترى الا ما يظهره النور ، ولا تسمع الا ما يصدر
 عن الاصوات ، فأنت لا ترى ولا تسمع .

وكما في اليهودية كذلك في الصليبية ، فانه لا يعرف شراسة المسدء
 بين الاسلام والصليبية اليوم الا من عرف الماضي الطويل الذي طناه المسلمون

من هجمة الدول الأوروبية تحت راية الصليب لحرب الاسلام وأهله ، وسهبت
 حروبهم تلك بالحروب الصليبية ، التي استصرخ فيها الباطل والقساوسة والبطارقة
 أبناء الملة النصرانية لاسترداد بيت المقدس من أيدي المسلمين ، وجمعت
 الجيوش الجرارة لحرب الاسلام وأهله ، ودخلوا الى بيت المقدس مشحونين
 حقدا وغدرا ، فماتوا فيه فسادا ، فقتلوا الأطفال والنساء والشيوخ ، وكل من
 تصل اليه أيديهم الأثمة حتى قيل يوسها ان الخيل قد ظاصت الى ركبتها
 بدما المسلمين وأصبح بيت المقدس عمارة عن بركة من الدم . .

هذه الحروب وما تلاها من اغتصاب الاندلس وغيرها من بلاد المسلمين
 لم تكن أول مواجهة بين الاسلام والصليبية بل ان المواجهة ابتدأت منذ
 معركة مؤتة وقرظة تهوك في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم وامتدت عبر
 موقعة اليرموك ، وفتوح الشام ، ومصر وأفريقية في عهد الخلفاء الراشدين .
 ان معظم ما يجرى اليوم هو امتداد للماضي ، وعلى الداعية ان يكون فطنا
 لما يحاك للاسلام من وراء الكواليس وما يدبر له في الليل المبهم ، وما لم يكن
 الداعية على المستوى المطلوب فان نجاحه بالدعوة يكون مشوبا بالخطر .

ان الاسلام اليوم بحاجة الى دعاة يفقهون التاريخ ويستنهضون منه الصبر ،
 ويقدمونها للناس بصورة واضحة جلية لا لبس فيها ولا غموض ، شارحين فيها
 خطورة المرحلة التي يمر بها المسلمون ، ولكن دون تشاؤم بل متفائلين بوعود
 الله الذي لا يتخلف بالنصر والتمكين ان هم طادوا الى ربهم والى اتباع سنة
 نبيهم . (ولينصرن الله من ينصره ان الله لقوى عزيز)
 (١)

ثانيا : الثقافة الأدبية واللغوية .

ان ما يساعد الداعية على نجاح دعوته هو أخذُه بكامل الاسباب ومن هذه الاسباب معرفته باللغة العربية وآدابها ، لانها هي الاداة التي يبلغ بها سامعيه دعوته .

فلا بد لصحة الفهم وصحة الاداء من معرفته باللغة ومفرداتها ونحوها ، وصرفها ، لان الاخطاء اللغوية الى جانب تعريفها للمعنى وتشويهها للبراد ، فان الذوق السليم ينجسها وينفر منها السامع .

وكما ان للغة أهمية في الدعوة ، فكذلك الادب ، بشعره ونشره ، وأمثاله ، وحكمه ، وخطبه ، ووصاياه ، يشقف به الداعية لسانه ويجود اسلوبه ، ويرهف حسه ، ويقفه على صور معبرة وأساليب راقية وحكم بالفه .

ولأهمية الاسلوب الأدبي والبلاغي قال عليه الصلاة والسلام (ان من البيان لسحرا)

(٢)
وقال : (ان من الشعر حكمة)

الشعر
وسمع النبي صلى الله عليه وسلم من عدة شعراء ، وكان من الصحابة الكرام شعراء معروفون امثال :

حسان بن ثابت الطقبةشاعر الرسول ، وكعب بن مالك ، وعبدالله بن رواحة الانصارى .

(١) رواه الشيخان .

(٢) رواه البخارى ، فتح البارى ج ١٠ ص ٥٣٢

وكان عليه الصلاة والسلام يشجع حسان على قول الشعر ليدفع به هجو شعراء

(١)

قريش ، فكان يقول له صلى الله عليه وسلم " أهجهم وروح القدس معك "

وفي حديث آخر روته طائفة رضي الله عنها :

(٢)

قال : (أهجو قريشا فانه أشد عليها من رشق بالنبل)

فالشعر سلاح ذو حدين يمكن ان يستعمل في الخير ، في نشر الدعوة

والذوب عنها ، وهذا هو الشعر المطلوب الذي شجع عليه رسول الله صلى الله

عليه وسلم والذي استثنى من الآية الكريمة في قوله تعالى :

(والشعراء يتهمهم الفاوون الم تر انهم في كل واد يهيمون وانهم يقولون

ما لا يفعلون الا الذين آمنوا وعلوا الصالحات وذكروا الله كثيرا وانقروا من بعد

(٣)

ما ظلموا وسيعلم الذين ظلموا اى منقلب ينقلبون)

ويمكن ان يساء استخدامه في الشر لنشر الفساد وتزيين المنكر

واثارة الشهوات ، الى آخر ما هنالك من ادوات ابليسية يستهوى بها الشيطان

ابن آدم ليهده عن الطريق المستقيم .

فالمرء من حكم عليه أن يستغل كل فرصة للاستفادة من الثقافات ويسورها باتجاهها

الصحيح لتخدم دعوته وتسرع به الخطا نحو ظمته .

(١) رواه مسلم في الجامع الصحيح ج ٧ ص ١٦٣ ، والبخارى فتح البارى ج ١ ص ٥٤٦

(٢) رواه مسلم في صحيحه ج ٧ ص ١٦٤

(٣) الشعراء : (٢٢٤ = ٢٢٥ - ٢٢٦ - ٢٢٧)

ولا يمكن للداعية الواهي ان يغفل عن هذه الحقيقة التي اثبتت الوقائع
جدوانا وفاقطبتها في خدمة الدعوة وتحقيق أهدافها .

وقد شجع كبار الصحابة على الاستفادة من الشعر والأدب ان نقل عن عمر بن
الخطاب رضي الله عنه قوله :

(علموا اولادكم السباحة والرماية وركوب الخيل ورووهم ما يجمل من الشعر)

وعن عائشة رضي الله عنها قالت : (روي اولادكم الشعر تمذبا لسننهم)

وعن الجوانب الادبية يمكن للداعية ان يقتبس ما تحيكه كتب الادب من الاخبار
والقصص من مجال التمتعة والتسلية الى مجال الدعوة والارشاد .

(١)

ونذكر على سبيل المثال ما جاء في كتاب العقد الفريد ان رجلا يقال له

ابن سلته ، دخل على الحجاج بن يوسف الثقفي يشكو اليه مظلمة قد حلت به على

ايدي رجاله فكان ما قاله للحجاج :

" عسى عاصي من عرض العشيورة فحلق على اسمي وهدم منزلي وحرمت عطائي

بذكر الرجل انه مظلوم ، ان انه أخذ بجريرة غيره .

قال الحجاج : هيهات اما سمعت قول الشاعر :

جانبك من يجنى عليك وقد تمدى الصحاح مبارك الجسرب

ولرب مأخوذ بذنب عشيوره ونجا المقارف صاحب الذنوب

فقال الرجل اصلح الله الامور اني سمعت الله يقول في هذا ، قال وما ذاك ؟

قال : قال الله تعالى على لسان أخوه يوسف

(قالوا يا ايها العزيز ان له ابا شيخا كبيرا فخذ احدنا مكانه انا نراك ممن

(٢)

المحسنين ، قال معاذ الله ان تأخذ الا من وجدنا متاعنا عنده انا انا لظالمون)

(١) احمد بن محمد بن عبد ربه الاندلسي ج ١ ص ٣٥

(٢) يوسف : (٧٨-٧٩)

عندها قال الحجاج ، طي يزيد بن أبي مسلم فمثل بين يديه ، فقال :
 افكك لهذا عن اسمه ، واصكك له بمطائه وابن له منزله ، ومر ناديا ينادى
 صدق الله وكذب الشاعر .

فهذه القصة وما شابهها ، تروىها كتب الادب للترويح عن النفس ولا متاع
 القارىء غير ان الداعية بإمكانه ان يستفيد منها وبوجهها الوجهة الصالحة .
 ويستنتج منها ان للشريعة الاسلامية هيبتها وسلطانها حتى على طغاة
 الحكام .

كما ان الطوائف والطح الادبية لها مكانتها في الدعوة فالداعية الناجح
 يستشهد بها لابرار معنى معين اوليروح بها عن سامعيه من الغيبة والغيبة
 لان القلب قد يمل والذهن قد يشرذم ، فالطرفة أثناء الحديث تجرد له نشاطه
 وحيويته .

والرسول صلى الله عليه وسلم قد امرنا بذلك في قوله :

(١)
 (روحوا القلوب ساعة وساعة)

وكان عليه الصلاة والسلام لين القلب ، رقيق الشمور ، يحب الدابة ،
 وما روى عنه ان امرأة جاءته تشكو اليه زوجها ، فقال لها صلى الله عليه
 وسلم : زوجك الذي في احدى عينيه بياض ، فخافت المرأة وظننت ان حادثة
 المتزوجها فاقدته احدى عينيه ، فخفف عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم
 وبين لها انها دابة ، وقال كل الاعين فيها بياض ، - يعني ان العين مكنوسة
 من بياض وسواد -

(١) رواه الديلمي عن أنس رضي الله عنه . راجع مستند الفردوس .

وكذلك قوله للمرأة المجوز التي جاءته فقالت : يا رسول الله ادع الله أن
 يدخلني الجنة فقال : يا أم فلان ، ان الجنة لا تدخلها عجوز ، فولت وهي
 تهكي فقال : اخبروها انها لا تدخلها وهي عجوز ، لان الله تعالى يقول :
 (١)
 انا انشأنا من انشاء فجملنا من ايكارا عرها اترابا)

هذه معان اراد رسول الله صلى الله عليه وسلم ايصالها للناس بطريقة

اللطيفة .

وللداعية الفطن استمطال الاساليب المناسبة الشرعية لايصال كل المعاني
 التي يريد ما لسامعيه ، وبالطريقة التي يراها اقرب الى القلوب وأكثر تأسيراً
 في النفوس .

(١) راجع الترمذى في كتاب الشاغل المحمدية ، باب ما جاء في صفوة
 مزاج رسول الله صلى الله عليه وسلم ص ١٢١ وما بعدها .

ثالثا : الثقافة الانسانية :

والقصد بالثقافة الانسانية تلك المعلوم التي تحاول ان تبحث قضاياها
الانسان من حيث هو كإنسان وتعمل على تفسير شعوره وحركاته ، وفرحانه
وغضبه ، وتفكيره وتطلعاته ، وما يحب وما يكره ، وتحاول ان تجد تفسيرها
لنوازع النفس البشرية من خير وشر ، ولماذا ينجح الانسان من الخير السي
الشر ، كما تعالج فطرة اليهودية عند الانسان الى غير ذلك ، كعلم النفس ،
والفلسفة ، والاجتماع ونحوها .

وطى الداعية ان يعلم بهذه المعلوم ليستطيع فهم الناس وخاصة أولئك

الذين تثقوا بهذه المعلوم واصبحت جزءا من حياتهم وتكوينهم الفكرى .

فعلى الداعية ان يبين لهؤلاء لاهمال اسلوب الذى يفهمونه ويتأثرون به ، وان

باتهم من الجهة التي تقنمهم وترد ما طلق في أذهانهم من شكوك .

وبذلك تزال الهوة الموجودة بين الدعاة والمثقفين بالمعلوم الحديثة اليوم .

وهذه المعلوم على درجة من الخطورة ان انها تخضع لكثير من التفسيرات والتأويلات

تتبعها للمدارس المختلفة التي توجهها ، لذلك نجد ان فيها افكارا يهودية

المصدر والغاية .

وكما تسربت معنا الاسرائيليات قديما في التفسير ، تسربت اليوم عبر هذه

المعلوم ، فمثلا نجد " فرويد " في علم النفس ، " ودوركايم " في علم الاجتماع

و " ماركس " في علم الاقتصاد ، و " دارون " في نظرية " النشوء والارتقاء "

وهكذا

فزاننا اهدانا الاسلام بافكارهم المنحرفة وبثقافتهم المشبوهة بحد ان انهبوا
الى حد ما مرحلة الفزوا المسكرى ، والفزوا الفكرى اخطر من الفزوا المسكرى
فاذا كان الاخير يحتل الارض والتراب فان الفزوا الفسكرى يحتل القلب
(١)
والفكر .

لذلك اصبح من الواجب ان تقدم هذه العلوم لابناء المسلمين باقلام
اسلامية مأمونة واعية ، مع الاستفادة مما توصل اليه الآخرون مما يخدم
الدعوة الى الله .

ففي علم النفس مثلا نجد ان اطباء من غير المسلمين توصلوا الى نتائج
ايجابية تخدم الداعية في دعوته ،

فقد اثبت الدكتور " هنرى لنك " الامريكى الجنسية في كتابه " العودة الى
الايمان " بحد ان أجوى أكثر من ثلاثة وسبعين الف اختار نفسى على
أكثر من عشرة الاف شخص ، خرج بنتيجة قال فيها :

" ان كل من يعتقد ديننا أو يتردد على دار العبادة يتمتع بشخصية اقوى
وافضل ممن لا دين له ولا يزاول اية عبادة "

ومثل هذا ما توصل اليه الدكتور " كارل يونج " في كتابه الرجس
" المصرى يبحث عن روح " قال فيه :

(١) راجع اساليب الفزوا الفكرى للعالم الاسلامى ، للدكتور على جريشه
والشيخ محمد شريف الزبيق .

وكذلك موضوع الدعوة الاسلامية ووسائل الاعلام ، للدكتور المشرف
عد المنعم حسنين ، مجلة الجامعة السنة التاسعة عدد ربيع الأول

" انه لم يجد مشكلة واحدة من مشكلات اولئك الذين بلغوا منتصف العمر لا ترجع في اساسها الى افتقاد الايمان والخروج على تعاليم الدين ولسم يبرأه واحد من هؤلاء المرض الا حين استعاد ايمانه واستعان باوامر الدين ونواهيها على مواجهة الحياة .

وينقل (ديل كارينجي) عن الدكتور (أ ، أ - بربل) قوله " ان المرء المتدين حقا لا يعاني مرضا نفسيا قط " (١)

هذه النتائج وط شابهها من حقائق يمكن ان يستغلها الداعية الناجح ويدعم بها دعوتها ، خصوصا انها من قوم فتن بهم وثقافتهم كثير من المشفقين المسلمين واصبح ما يأتي عن طريقهم مسلم به لا يحتاج الى نقاش . ومع ان الاسلام ليس بحاجة الى هؤلاء ولا الى غيرهم ليشبوا صحة منهجه وعظمة تعاليمه ، ولكن لا مانع من الاستئناس بأقوال الاخرين وبناتجهم ان وافقت منهج الدعوة وسارت مع أهدافها .

(١) راجع ثقافة الداعية ، للدكتور يوسف القرضاوى ص ١٢٣-١٢٤

والمقصود بها ما قام على التجربة والملاحظة وخضع للقياس والاختبار ،
كعلوم الكيمياء والفيزياء ، والجبر ، والهندسة ، والاحياء ، وطوم الارض ،
والفلك والطب ، وغيرها .

وليس من المطلوب التصق في دراسة هذه العلوم ، وانما على الداعية
الالمام بها عن طريق مطالعة الكتب الميسرة في هذه الفنون وما ينشر في
الجرائد والمجلات من مواضع نافعة .

وبعد ان اصبح العلم شريان الحياة المعاصرة والمحرك لمعظم مرافقها ،
وجب على الداعية أن يكون على بينة ما يدور حوله ، وان يستغل هذه المخترعات
من أجهزة وادوات وفق نهج سليم يخدم دعوته ويؤيد فكرته خصوصا بمسند
ان دخلت هذه الادوات معظم البيوت الفخمة منها والفقيرة .
ولا يجمل بالداعية ان يحبس في دنيا يسيرها العلم ويدبر كافة مرافقها
وهو لا يدرك الاولويات والاساسيات لهذا العلم .

مع العلم ان هناك حقائق علمية يمكن للداعية استخدامها في تأييد
الاسلام ونصرة قضاياه والذب عنه ، بدفع شبهات خصومه ومفتريات اعدائه ، من
ذلك : تقريب الحقائق الدينية من أفهام اهل العصر وتأبيد ها بمنطق
العلم التجريبي ، حتى ان أهم مقضايا العقيدة وأكبرها وهي اثبات وجود
الله ، يستطيع هذا العلم ان اخذ عن العمل فيه أن يقوم فيها بدور بناء
في ابطال شبه الملحدين والمشركين فيقيم الادلة على عظمة الله عز وجل
ودقة صنعه من خلال مخلوقاته كما فعل صاحب كتاب ، العلم يدعو الى الايمان
(١)

(١) لاركريس موديسون امريكي الجنسية .

(١)
 وكتاب : الطب محراب الايمان وكتاب الله يتجلى في عصر العلم وكتاب الاسلام
 (٢)
 يتعدى ،

(٤)
 وكتاب قصة الايمان بين الدين والعلم والفلسفة ، وكتاب مع الله في السماء ،
 (٦)
 وكتاب اسرار البحار وكتاب الله والعلم الحديث
 (٧)

-
- (١) للدكتور خالص كنجو سورى الجنسية .
 (٢) لمجموعة من المؤلفين الاسريكيين .
 (٣) لوحيد الدين خان هندي الجنسية .
 (٤) للشيخ نديم الجسر ، لبناني الجنسية .
 (٥) للدكتور أحمد زكي ، مصري الجنسية .
 (٦) لجان كوستو ، فرنسي الجنسية ، وقد ذكر لي الداعية عبد المجيد ،
 الزانداني حفلة الله ، بدار الحديث الحكمة في رمضان طم ١٤٠١ هـ . ان
 هذا العالم قد اشهر اسلامه بعد ان اكتشف احدي معجزات القرآن
 الكريم في قوله تعالى من سورة الرحمن (مرج البحرين يلتقيان بينهما
 برزخ لا يبغيان) وقال انه ثبت باستخدام الاشعة ان هناك فاصل بين كل
 بحرين عبارة عن مياه ثالثة تفصل بينهما كالحاجز حتى لا يتداخلان وعندما
 اخبره احد الملطاء الباكستانيين المسلمين الذين يحيطون معه بان هذا موجود
 في كتابنا القرآن وقرأ عليه الآية ، فقال ان كان هذا في القرآن السني
 أنزل على محمد منذ أكثر من أربعة عشر قرنا فوالله انه لحق وصدق ثم قال :
 أشهد ان لا اله الا الله وان محمد رسول الله .
 (٧) لعبد الرزاق نوفل .

وفيرها ، من اظهر عظمة الخالق جل وعلا وأثبت ان الدين حق وصدق .
 وكما تبحر الانسان بالعلوم واطلع على خبايا المخدوقات واسرارها وعجائبها
 كلما ازداد ايمانا بهه ومعرفة بخالقه .

وكان الطحدون والفلاسفة في الماضي ينفون ان يرى الانسان عمله في الآخرة
 بعد ان فرغ منه في الدنيا ، لان الاعمال اعراض والمرضى لا يبقى زمانين .
 ولكن بعد اكتشاف التسجيل والتصوير بانواعه المتقدمة التي تحصى على
 الانسان كل حركة من حركاته وكل كلمة يقولها ، اصبح رأى المنكرين مسرود
 عليهم بل قبحوا بكلامهم الذي اثبتت التجارب كذبه والحقائق بطلانه .

واصبح قوله تعالى : (يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا وما عملت من
 (١)
 سوء تود لو ان بينها وبينه امدا بعيدا ويحذركم الله نفسه والله روف بالمهاد)
 وقوله تعالى : (ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد)^(٢) واضح بين تفسير
 مستغرب ولا مستبعد .

كما باستطاعة العلم أن يود كثيرا من الأحكام الشرعية بمكتشفاته ومقرراته ،
 بهيان ما اشتطت عليه من جلب للمصالح ورد للنقاسد ، وبذلك يزداد الذين
 آمنوا ايمانا وثقة ، وتضمف شوكة المرتابين والمضللين . والأثلة كثيرة فالطلب
 خلا يمكن ان يعطينا صورة واضحة ما تجنيه جريمة الزنى من انتشار للاسراض
 التناسلية الخطيرة ، مثل الزغرى ، والتعقيب ، وفيرها من الأمراض الخبيثة والتي
 يصعب شفاؤها .

بالاضافة الى آثار هذه الجريمة على اختلاط الانساب وانحطاط الاخلاق
 وتد مير للاسر والمجتمعات ، تأكيداً لقوله تعالى :

(١) آل عمران : (٣٠)

(٢) ق : (١٨)

(١)

(ولا تقرها الزنى انه كان فاحشة وسا * سبيلا)

كما بإمكان الطب ان يحطينا فكرة واضحة عما تجنيه الخمرة أم الخبائث
والمخدرات بأنواعها من اضرار جسيمة على الافراد والمجتمع ، كذلك لحم الخنزير
وما فيه من استجلاب للدودة الشريطية التي قد تقتل صاحبها الى جانب
التأثير السلوكي على آكل لحم الخنزير ، ان تتقدم عند الغيرة على شرفسة
ولا يفض لانتهاك عرضه .

كما ان علوم الاحيا * ووظائف الاعضا * ، وطم التشريح يمكن ان يبين لنا حقيقة
الفوارق الفطرية بين الذكر والانثى وان هذا التفاوت لم يكن عبثا بل لحكمه
ارادها الله عز وجل لاعار هذا الكون وبقا * الجنس البشري وان تجاهل كل
جنس لفطرته التي فطره الله عليها ، وعطه اللائق به يهود باسوأ النتائج
على المجتمع بأكمله .

(٢)

وتذكر في هذا المضمار ما قاله الدكتور * الكسيس كاريل * وهو من

أقطاب العلم التجريبي في العصر الحديث ، يقول :

" ان ما بين الرجل والمرأة من فروق ليست ناشئة عن اختلاف الاعضاء

الجنسية ، كوجود الرحم والحمل ، او عن اختلاف طريقة التربية ، وانما تنشأ

عن سبب جد عميق وهو تأثير المضوية بكاملها بالمواد الكيماوية ومفرزات الغدد

التناسلية وان جهل هذه الوقائع الاساسية هو الذي جعل رواد الحركة

النسائية يأخذون بالرأى القائل بان كلا الجنسين الذكور والاناث يمكن ان

(١) في كتابه الانسان ذلك المجهول .

(٢) الاسراء : (٣٢)

يتلقوا ثقافة واحدة وان مارسوا اعمالا متماثلة ، والحقيقة ان المرأة مختلفة

اختلفا عميقا عن الرجل فكل حجيرة في جسمها تحمل طابع جنسها ، وكذلك

الحال بالنسبة الى اجهزتها المصوية ولا سيما الجهاز العصبي .

وقال أيضا : يخفل الناس طادة شأن وظيفة الولادة بالنسبة الى المرأة مع

ان هذه الوظيفة ضرورية لكامل نوعها ، ولذلك كان من الحمق والسخف صرف

المرأة عن الامومة ، فلا ينبغي ان يتلقى الفتيات والفتيان ثقافة واحدة ولا أن

يكون لهم اسلوب واحد في الحياة ولا مثل اطي واحد ،

وعلى المر بين ان يمتبروا الفروق الجسمية والعقلية بين الذكر والانثى وما بين

دوريهما الطبيعيين فيبين الجنسين فروق لا يمكن ان تزول ومن الواجب اعتبارها

في بناء العالم المتعدن " ١ . هـ

وهناك مجال آخر يمكن فيه استخدام حقائق العلم الحديث لتأييد حقائق

الدين ، وذلك بشرح وتمحيق معنى بعض النصوص وتوسيع نطاق فهمها ، بما

كشف عنه العلم الحديث من حقائق وما توصل اليه من نتائج .

فمثلا ذكر تعالى النحل وقال فيه : (يخرج من بطونها شراب مختلف الوانه)

(١)

شفا للناس ان في ذلك لايات لقوم يتفكرون)

فعالم الاحياء او الغذاء او الطب باستطاعته ان يكتب وبسعة عن عالم

الوانه وفوائده وما فيه من شفا . تأكيدا لقوله تعالى فيه شفا للناس وكذلك

(٢)

باستطاعة العالم ان يفيش في قوله تعالى : (انا كل شىء خلقناه بقدر)

(١) النحل : (٦٩)

(٢) القمر : (٤٩)

فيحدث عن دقة التقدير في خلق الله وفي نظام الكون العظيم الذي وضع
الله له نسباً معينة بحيث لو حصل في هذه النسب اى خلل لادى الى دمار
هذا الكون على من فيه ، من مخلوقات ، فالمسافة بين الشمس والأرض مثلاً
لو كانت اقرب ما هي عليه ولو بشهر واحد لاحتقت الشمس كل ما على
الأرض ، والقمر أيضاً لو كان بابعد ما هو عليه الآن لفاصت الحياة في
جوف الأرض ولم يستطع الانسان لها طلب ، ولو كان اقرب ما هو عليه الان
لنمرت الحياة الارض مرتين في اليوم بما متدفق بزبح بقوته الجبال . . .
(١)
وهكذا . . .

ما يدل على روعة التقدير الرباني وعظمة صنعه لكل ما في الكون من مخلوقات .
(٢)
وفي قوله تعالى : (الذي اعطى كل شيء خلقه ثم هدى)
باستطاعه العلم هنا أيضاً ان يبين لنا سعة آفاق الهداية الربانية التي
شملت الكون ومن فيه ، سواء الانسان أو الحيوان او النبات أو الجماد .
ونضرب مثلاً عن مقدار الهداية الربانية في كيفية فداء المولود بمسند
الولادة ، فالثدي يفرز في نهاية الحمل وبدء الوضع سائلاً أبيضاً مثلاً
الى الاصفرار ، ومن عجيب صنع الله ان هذا السائل عبارة عن مواد كيميائية
ذاتية تقي الطفل من عدوى الامراض .

(١) راجع كتاب العلم يدعو الى الايمان ص ١٩١ وما بعدها .

(٢) سورة طه (٥٠)

وفي اليوم التالي للحيلاد يبدأ اللبن في التكوين ومن تدبير المدبر الأعظم ان يزداد مقدار اللبن الذي يفرزه الثدي يوماً بعد يوم حتى يصل إلى حوالي لتر ونصف في اليوم بعد سنة ، بينما لا تزيد كميته في الأيام الأولى على بضعة أوقيات .

ولا يقف الإعجاز عند كمية اللبن التي تزيد على حسب زيادة الطفل بل ان تركيب اللبن تتغير مكوناته وتتركز مواد هـ فهو يكثر في وقت مبكر من النشويات والسكريات في أول الامر ، ثم تتركز مكوناته فتزيد نسبتة النشويمة والسكرية والدهنية فترة بعد أخرى بل يوماً بعد يوم بما يوافق انسجة واجهزة
(١)
الطفل المستمر النمو

وهكذا نرى ان كل شيء هـ في هذا الكون قد هدى لغايته ويسر لنا خلق له ومنح ما يساعده على القيام بمهمته هـ
نجد ذلك هـ من أكبر جرم في الكون الى اصغر ما فيه هـ ومن المجرة التي الذرة .

ان الداعية الذي يحسن الاستفادة من الحقائق العلمية في خدمة دعوته يجد طريقة الى قلوب الناس ويقع كلامه موقع القبول والتقدير من قبل الشاكرين والمواوم فينجح في دعوته وتو هـ اكلها بان ربها .

(١) عبد الرزاق نوفل هـ الله والمعلم الحديث ص ٤٧-٤٨

خامساً : الثقافة الواقعية ،

وهي المستمدة من واقع الحياة ، فيط يدور من أحداث داخل العالم الإسلامي وخارجه .

والداعية الناجح عليه أن يلم بحالمة الذي يعيش فيه وما يقوم عليه من نظم ، وما يسوده من مذاهب ، وما يحركه من عوامل ، وما يضطرع فيه من قوى ، وما يجرى فيه من تمارات . والمتاعب التي يحانمها الناس وبخاصة في الوطن الإسلامي من ادناه الى اقصاه وما يسود فيه من أوضاع وما يقاس من صراعات ومشكلات ، أوجدتها الأيدي الحاقدة على الإسلام من يهودية ، و صليبية وشيوعية ، وماذا تحمل هذه القوى بالمسلمين في الأطن التي تسيطر عليها ، ان تذيبهم الخسف والمسف ، وتحرمهم من أبسط الحقوق الانسانية كهمض البلاد التي تمنع الرجل من ان يسي أولاده بأساء اسلامية أو عربية ، وفي الهمض الأغر يمنع المصلي من ارتداء القبعة البيضاء لانها رمز للتدين كما يمنع رفع الاذان بحكر الصوت ، واخرى تمنع النساء من اللباس الإسلامي ووضع الحجاب ، كما تحارب الشباب المؤمن وتتهمهم بشتى التهم والتي قد يودى بعضها الى الحكم عليه بالاعدام والموت .

ان على الداعية ان لا ينفل عن هذا ولا يسكت عنه ولا يكون كالنعامة التي تدس رأسها بالرمال حتى لا يراها الصياد .

كما على الداعية ان يكون على اطلاع كامل بالحركات الاسلامية المعاصرة ومقدار شمولها لهذا الدين ، وكذلك واقع الفرق المنشقة عن الاسلام وكيفية تشويهها لهذا الدين لتضليل الناس وصد هم عن الطريق المستقيم التي فيها ينجاهم وفلاحهم في الدنيا والآخرة .

ومن ضروريات الثقافة الواقعية ان يلم الداعية بلغة الهلاد التي يدعو فيها
 ليكلم الناس بلسانهم الذي يفهمون به ، ويدعوهم بالطريقة التي يتأثرون
 بها قال تعالى : (وما ارسلنا من رسول الا بلسان قومه ليهين لهم فيضل
 الله من يشاء ويهدي من يشاء وهو العزيز الحكيم)
 (١)

كما ان معرفة لغة من اللغات العالمية المشهورة هو أمر مهم في هذا
 العصر الذي اختلفت فيه الثقافات وتضاربت فيه تحاليل الاخبار عما يحدث في
 هذا العالم من أحداث وقضايا .

هذا ولا يخفى ان الثقافة لاتستمد من الكتب وحدها بل من مجموعة
 مصادر ، من وكالات الاخبار والصحف والمجلات وتحليل الاحداث ، ومن
 وقائع الحياة اليومية ومعايشة ما يجري من مستجدات ، لينزل الداعية
 يعيش في عصره ويتحرك على أساس ما يجري لمصلحة الدعوة .

اما الانطوائية والانعزالية فليست من صفات الداعية في شيء ، وانما هي صفة
 ضعف يلجأ اليها من اراد الهروب من واقع لايقدر على التأثير فيه ، وصفة
 جبن للمهروب من أحداث لا يستطيع مواجهتها .

وفسوق شاسع بين من يصمد لمواجهة الواقع ومقارعة الكفر والانحراف ، وبين
 من يولي دبره لمتحرفا لقتال وانما مؤثرا السلامة والعيش الرغد طسسى
 مقارعة الباطل وتحمل مشاقه ، معللا تقاعسه هذا بحمل لايقبلها عقل سليم
 لم يفقه هذا الدين ومنهجه القويم .

ان للفقه أهمية بالغة في حياة الداعية ، ولا يمكن للداعية ان يكون ناجحاً ما لم يطلع على قدر كاف من الثقافة الفقهية فيصرف الحلال والحرام ، وشئون العبادة ، والاسرة ، ونظام المعاملات ، الى غير ذلك من الامور التي يسأل عنها ويستفتى فيها من قبل الداعيين ، كما عليه ان يدرس فقه الدعوة واصولها ، وأن يكون متابعاً لما يجد من أمور تستدعي البحث والدراسة قبل اصدار الحكم عليها ، حتى لا يقع في المحذور ، أو يصبح من الذين يفتون بغير علم فيضل الناس بدل أن يرشد هم .

ومن فقه الداعية ان يواجه الاخطاء والانحرافات الموجودة بين المسلمين بعلم وروية ، لا بمجرد غضب واطافة .

فليس من فقه الداعية ان يلق الناس برأى ارتضاه لنفسه مع ان هذا الرأي فيه خلاف بين الأئمة وهو مجال للاجتهاد .

كما ان من الخطأ الفاحش أن يقف الداعية بين عوام الناس لمهاجم المذاهب والتمصب ، ويدعو الى الأخذ من الكتاب والسنة مباشرة دون الرجوع الى اقوال الأئمة لانهم بشر ، وممرضون للخطأ ، وقد يقدر في بعضهم اذا ما اشتد به الغضب ، دون تقدير لظروف المخاطبين الذين لم يسبق لهم ان سمعوا مثل هذا الكلام ، والذين قد يصابون بصدمة تؤدهم الى الورا بدل ان تدفعهم الى الامانة وتنقص حماسهم الديني بدل ان تزيد اشتعالا بسبب الشك الذي دخل الى نفوسهم من جراء ما سمعوا ان معرفة البيئة التي يدعو فيها الداعية أمر مهم وليس من الحكمة في شيء أن يخاطب الناس بما لا يفهمون بل أمور بأن يخاطبهم بما يفهمون ويمقلون ، والا يكون قد جنى على الدعوة والمدعوين

وخالف هدى سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم ، في الحديث الذي رواه علي

(١)

رضي الله عنه ونصه : (حدثوا الناس بما يعرفون اتحبون ان يكذب الله ورسوله)

وعن ابن مسعود رضي الله عنه (ما انت محدثا قوما حديثا لا تبلغه عقولهم الا

(٢)

كان لبعضهم فتنة)

ورسول الله صلى الله عليه وسلم قد غضب على الصحابي الذي كان يطيل

صلاته في الناس خشية تفريرهم ، كما ورد في الحديث الذي رواه ابن مسعود

الانصاري ، قال : (جاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول

الله اني والله لا تأخر عن صلاة الغداة من أجل فلان ما يطيل بنا قال :

فما رأيت النبي صلى الله عليه وسلم قط أشد غضبا في موعدة منه يومئذ ثم قال

يا أيها الناس ان منكم منفرين فايكم ما صلى بالناس فليوجز فان فيهم الكبير

(٣)

والضعيف وذا الحاجة)

فاذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد اعتبر من اطال صلاته أكثر مسا

ينبغي ، منفرا للناس ، فكيف بأولئك الذين يخالفون الناس بالتشجيع لروابطهم والتفريع

منهم ما لا يطبقونه بعد ان يشككوا في همة ايمانهم ويبطلوا أعمالهم التي قصدوا

بها مرضاة الله لمجرد خطأ وقع منهم بدون قصد .

(١) رواه البخاري - راجع فتح الباري ، ج ١ ص ٢٢٥

(٢) رواه مسلم .

(٣) رواه البخاري ، فتح الباري ج ١ ص ١٣٦

ان من فقه الدعوة ان يقدم الداعية الاعم على المهم وان يهتم بالاساس
قبل الفرغ ، وان لا يجعل الخلاف البسيط بين العلماء * خلافا كبيرا يؤدى الى
الفرقة والتناحر ، وتشتت وحدة المسلمين .

ان مثل هو * لا * يسيئون الى الاسلام وهم يظنون انهم يحسنون صنعا ،
ولو فقهوا حقا ليسروا ولم يحسروا ولحببوا الناس بالدين بدل ان ينفروهم
منه ، ولعلموا برأى العلماء * الافاضل الذى يقضى بان ازالة المنكر اذا ادى
الى ما هو اشد منه نكارة ، يسكت عنه لارضى به وانما خوفا ما هو اشد منه .
ان الدعوة الى الله اصبحت في هذا العصر فنا من الفنون التي يجب
على من يدخل ميدانها ان يتعلم هذا الفن ليكون داعية ناجحا محببا
ايجابيا لا منفرا سلبيا .

ان على الدعاة ان يعلموا انهم امام عدو شرس يملك من الامكانيات الشهي
الكثير ، ويستعمل في حرب الاسلام كل ما توصل اليه العلم الحديث من وسائل .
فعلى الدعاة ان يفتقروا على هذه الحقيقة وان يعدوا للامر عده ، وبأخذوا
بأسباب النجاح والمقاومة ، والا يكون حالهم اذا ارتضوا مجابهة العدو
بما يملك من وسائل حديثة بوسائلهم القديمة كمن يجابه مدفعا رشاشا بالقوس
والرمح .

ان الدعوة الى الله ليست بالسهولة التي يظنها بعض الناس .
ان طبيب الاجسام لا يحظى شهادة بالطب الا بعد سنوات طويلة من العمل
المتواصل الشاق ، والوقوف في المختبرات للتشريح والتحليل وبعد أن يجتاز
عدة اختبارات ليرى مقدار صلاحه لهذه المهنة الخطيرة .

فإذا كان طيب الجسد هذا حاله فكيف بطيب العقول والارواح الذي يحمل
على تغيير مفاهيم الناس وطاداتهم المخالفة للإسلام ويهدم ما عندهم من
جاهلية في الاعتقاد والتصرف ، ليبقى مكانها العقيدة الإسلامية النقية
الطاهرة ، فيخرج الناس من الظلمات الى النور ومن الضلال الى الهدى ،
انها مهمة شاقة وصعبة لا يقدر عليها الا من وفقه الله للصبر عليها ونذر نفسه
لله عز وجل ، وبذل في سبيل ذلك الغالي والرخيص . وعمل على الاخذ بكل
أسباب النجاح ، ثم احتساب ذلك كله عند الله تبارك وتعالى .

المبحث الثالث :الناحية التنظيمية .

ان من عوامل نجاح الدعوة أن يكون على قدر كاف من التنظيم والتخطيط لان التنظيم من أقوى عوامل نجاح الحركات . فكم من حركة سياسية وحزبية نجحت بحسن تخطيطها ودقة تنظيمها ، وأخرى فشلت بسبب الفوضى والارتجال . وطبيعة هذا الدين القويم تأهبي أى شكل من أشكال الارتجال الذى يجرسى الفوضى وسوء العاقبة ، مع انه لا يوجد في الدنيا منهج عني بتنظيم دقائق الحياة الانسانية سوا العامة منها أو الخاصة ، كما عني بها الاسلام . ومع ذلك نجد ان الدعوة الاسلامية ما زالت تعاني من ضعف الامكانيات التنظيمية في اجهزتها المختلفة ما بسبب في كثير من الاحيان استنفاد الجهود وضاع الاوقات دون ما كبر فائدة .

والله عز وجل لم يحف المسلمين من التنظيم في احلك الظروف وأشد ها بهل أمرهم به وبدقة متناهية اذا طلب منهم اقامة الصلاة في ميدان المعركة ، وهم يجاهدون الاعداء لاعلاء كلمة الله ، على الصورة التالية .

قال تعالى : (واذا كنت فيهم فأقمت لهم الصلاة فلتقم طائفة منهم معك ، وليأخذوا اسلحتهم فاذا سجدوا فليكونوا من ورائكم ولتأت طائفة أخرى ليم يصلوا فليصلوا معك وليأخذوا حذرهم واسلحتهم ود الذين كفروا لو تغفلون عن اسلحتكم وامتعتكم فيميلون عليكم ميلة واحدة ولا جناح عليكم ان كان بكم اذى من خطر أو كنتم مرضى ان تغطوا اسلحتكم وخذوا حذرکم ان الله أعد للكافرين عذابا مهينا)

(١)

(١) النساء : (١٠٢)

ولقد ذكر لنا القرآن الكريم عن يوسف الصديق عليه السلام ، كيف خطط ونظم
 بعد ان أدرك من الروء بما التي رآها ملك مصر خطورة الواقع المقبل ، فوضع
 خطة طاجلة للممل (قال تزرعون سبع سنين دأبا فما حصدتم فذروه فسي
 سنهلة الا قليلا ما تأكلون ثم يأتي من بعد ذلك سبع شداد يأكلن ما قدمت
 لهن الا قليلا ما تحصنون ثم يأتي من بعد ذلك عام فيه يفاث الناس وفيه
 (١)
 يمضون)

وكان عليه السلام ، لما اعطاه الله من علم وتقوى ، يرى من نفسه انه على قدر
 المستوى المطلوب للمرحلة المقبلة تنظيما وتنفيذا .

(وقال الملك اثنتوني به استخلصه لنفسي فلما قال انك اليوم لدينا مكسبن
 امين قال اجعلني على خزائن الأرض اني حفيف ظم)
 (٢)

وكان عليه السلام خير من يقوم باعمال المسئولية في ساطات المسرة ، وفي
 أحلك الظروف التي مرت بها البلاد ، فاشمرت جهود المباركة حتى وصلت
 آثار بركته الى خارج الأرض المصرية ، فجاة الناس يطلبون عونته على جذب
 بلادهم وقحطها .

هذا ما فعله يوسف عليه السلام لمواجهة هذه المرحلة الصعبة وهو عليه
 السلام واحد من الرسل الكرام الذين امر الله رسوله محمد صلى الله عليه وسلم

ان يقتدى بهم فقال تعالى :

(٣)

(اولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده)

(١) يوسف : (٤٧-٤٨-٤٩)

(٢) يوسف : (٥٤-٥٥)

(٣) الانعام : (٩٠)

وسيرة نبيها الكريم صلى الله عليه وسلم حافلة بنماذج فريدة من روعة التخطيط
ودقة التنظيم ، فخراه عليه السلام في بدء ^{كيف} دعوته كان يلتقي سرا بالصحابنة
الكرام في دار الأرقم بن أبي الأرقم ، ثم كيف بايع الانصار في العقبة الاولى
والثانية ، وبمهم ان هاجر كيف جاء الى بيت الصديق رضي الله عنه في وقت
ما اعتاد ان يأتيه فيه ، وكيف خرج من جهة لا يرى منها ، وفي وقت لم يكن
يخطر على بال المشركين ثم جلوسه بالخار ، وسلوكه بعد ذلك طريقا
غير الطريق المعتادة . وبعد وصوله الى المدينة كيف اقام المسجد ثم
أخى بين المهاجرين والانصار ، حتى عمت المحبة والاخوة بينهم وبلغت
مهلما فاقت فيه اخوة النسب ، ونراه كيف حدد العلاقة بين مسلمي المدينة
وغيرهم وجعل سوق المسلمين مستقلة عن سوق اليهود ، فحل بذلك وغيره
كثيرا من المشكلات ، ووضع أسس العلاقات في المجتمع الجديد ، ثم انظر
كيف سار خطوة فخطوة حتى مكن لدين الله ، فسار باصحابه في مكة من
دعوة سرية الى جهرية ، ومن اقامة الى هجرة ، ومن صبر على الاذى الى
مقارعة المدو ورد عدوانه ثم غزوة في عقر داره .

وفي القتال مع المدو نراه عليه السلام كيف كان ينظم الجيش ويمسك
القادة ، فيقول يحمل الراية فلان فاذا استشهد فلان فاذا استشهد
فلان ، وهكذا .

وفي معركة أحد نراه كيف أكد على الرماة الذين وضعوا على الجبال
لحماية ظهر الجيش ، بعدم مفارقتها مهما كانت نتائج المعركة ، ولو انتصر
المسلمون .
ولقد ظهرت نتيجة هذا التخطيط (الاستراتيجي) عندما نزلت معظم عناصر
المجموعة التي امرت بعدم النزول ، وكيف اثار المدو على المسلمين في هذه

الشجرة التي اصبح ظهر المسلمين فيها مكشوفة للعدو .

وفي غزوة الاحزاب نراه عليه الصلاة والسلام كيف احاط المدينة بخندق كبير كي يمنع دخول الاعداء ويحفظ حيا المدينة وأهلها . وكيف ارسل نعيم بن مسعود ليخذل القبائل عن حرب المسلمين ، وكذلك ارساله حذيفة بن اليمان لاستطلاع خبر قريش في الليلة الثانية الباردة وامره ان لا يحدث شيئا حتى يخبر رسول الله ، ويعد ان جاءه باخبارهم وانهم عزموا على الرجوع الى مكة قال حذيفة كان بإمكانني ان اقتل ابا سفيان بالرمح لقربي منه لولا وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم .

الى آخر ما هنالك من مواقف بطول حصرها تجلت فيها دقة التنظيم وروعسة التخطيط .

(١)

والدعاة اليوم بحاجة الى التأسى برسول الله صلى الله عليه وسلم في كل أموره ، والله عز وجل قد أمرنا بذلك في قوله تعالى :

(لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر
(٢)
وذكر الله كثيرا)

(١) راجع في هذا المجال كتاب الرسول القائد ، اللواء الركن محمود شيت خطاب .
وكتاب ، دروس في العمل الاسلامي ، للشيخ سعيد حوى - وكتاب التخطيط
للدعوة الاسلامية للمستشار الدكتور طي جريشه .

(٢) سورة الاحزاب : (٢١)

ان الاسلام وهو يواجه اليوم التحدى العارم والتخطيط الدقيق من قبيل
اعدائه ، اصبح لزاما على الدعاة اليه ان يأخذوا بكامل اسباب النصر
ويتحركوا ضمن اطار من دروس منظم حتى لا تنزل اقدامهم ، ولتودي جهودهم
شارها الرجوة من اعلاء كلمة الله ورفع راية الحق ، وتتكيس راية الباطل ، بعد
افشال مخططات اصحابها سبها كانت امكانياتهم كهيبة ، دون خوف أو وجل
طالين بقوله تعالى :

(الذين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم ايمانا
(١)
وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل) .

الفصل الثالث :

نقد الواقع القائم والاتجاهات المنحرفة الموهجرة فيه

يمر العالم الاسلامي اليوم بظرف صعب ، حيث اجتمعت دول العالم على حرب الاسلام واهله بكل الوسائل المتاحة لها ، وبكل الاساليب المستحدثة .
 والمسلم الواعي يدرك حقيقة هذا الوضع وخطورته ، وانه هو المستهدف ، فكرا ، وروحا ، وجسدا ، والذي زاد الامر خطورة ان اعداء الاسلام لم يكفوا بحربه هم بل سلطوا على المسلمين اناسا من جلدتهم ، ويتكلمون بالسنتهم اذ اقروهم الهوان ، والتشريد ، وفعلوا/ما لم يسبقهم اليه اليهود ولا الصليبيون ،
 ووضحت ديار الاسلام وفي معظم اقطارها تنوء باوزار هو لا الطارقين الذين نصبوا انفسهم على رؤس العباد رفا عن انوفهم ، واستبدلوا حكم الله بحكم الطاغوت ، ورحمة الاسلام وعدله بظلم الطغادين وجورهم ، وابعدوا الصالحين الاتقياء عن مصالح الامة واحلوا محلهم الفسقة والسفهاء حتى عم الفساد وظنى .

ولم يقتصر الفساد على ناحية واحدة من نواحي الحياة بل استشرى في كل النواحي وتخلل الانحلال كل خلية من خلايا الحياة البشرية .

ففي الحكم :

اقصي القرآن عن منعة الحكم واستبدل شرع الله بشرائع وضعية ، وضمتها ، فرنسا واميركا وبريطانيا ، بل ان بعض القوانين الفرنسية التي ألغيت في فرنسا نفسها لعدم جدواها ، ولقدماها ، ان وضعت من أيام نابليون بونابرت ما زالت مطبقة حتى اليوم في بعض الدول المرهبة التي لم تنزل متمسكة بها وتدافع عن عدم

(١)

تغييرها أو تعديلها وكأنها قانون مقدس لا يجوز المساس به .

ولميت الأمر عند هذا الحد بل ان بعض الدول قد سنت بحق شعوبها قوانين وحشية جائرة ، لم تسنها الدول المستعمرة نفسها بحق من استمروهم من الشعوب ان حكمت بالموت والابادة على كل من يشتبه به بانه ينتمى الى تنظيم أو جماعة تعارض نهج الحكم في تصريف أمور الدولة ومصالح الناس ، مما كان هذا الحاكم على ضلال وصي وسوء تصرف .

وعلى الصعيد السياسي :

فشلت الاتجاهات القومية في اقامة اى شكل من اشكال الوحدة أو الاتحاد حتى بين الاقطار التي تتبنى حزبا واحدا وترفع شمارا واحدا .
 واصبح الشرق الاسلامي ممزقا بعد ان ضرب الاسلام فيه بتوجيه اللكمات الوحشية الى طلائع البحث الاسلامي ، وتشتت الامة احزابا وشيما ، وكل حزب بما لديهم فرحون . وعمل اعداء الاسلام على اشاعة النعرات الجاهلية والنزاعات القبلية ، فظهر في مصر النعرة الفرعونية والتفاخر بأوثانها " كما بسد أبي سنبل " و " الاهرامات "

(١) اخذ بالذكر من هذه الدول ، الجمهورية اللبنانية ، راجع رسالة الماجستير التي كتبتها بعنوان : المسلمون في لبنان في ضوء تاريخهم منذ عهد الاستقلال حتى بداية عام ١٩٨٠ م تحت فصل " مصدر الدستور اللبناني ونشأته " .

وفي لبنان وسوريا ظهرت الدعوة الى الفينيقية والتفتى بامجادها .
وفي العراق ظهرت الدعوة الى الكلدانية والاشورية وتلتها دعوات مشبوهة
باسم الانقاذ ، كان وراءها ايد صليبية حاكمة ، ارادت ضرب الامة الاسلامية
في معتقدها وتشتيت وحدتها ، فأسس " ميشال غلق " وهو نصراني
حزب البعث العربي الاشتراكي . وأسس " انطون سعادة " وهو نصراني حزب
القومي السوري الاجتماعي " وتزم " قسطنطين زريق " وهو نصراني حزب
القوميين العرب " وتبناه بعده تلميذه النقيب " جورج حبش " والممصروف
ان " لورنس " رجل المخابرات الانجليزية كان وراء الدعوة الى القومية العربية
قاصدا بذلك القضاء على الوحدة الاسلامية ،

ولقد صرح بذلك في كتابه اعدة الحكم السبعة ، قائلا :

(لقد كنت اؤمن بالحركة العربية ايمانا عميقا وكنت واثقا قبل ان أحضر الى
الحجاز انها هي الفكرة التي ستمزق الخلافة العثمانية ، شذر مذر)
ثم قامت الحركات الاشتراكية والشيوعية التي تزعمها اليهود والنصارى واشرفوا
على تنفيذها . (٢)

ففي لبنان وسوريا اسس الحزب الشيوعي عام ١٩٢٤ م كل من يوسف بزيك ،
وفؤاد الشامي ، وهما نصرانيان ، بأشراف اليهودي " جوزيف بيرجر " ومساعدة
اليهودي " الياهو تيجر "

(١) لورنس ، اعدة الحكم السبعة ،

(٢) راجع الماركسية والغزو الفكري ، لمحمد جلال كشك واخطر من الفكرة
للمؤلف نفسه .

(١)
وفي العراق اسس الحزب الشيوعي ثلثة من اليهود فكان المسئول عن الكتب

السياسي للحزب في بغداد عام ١٩٤٧ م اليهوديان ، يوسف زلون ويهودا

صديق ، واصبح يوسف زلون فيما بعد مسوؤلا عن تنظيم مدينة البصرة .

ومن تناوب على تحمل مسئولية العمال ، اليهوديان : " حزقييل صديق "

وموشى مراد كوهين " والمسئول عن مجلة " العصبة الشيوعية " اليهودى

" يوسف زلخه " وكانت لجنة الترجمة الرئيسية للحزب والتي يعتمد عليها

للتثقيف مكونة من ثلاثة أعضاء يهود هم : " ساسون دلال ، وموشى مختار ،

وابراهيم شاو " ول

وفي مصر تأسس الحزب الشيوعي على ايدى يهودية أيضا ان قام مندوسى

(٢)

" الكمترون " وهما يهوديان روسيان " افخيلينو " و " نادات " وانضم اليهما

انطون طارون وسلامة موسى وحسنى المصري ، ثم أسس الطيونير اليهودى

الايطالي الاصل " هنرى كوريل " منظمة اطلق عليها " الحركة المصرية للتحرير

الوطني " .

واسس اليهودى " هيلل شفارتس " منظمة ايسكرا " الشراة ، وتولى رئاستها

اليهودى " ايلي شوارتز " كما اسست اليهودية " مرسيل اسرائيل " منظمة تحرير

الشعب ثم انضمت " ايسكرا " الى الحركة المصرية للتحرير الوطني تحت زمامة

اليهودى " هنرى كوريل " وصارت تعرف باسم " حدتو " واصدرت صحيفه

اسبوعية باسم الجماهير "

(١) حول تشكيل الحزب الشيوعي العراقي وغيره من الاحزاب التي أسسها

اليهود وادونها بكل ما تحتاج اليه راجع كتاب تجربتي في الحزب الشيوعي

لمالك سيف - وكذلك كتاب حقيقة الشيوعيين في العراق لخلدون ساطع الحصرى

(٢) الكمترون : مؤسسة روسية شيوعية ، للاشراف على الاحزاب الشيوعية فسي

العالم .

ومن المنظمات الشيوعية التي ظهرت في مصر منظمة " دال شين " التي كسان

رئيسها اليهوديان ، يوسف درويش وريحون دويك ، ومنظمة مهم شين مهم التي

(١)
كانت ترأسها اليهودية " ادريت سلامون "

وهكذا نرى ان معظم مؤسسي الاحزاب المخالفة للاسلام كان وراءها

ايدي يهودية بغيضة أو صليبية حاقدة ، ارادت ضرب الاسلام بالصمم وفتحت
وحدة المسلمين ليتسنى لها الوصول الى اهدافها الدينية واطماعها التوسعية .

وطى الصعيد الاقتصادي :

اخفقت النظريات المستوردة رأسالية كانتام اشتراكية في ايجاد مجتمع

الكفاية والمدل ، الذي اشبهت الناس وعودا به . بل ان هذه النظريات

اصابت من الاقتصاد الوطني مقلته مما ادى الى عدم الحياة التجارية

والصناعة والزراعة في أكثر من قطر .

أما طى الصعيد المسكوى :

فان الهزائم المتلاحقة التي منيت بها الامة ، تؤكد بما لا يدع مجالا

للسك عجز الانظمة القائمة طى مواجهة التحديات الموجودة ، أو تهيب

الاجواء المناسبة لمثل هذه المواجهة ، فضلا عن اعداد الامة الاعداد المناسب .

وهكذا اصبحت الامة في حالة ضياع بسبب بعدها عن منهج الله وتحكيم

شرعه ، فحلت بها الكوارث والنكبات ، ونزلت بساحتها الهزائم تترأ ، ولم تكن

الامة لتصل الى ما وصلت اليه عمثا بل كان ذلك حصاد ادبارها عن الله

(١) بخصوص تشكيل الاحزاب الشيوعية في العالم العربي راجع كتاب : الكيسد

الأحمر ، لعبد الرحمن جنكه الميداني ، ص ١١١ وما بعدها .

وكذلك كتاب تجربة عربي في الحزب الشيوعي لقدري ظمجي ص ٦٢ ٢

وما بعدها .

وتصرد ما على حاكميته ، وتتكربا لمنهجها في الحياة ، وعودتها الى الجاهلية الاولى من جديد .

والواقع ان ما أصاب المسلمين لم يكن صدفة بل كان فتية تخطيط دقيق من قبل اعداء الاسلام ، تكاثفت فيه كل القوى الشريرة ، فمن حركات شموية الى اتجاهات مادية الى مخططات صهيونية ، الى جميعات ماسونية الى اقلام استخبارات اجنبية والى ما لدى هذه الجهات والاتجاهات من امكانيات مادية ووسائل اعلامية .

وفي الحياة الاجتماعية :-

حصل التفسير على أكثر من صعيد ، وادخلت معاملات وطادات غريبة عسنت عالمنا الاسلامي ومخالفة لشرعنا الحنيف .

فعلى صعيد المعاملات : حل الربا الحرام محل التعامل الحلال في كثير من المعاملات ، ونقص المكالم والميزات ، واستطعت الدعاية اسلوبها فسي ترويج البضاعة ، والفش ووسيلة لزيادة الربح اضافة كما استفحل الحلف بالله لانفاق السلعة .

وعلى صعيد المعاملات : استبدل الحياء والحشمة في النساء بالتبرج والاختلاط ، واستبدلت الرجولة والشجاعة في الرجال ، بالتخنث والجموعة ، وانتشرت أنواع من الألبسة واشكال من الموضات اثرت في الهدام وفي السلوك بشكل لم تعد تستطيع فيه التمييز بين الفتاة والشاب في كثير من الاحيان .

وادخلت المرأة كسلاح في المعركة ضد الاسلام وزج بها في جحيم الشمارات

الخادعة بدعوى تحريرها من بيتها وتحريرها من لباسها المحتشم ومن عاداتها الشريفة لتسير وراء شهوات المنحرفين ولتصبح سلعة رخيصة لكل مشتر بمد أن كانت غالية صانها ربحها وجعلها أعظم مدرسة لتخريج الاحمال ، وصنع الا بطل .

لقد اراد دعاة تحرير المرأة ، من المرأة المسلمة كشف ما أمر الله به أن يستر ، وهتك ما أمر الله به أن يمان لتقدم قربانا زهيدا على مذابح شهوات اليهودية ومخططاتها ودخلت معاول الهدم عن طريق الاعلام الذي يسمى الفاحشة فنا ، والفجور علما ، والعري تقدا وحضارة ، والانحلال والتهتك ادبا فابتدعوا ادب الغرائب والغوا فيه الاشعار الفاضحة ، كما ابتدعوا ادبا اسسوه " عبودية الحب " ملأوه شركا وكفرا ، ومهارات يحجبها الذوق السليم وينفر منها كل من كان عنده بقية من حيا ، وأرادوا بذلك تخدير مشاعر الناس ليستثيخوا للذلل بعدما يفرقونهم في حضيض الشهوات ومستنقع الطنذات ، ليسهل على عدوهم تدبيرهم وانزالهم . وساهم في هذا الادب المدمر مسجع الاسف كافة وسائل الاعلام من اذاعة وتلفزيون ، وسينما ، ومسرح ، وكتب ، ومجلات ، وصحف . ومن معاول الهدم التي استعملت في تفتيت وحدة الامة الاسلامية وتشتيت اواصرها ، الدعوة الى احلال المامية محل اللغة العربية الفصحى ، لابعاد لغة القرآن عن مظاهر التعلم ومن ثم استبدالها بالللهجات المحلية التي تختلف من منطقة الى منطقة في قطر واحد فما بالك بجميع الاقطار ، كما ظهرت دعوة اشد خطورة وهي الكتابة بالحروف اللاتينية بدل حروف اللغة العربية ، ومن الذين تولوا كسر ذلك سعيد عقل ، الشاعر اللبناني ، الذي دعا الى

"علقة لبنان" من خلال استعادة مجد الحضارة الفينيقية ، وممارسة أعلى لهجتهم المحلية التي تعبر في نظره عن الاصاله والشخصية المميزة ، وألصف كتابها بالحروف اللاتينية اسما "بارا" كما اصدر مجلة اسماها "مكارت" تيمنا باسم احدى آلهة الفينيقين .

ثم طالب بقطع كل صلة باللغة العربية الفصحى وقال " ان اللغة التي لا تتداولها الالسنه هي لغة كتب عليها الفناء " واران بذلك الوصول الى القرآن الكريم مسن خلال طعمه باللغة العربية الفصحى .

(٢)

ولكن هذا وامثاله نسوا أو تناسوا ان لغة القرآن الكريم اذا حرت منها السنتم فانها لا تزال حية في قلوب المسلمين وارواحهم ، وتلجج بها السنتم في كل لحظة من لحظات حياتهم ، سواء قراءا و القرآن في صلاتهم المكتوبة أو في النوافل ، او في السنن والاذكاره بل ان لغة القرآن ومعانيه وذكوره الله عزوجل لا يغيب عن اذهان المسلمين قطه ، انهم امروا بذكره تعالى والاستمانة به في كل عمل يملونه أو حركة يقومون بها منذ ان تنفتح اعينهم لاستقبال فجر يوم جديد الى ان يداعب الكرى تلك الاعين ايذانا بانتهاء ذلك اليوم .

(١) ويقصد بمطقة لبنان : ان يصبح لبنان عملاقا ، شأنه شأن الدول الأوروبية التي تمتد المثل الاطى في نظره ، ولا سهيل للوصول الى ذلك في زعمه الا بمودته الى احيا لغته الخاصة ولهجته المحلية المرهقة .

(٢) كشف الباحثون عن فساد اللهجات العامية وعجزها عن ان تحمل "اللغة" ذلك ان العامية لم تلبغ من النضج والضببط والاحكام مستوى اللغة العربية الفصحى ، فهي بدائية خام بعيدة عن الصقل لم تمرن على النهوض باعلاء الحياة المالمية والفكرية بينما كانت الفصحى حاملة لرسالة المعلم والادب والفلسفة قرونا طويلة ما اكسبها صقلا ومرونة وتجاوبا مع الفكر والشعور في مظهرها الرفيع .
(أنور الجندى ، الاسلام والدعوات الهدامة ع ٢٦٨)

ورسولنا محمد صلى الله عليه وسلم لم يترك أمراً من أمور الحياة الأساسية الا وجعل له دة ، ليظل لسان المؤمن من رطبها بذكر الله تبارك وتعالى ومستحضراً خشيته .
والدعوة الى احلال العمامة محل الفصحى لم تكن حديثة العهد بل بدأت منذ عام ١٩٠٢م عندما ألف القاضي الانكليزى " ويلمور " كتابها بالعمامة اسمها " لغة القاهرة " وتبعه " ويلكوكس " المهندس الانكليزى الذى ترجم الانجيل الى اللغة العمامة ، عام ١٩٢٦م وسار على هذه الطريق اناب المستمريسن امثال " احمد لطفى السيد " الذى دعا الى تصير اللغة العربية " وسلامه موسى " ، و " قاسم أمين " الذى نعى على الفصحى صموبتها بقوله :

(١)

" ان الاوروبى يقرأ لكى يفهم ، ونحن نفهم لكى نقرأ)

كما ظهرت نزعة في مصر لاستبدال الحرف العربي بالحرف اللاتيني فسي الكتابة والذى تولى هذه النزعة المدعو " عبد العزيز فهمي " .

(٢)

كما شنت الحرب على قواعد اللغة العربية باعتبارها لا تواكب سهولة العصر الذى نحن فيه ومن أقطاب هؤلاء " طه حسين " الذى قال في محاضرة القاها سنة ١٩٥٥م : (اذا كان النحو مستحياً الى الاخصائين فمن الحق أن

(٣)

يفرض على الشباب في القرن العشرين)

(١) محمد محمد حسين . الاتجاهات الوطنية في الادب المعاصر ج ٢ ص ٣٥٠ وما بعدها .

(٢) المرجع نفسه ، ج ٢ ص ٣٤٥

(٣) صادق أمين ، الدعوة الاسلامية فريضة شرعية ص ١٨

والغرض من محاربة اللغة العربية الفصحى قد أوضحه "وليم جيفور" بصورة سافرة
عندما قال : " متى توارى القرآن ومدينة مكة عن بلاد العرب تمكنا حينئذ ان نرى
العربي يتدرج في سبيل الحضارة - يعنى الحضارة النصرانية - التي لم يعمده
(١)
عنها الا محمد وكتابه "

وتوجه الهدم كذلك الى الشعر العربي فدعوا الى نهد القافية والوزن حتى
لا تقيد الاحاسيس والمشاعر ، واستصغروا من يقيد احاسيسهم بجمه أو قافيه ،
وكان على رأس هؤلاء " بدر شاكر السياب ، ومحمود درويش ، وسليح القاسم ،
ونزار قباني ، وسعيد عقل .

كما توجه الهدم الى التشكيك بمصادر التشريع بدأها " طه حسين " بكتساب
(الشعر الجاهلي) الذي حاول فيه انكار وهانية القرآن وادعى ان رقة القرآن
المدني راجعة الى تأثير اليهود فيها ، ارضاء لاسنانة اليهودى " دوركايم " .
وكان يحرض غلبته على نقد آيات القرآن باعطاء رأيهم في قوتها أو ضعفها بـ
ادعى ان الدين نبت من الارض ولم ينزل من السماء كما استهل حياته الادبية
(٢)
بانكار نبوة ابراهيم واسماعيل طيبها السلام .

كما اتجه الهدم الى السنة النبوية المشرفة ، فحاولوا التشكيك بصحتها
فألف " ابوريا " كتابا اسماه " اضواء على السنة المحمدية " ملاء بالتضليل
والافتراءات ، وتبعه " صالح أبو بكر " الذي كتب كتابا بعنوان " تنقيح
البخارى من الاسرائيليات ، كما كتب المدعو " عبد الوارث كبير " في مجلة العربي

(١) انور الجندي ، الموسوعة الاسلامية ، مجلد ١٦ ص ٩٨

(٢) انور الجندي ، في مقال بعنوان ، بين طه حسين ومالك بن نبي ، مجلة
المجتمع عدد ٢٣٢ .

سلسلة مواضع بعنوان " ليس كل ما في البخارى صحيحا " وكان " جولد
تسهر " قد سبقهم بالطعن في الصحابي الجليل ابي هريرة رضي الله عنه .
الى آخر ما هنالك من سار على هذا المنوال في التشكيك والتضليل للناسل
من الصرح الشامخ لهذا الدين الكريم بالطعن في صحة مصادره الاساسية ،
الا ان الله عز وجل قد قبض لدينه من يحفظه ويدافع عنه وعن سنة نبيه محمد
صلى الله عليه وسلم .
(١)

وحاولوا الهدم في التاريخ الاسلامي ، فتولى فيليب حتي ، وجورجي زيدان ،
وقسطنطين زريق ، وهنرى لامنسى ، وبروكلمان ، وجب ، وغيرهم تشويه
التاريخ الاسلامي وتفسيره ماديا واثاروا الشبهات حوله لتضليل الشعوب
الاسلامية التي تأثر بها الكثير من الشباب المثقف الذي يدرس في الغسرب
بل تأثر بها مع الاسف بعض الذين يدرسون الدراسات الاسلامية المتخصصة
ووقعوا في شركها عن حسن نية ودون ادراك لخطورتها .

اما التدبير عن طريق التربية ومناهج التعليم ، فالظاهج مع الاسف وفي
معظم الدول الاسلامية قائمة على وضع الحواجز بين الانسان وربه ، ووزارات
التعليم في معظم الدول الاسلامية اصبحت تستحي من فرض مادة الدين الاسلامي
في مدارسها احتراماً لشعور القلة النصرانية في زعمهم .

وانا ما وجد من أصحاب الدين والخلق من يطالب بضرورة وضع مادة
الدين في المنهج واستجيب له ، فانما توضع في اوقات غير مناسبة كأنه تكسسون
في آخر حصة من النهار بعد أن يكون الملل والضجر قد سيطر على الطلاب ،

(١) راجع في الرد على شبه المستشرقين وانابهم من العرب وغيرهم فسي
السنة النبوية ، الكتاب القيم " السنة ومكانتها في التشريع الاسلامي " .
للمرحوم الدكتور مصطفى السباعي ، وكذلك كتاب السنة المفتري عليها
لسالم البهنساوي .

كما ان حضورها لا يكون الزاميا كالمواد الاخرى بل هو اختياري ، ولا تأثير لها في درجات النجاح ان لا درجة لها في الاختبار .

من هنا نرى ان وضعها بهذه الصورة هو تشويه لها وانتقاص لقدرها . هذا وفي حين تهمل مادة التعلم الديني في المدارس الحكومية فان المناهج المعمول بها في معظم الدول الاسلامية ما زالت تدرس نظريات دارون وفرويد ، وهيجل ، ونيتشه ، على انها حقائق علمية قدمت لصالح البشرية ، وتطورها ، على الرغم من فشل هذه النظريات وظهور فسادها وبطلانها .

ومن هنا يظهر ان ما وصلت اليه الدول الاسلامية لم يكن عشا ، بل كان نتيجة طهيمة للمواثيق التي تكاثفت فيها على هذه الامة محاول الهدم من كل مكان ترهد النبل من عقيدتها وابعادها عن دينها الذي به عزها وكرامتها .

ففرق اعداء الاسلام كلمة الامة الاسلامية وشتتوا جمعها ، ولقدرات دليس ذلك في ضعفها وانقسامها الى دويلات مختلفة الالهواء والمشارب ، وتنهيبها احزابا وشعارات غريبة ^{عنها} لمناقضة لمقيدتها وسلوكها ، فضمفت شوكتها امام اعدائها حتى طعموا بها وحاربوها بدولة مسخ وعصبة من شذاز الافاق فاذاقتهم وبال امرهم حتى اصبحوا اضحوكة امام العالم ، ان سلطت عليهم فتضرب اليوم شرقا وغدا غربا ثم جنوبا ثم شمالا ولم نجد من يجرؤ على صد ^{عنها} او الرد على عهدها . . . (١)

(١) اذكر هذا بعد مضي ستون يوما من فزو اسرائيل للبنان حتى وصلت قوات اليهود الى بيروت الغربية حيث يقطن المسلمون . واحتلت لوطان الدولية =

.....

= وقد افادت آخر الانباء عن الخسائر البشرية انها بلغت حوالي عشرة آلاف
قتيل وجريح اما الخسائر المادية فلا تحصى ان دمر معظم احياء مدن صيدا
وصور وبيروت الغربية كما اهدت ثمانية مخيمات يقطنها اللاجئون الفلسطينيون
ومع ذلك كله لم نسمع الا الاستنكار والشجب للمدوان ومن وراء المسدوان،
عدونا يعمد يهدم ، ويقتل ، ويفتك ونحن نستنكر ونحتج ونشجب .

وكان المسلمون اليوم صاروا من جهلهم بالدين وعجزهم في الدنيا على اخلاق
المبهد تطأطى " رو " وسهم فلا يندى لهم جيون ، وتقص اطرافهم فلا يحس
لهم انف ، وتغزل بهم الشدة فيتخاذلون تخاذل القطيع طث فيه الذئسب ،
ويخير عليهم العدو فيتواكون تواكل الورثة لاب بهم الحسد ، وتجمعهم
الخطوب ففرقهم الطمع والهوى ، وانا ما اجمعوا امرهم فهو للشكوى والتباكي
امم مجلس الامن أو الامم المتحدة ، وهناك يغذليهم العدو ومن حسبوه
بالاس صديقا وفيما .

كيف وصلنا الى هذا الضعف والاسلام دين القوة والعزة ، كيف وصلنا الى
هذا الحد من التهميه وديننا دين القيادة والسيادة .

ان الذى اوصلنا الى ما نحن فيه هو الجهل بالدين ، وظغيان حسب
الدنيا على الآخرة ، والخوف من الايذاء في سبيل الله حتى سكت الملا ،
وسكت أهل الحق عن حقهم بل وداهن بعضهم الباطل رغبة فسي
عرض من اعراض الدنيا .

فانقلبت المفاعيم وانعكست النتائج ، فاصبح من يدعو الى الله والى تحكيم
شرعه يعتبر خارجا على القانون وينج به في ضاهب السجون بتهمة البلبلية
واثارة الفتن ، وكذلك من يدعو الى الفضيلة والشرف يقضى عن المناصب
الرسمية بحجة انه رجمي يعيق التقدم الحضارى ، ويؤتى بأهل الفسوق
والفجورز ليسلموا زمام الامة ويترجموا على كراسيها ليحكموا الشعب بالحدس
والنار ، ويحلوا ما حرم الله ويمشوا في الأرض الفساد .

كان قادة المسلمين يجمعون بين امامة المحراب وقادة الحرب حتى بلغوا

من القوة ، ان فعل كتاب الرشيد ما يفعل الجيش الجرار ، ويلفوا من العروة
ان سر المعتصم بالله جيشا بكامل عدته لانقاذ امرأة مسلمة استفاثت به كانت
قد وقعت في اسر الاعداء .

فلما تفرقت الجماعة وشتت الامة شيما واحزابا كل حزب بما لديهم فرحسون .
 واصبحت سيوف المسلمين خشبا يحطها خطبا وهم على المناير ، واصبحت المصاحف
تساق يملقها المرضى على الصدور ، أو عقودا ذهبية تتزين بها النساء في
النحور ، اصحت دول المسلمين تمنا لكل غالب وثرواتهم نهبا لكل غاصب
ويلفوا من التغافل والفهل ان مسلمي الاندلس يجلبهم النصارى عن اقطارهم
بالاس فلم يجدوا الرشيد ، وان مسلمي فلسطين ولبنان يشردهم اليهود عن
ديارهم اليوم فلا يجدون المعتصم ولا صلاح الدين ، لان النظم الوضعية^(١)
التي حكمت بلاد المسلمين وابعدت شرع الله عن الحكم قد اوصلت الامور السي
ما وصلت اليه بعد ما افلست وأفلست معها شعوبها وثرواتها .

(١) اذكر هذا بعد عدوان اسرائيل الاخير على لبنان بتاريخ ١٩/٨/١٤٠٢ هـ
واحتلالها ما يمدل نصف اراضيها حتى وصلت قوات المد والى بيروت
العاصمة وقد ورت القوات الفازية (مائة وعشرين ألف جندي) - جريدة
المدينة السعودية ١٢/١١/١٤٠٢ هـ .

وقد افادت آخر المعلومات عن الخسائر البشرية انها تقدر بحوالى
سبعين الفا بين قتل وجريح (في تصريح لياسر عرفات رئيس منظمة
التحرير الفلسطينية من اذاعة روما نقلته اذاعة الرياض بتاريخ ١١/٨/١٤٠٢ هـ)

.....

— أما الخسائر المادية فلا حصر لها لفظاقتها ، ان دمر معظم أيجيا • بسدن

صيدا وصور وبيروت الخريبة حيث يوجد المسلمون .

كما ابعدت ثمانية مخيمات فلسطينية ، هذا الى جانب المذبحة البشموسة

التي اقترفتها ايدي اليهود ومن والاهم من الحاقدين الصليبيين ضد مخيمى

صبرا وشاتيلا ، ان اعطى الفزاة القتل والذبح في رقاب المسلمين حتى يبلغ

عدد من قتلوا في تلك المذبحة في يوم واحد أكثر من ثلاثة آلاف كان معانلمهم

من الاطفال والنساء والشيوخ .

(في تصريح لياسر عرفات للاذاعة السعودية بتاريخ

(٢٧ / ١١ / ١٤٠٢ هـ)

ومعد ان افلست الاتجاهات المادية والمذاهب الوضعية لم يبق سوى
الاسلام سهيلا لانقاذ الامة من كل مظا هر التناقض والانحراف القاتل .
لان الاسلام هو المنهج الوحيد الموء هل لمواجهة تحديات الحضارة المادية
الطاغية بما لديه من خصائص ربانية تفرد بها عن سائر الاديان .
ولانه الدين الخاتم الذي ختمت به رسالات السماء فكان شاملا كاملا صالحا
لكل زمان ومكان الى ان يرث الله الأرض ومن عليها .

اثبات الحاجة للاسلام وانه منهج حياة متكامل

بعد ان جريت ظالمة دول الاسلام القوانين الوضعية والاتجاهات الطارئة ،
 وكانت النتيجة عودة الى الوراء ، فتأخرت حضاريا وانهزمت امام اعدائها
 عسكريا ، وفشلت في اثبات ذاتيتها دوليا ، وطمح بها اعداؤها ، لم يبق
 لها منقذ ما هي فيه الا الاسلام .

فبعد الاستقراء التاريخي تبين بما لا يدع مجالا للشك بأن أمة الاسلام
 لا تقوم لها قائمة الا اذا تسكت بدورها والتجأت الى ربها وطلبت منه النصير .
 ودافعت عن عقيدتها ، هذا فضلا عن التقرير الرباني الذي لا يأتيه الباطل
 من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد .

القاتل : : (ان ينصرم الله فلا ظالب لكم وان يخذلكم من ذا الذي ينصرمكم

(١)

من بعد ، وطلبي الله فليتوكل المؤمنون)

(٢)

وقوله : (ان تنصروا الله ينصركم وشهت اقدامكم)

(٣)

وقوله : . ولينصرن الله من ينصره ان الله لقوى عزيز .

(١) آل عمران (١٦٠)

(٢) محمد (٧)

(٣) الحج (٤٠)

انها قواعد ثابتة لا تتبدل بتبدل الحكام ولا تتغير بتغير الازمان ، وضعتها
رب العزة والجلال لامة الاسلام لكي يسيروا على ضوئها فيملكون زمام البشرية ،
وينشروا الحق والمدل بدل الظلم والجور .

ولا غرو فبعد ان افلست الاتجاهات المادية والمذاهب الوضعية لم ييسق
سوى الاسلام سهيلا لانقاذ الامة من كل مظاهر التناقض التي تجتاحها
نتيجة لبعدها عن المعين الصافي والمورد العذب الذي اختاره الله لها الى
معين عكر المذاق .

والاسلام هو المنهج الوحيد الموجه لمواجهة تحديات الحضارة المادية
وهو الدين الوحيد الموجه لقيادة هذه الامة بل ولقيادة البشرية كافة ،
لما امتاز به من شمول شريعته وتكاملها ، الامر الذي مهد له في المقول وشرح
له الصدور فكان بذلك انساني طلي لانه منهج حياة متكامل ويمكن ان يلخص
بمجالسة هذا التكامل بما يلي :

أولا : ١ - ففي مجال العقيدة : جاء الاسلام بالتوحيد الخالص في حين
كانت الديانات السابوية الاخرى قد بدلت وحرفت وحادت عن الصراط المستقيم
فجاء الاسلام ونزه الله عن الشركاء وعن صاحبة والولد وعن صفات الحوادث ،
وشابهة البشر ، وبذلك اراح العقل البشري من الاضطراب الناتج عن
التناقض بسبب الاعتقاد بالتمدد ، ووهبه الطمأنينة والسكينة لينطلق بمعد
صحة العقيدة الى جلائل الاعمال والمسارعة في الخيرات .

ويتجلى التوحيد في الاسلام على وجه الخصوص ، بخلوه من تناقضات التمدد
تلك التناقضات التي اعيت المقول وطست البصائر في الديانات المحرفة

حتى ضاق اصحابها بها ذرعا ولم يجدوا طي اناقضاتها جوابا مقنعا ، سوى
 الفا٠ المعقول كقولهم - اطفئ٠ سراج عقلك واعتقد وانت اعشى - أو تأويلات
 فاسدة كقولهم ان الذي ترونه تناقضا انما هو من قبيل الاسرار التي لا يفهمها
 الا القلة من اوتوا الفهم العميق والادراك الدقيق .

ولكن الله عز وجل قد فضح هو٠ لا٠ واوضح في محكم آياته كذاب ادعاهم

وزيف تناقضاتهم فقال تعالى :

(ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من اله اذن لذهب كل اله بما خلق ولعلا

(١)

بعضهم على بعض سبحان الله عما يصفون)

من هذا الفهم الواضح والمعقده السليمة ، هزمت التعاليم الاسلامية خرافة

التمدد وحررت العقل البشري من التناقض وانسجمت مع الفطرة التي فطر

الله الناس عليها (فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبدل لخلق الله

(٢)

ذلك الدين القيم ولكن اكثر الناس لا يعلمون)

ب - خلوه من الخرافة والشعوذة :

جا٠ الاسلام وقد فشلا في الارض الضلال ، ان حل الشرك بالله فحسل

التوحيد الخالص ، وحلت الاوهام محل الحقائق ، وشاعت الكهانة ، واستفسل

الدين للمصالح الشخصية والزطامات القبلية هذا الى جانب انتشار الديانة

الوثنية الممتدة اصلا على السحر والشعوذة وعادة المخلوقات سواء٠ الحيمة

منها أو الجامدة .

(١) الو٠ منون : (١١)

(٢) الروم : (٣٠)

فجاء الاسلام بنوره الوضاء ليزيل الظلام الدامس وينير العقول الحية ، ويمتق
العقل البشرى من ذلك السجن الرهيب الذى كبله سنين طويلة . وسرعان
ما تبدد الظلام واستجاب العقل لداعي المنطق السلم والفكر المستقيم ، ذلك
ان سبيل الخرافة والخداع وبناء المجد الكاذب على حساب ضماف العقول
لا يثبت امام النقد الصحيح ولا يستقر مع النظر السديد والفكر النير .

ورأفة بالبشر فقد حرم الله تعالى الخداع والاستغلال وجعل مقدرة
الانسان محدودة بحدود لا يمتدداها مها بلغ شأنه حتى ولو كان نبيا
مرسلا من عند الله ، وهذه الحقيقة لم يخفلها الاسلام بل أكد عليها ففي
كثير من الآيات ليكون الاتجاه الى الله عز وجل وحده في طلب العمون والرجاء .
قال تعالى عن لسان نبينا محمد صلى الله عليه وسلم (قل لا املك لنفسي
نفعا ولا ضرا الا ما شاء الله ولو كنت اطم الفهب لاستكثرت من الخير وما
سنني السوء ان انا الا نذير وبشير لقوم يؤمنون)
(١)

وقوله تعالى : (قل ما كنت بدط من الرسل وما ادرى ما يفعل بى ولا بكم
ان اتبع الا ما يوحى الي وما انا الا نذير مبين)
(٢)

وقوله تعالى : (ليس لك من الأمر شيء أو يتوب عليهم أو يخذبهم فانهم
ظالمون) .
(٣)

(١) الاعراف : (١٨٨)

(٢) الاحقاق : (٩)

(٣) آل عمران : (١٢٨)

وقوله صلى الله عليه وسلم في الحديث الذي روته أم سلمة رضي الله عنها :

(انا انا بشر وانكم تختصمون الي ولعل بعضكم ان يكون الحن بحجته من بعض

فاقضي نحو ما اسمع فمن قضيت له بحق اخيه شيئا فلا يأخذه فانما اقطع له قطعة

(١)

من النار .

وبهذه النصوص وفيها نجد ان الاسلام قد عمل على محاربة الخرافة ومطاردة

الجهالة وتحطيم الاوثان ، والارباب البشرية التي حيكت حولها الاساطير

والاوهام ، وحرم الاستغلال والمتاجرة بالدين وعمل على اعطاء كل ذي حق

حقه ،

فلا ينبغي لاي كان ان يتناول ليرتقي مكانا اكبر من مكانه الذي هو اهل

له ، وبذلك استحق أن يكون الراكب والموجه للبشرية جمعا .

(١) رواه البخارى في صحيحه ، في كتاب الاحكام ج ٢٤ ص ٢١٢ .

ج - حظه على العلم والتدبير في آيات الله .

العلم

بينما كانت الكنيسة تحارب العلم والمعلم وتقف سداً منيماً امام الكسر والتطور الحضارى ، جاء الاسلام ليحضر اتباعه بل والبشرية بأسرها على العلم والتفكر والتدبر والنظر في هذا الكون الذى لم يخلق عبثاً وانما خلق لحكمة ارادها الله تبارك وتعالى .

والآيات القرآنية كثيرة في هذا المجال ، تطرى العلم والمعلم وتحضى على التدبر والاعتبار حين النظر في آيات الله التنزيلية منها والكونية .
قال تعالى : (افلا يتدبرون القرآن أم على قلوب اقفالها) (١)

وقال تعالى : (هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون انما يتذكر اولوا الالباب) (٢)

وقال تعالى : (ان شر الدواب عند الله الصم البكم الذين لا يعقلون) (٣)
وقد نعى الله سبحانه على الذين لا يتفكرون ولا يتدبرون قفلتهم وهدوهم لنعمة العقل ، ونعمة السمع والبصر ، وشبههم بالانعام بل اضل منهم .

قال تعالى : (ولقد ذرأنا لجهنم كثيراً من الجن والانس لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم اعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها أولئك كالانعام بها هم اضل أولئك هم الفافلون) (٤)

(١) محمد : (٢٤)

(٢) الزمر : (٩)

(٣) الانفال : (٢٢)

(٤) الاعراف : (١٧٩)

ثانيا : في مجال العبادة .

من ميزة الاسلام انه دين وسط لا يكلف النفس بأكثر من طاقتها ، فلا افراط ولا تفريط ، وهذه الميزة من جطة الاسباب التي مهدت لانتشاره وطوه في الأرض على سائر الديانات وجعلته صالحا لكل زمان ومكان .

(١)

قال تعالى : (لا يكلف الله نفسا الا وسعها)

(٢)

وقال تعالى : (لا يكلف الله نفسا الا ما آتاها)

(٣)

وقال تعالى : (وما جعل عليكم في الدين من حرج)

وقال تعالى مبينا فضل النبي الخاتم على الله عليه وسلم بارسالته

بالديانة السمحة التي خففت عن الناس ما حطوه من الاصر والافلال بسبب

محبتهم لاوامر الله وعدم غاعتهم لرسله ،

قال تعالى : (الذين يتهمون الرسول النبي الامي الذي يجدونه مكتوبا

عندهم في التوراة والانجيل بامرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم

الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم اصرهم والافلال التي كانت

(٤)

عليهم)

(١) البقرة : (٢٨٦)

(٢) الطلاق : (٧)

(٣) الحج : [٧٨]

(٤) الاعراف : (١٥٧)

ج- في الحج : فرض الله الحج مرة في العمر على المستطيع وهو من ملك القدرة السادية والجسمية على تحمل أعباء الحج وللتيسير على المسلمين أباح الشرع لمن لا يستطيع ان يسافر للحج لمجز فيه أن يوكل من يقوم عنه بهذا الواجب كما أباح الشارع ان يحج الانسان عن آخر قدمات سواء كان قريباً له أو بعيداً عنه .

د- في الزكاة : فرض الاسلام الزكاة على من ملك النصاب وهو الفائض عن الحاجة ، وحال عليه الحول ، اما من لا يملك النصاب فلا زكاة عليه ، وتؤخذ الزكاة من الأغنياء لترد على الفقراء ، وبذلك تجد النفس المؤمنة ظيمة الراحة والاطمئنان حينما تؤدى حق الله في أموالها ، ويتم التكامل في المجتمع الاسلامي حينما يساعد الفنى الفقير ، ويعين القوى الضعيف ، ويتفقد السليم المريض ، وترى الاخ يسمى في خدمة أخيه وتأمين سعادته .

انه مجتمع فريد من نوعه في تاريخ البشرية ، هذا المجتمع الذى جمـع افراده كأنهم جسد واحد ، اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الاعضاء بالحمى والسهر . انها قمة سامقة في التعاون والتراحم لم يسبق ان وصلها جيل من الأجيال قبل الاسلام .

ثالثا : في مجال المعاملات :

جاء الاسلام دستورا شاملا لجوانب الحياة البشرية ولم يقتصر على العبادات بل تجاوزها الى جميع ما يحتاجه المجتمع البشرى افرادا وجماعات ونظم فسي الاطر الاساسية الآتية :

١- الحياة الاجتماعية : أكد الاسلام عالميته حينما خاطب الجنس البشرى

بأكمله ولم يقتصر على عرق أو لون أو قرن من القرون بل جاء الاسلام شاملا لكل العالم ، ونجد ذلك جليا في القرآن الكريم في قوله تعالى :

(يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان اكرمكم عند الله اتقاكم ان الله عليم خبير)
(١)

" وبعد ان شرع الاسلام الاصل الاصيل في الحياة الاجتماعية الا وهو

المساواة ، شرع ما يتمه ويبنى عليه الا وهو التعارف والاتصال ثم شرع ما يصلح هذا التعارف ويكتب له الاستمرار في حياة طيبة زاخرة بالخيرات خالية من

الريزيا والمخزيات وذلك بخطوط عريضة تعد اصولا لجميع المكارم ، واسسا

للاخلاق لا يمكن ان تقوم حياة اجتماعية فاضلة دونها " (٢)
الا وهي :

أ- العدل : وهو نقض الظلم وقد شرعه الاسلام وسن له القوانين المطبقة

في حياة البشر ، وشرع لمخالفه العقوبات الفعلية وأكد عليه في القول والعمل .

(١) الحجرات : (١٣)

(٢) راجع المقال القيم الذي اعدّه الدكتور حسن هويدى ، بعنوان عالمية

الاسلام ، مجلة الامة ، الممدد الثاني السنة الاولى ، صفر ١٤٠١ هـ

هو التماون : قال تعالى : (وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على

(١)

الاثم والعدوان واتقوا الله ان الله شديد العقاب)

وقال صلى الله عليه وسلم : (مثل المؤمن مني في توادهم وتراحيمهم وتماطفهم

كمثل الجسد الواحد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الاعضاء بالحسنى

(٢)

والسهر) .

(٣)

وقوله صلى الله عليه وسلم : (المؤمن من المؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا)

كل هذه الوصايا الحية على مستوى الاصول تؤكّد بناء حياة اجتماعية

متناسكة مترابطة تميز بها الاسلام عن سائر الديانات . وهو ان شرع اساس هذه

الحياة ، فقد شق طريقه الى الام يحرض ادويته الناجمة لامراضها المستمعية .

٢- الحياة الاقتصادية : تميز الاسلام بنظام فريد على سائر النظم العالمية

في تنظيم الحياة الاقتصادية وتصريف رءوس الاموال ، فلم يكن فيه افراط الرأسالية

ولا تفريط الشيوعية بل لزم جانب الاعتدال ، واستقام على طريق واضحة يسند

فيها عوز المحتاجين ولا يظلم فيها الموسرين ، ولا يثير فيها الاحقاد والضغائن

ولا يحمل الاغنياء على رقاب الفقراء كل ذلك بنظام هادى متقن ، فيه

(٤)

الحيطة والتوازن ، والعدل والاستقرار .

(١) الطائفة : (٢)

(٢) متفق عليه

(٣) رواه البخارى في صحيحه باب الادب ج ٨ ص ١٤ .

(٤) ورد في كتاب النظام الاقتصادى في الاسلام : مجموعة المبادئ العامة

للاقتصاد الاسلامي وهي :

قوله تعالى : (هو الذى خلق لكم ما فى الارض جميعا)

(البقرة ٢٩) =

.....

= وقوله تعالى : ألم ترأ ان الله سخر لكم ما في السموات وما في الأرض وأسبغ

عليكم نعمة ظاهرة وباطنة) (لقمان : ٢٠)

هاتان المادتان تضمنان مبدأ في الاقتصاد هو ان الاصل في طريق الكسب
الاباحة ،

وقوله تعالى : (أحل الله البيع وحرم الربا) . (البقرة : ٢٧٥)

تضع مبدأ حل البيع وحرمة الربا .

وقوله تعالى : (للرجال نصيب مما اكتسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن)

(النساء : ٣٢)

تضع مبدأ عا م مؤ داه ان ثرة العمل تمود على صاحبه ولا فرق في ذلك بين
ذكر وانثى .

قوله تعالى : (كي لا يكون دولة بين الاغنيا منكم) (الحشر : ٧)

يضع قاعدة مؤ داه ان لولي الامران يحيد توزيع الثرة في المجتمع في حالة
انتفاء التوازن بين الرطبا .

وقول الرسول صلى الله عليه وسلم : (كل المسلم على المسلم حرام دمه وعرضه

وماله) (رواه الترمذى وقال حديثه حسن)

يضع مبدأ ط م وهو حرمة الاعتداء على مال المسلم الى غير ذلك من الآيات
والاحاديث التي تضع مبادئ اقتصادية هامة .

والخاصية الاساسية لهذه المبادئ انها غير قابلة للتفسير أو التبدل وانها
صالحة لكل زمان ومكان بصرف النظر عن درجة التقدم الاقتصادي في المجتمع
د / أحمد المسال د / فتحي أحمد الكريم ، النظام الاقتصادي في

الاسلام ص ١٧-١٨ .

وهناك من اطلق على هذه الاصول اصطلاح : المذهب الاقتصادي الاسلامي
الفنجرى

د / محمد شوقي / - المدخل الى الاقتصاد الاسلامي ص ٥٥

اذا اردت التوسع في دراسة الاقتصاد الاسلامي راجع كتاب اقتصادنا محمد باقر
الصدر .

وللحياة الاقتصادية في الاسلام أسس أريحة رئيسية تقوم عليها :

أولا الزكاة : فرض الاسلام على اصحاب الاموال نسبة معينة على أموالهم تؤخذ من أغنيائهم وترد على فقرائهم . وتشمل الزكاة المال سواء كان مجعدا أو متاجرا به ، نقدا أو سلعا معدة للبيع طالما بلغ النصاب ، وتشمل الزكاة الربح السي جانب رأس المال وبذلك يتم تداول المال بين الناس ولا ينحصر في فئة معينة لكي لا تحتكره ، كما قال تعالى : (كي لا يكون دولة بين الاغنيا منكم)
(١)
وبهذا النظام الفريد ، نجد ان المال يتحرك في المجتمع الاسلامي ويدور

كدوران الدائرة يمر بجميع الفئات شيئا ولا يغير استثناء +

ثانيا : الارث : شرع الله في الاسلام نظام الفرائض وجعل التوارث سببا من أسباب توزيع الثروة وحافلا دون التضخم الطالي وعين لذلك نسبة حسابية دقيقة شملت الاصول والفروع والحواشي بنظام عجيب فريد ليس له نظير في أى نظام اقتصادي في العالم .

ثالثا : تحريم الربا : هذا المرض الفتاك الذي يأكل فيه الغنى الفقير ويسطو فيه القوى على الضعيف ، وبسببه يزداد الغنى فنى والفقير فقرا ، وبسببه تنتشر الشحنا والبغضا وبعم الظلم ، الى جانب حصر المال في فئة قليلة من الناس وحرمان الاكثية الساحقة منه .

لهذه المفاسد شن الاسلام على المرابين حرما شموا لا هوادة فيها .

قال تعالى : (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقي من الربا إن كنتم
مؤمنين ، فإن لم تفلحوا فاذنوا بحرب من الله ورسوله وإن تهتم فلكم رؤس أموالكم
(١)
لا تظلمون ولا تظلمون)

رأبها : تحريم الربح الفاحش :

حرص الاسلام على التوازن في المجتمع ، والواقعية في المعاملات كي تسير
عجلة الحياة على قواعد ثابتة طابطة لجمعية افراد المجتمع .
من هذا المنطلق أحل الله البيع وحرّم الربا ، وأحل الربح في البيع ولكن لم
يرضى بالربح الفاحش الذي يتعدى الحدود المعقولة لان في ذلك اضرار
بمصالح المسلمين .

(٢)

قال تعالى : (وأحل الله البيع وحرّم الربا)

لان الربا ظلم للناس وهو مصدر ربح فاحش بخير حق .

ولقد طالج فقهاء المسلمين مسألة الربح الفاحش وعرفوه بالاقوال التالية :

أ - هو الذي يبلغ ضعف القيمة

بديل الذي يبلغ الضعفين .

ج - كل ما لم يدخل تحت تقويم المقومين فهو ربح فاحش .

وهكذا نجد ان حواء الاسلام دون الازواج الفاحشة ابقى على توازن

الثروة بين الناس .

(١) البقرة : (٢٧٨ - ٢٧٩)

(٢) البقرة : (٢٧٥)

والاسلام لم يمنع الربح المعقول الخال من الجشع للباح ولم يظلم المشتري
عندما اقر الربح المعقول للباح نتيجة تعبهم في جلب السلعة وتأمنها
للناس .

وبذلك يشجع التعاون بين أفراد المجتمع وتبادل المصالح والمنافع .
ومن ثم يزدهر الحقل الاقتصادي .

والنظام الاسلامي لم يخل ايدي الناس ويسلبهم حريتهم كما يحدث في
النظم الشيوعية والاشتراكية ، كما انه لم يفتح لهم أبواب الربح الفاحش الذي
يتحكم فيه الجشع والطمع والاستغلال المنكر لامتناع ما الناس ، والاشراء
على حسابهم ، ليحدث التفاوت المخيف بين فني فاحش وفقير مدقع فقطير
ما يجري في النظم الرأسمالية التي اطلقت فيها العنان للتجارة بغير ضوابط
وفتحت فيها أبواب الربا بغير حرج .

٣- الحياة السياسية : وما يوهك صلاحية هذا الدين لكل زمان ومكان ، وانه
منهج حياة متكامل ، تشريعه الساسي الفريد في شموله وتكامله ، وحسن
تنظيمه ، ما يفي بجميع اغراض المجتمع المسلم .

وانا امعنا النظر في النظام السياسي الاسلامي وجدنا ان الاسلام يعتمد
في الحياة السياسية على ما يلي :

أولا : القيادة : لان الرعية بغير قائد رعية هالكة ان تدب فيها الفسوضي
وينتشر فيها الخراب نتيجة الاهواء والامزجة المختطفة التي جعلت عليها طوائف
الناس .

من هنا كان تركيز الاسلام على ولاية الامر وطاعتها ، ورد الامر في حال

الخلاف الى الله ورسوله .

قال تعالى : (يا أيها الذين آمنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم فان تنازعتم في شيء فردوه الى الله والرسول ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلاً)^(١)

وأمر صلى الله عليه وسلم ان كان هناك ثلاثة فأكثر في سفر ان يهزموا عليهم احد هم ، ليكون مسئولاً عن تحركاتهم وتنظيم أمورهم .

ثانياً: الشورى : وتتثل في أهل الحل والعقد من علماء الأمة وعقلائها وذوى التجربة فيها ، ليمكنوا من انتخاب الاصلح والأفضل في الأمة ، لان صلاح البدن ينهني على صلاح الرأس وقد أمر تعالى خاتم رسله صلى الله عليه وسلم بالعمل بالشورى ،

(٢)

قال تعالى : (وشاورهم في الأمر)

(٣)

وقال تعالى : (والذين استجابوا لربهم وأقاموا الصلاة وآمنوا بشورى ربهم) فوصفهم تعالى بانهم اخوة متآلفون متعاونون لا يبغض بعضهم على بعض ولا يرتكب سهل التمسك والجبر في الوصول الى الحكم بل هو خاضع لسراى أهل الحل والعقد فهم الذين الذين يقولون بصلاحيته للحكم أو بعدم صلاحيته .

(١) النساء : (٥٩)

(٢) آل عمران : (١٥٩)

(٣) الشورى : (٣٨)

٣- نوع القيادة : أكد الاسلام على الخلافة الراشدة التي تقم حكم الله في الأرض ورفض المنهج الجبري والملك المضوض لما يعتريه من مظالم بسبب التسلط وفردية التصرف ، ولانه توارث بغير حق اذا ما تم على رغم أنف الامة وبغير ارادتها .

والاسلام وان أكد على الخلافة الراشدة الا انه ليس شمة مانع في أن تسم القيادة بأسما^١ اخرى كالامير والرئيس أو الملك أو المرشد ونحو ذلك ، المهم في الامر ان يحكم هذا بما أنزل الله وأن يكون تسلمه القيادة تم بصورة شرعية أقرها أهل الحل والمقعد ، كما حصل في عهد الخفاء الراشدين رضى الله عنهم وأرضاهم .

٤- مهمة القيادة : من أولى مهات القيادة ، تليخ الرسالة ونشر الدعوة الخاتمة بين البشر والامر بالمعروف والنهي عن المنكر والقيام بمصالح الامة ، والنصح لها .

قال تعالى : (ولتكن منكم امة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون) (١)

وقال تعالى : في وسطية هذه الأمة وانها المرشدة والموجهة للناس ،

(وكذلك جعلناكم امة وسطا لتكونوا شهداء^٢ على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا) (٢)

(١) آل عمران : (١٠٤)

(٢) البقرة : (١٤٣)

ويقتضى ذلك القيام بامور الامة طامة وفق المنهج الرباني على مستوى العقيدة والعبادة ، والمعاملة ، كما يعتمد على اقامة الحدود وتنفيذ القصاص للقضاء على الجريمة والفساد .

(١)

قال تعالى : (ولكم في القصاص حياة يا اولى الالباب لعلكم تتقون)

وكما تقوم القيادة بتنظيم الحياة الاجتماعية والترهوية وفق منهاج الاسلام كذلك عليها الاضطلاع ببناء الجيش ، وتنظيم الناحية العسكرية ،

قال تعالى : (واعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم وما تنفقوا من شيء

(٢)

في سبيل الله يوف اليكم وانتم لا تظلمون)

واعداد القوة اللازمة امر ضروري لا تحيا امة بدونها ولا يستقر النظام ويسود الامن الا في ظلها ، وان الله ليزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن . وتكوين القوة العسكرية في الاسلام لاعلاء كلمة الله ، ورد العدوان ، والذود عن حياض الدولة الاسلامية ، ومقاومة الكفر في عقرباره اذا ما حاول التصدي للدعوة او الوقوف في طريق انتشارها .

قال تعالى : (وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله فان انتهوا فلا

(٣)

عدوان الا على الظالمين)

وكما أمر تعالى بمقاتل الكفرة أمر كذلك بالنهي عن الاعتداء لمن سألهم

المسلمين .

(١) البقرة : (١٧٩)

(٢) الانفال : (٦٠)

(٣) البقرة : (١٩٣)

قال تعالى : (وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاطبونكم ولا تعتدوا ان الله
(١)
لا يحب المعتدين)

وبذلك نجد وبوضوح لا فحش فيه ان الاسلام الذي اراده الله تعالى أن يكون
خاتم الرسالات هو صالح لكل زمان ومكان فيه سعادة البشرية وفلاحها ، لانه
منهج حياة متكامل يتصف بالصلوح لجميع الناس ، على كافة مستوياتهم ، واختلاف
ألوانهم .. بما أنزل فيه من صفات المعقيدة ، وانسجامها مع العقل السليم والعلم
الصحيح وخلوها من الخرافة والتناقض ، وبما شرع من اليسر والسهولة في العبادات
ووضع الحج والارهاق ، وبما ضمنه من مناهج الحياة الاجتماعية والاقتصاد بيسرة
والسياسية المتصفة بالاعتدال ، الخالية من الافراط والتفريط ، الكفيلة بـ
حاجات المجتمعات البشرية على اختلاف ازمانها وتباين أوطانها .
(٢)
كل ذلك جعل هذا النظام ، خالدا طالما شاملا ، ومنهجيا فريدا متكاملا ،

(١) البقرة : (١٩٠)

(٢) يذكر صاحب كتاب "دين ودولة" القواعد والاسس التي قوم عليها المجتمع

الاسلامي .

قوله تعالى :

١- ان اكرمكم عند الله اتقاكم (الحجرات : ١٣)

٢- ان هذه امتكم امة واحدة (الانبياء : ٩٢)

٣- وشاورهم في الامر (آل عمران : ١٥٩)

٤- وامرهم شورى بينهم (الشورى : ٣٨)

٥- الا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضا اربابا من دون

الله (آل عمران : ٦٤) =

.....

— كونوا قوا مبن بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين

(النساء ١٣٥)

٧- وإذا قتلتم فاعدوا ولو كان ذاق قري (الانعام : ١٥٢)

٨- ولا يجرمكم شأن قوم على الا تعدوا عدوا هو أقرب للتقوى (المائدة ٨)

على هذه القواعد الروائع الشداد قام المجتمع الاسلامي الاول وعلهم

يجب أن يقوم كل مجتمع اسلامي حاضر ومستقبل حتى لا يهني احد على أحد

ولا يحقر مسلم أخاه ولا يظلمه ولا يسلمه ، ولا يهينه ، ولا يستكبر حاكم على محكوم

ولا يفخر حنلي على محروم .

أحمد محمد جال ، دمين ودوله ، ص ٣٢٣ - ٣٢٤

فيه عز الدنيا وسعادة الآخرة ، وهو حياة للنفوس التي حاولت الوثنية طمسها
في مستنقع للسحر والشموضة وحاولت الشيوعية قتلها في بؤرة الكفر
والإلحاد ، وتمطيل العقل وخواء الروح ، وحاولت الرأسمالية تبييضها والصد
عنها بالترف واللهو عن طريق الفسق والفجور .

فاتباع الشريعة فيه حياة الام وأمانها ، قال تعالى :

(١)

(يا أيها الذين آمنوا استجبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحكيكم)

فبالاسلام نحيا حياة الصز والكرامة ، (ومن أحسن قولا ممن دعا الى الله

(٢)

وعمل صالحا وقال انني من المسلمين)

ويدون الاسلام لاحياة لنا ولا نجاة ، (ومن يبتغ غير الاسلام ديننا فليس

(٣)

يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين)

ان الاتجاه الطاغى الذى داس في طريقه كل المثل والقيم وزرع

القلق والاضطراب ونشر الشذوذ والخوف في شتى انحاء المعمورة ،

(١) الانفال : (٢٤)

(٢) فصلت : (٣٣)

(٣) آل عمران : (٨٥) *الذي هو المردى - حلاله امره الآيات التي تشمل على الظلم*

الكلوب وهي قوله تعالى :

١ - وقف ربك الو تعبدوا له آيات

٢ - وباللينة احبنا انا بيلقنا عندك اهدى اهدى فلاتنص

لما انك ولت شرها وتل لها تولى كريا وافقنا لها جناح للذل

من الرمة

.....

= الرحمة وقل رب ارحمها كما رحمتني صغيرا ، ربكم أظم بما في نفوسكم ان تكونوا

صالحين فانه كان للاولا وبين قفورا .

٣- وات ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل .

٤- ولا تذر تذبذبا ان المذريين كانوا اخوان الشياطين وكان الشيطان لرئيسه

كفورا .

٥- واما تعرضن عنهم ابتغاء رحمة من ربك ترجوها فقل لهم قولا محسورا .

٦- ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تهنطها كل الهبط فتقدم طولاً

محسورا ان ربك يهبط الرزق لمن يشاء ويقدر انه كان بمعاهد ، خبيراً بصيراً .

٧- ولا تقتلوا اولادكم خشية املاق نحن نرزقهم واياكم ان قتلهم كان خطا كبيرا .

٨- ولا تقرهوا الزنا انه كان فاحشة وساء سبيلاً .

٩- ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الا بالحق ومن قتل نفسا فقد جعلنا لوليها

سلطانا فلا يسرف في القتل انه كان منصوراً .

١٠- ولا تقرهوا مال اليتيم الا بالتي هي أحسن حتى يبلغ أشده .

١١- واطفوا بالمهد ان المهد كان سوءاً لا .

١٢- واطفوا الكيل / وزنوا بالقسطاس المستقيم ذلك خير وأحسن تأويلاً .

١٣- ولا تقف ماليس لك به علم ان السمع والبصر والفؤاد كل اولئك كان عنه

سوء ولا .

١٤- ولا تحشي في الأرض مرها انك لن تخرق الأرض ولن تهلج الجبال طولاً .

الاسلام في مواجهة التحديات المعاصرة (ص ٢٢٩-٢٣٠)

دار القلم - الكويت ، الطبعة الرابعة ١٩٨٠م /

٥١٤٠٠

لا يقوى على مواجهته ودحره بل واستتصاليه سوى الاسلام دين الفطرة ، ان هو اقوى منه واقدر على اسعاد البشرية وتأمين الطمانينة والرخاء لها .
ان الأمة الاسلامية وقد استنزفت في دامة تجاربها الفاشلة عزيز طاقتها وبعد أن آل حالها الى ما آل اليه من بؤس وشقاء بسبب بعدتها عن دينها الذي ارتضى الله لها . مدعوة من جديد للافصاح عن شخصيتها الاسلامية الاصلية ، مدعوة لتظل على العالم برسالة الانقاذ وتمتد له يد العون لتخلصه مما هو فيه من التردى والفوضى . كما انها مدعوة لتحقيق ذاتيتها الاسلامية في معركة تحقيق الذات .

فالاسلام منهج حياة متكامل ، فهو عقيدة توضح التصور الصحيح للكون ، والانسان والحياة .

عقيدة تعرف هذا الانسان على نفسه وسرخلقه وسبب وجوده ، وظايقه ، وتحل بذلك عقدة من اخطر العقيد التي واجهت البشرية عبر تاريخها الطويل وعلى أساس هذه العقيدة تقوم شريعة ونظام ، شريعة تنظم حياة الانسان في كافة شئونه ، ونظام واضح شامل يوجه الدولة على الصعيد الاجتماعي والاقتصادي والسياسي فالاسلام فكره وعقيدة ، ونظام ومنهاج ، لا يحدد موضع ولا يقيد جنس ولا يقف دونه حاجز جغرافي ، لا ينتهي بأمر حتى يرض الله الأرض ومن عليها .
ذلك لانه نظام رب العالمين الذي ارتضاه للامة المختارة ، ومنهاج خاتم الانبياء والمرسلين .

فهو يجمع الى رقة التوجيه ، دقة التشريع ، والى جلال المقيدة جمال العبادة ،
والى امامة المحراب قيادة الحرب ، وبذلك يكون منهج حياة متكامل بكل ما في
الكلمة من معنى .^(١)

(١) يقول السير " توماس ارنولد " في كتابه " الدعوة الى الاسلام " ان محمدا صلى الله عليه وسلم قد نجح في اقامة الدين الجديد ، واقام في الوقت نفسه نظاما سياسيا له صفة جديدة متميزة تماما عما كان سائدا من انظمة الجاهلية القلية فغير الاعتقاد من الشرك بالله الى الوجدانية المطلقة ، وجمع القبائل ذات المناصر المختلفة التي لم تنقطع عن التنازع والتناحر تحت زعامة واحدة ، وجعل منهم امة واحدة وساسهم بنظام سياسي سرت مزاياء بسرعة تهمت على الدهشة والاعجاب .

الخاتمة

الخاتمة



ما تقدم يمكن ان نستخلص النتائج التالية من منهج الرسل الكرام :
- ان الدعوة الى الله هي مهمة الانبياء والمرسلين ، وهي خير الاعمال
بعد الايمان بالله عزوجل لان فيها هداية البشر وانقاذهم من الضلال الى
الهدى -

والانبياء هم صفوة عباد الله من خلقه ، كانوا امثلة تحتذى وقدوة يتأسى
بها ، فعلى من يتصدى لهذه الدعوة ان يسير على دربهم ويقتفى أثرهم ،
واقترافاً لأثر الانبياء يقتضى العمل بمنهجهم والذي يتلخص :

١- في الدعوة الى توحيد الله عزوجل وافراده بالالوهية والربوبية والحاكمة .
٢- التدرج في الدعوة الى الله والهدى بالاهم ثم المهم .
٣- الاهتمام بالاصل وتقديمه على الفرع مع عدم افعال اية جزئية من الجزئيات
المطلوبة .

٤- طريق الدعوة مليء بالاشواك والمعقات والتضحيات .

٥- لا بد للداعية من الصبر وتحمل الاذى ، وبذل النفس والمال والولدد
في سبيل الله ، ولنا في نبي الله أيوب اسوة حسنة .

٦- على الداعية ان يلم بحال المدعوين ويحرف بمشكلاتهم وكيفية التأثير عليهم ،
ويخاطبهم باللغة التي يفهمونها ويركز على القضايا التي هم بحاجة اليها .

٧- على الداعية ان يداوى الامراض الاجتماعية المنتشرة في الوسط الذي
يدعو فيه ويولمها من الاهتمام أكثر من غيرها ، ولنا في نبي الله لوط ونبي الله
شعيب اسوة حسنة .

٨- لا مانع من استعمال كل الوسائل المشروعة لايصال الدعوة الى الناس،

ولنا في نبي الله داود ونبي الله سليمان اسوة حسنة .

٩- ترقب الداعي عقاب الله ان هو يهين او قنط او ترك الدعوة التي امر

بإبلاغها ، ولنا في نبي الله يونس اسوة حسنة .

١٠- لمس على الداعية قطف ثمرة عطه ان قد تتأخر هذه الثمرة ويقطفها

من يأتي بعمده ، ولكن على الداعية الصبر ومطابحة العمل مهما كان شاقا ،

ومهما وجد من قومه الاعراض والتكذيب - ولنا في نبي الله نوح اسوة حسنة .

١١- الفتنة محك لاختبار الداعية ومقدار صلاحة ايمانها وتمرض الداعية للفتنة

والاغراء امر وارد ولكن الله عز وجل يحصم اولياءه من السقوط في الزلل

ولنا في نبي الله يوسف اسوة حسنة .

١٢- على الداعية ان تكون الدعوة همه الاول وشغله الشاغل سواء كان

طليقا أو سجينا ، والداعية الناجح هو الذي يبلغ دعوته في كل مكان يحصل

فيه ولو كان ذلك المكان سجنا ولنا في نبي الله يوسف اسوة حسنة .

١٣- الفنى والسلطان لا يحولا بين الداعية ودعوته بل ربما كانا له عوناً وسندا

وأكثر تأثيرا لدى المدعوين ولنا في أنبياء الله داود ، وسليمان ويوسف

اسوة حسنة .

١٤- لا مانع من أن يطلب الداعية مناصبا أو يتقلد مهجة كبير في الدولة طالما

كان ذلك لمصلحة الدعوة ولنا في نبي الله يوسف اسوة حسنة .

١٥- فرار الداعية من عدوا راد بهسو او من حاكم ظالم اراد قتله امر لا يخار

عليه ، ولنا في نبي الله موسى اسوة حسنة .

١٦- هجرة الداعية من مكان مضيق عليه الى مكان أكثر سعة وأكثر بركة

للدعوة امر مطلوب ، بشرط ان لا ينسى المهاجر مولده الأول ، بل بعد

المدّة للعودة اليه ظافرا منتصرا ، ولنا في نبي الله موسى اسوة حسنة

وفي نبينا محمد صلى الله عليه وسلم خير اسوة .

١٧- تغيير الداعية للذكر بهداه ان استطاع امر مشروع ولنا في نبي الله

ابراهيم اسوة حسنة .

١٨- قد يستحق الداعية في زوجته او ولده فيخالفا عقيدته ويناصبانهما

العداء ، ومع ذلك فان قدره لا ينقص عند الله تعالى ان لم يقصر في

نصيحتهم ، ولنا في نبي الله لوط ونبي الله نوح اسوة حسنة .

١٩- طلب الداعية الاعوان والانصار لشده ازره وحمايته من بطش الظلمة

أمر مشروع ولنا في نبي الله موسى اسوة حسنة وفي نبينا محمد صلى الله عليه

وسلم أفضل قدوة .

٢٠- قوة الدعوة من قوة الداعي وضعفها من ضعفه وكلما كان الداعية

قويا وله انصار واعوان يحمونه على الحق ويشدون من ازره كلما كانت

الدعوة قوية ومهاجمة الجانب ، وكلما كان ذكر الله وتسبيحه منتشرا وشرعه

سيظروا .

٢١- على الداعية الناجح ان يستغل كل الفرض المتاحة لا بل اغ دعوته ، كما

ان عليه ان يستغل المناسبات التي يكثر فيها وجود الناس وتجمعهم لا بل اغ

دعوته لا كبر قدر ممكن من البشر ، ولنا في رسول الله الخاتم خير اسوة .

٢٢- على الداعية أن يتطوف في دعوة الناس الى الخير وان لا يكون فظا
ظيلا حتى لو كان المدعو طاغية فان الداعية عليه أن يلتزم طريق الدعوة
التي أمر الله بها وهي القول اللين والنصيحة الهادئة والموعظة الحسنة
ولنا في أنبياء الله جميعا اسوة حسنة .

هذا ولو اردنا استقصاء جميع العبر والعظات من منهج الرسل الكرام
وطريقتهم في الدعوة الى الله عز وجل لما وسعنا ذلك لان حياتهم كانت كلها
منهج وحركاتهم كانت كلها دعوة .

وفي الغتام ادعوا اخواني الذين اختاروا طريق الدعوة والعمل لها ان يتعمقوا
بدراسة منهج هذه الدعوة من كتاب الدعوة الخالد الذي لا يأتيه الباطل من
بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد .

كما ادعوه الى دراسة منهج الرسل الكرام وكيف بلغوا رسالة ربهم بأسلوب
واضح وطريق منظم مدروس لا فوظائية فيه ولا ارتجال أو ظظة بل حكمة وموعظة
حسنة وجدال بالتي هي احسن ، ومعاملة طيبة ، وسيرة عطرة .

كما ادعوا الدعاة جميعا ان يكونوا على مستوى العصر الذي نحن فيه بقارعون
الباطل بأساليب حديثة مستجدة ، وان يعيشوا واقصم الذي هم فيهم
يتعاملون معه ويؤثرون فيه ولا يتأثرون بلوثاته ، يعرفوا الخير من الشر ،
والحق من الباطل . والحاكم الظالم الذي يذل المسلمين ويستبيح دماهم
وأعراضهم من الحاكم العادل ، ويعرفوا العدو من الصديق ، ويظلموا طمس
ما يدور في هذا العالم من احداث ويلجوا بأحوال المسلمين في كل انحاء

أما أولئك الذين يريدون ان يظلوا في الظلام بعيدا عن مسرح الأحداث وكان
ما يجري لا يهمهم من قريب أو بعيد ، فأولئك ليسوا على مستوى المسئولية
ولا أهل لخوض مثل هذه المعركة مع الباطل .

اننا في وضع لم يمد من الجائز السكوت فيه والانتواء على الذات والاسلام
يتمتع في أرضه ويحارب في شتى اقطاره .

ان السكوت على هذا الواقع المؤلم هو ظلم شديد والساكتون مؤخذون
حتى ينجلي الحق وتصبح كلمة الله هي العليا وكلمة الذين كفروا السفلى .

أما الفرار من المعركة فهو صفة المتشككين المتردد بين الفافلين عن قوله

تعالى : (قل لن يصيبنا الا ما كتب الله لنا هو مولانا وعلى الله فليتوكل
(١)
المؤمنون)

والذين يظنون انهم ما نعمتهم حصونهم من قدر الله فليتذكروا قول الله

(٢)

تعالى : (اينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم في بروج مشيدة)

وفي هؤلاء امثالهم من الذين يعتبرون مقارعة الباطل والجهر بكلمة

الحق امام سلطان جائر انتحارا وقتلا للنفس يصدق عليهم قوله تعالى :

(الذين قالوا لاخوانهم وقمدا لو اطاعونا ما قتلوا قل فاد رأوا عن انفسكم

(٣)

الموت ان كنتم صادقين)

(١) التوبة : (٥١)

(٢) النساء : (٧٨)

(٣) آل عمران : (١٦٨)

ولمعلموا انه لن تוות نفس الا اذا جاء اجلها ، ولكل أجل كتاب ، فلم اذ:
 الخوف والوهن ، ومداهنة الباطل الذي أمرنا تعالى بمحاربه واستئصال
 شأفته من المجتمع الاسلامي .

ان الدعوة اليوم بحاجة الى اناس نذروا انفسهم الله فلا يخافون الا منه ،
 ويقولون الحق ولو كان فيه ازهاق ارواحهم .

ان الدعوة بحاجة الى داعية هو في ركض الى الله طالبا الاستشهاد كما
 استشهد " عروة بن مسعود الثقفي " رضي الله عنه حينما خرج يدعو قومه السي
 الاسلام وكان فهم محبها مطاطا لدرجة انه كان احد الاثنون العظماء الذين
 عناهما المشركون في قوله تعالى : (لولا انزل هذا القرآن على رجل من القريتين
 عظيم)
 (١)
 عظيم)

فلما اشرف لهم على غرفة له وقد دأبهم الى الاسلام واظهر لهم دينه رموه بالنبل
 من كل وجه فاصابه سهم فقتله .

الدعوة اليوم بحاجة الى داعية طلي الهمة كملو همة الاسلامي رضي الله عنه
 قال ابن القيم رحمه الله : " اذا اردت ان تعرف مراتب الهم فانظر الى همة
 ربيعة بن كعب الاسلامي رضي الله عنه وقد قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم
 سلمي فقال أسطك مرافقتك في الجنة وكان غيره يسأله ما يملأ به بطنه ويوارى جلد ه"
 (٢)

(١) الزحرف : (٣٨)

(٢) مدارج السالكين ج ١ ص ١٤٧

الدعوة اليوم بحاجة الى داعية صادق الوعد كما صدق انس بن النضر
رضي الله عنه .

روى انس بن مالك ان أنس بن النضر قاب عن قتال بدر فقال أول مشهد
شهدته رسول الله صلى الله عليه وسلم لم أشهدته لئن كان لرسول الله صلى
الله عليه وسلم قتال مع قريش بعد ما كان اليوم ليروني الله عز وجل ما اصنع
وهاب ان يقول غير ذلك .

فلما كان يوم أحد وانهزم الناس ، فقال سعد بن معاذ فاستقبلته فقال
يا سعد الى اين؟ واهما لريح الجنة اني لاجد ريحها دون أحد ، فتقدم
فقاتل حتى قتل .

فنزله قوله تعالى : (من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه
(١)
فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظرون ما بدلوا تبديلا)

قال ابن اسحاق ، فحدثني حميد الطويل عن أنس بن مالك قال لقد
(٢)
وجدنا بانس بن النضر يومئذ سحابين ضربة فما عرفه الا اخته عرفته ببنايه)

الدعوة اليوم بحاجة الى داعية مبادرا الى الامثال لامر الله له مسيرته
من قوله تعالى (فلما اسلما وثقه للجبهين)
(٣)

فيمثل كما امثل ابراهيم لامر به .

الدعوة اليوم بحاجة الى داعية شاعر يواجهاته كقدوة للناس متحملا الشدائد
في سهيل ذلك ، كما شعر الامام أحمد بن حنبل رضي الله عنه عندما عذب

(١) الاحزاب : (٢٣)

(٢) سيرة ابن هشام ج ٣ ص ٨٣

(٣) الصافات : (١٠٣)

في قصر المأمون فقال له أحد تلامذته : يا امام لولا نطقت بما يريدون من خلق القرآن ودرأت المذاب عنك فقال الامام احمد اخرج وانظر من فسي الشرفة فنظر فرأى أهل بغداد قد اجتمعوا معهم الدفاتر والاقلام ينتظرون قول الامام ليكتبوه فقال الامام انجو بنفسى واضل بسوء لاء ، لا والله .

مكذا يجب أن يكون الدعاة عضوانهم شجاعة يهبطها حذر ، وطاعة يحدونها وهي ، وطاعة بصرفها تخطيط ، واطمان بحمقه تكفير ، وجاهدة يصحبها عمل ، والم يبعثه واقع المسلمين ، وامل يفتحه رجاء رعمة الله ، وثقة يقويها قوله

(١)

تعالى : (كتب الله لاظلمين انا ورسلي)

ان طريق الدعوة صعب وشاق ولا يستطيع السير فيها الا من اهد لها المدة ، والمدة ما سبق ان ذكرناه ، من ايمان عميق بالله عز وجل ، وينصره ، وسوعده الذي لا يتخلف ، وعمل دقيق ، وصبر ومصابرة ، وجهاد ومجاهدة ، ومحن وابتلاءات ثم بعد ذلك يأتي وعد الله بالفوز باحدى السحنين النصر أو الشهادة ، وطا النصر الا من عند الله .

(٢)

(ولينصرن الله من ينصره ان الله لقوى عزيز)

اللهم اجعلنا ممن ينصرون الله فينصرهم الله ، ومن الذين يستمعون القول فيتبعون احسنه .

وصلى اللهم وسلم وبارك وأنعم على سيدنا محمد صاحب المقام المحزن المحووس المورود وعلى آله وصحبه ومن سار على دربهم واستن بسنتهم السي يوم الدين .
وأغرد دعوانا ان الحمد لله رب العالمين .

(١) المجادل : (٢١)

(٢) سورة الحج : (٤٠)

المصادر والمراجع

- ((المصادر والمراجع)) -

القرآن الكريم .

- ١- ابو الاعلى المودودي / الاسلام في مواجهة التحديات المعاصرة
دار القلم الكويت / الطبعة الرابعة ١٤٠٠ هـ ، ١٩٨٠ م .
- ٢- احمد بن علي بن حجر المسقلاني / فتح الباري / المطبعة السلفية
القاهرة / بدون تاريخ .
- ٣- احمد المسال وفتحى عبد الكريم / النظام الاقتصادي في الاسلام
مكتبة وهبه - القاهرة / الطبعة الثالثة ١٣٩٧ هـ / ١٩٧٧ م
- ٤- اسماعيل بن كثير الدمشقي - تحقيق ضميم والبنا / تفسير القرآن العظيم
كتاب الشعب - القاهرة - بدون تاريخ .
- ٥- احمد بن محمد بن عبد ربه الاندلسي / المقدم الفردي
لجنة التأليف والترجمة - القاهرة - الطبعة الثالثة ١٣٥٩ هـ
١٩٤٠ م .
- ٦- الكسيس كاريل / الانسان ذلك المجهول / مؤسسة الرساله - بيروت
الطبعة الاولى .
- ٧- انور الجندي / الاسلام والدعوات الهدامة
دار الكتاب اللبناني - بيروت / الطبعة الاولى ١٣٩٤ / ١٩٧٤ م
- ٨- انور الجندي / الموسوعة الاسلامية / دار الكتاب اللبناني - بيروت
الطبعة الاولى ١٣٩٥ هـ / ١٩٧٤ م .
- ٩- الفخر الرازي / التفسير الكبير / المطبعة البهية - القاهرة
الطبعة الاولى ١٣٥٧ هـ / ١٩٣٨ م .
- ١٠- توماس ارتولد / الدعوة الى الاسلام / ترجمة هابدين والنحراوى
وحسن / مكتبة النهضة المصرية - الطبعة الثالثة .

- ١١- جلال الدين عبدالرحمن السيوطي / الاتقان في علوم القرآن /
نشر : الباهي الحلبي ، القاهرة / الطبعة الثالثة ١٣٧٠هـ / ١٩٥٠م
- ١٢- جلال الدين عبدالرحمن السيوطي / جمع الجوامع / نسخة مصورة عن
مخطوطة دار الكتاب المصرية / بدون تاريخ .
- ١٣- جول لا يوم / تفصيل آيات القرآن الحكيم / نشر : دار الكتاب العربي ،
بيروت ترجمه الى العربية محمد فواد عبدالباقي / بدون تاريخ
- ١٤- حسن البنا / مجموعة الرسائل / نشر : مؤسسة الرسالة بيروت / الطبعة
الثالثة ١٣٩٤هـ / ١٩٧٤م .
- ١٥- رمزي نعمانة / الاسرائيليات وأثرها في كتب التفسير / نشر : دار الضياء ،
بيروت / الطبعة الاولى ١٣٩٠هـ / ١٩٧٠م
- ١٦- سيد قطب / في ظلال القرآن / نشر : دار احياء التراث العربي ،
بيروت الطبعة الخامسة ١٣٨٦هـ / ١٩٦٧م
- ١٧- سيد قطب / خصائص التصور الاسلامي / دار القرآن الكريم ، بيروت /
الطبعة الخامسة ١٣٩٨هـ / ١٩٧٨م
- ١٨- سيد قطب / التصوير الفني في القرآن / نشر : دار القلم بيروت /
الطبعة الثانية ١٣٨٦هـ / ١٩٨١م
- ١٩- سعيد حوى / دروس في العمل الاسلامي / نشر مكتبة الرسالة عمان /
الطبعة الاولى ١٤٠١هـ / ١٩٨١م .
- ٢٠- صادق أمين / الدعوة الاسلامية فريضة شرعية وضروية بشرية / نشر : دار
الايمان عمان الاردن / الطبعة الاولى

٢١- عبد القادر عودة / التشريع الجنائي في الاسلام / نشر : دار الكتاب العربي

بيروت / بدون تاريخ

٢٢- عبد الكريم زيدان / اصول الدعوة / نشر : مطبعة سلطان الأعظمي بفسداد

الطبعة الثانية ١٣٩٢هـ / ١٩٧٢م

٢٣- عبد المال سالم مكرم / من الدراسات القرآنية / نشر : دار النهضة القاهرة

بدون تاريخ .

٢٤- عبد الرزاق نوفل / بين الدين والعلم / نشر : مكتبة وهبة القاهرة /

الطبعة الأولى .

٢٥- عبد الرحمن حينكه الميداني / الكيد الأحمر / نشر : دار القلم بيروت

الطبعة الأولى ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م

٢٦- محمد الطك بن هشام / سيرة النبي صلى الله عليه وسلم تحقيق محمد محي الدين

عبد الحميد / نشر : مطبعة المدني القاهرة / ١٣٨٣هـ / ١٩٦٣م

٢٧- عبد السلام هارون / تهذيب سيرة ابن هشام / نشر : مطبعة الزعبي بيروت

الطبعة السادسة .

٢٨- عطاد الدين خليل / دراسة في السيرة / نشر : دار النفائس بيروت /

بدون تاريخ

٢٩- القاضي عياض بن موسى البهصي / الشفا بتمريف حقوق المصطفى /

نشر : دار التراث القاهرة / بدون تاريخ

٣٠- عبد الله بن أحمد بن محمد النسفي / تفسير القرآن الجليل / نشر : مكتبة

الغزالي حماه / بدون تاريخ

- ٤٢ - محمد بن جرير الطبري / تاريخ الطبري تحقيق محمد ابراهيم / نشر : دار المعارف القاهرة / الطبعة الثالثة .
- ٤٣ - محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي / الجامع لأحكام القرآن / نشر : دارالقام القاهرة / الطبعة الثالثة ١٣٨٦هـ / ١٩٦٦م
- ٤٤ - محمد بن محمد العمادى / تفسير ابي السعود / نشر : دارالمصنف القاهرة / بدون تاريخ .
- ٤٥ - محمد بن اساميل البخارى / الجامع الصحيح / نشر : دار احياء التراث المرعي بيروت / الطبعة السلطانية .
- ٤٦ - محمد بن ابي بكر الزري الدمشقي / زاد العماد في هدى خير العماد تحقيق شعيب وهب القادر الارناؤوط / نشر : مؤسسة الرسالة بيروت / الطبعة الأولى ١٣٦٩هـ / ١٩٢٩م
- ٤٧ - محمد بن ابي بكر الزري الدمشقي / مدارج السالكين تعليق محمد رشيد رضا / نشر : المنار القاهرة / الطبعة الاولى ١٣٣٢هـ
- ٤٨ - محمد بن اسحاق بن يسار / سيرة ابن اسحاق / طبع في المغرب / تحقيق محمد حميد الله بدون تاريخ .
- ٤٩ - محمد بن الطيب الباقلاني / اعجاز القرآن / نشر : دارالمعارف القاهرة الطبعة الرابعة
- ٥٠ - محمد بن عبد الرحمن السخاوى / المقاصد الحسنة / نشر : مكتبة الخانجسي القاهرة / ١٣٩٦هـ / ١٩٥٥م
- ٥١ - محمد بن عمى بن سوره الترمذى / الشفا على المحمدية / نشر : مؤسسة الزمعي للطباعة بيروت / بدون تاريخ

٥٢ - محمد بن عيسى بن سوره الترمذى / سنن الترمذى تحقيق ابراهيم عوض /

نشر : مطبعة الباهي الحلبي القاهرة / ١٣٩٥هـ / ١٩٧٥م

٥٣ - محمد احمد جال / دين ودوله / دار الكتاب اللبناني بيروت / الطبعة

الثالثة ١٣٩٣هـ / ١٩٧٣م

٥٤ - محمد رشيد رضا / تفسير المنار / نشر : مطبعة حجازى القاهرة

الطبعة الرابعة ١٣٨٠هـ / ١٩٦٠م

٥٥ - محمد محمد أبو شهبه / المدخل لدراسة القرآن الكريم / القاهرة

الطبعة الثانية ١٣٩١هـ / ١٩٧٣م

٥٦ - محمد فؤاد عبد الباقي / المعجم الفهرسى لالفاظ القرآن / نشر مطابع الشعب

القاهرة / بدون تاريخ .

٥٧ - محمد شوقي الفنجري / المدخل الى الاقتصاد الاسلامي / نشر : دار النهضة

الحرية القاهرة / ١٣٩٢هـ / ١٩٧٢م

٥٨ - محمد الراوى / الدعوة الاسلامية دعوة طليحة / نشر : الدار القومية للطباعة

والنشر القاهرة ١٣٨٣هـ / ١٩٦٣م

٥٩ - محمد السيد الوكيل / أسس الدعوة وآداب الدعاة / دار الطباعة والنشر

الاسلامية القاهرة / الطبعة الاولى .

٦٠ - محمد قطب / دراسات قرآنية / نشر : دار الشروق بيروت / الطبعة الثالثة

٦١ - محمد نمر الخطيب / مرشد الدعاة / نشر : دار المعرفة بيروت / الطبعة

الأولى ١٤٠١هـ / ١٩٨١م

٦٢ - محمد خضر حسين / دراسات في المصيبة وتاريخها / نشر : دار المعارف

القاهرة / بدون تاريخ

٦٣ - محمد باقر الصدر / اقتصادنا / نشر : دار الكتاب اللبناني بيروت /

الطبعة الثانية

٦٤ - محمد جلال كشك / الماركسية والفرزوالفكرى / نشر : دار الارشاد ببيروت

الطبعة الاولى

٦٥ - محمد جلال كشك / اخطر من النكسة / دار الارشاد بيروت / الطبعة الاولى

٦٦ - محمد محمد حسين / الاتجاهات الوطنية في الادب المعاصر / نشر : مؤسسة

الرسالة بيروت / الطبعة الاولى

٦٧ - محمد طي الصابوني / صفوه التفاسير / نشر : دار القرآن الكريم ببيروت

الطبعة الاولى ١٤٠١هـ / ١٩٨١م

٦٨ - محمد يوسف عاسي / ففتاح كنوز في ظلال القرآن / نشر : مكتبة الأقصى

عان / الطبعة الاولى

٦٩ - محمد أحمد باشميل / الاسلام ونظرية دارون / نشر : دار الفتح للطباعة

بيروت / بدون تاريخ

٧٠ - محمود شهيت خطاب / الرسول القائد / نشر : بهفداد / الطبعة

الاولى ١٣٧٥هـ / ١٩٥٨م

٧١ - مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري / الجامع الصحيح /

نشر : دار الفكر بيروت / بدون تاريخ

٧٢ - مصطفى السباعي / السنه ومكانتها في التشريع الاسلامي / نشر : المكتبة

الاسلامي بيروت / الطبعة الثالثة .

٣٣- مالك سيف / تجربتي في الحزب الشيوعي / بيروت / الطبعة الأولى

١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م

٣٤ ومؤرخين وكاي / دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثية /

نشر: دار المعارف القاهرة / بدون تاريخ

٣٥- وحيد الدين خان / الدين في مواجهة العلم / دار الاعتصام القاهرة

ترجمة ظفر الاسلام خان مراجعة عبدالحليم عويس

الطبعة الاولى ١٣٩٢هـ / ١٩٧٢م

٣٦ - وحيد الدين خان / الاسلام يتحدى تصريف ظفر الدين خان / دار البحوث

مراجعة عبد الصبور شاهين

العلمية / الطبعة الثانية ١٣٩٣هـ - ١٩٧٣م

٣٧- يوسف القرضاوى / ثقافة الداعية / نشر: مؤسسة الرسالة بيروت / الطبعة

الثانية ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م

٣٨ - يوسف القرضاوى / الخصائص العامة للإسلام / نشر: مكتبة وهبه القاهرة

الطبعة الأولى ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م

الفهرس

فهرس الموضوعات



| الصفحة | الموضوع |
|--------|----------------------------------|
| ————— | ————— |
| ١ | المقدمة |
| ٢٢ | تعريف الدعوة
الباب الأول : |
| ٢٤ | خصائص المنهج القرآني |
| ٢٤ | الفصل الأول :
انه من عند الله |
| ٣٤ | الفصل الثاني
انه شامل |
| ٤٦ | الفصل الثالث
انه عالمي |
| ٤٧ | الفصل الرابع :
انه ثابت |
| ٥١ | الفصل الخامس :
انه من |
| ٥٦ | الفصل السادس :
انه واقعي |
| ٦١ | الفصل السابع :
انه واضح |

| | |
|-----|--|
| | الفصل الثاني |
| ٦٦ | انه متوازن |
| | الباب الثاني : |
| ٧٥ | المنهج القرآني في خطاب المدعوين |
| ٧٦ | الفصل الأول : خطاب المؤمنون |
| ٩٢ | الفصل الثاني : خطاب أهل الكتاب |
| ٩٩ | الفصل الثالث : خطاب المشركين |
| | الباب الثالث : |
| ١٠٦ | منهج الرسل الكرام في الدعوة كما رسمه القرآن الكريم |
| ١٠٩ | الفصل الأول : نوح عليه السلام |
| ١٢٤ | الفصل الثاني : هود عليه السلام |
| ١٤٠ | الفصل الثالث : صالح عليه السلام |
| ١٣٦ | الفصل الرابع : ابراهيم عليه السلام |
| ١٥٦ | الفصل الخامس : لوط عليه السلام |
| ١٦٢ | الفصل السادس : اسماعيل عليه السلام |
| ١٦٥ | الفصل السابع : يوسف عليه السلام |
| ١٩٤ | الفصل الثامن : شعيب عليه السلام |
| ٢٠٣ | الفصل التاسع : الياس عليه السلام |
| ٢٠٦ | الفصل العاشر : ايوب عليه السلام |
| ٢٠٩ | الفصل الحادي عشر : يونس عليه السلام |

- ٢١٤ الفصل الثاني عشر : موسى عليه السلام
- ٢٥٥ الفصل الثالث عشر : داود عليه السلام
- ٢٦٠ الفصل الرابع عشر : سليمان عليه السلام
- الفصل الخامس عشر : خاتم الانبياء والمرسلين
- ٢٨٢ سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم
- ٢٨٩ الباب الرابع : أساليب الدعوة وطرقها في القرآن الكريم
- ٢٩٣ الفصل الأول : الحكمة والموعظة الحسنة :
- ٣٠١ الفصل الثاني : الحوار القرآني
- ٣٢١ الفصل الثالث : الترغيب والترهيب
- ٣٣١ الفصل الرابع : القصص القرآني
- الباب الخامس :
- ٣٤٥ مراحل الدعوة النبوية الشريفة
- ٣٤٧ الفصل الأول : المرحلة الحكية
- ٣٤٧ المبحث الأول : مرحلة التكوين
- ٣٥٨ المبحث الثاني : خصائص السور المكية
- ٣٦٠ الفصل الثاني : المرحلة المدنية
- ٣٦٠ المبحث الأول : مرحلة الاعداد والتصدي
- ٣٧٥ المبحث الثاني : خصائص السور المدنية

الباب السادس : المنهج الرباني بدعوى الى دراسة الواقع

- ٣٧٨ وسبر غوره
- ٣٨٨ الفصل الأول : كيف ندعوى الى الاسلام المرص
- الفصل الثاني : ضرورة اعداد الدعاة على كافة المستويات
- ٣٩٨ ثقافيا ، وفقهيا ، وتنظيميا
- ٣٩٩ البحث الأول : الناحية الثقافية
- ٤٠٠ أ - الثقافة التاريخية
- ٤٠٥ ب - الثقافة الادبية واللغوية
- ٢١٠ ج - الثقافة الانسانية
- ٤١٣ د - الثقافة العلمية
- ٤٢٠ هـ - الثقافة الواقعية
- ٤٢٢ البحث الثاني : الناحية الفقهية
- ٤٢٦ البحث الثالث : الناحية التنظيمية
- ٤٧٤ الخاتمة
- ٤٨٢ المصادر والمراجع